

تَجَرِبَةُ رَيْ هِلَال

وَرَحِيلَهُم

إِلَى بِلَادِ الْغَرْبِ وَحُرُوبِهِمْ
الزَّمَانِ خَلِيفَ

وَمَا جَرَى لَهُمْ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْجُرُوبِ الْخَفِيَّةِ

تَحْتَوِي عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ جُزْءًا

مَطْبُوعَات

مَكْتَبَةُ رُطْبَةُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ عَسِيمٍ وَأَزْوَاجِهِ

بِمِيدَانِ الْأَزْمَرِ بِمَعْرِ تَلِفُونِ ٩٠٦٥٨٠

تَعْرِيبُ تَرْبِي هِلَالِ

وَرَحِيلِهِمْ

إِلَى بِلَادِ الْغَرْبِ وَعُرُوبِهِمْ مَعَ
الزَّنَاتِي خَلِيفَةٍ

وَمَا جَرَى لَهُمْ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْمَحْرُوبِ الْخَفِيفَةِ

تَحْتَوِي عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ جُزْءًا

يُطْلَبُ مِنْ

مُتَلَبِّهِ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى لِبْسِهِ وَالْأَقْبَعِ

بِمَعْنَى الْأَقْبَعِ بَصَرٌ

تَلْفِظُهُ ٤٨٥٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

لما بعد فلما كانت القصص والنوادر / موضوعاً لإفادة الناس وتسلية الخواطر /
لا سيما قصة بني هلال لما جرى لهم في سالف الأجيال / من الوقائع والأحوال /
تصيب الأبطال / ثم فقد بادرنا بطبعها من أولها حتى آخرها / وذكرنا وحياتهم من
بلاد نجد إلى تونس الغرب / واستخلاصهم تلك الممالك بالحرب / وقتلهم الزناتي خليفة /
بعد حروب هائلة مخيفتك / فامت سيرة ظريفة / مشتملة على نوادر وأخبار / طريفة / تليد
بسماعها النفوس والأذان / والله المستعان

لأنه لا يخفى على أهل المعارف والآداب / بأن بلاد نجد كانت من أعصب بلاد العرب /
كثرة المياه والغدران / السهول والوديان / حتى كانت تذكرها شعراء الزمان / بالأشعار
الحسان / تفضيها على غيرها نظراً لحسن هواها فيها / وكانت منازل بني هلال في سالف
الأجيال / وما زالت على رونقها الأول حتى تغير قطرها / واضمحلت / وانقطع عنها
الحشيش ونبات / وعم البلاد المجاعة / من جميع الجهات / ولم يعد فيها شيء من الماء كولات /
حتى صارت أهلها تأكل الحيوان / واستمرت المجاعة سبعة سنين / وذلك بعد المعركة
بطوبع ما تسمى مستيقولاً / لما عظمت الأهوال واشتدت المجاعة على بني هلال / واجتمعت
منهم المشايخ والشبان / وقصدوا مضارب الأمير حسن بن سرحان / فدخلوا وسلموا
عليه / وتمشوا بين يديه وقالوا له عن فرد لسان / أعلم يا ملك الزمان بأن الهوى قد اشتد
وانقطعت لما كولات من نجد / وإن طال عابنا الحال نموت / من عدم وجود القوت /
فلنم تتدارك الأمر في الحال / انقرضت جميع بني هلال / وفقدت الموشى والأموال /
(قال الرازي) فلما سمع الأمير حسن هذا الخطاب استعظم المصائب / وكان عنده جماعة من
السادات / أما جيلو الفرسان الصناديد منهم البطل الهمام وليث الأجام الذي شاع ذكره
بين الأمازيغ / عاقراً / أنه بطمن الرمح وضرب الحسام / أبو زيد فارس الصدم / والأمير
دياب بن غلام البطل لمقدام والقاضي بدر غايد السيد الماحد / فأخذوا يتذكرون
في هذا الشأن / عوساعة من الزمان / فاستقر رأيهم على الرحيل من تلك الديار قبل حلول
الدمار / ثم قال الأمير حسن لكابر القوم قوموا بنا لنخفي وننفق أحوال القبيلة في هذا

وخليك باطنجبر ملقى على الثرى
 لأنك غدرت بحق سيدك وتركته في ذلة وزراع
 مقال الفتى يحى مخاصم من طغى فلا بد منا ما تشوف صداع
 (قال الراوى) فلما فرغ يحيى من شعره ونظامه ففهم سعيد فحوى كلامه زاد
 عليه الحال واستعظم ذلك الملك وصاح على الجملاد يقطع رأس الثلاثة شعراء فصاحوا
 لهم على ذلك الافتراء فنهض يونس على الأقدام واعتذر إليه بالسكلام وقال إن هؤلاء
 الشعراء من أوباش العربان لأنهم تكلموا بهضرة مالك ما لا يليق من السكلام فإن أردت
 أن أنشدك أيانا ما سمعها قط لأمسان إلا استحسنها غاية الإحسان فقال بارك الله فيك
 انشد وخذ منى ما يرضيك فإن صدرى ضاق وقلبي يحدثنى بالفراق فأشد يونس
 يقول وعمر السامعين يطول :

قال يونس من فؤاد التهاب	والدمع من عيني غدا هطالها
هذا كلامي فيك يا أمير الملا	الله يعطى نفسنا آمالها
إني أمير بالحروب مجرب	منى تشيب من الحرب ابطلها
ما عدت تنجو يا سعيد العبد لا	والروح منك في حسامى زوالها
عندك فرس أبيض فمالك وقفه	فاذا مشيت رن القدم خلخالها
حسناً مليحة ما رأينا مثالا	في لطفها وبظرفها وكألالها
طول الردينى كأها عود القنا	فاقت على كل الناس بمجمالها
الشعر منها مثل الليل أسود	وعيونها مثل الغزلان نخالها
يا عمن الخلخال فوق كمالها	الله يرحم عمها وخالها
إياك تقربها وتأتى صوتها	تزدريك في ضرب جواز نسالها
فكان روحك يا سعيد يبدعها	وأما مقامس بالردى خيالها
هى بنت عمه ما يريد خلافا	حاشا لملك أن يشوف خيالها
لأرجع عن الزينات واسمع كلتي	إني تصوحك لانتكون هزالها
فقال الفتى اسمع يا سعيد	أبو زيد قبلك كم ملوك أزالها

(قال الراوى) فلما فرغ يونس من شعره ونظامه فهم سعيد فحوى كلامه وعظم

عليه الأمر وتوقد قلبه باهيب البحر وقال لهم قد أحضرنا لكم بالثام حتى تعربونا
بالشعر والنظام وتأخذون منى الجوائز والأعنام والسكنكم أساتم الأدب وخرجتم
عن سنة العرب وتكلمتم بالآليلق امامى ولا اعتبرتم قدرى ومقامى فلا بد من
قتلكم على هذا الاخرق وكلام الزور والنفاق ، فلما انتهى من هذا المقال التقاه
أبو زيد مثل السبع الأجام وضربه على رأسه بالحسام فقتله في الحال وأورثه الخيال
ثم لأنه هجم على باقى العبيد وتبعه مرعى ويحيى ويونس الفرسان الصناديد ولم تكن
إلا لحظة من الزمان حتى أنزلوا بهم الهوان ومسحواهم بالسيف الهندوان وبعد ذلك
جمع أبو زيد سادات القبيلة والوجوه السكبار وقال لهم ها قد قتلنا هذا العبد الغدار
وجماعتنا الأشرار لأنهم قد طغوا وتجبروا فأتوا وانقبروا فلا رحم الله العبد اللئيم
والوغد الذميم لأن مراده كان استخلاص المملكة من مغامس هذا اليتيم وأخذ ابنة
عمه شاه الريم فرادى الآن أقيمهم أمير مقام أبيه فاهو رأيكم وماذا تقولون فيه قالوا
هو ابن مولانا وقد رضيناؤه علينا أميراً ونحن جميعاً عبيده وطوع يديه ولا نخل
بأرواحنا عليه فمئذ ذلك ركب أبو زيد الحصان وركبت معه الأبطال والفرسان
والسادات والأعيان وقصد الأمير مغامس إلى ذلك المكان ومعهم الطيول والزفوف
وهم زفيرين صفوف حتى وصلوا إليه فسلموا وتمثلوا بين يديه وأعلمه أبو زيد
بواقعة الحال وكيف أنه قتل ذلك العبد المحتال ففرح مغامس بهذا الخبر وزال عنه
القلق والضجر ثم أحضره إلى الخلة مع أمه بموكب عظيم ورقوا عليه ابنة عمه شاه
الريم وأجلسه على الكرسي مكان أبيه وسارت العرب تمدحه وتهاديه لأنه كان ميت
فغماش وتحفاس من أيدي أولئك العبيد الأوباش ففكروا أبو زيد ومرعى ويحيى
ويونس على ذلك الصنيع وتعجب من ذلك الاتفاق الذى لم يسمع مثله في التواريخ
والجوامع وأراد أن يمتهمهم عن السفر إلى تونس وأن يبقوا عنده فيزيد فرحهم
ويستأنس فقال أبو زيد لا بد من سفرنا وما أنت أمنت من الخطر ثم قام أبو زيد
في هذه الحالة ثلاثة أيام في فرج ومرور وغبطة وحبور وبعد ذلك ودع الأمير مغامس
جوسار مع مرعى ويونس قاصدين مدينة تونس وهم يحدون في قطع الروابى والتلال
(قال الراوى) وصلت بنى هلال إلى مكة المشرقة وقلوبهم على زيارة المصطفى

متاهة وبعد أن زاروا القبر والمقام وأدوا واجبات الوفا والاحترام اجتمعوا في
بيت شكر الشريف بن هاشم المنعوت بالشرف والمكارم وهو زوج الجارية أخيه
الأمير حسن وأعلموه السبب في خروجهم من الوطن فترحب بهم وأكرمهم غاية
الإكرام وأقاموا عنده مدة ستة أيام وكانت العجائز من أفرح أهل الدنيا بمشاهدة
أبوزيد ومرعى ويحيى ويونس ثم إنهم ركبوا وساروا يقطعوا البراري والآكام
حتى أشرقوا إلى بلاد الأعيان فدخلوا عليها وداروا في أسواقها وبعد ذلك دخلوا
من تلك الديار وأوصلوا سير الليل بسير النهار حتى وصلوا إلى بلاد التركان فدخلوا
على ملكها الغضبان ومدحوه بالقصائد الحسان فأكرمهم غاية الإكرام وأجازهم بنفائس
الإنعام ومن هناك ركبوا الخيول وجدوا في قطع البراري والسهول إلى أن وصلوا
إلى عند الخفاجي عامر حاكم بلاد العراق فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه فرده
عليهم السلام وأجلسهم بجانبه في صدر المقام وأكرمهم غاية الإكرام ثم إن أبوزيد
أخذ يمدح الخفاجي عامر بهذه الأبيات على مسامع الأمراء والسادات :

يقول الأديب قصيد من ألم الحشا وعقل تراه قد غدا عتار
وعيني من كثر البكا قل شوفها جرى دمعها فوق الخدود غزار
بكمت وبكاي زماني وكادني وأصبحت عزيانا بغير ستار
يا خفاجي استمع شرح قصتي واصغى لقول مع الاخبار
جشنا أراضينا من الحل والعلا سبع سنين تقصف الأعمار
أكلنا الضفادع والجوادين كلها وصرنا على وحش الفلا اندار
فصارت أكابرنا وكل قرومنا يبكوا ودمعات العيون غزار
لجئنا لنحوك نستظل بظلك يا فارس الفرسان يا مغوار
فهذه ترى أحوالنا ومقامنا ودمع جرى فوق الخدود غزار

(قال الراوي) فلما انتهى أبوزيد من شعره ونظامه وفهم الخفاجي عامر خوي
كلامه وأجازهم بالجواري الحسان ثم قدم لهم الطعام فشكروه على هذا الاهتمام وأقاموا
عنده ثلاثة أيام في عز وإكرام ثم ودعوه وجدوا في قطع البراري والآكام الشهباء وكانوا
قد تعبوا من مسافة السفر فزولوا عن خيولهم واستظلوا تحت أغصان الشجر في بساتين

(قال الراوى) وكان أمير المدينة في تلك الأيام رجلاً عالى المقام مدوحاً من النخاص والنعام اسمه الامير بدريس وهو رجل لطيف أنيس وكان له وزير عاقل خبير اسمه الخزاعي وهو صاحب رأى وتدينير فاتفق ذات يوم أنه يخرج في جماعة من القوم قاصد الصيد والقنص فمر بذلك البستان فوجد أبو زيد ومن معه فمض أبو زيد على الأقدام وقال : أطال الله بقاءك وبلغك غاية هناك إنما شعراء أنيساً من بلاد الشرق قاصدين الملوكة وأكابر الخلق وسمعنا بجودك فتصدناك إلى هذا المكان أملاً بالانعام والإحسان لأنك فريد من الزمان وأولى بالمديح والشكر إن ثم انه عدل الرباب وأنشد هذه الأبيات :

قال الأديب بيوت من ألم الحشا ونيران قلبي زائدات الهباب
اسمع كلامي يا أمير وأفهم وكفى أقول فاهما ثم حاسب
چفتنا أرضينا من الخجل والعلا وحات بنا بعد السرور متاعب
وبعد ذلك قد دهشنا فوارس ميتين ألف فوق خيل أصايب
فغاروا علينا يا أمير بجمعهم وداروا علينا موكبا وكتايب
وسافونا سوق الغنم من بلادنا وعدنا ندور على بلاد المغارب
فاكرم علينا يا أمير فاننا صرنا بحال الذل بين الاغارب

(قال الراوى) فلما انتهى أبو زيد من هذا الشعر ، انظم شكره الخزاعي على هذا الكلام وقال لهم اعلمو يا شعراء العرب وأصحاب الفضل والادب أني الخزاعي وزير بدريس أمير حلب فاقصدوا ههنا إلى المدينة وأنا أخلع عليكم الخلع السنية فينزل حكم العنارتا القصد والمضى ثم تركهم وشار وبعد أن غاب عنهم وابتدأ رسل أبو زيد والامير يونس إلى البلد ليأتيهم من الماء كل والمشراب لانهم كانوا في غاية الجوع والتمب فسار بالعجل وجعل يدور فيها ويتأمل في أسواقها وحسن مبانها ثم رجع بالطعام قبل دخول الظلام وأخذ يشرح لأبو زيد عن حسن المدينة وعمما شاهد فيها من القلاع الحصينة وبعد ذلك ركب مع جماعته مرعى ويحيى ويونس وجدوا في قطع البراري والآكام ومروا بجماه وحصى وطرابلس حتى أشرفوا على مدينة الشام وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان ملك عظيم الشأن اسمه شبيب التبعي ابن مالك بن حسان وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا إلى أن وصلوا إلى القدس

الشريف مدينة الانبياء وحل التبريك والتشريف وأقاموا بها يومين ومنها ساروا إلى غزة ودخلوا على حاكمها المركسي ابن نازب فمدحوه بنقائس الاشعار واعتبرهم غاية الاعتبار وأقاموا عنده عشرة أيام في اعزاز وإكرام ثم جدوا في قطع البراري والقفار والسهول والأوعار حتى وصلوا إلى العريش ودخلوا على حاكمها البردويل بن راشد فمدحوه بالاشعار والقصائد وأقاموا عنده ثلاثة أيام في الإكرام ثم مدحوه وجدوا في قطع البرية حتى وصلوا إلى مصر العديده وتلك الاراضي البهية فقصدوا ما سلكها القرمند من متوج ودخلوا عليه ومثلوا بين يديه ومدحوه بنقائس الاشعار فالتفاهم بالترحاب والوقار وأقاموا عنده ثلاثة أيام وساروا قاصدين بلاد الصعيد وبلاد المغرب حتى وصلوا إلى عند القاضي ابن مقرب ودخلوا وسلموا عليه ومثلوا بين يديه ومدحوه بالاشعار فاعتبرهم غاية الاعتبار وأقاموا عنده في اعزاز وإكرام وكان هذا الرجل من أعلى الناس وأوفاهم عهدا وذنبا وأندرم جودا وكرما يكرم الضيوف ويحجود بالالوف وهو الذي ذكره العالم النحرير المؤرخ الشهير صاحب العلوم والفنون عبد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر ديوان المبتدأ والخبر وقال: انه كان في الحدود استخفى من جعفر وحاتم وسوف يأتي ذكره بعد الآن ونشرح عن مزايي الحسن .

(قال الراوي) وفي الحادي عشر تأهب أبوزيد لسفر فودع القاضي وكل من كان حاضرا وسار مع جماعته يقع لهم كلام .

(قال الراوي) واتفق أن جماعة من شعراء العربان كانوا قصدوا بلاد نجد ومدحوا الأمير حسن بن سرحان بالاشعار الحسان كما جرت العادة في ذلك الزمان فأجزاهم بالعطايا الجميلة والمواهب الجزيلة وكانت من جملة ما جارية من بنات الحلي اسمها مي فشكروه على هذا الجليل والاحسان ثم ساروا قاصدين بلاد العرب وتلك الاوطان حتى وصلوا تونس الحضراء ومدحوا الزناتي خليفة وباقي لوزراء فأحسنوا اليهم وأجمعوا عليهم ثم باعوا تلك الجارية النظريفة إلى سعدة ابنة الزناتي حليفة وكانت سعدة مزاول البنات لطيفة الذات قد انصفت بالانلس والمحسن وشاع ذكرها في جميع الاماكن محجج الادباء وتناد الملوك والامراء ذات أدب وفضل لها معرفة بضرب الرمل لما تفتق أنها سألت تلك الجارية ذات يوم عن سبب وقوعها في أيدي أولئك القوم

فأخبرتها بالقصة وكيف أن الأمير حسن أوهبها لهم على سبيل الهدية فقالت : وهل وجد نظيرى بين نساء العرب في الحسن والأدب؟ فقالت لهم نعم يا صاحبة الجود. والكرم أنه يوجد بين الأمم من شبهك في الظرف والجمال ومكارم الشيم وحسن الخصال وهو بطل الأبطال وزينة الرجال الأمير مرعى ابن مولاى حسن أمير بنى هلال فلما سمعت سعدة هذا الكلام تعلق قلبها بمرعى وهام لأن سمع الأذان تعشق في الأكثر قبل مشاهدة العيان فقالت سعدة : إذا كان كلامك هو حقيق قومى بنا في البستان وأنا أضرب هناك الرمل وأنظر أحوال الذين ذكرتهم إلى الآن فإن قلنى تعاقبهم غاية التعلق ومرادى أن أعرف أخبارهم على التحقيق ثم أخذتها معها إلى البستان وكان من أحسن المتنزهات وهناك ضربت الرمل وولدت البنات من بطون الأمهات حتى تأكد لها ذلك الخبر جهرًا وعرفت الأمور التي سوف تجري وبينها في الحديث والكلام أفبل عليهما السلام وكان هذا الرجل من سادات الانام وابن عم الزناتى خليفة ونائبه في معاملات الأحكام صاحب معرفة ودقل من. أخبر الناس في ضرب الرمل وكان يتردد إلى سعدة في أغاب الأيام لأنه من جملة الأهل. وبني الأعمام فسلم عليها فردت عليه السلام واستقبلته بالترحاب والإكرام فجلس. بقرىها وكان قد عرفها في قلبها وكان قد ضرب الرمل في ذلك النهار وظهرت له لأخبار فأعلمها بأفكاره وكشف لها أسرارها فطلبت منه أن يكتم ذلك الخبر لا يسيح به لأحد من البشر خوفًا عليها من الضرر وقالت له أريد من فضلك يا بن عمى. ومن هو كشف همى وغمى أن تعلمى متى حضر هؤلاء القوم فأنى بانتظارهم. في كل يوم فأجابها إلى ذلك الطلب ووعدتها بالمساعدة على بلوغ الأرب ثم ودعها. وصار طالب الصيد والقنص ويبقى ثلاثة أيام ثم رجع إلى داره باسلام.

(قال الراوى) هذا ما كان من سعدة وابن عمها السلام وما وقع بينهما من الحديث. والكلام وأما ما كان من البطل الهمام والأسد الضرغام أبو زيد فارس الصدام ومن معه من السادات السكرام فإنهم كانوا قد جدوا في قطع الرواقى والأكام مدة عشرة أيام حتى وصلوا إلى تونس وقت الظلام فباتوا خارج المدينة وفي اليوم التالى صاروا يتأملون في مبانيتها فوجدوها متينة وأبراجها حصينة كثيرة الفلاح قوية الدفاع أهارها

غزيرة وخيراتها كثيرة فجاءوا يدورون حولها يتصرون كيف يكون الهجوم عليها
فاتفق أنهم دخلوا في بعض الأيام إلى بستان وكان كفر دوس الجنان واستمروا تحت
أغصان الشجر وكانوا يقطعون ويأكلون الثمر فيبناهم على تلك الحال إذ أقبل
جماعة من الأبطال قد أرسلهم الزناني ليقضوا عليهم ويقيدوهم بالأغلال حيث كان
بلغه خبرهم من بعض الفرسان بأنهم في ذلك البستان فدار بهم من اليمن والشمال
فلم ينظر أبو زيد تلك الفعال استعد للحرب والقتال وهجم عليهم كما استبح وضرب
بأسيف في ذلك الجمع فقتل منهم عدة رجال ومدد على الرمل ثم تسكاثرت عليه
العساكر والجنود وأحاطوا بهم إحاطة الدمار في الذنوب وقبضوا على مرعى ويحيى
ويونس في الحال وأوثقهم بالقبود والأغلال ولم يقدر راعي أبو زيد في الحرب والقتال
فبعد ذلك تقدم إليه الغلام على أنفراد وقال له من تكون من العباد وما هو سبب مجيئكم إلى
هذه البلاد فقال أبو زيد أنا شعراء من بلاد الشرق وعادتنا أن ندح الأمرء وأكبر الخلق
وسمعنا بكرم الزناني خليفة وما خصه الله به من الشرائع الطيبة فقصدناه من بلاد بعيدة
لأجل هذه الغاية الوحيدة وكان وصولنا مساءً من البلد فبقينا في هذا المكان من حيث
أنا غريباء ولا نعرف أحد إلى أن أشرتم بجمعكم علينا وأوصاتكم إذا كنتم اليتامى أن نعلم
المقصود وانا اسمي محمود واسم جماعتي شداد وحامد ومسعود فقال له الغلام لقد كنت في
المقال وتكلمت بكلام المحال ما أنت إلا الأمير أبو زيد صاحب المكر والكيده ما رافقتك
فهم مرعى ويحيى ويونس وقد أتيت إلى البلاد لترودوا بلاد تونس وأمر الفرسان بالهجوم
عليه فقال امسكوه ولا تؤذوه فأنطبقت الفرسان على أبو زيد من اليمن والشمال حتى
قبضوا عليه وأخذوه مع باقي أصحابه إلى عند الزناني المشار إليه وصحبته الغلام المذكور
ولان الضرورة أخرجت لتلك الضرورة وذلك لطاعة الزناني ابن عمه لأنه لا يقدر على
مخالفة أمره وحكمه ولما دخلوا اتفقوا بين يديه وقالوا علم يا مولانا أن هذا العبد الذي
حاربنا ودهانا وقتل منا أبطالا وفرسا أفاغتنا ظ الزناني ونكد من هذا الخبر وقال
لأبو زيد من تكون من العربان يا أخا السودان قال نحن شعراء نقصد الملوك والأمراء
فتمتدحهم ونأخذ الإناعام ومحصل على بلوغ المراد وهذا هو دأبنا في كل عام فسمعنا
بكرم ملك وجماله شبيهة نقصد ناك من بلاد الغرب طمعنا بالفضة والذهب وحيث أننا من

الاعراب ليس لنا في هذه الناحية أصدقاء ولا أحياء ولا سيما في تعب وضيق من مشقات الطريق فدخلنا إلى ذلك البستان لناخذ لأنفسنا راحة يا ملك الزمان ثم تقدمت جنابك العالي وباقي السادات والموالي فأحاطت بنا العساكر مع الأهالي وداروا علينا يا مولانا قاصدين قتلنا وأذانا فاقترضى أن نادى عن أنفسنا بقدر الإمكان إلى أن وقعنا في قبضة الأسر والهوان وقد عرضنا قصتنا عليك وفوضنا أمرنا إليك فأمر بما تشاء وتربد أيها الملك السعيد فلما سمع الزناني هذا الكلام فأبدى الضحك والابتسام وقال لهم يا مناجيس ما أنتم إلا جواسيس أنتم لتدوروا البلاد وتمروا أحوال العباد ثم تذهبوا وتأثروا بالعساكر والجمع الوافر فتعلمكوا بلادنا وأراضينا وتمحكمون فينا هو السبب الذي قادكم إلينا وحملكم على القدوم والهجوم علينا فلا بد من قتلكم يا أوغاد على رؤوس الأشهاد جزاء على هذا وتكونوا ما كلالا للوحوش السكاسة (قال الراوى) وكان الزناني قد وقف على الخبر اليقين من المنجمين ودعاه الرمالين وبعد مفاوضات طويلة مع أرباب المجلس استقر رأى على شئق أبو زيد ومرعى ويحيى ويونس فأخذ العسكر هؤلاء الأربعة وكانت الناس مجتمعة ولأجل التقدير مروا بهم من تحت قصر الأميرة سعدة وكانت في ذلك الوقت جالسة تتغذى فلما سمعت ضجيج العسكر قامت مع جاريتها لتعلم ما الخبر فطلت الجارية رأسها من الشباك وهي في حيرة وارتباك فلما أحسنت فيهم النظر اعترها الهم والسكدر وقالت لمولاتها اعلمى يا زينة الدنيا أن هؤلاء الثلاثة مرعى ويحيى ويونس وأما هذا العبد الرابع فهو ليث الوقائع الأمير أبو زيد فارس المعامع فلما سمعت سعدة منها هذا الكلام تبدل نهارها بانظام لأنها كانت تعلقت بحب مرعى دون باقي الأنام فصاحت على الجلادين والعساكر المحافظين قالت لهم ارجعوا إلى عنداى هؤلاء العرب وإياكم أن تقتلوهم فيحل بكم العطب وإنى سأنبهكم على الأمر لآلاف على حقيقة الخير فلما سمعوا كلامها وفهموا قصد ماوهمها أجابوا أمرها بالطوع والامثال ورجعوا في عاجل الحال وذلك لما يهودون من علو منزلتها ونفوذ كلمتها ثم أن سعدة بعد ذلك الخطاب لبست الثياب ونظرت بالظبيب وسارت عند أبيها في جماعة من حواشيها وكان أبوها

جالسا في الديوان ومن حوله الوزراء والأعيان فدخلت وسطى عليه وقبلت يديه
فنهض لها على الأقدام واحترمها غاية الاحترام وأجلسها بجانبه في صدر المقام ثم
سألها عن كيفية أحوالها وعن السبب الذي أوجب ازواجها بالها فقالت قد بلغني
من الأعران بأمرت بشفق جماعة من شمره العربان بأنوا قاصدين جنابك
من أبعد مكان طمعا بالانعام والحصول على باوخ المرام فما كان جزاءهم إلا القتل
والإعدام عوض عن الانعام والاکرام فلما سمعت الكلام انزعج بالي وتغيرت أحوال
لأنى أعلم أن هذا الحال يكون سببا للقتل والقال بين سادات الرجال وينسبوا
إلى البخل والخذل ويتكلم فيك زيد وعمرو فأمرت العساكر والمحافظين أن يتوقفوا
عن قتل هؤلاء المساكين فبيها آتى وأقص هذا الحديث عليك فلما سمع أبوها هذا
أعدها بواقعة الحال وقال لها إن هؤلاء الرجال ما قصدوا هذه الديار والاطلال
إلا ليرودوا البلاد ويقفوا على أخبار العباد ثم يذهبوا ويأتوا بالعساكر والاجناد
ويستظفوا بلادنا بالحرب والجلاد وهذا هو السبب يا منتهى الارب وصاحبة
الفضل والادب فافعلت إلا الصواب لأنهم يستحقون القتل والعذاب ففأنت إذا فعلت
ذلك تشينك جميع دول الممالك لأنه لم يثبت عليهم ذنب حتى الآن ولا يوجد عليهم
برهان كما ترى يا ملك الزمان وأنا أشور عليك بحسب فكري أن تحبس هؤلاء
الثلاثة شبان في قصرى ويكون تحت طوعى وأمرى وترسل ذلك العبد إلى بلاده
بلا إهمال في طلب الفدا والمال فان حضر ذلك يصير من الاعتقال وتسكون أئمة
معدور عند جميع الرجال فقال لها وحق الإله الرحيم إنى خائف من هذا العبد
الشرم لأنه فارس شديد وبطل صديد وأخذنا يتنادمان بهذا القصيد :

يقول أبو سعدة الزناتى خليفة	فمقل تراه قد غدا عتار
أنوى جواسيس من الشرق عاج	لا أمانة أفاضل من فروع كبار
ونزلوا على أرض لنا في بلادنا	ففسرنا بخبره والامور حصار
وفهم ترى عبدا كبار شفافه	له ضرب يقطع صخرها وحجار
أيا نور حينى كيف أقبل بعبدهم	أأطلقه ممن أحبس الامار
أتفنى سعدا مثل شمس منيرة	لها وجه يضوى مثل نور أقار

وقالت ارفق يا أبى بأوامرك ترى الظلم يخرب كل دار عمار
أيا سعدة كيف العمل فيما جرى أيا عالمة بالسكتب والأسرار
أيا سعدة قلبى من العبد خايف فمينه فى وجهه كشعب الار
أيا أبى هذا كان بضاص فى بلاده على كده شوف الناس عيونه كبار
يا سعدة قلبى من العبد خايف أشوف شفافه لكثرة القول كبار
أيا أبى هذا كان عشى فى بلاده على كتر ذوق الاكل يرون كبار
أيا أبى هذا كان فران فى بلاده على كتر رقى الخبز كفوفه كبار
فامسك حيايد القوم واترك عبد هم يخبر إلى سيده بما قد صار
فيمحضر لنا مالا ووقفا كثيرة ويأتى بخيل مسلح كثار

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى من هذا الشعر والظلم أجاب سعدة إلى ذلك المرام
فأخذت الأربعة أنفار وسجنتهم عندها فى الدار على عيون النظار ثم أخذت من
الطعام ما يكفهم جميعاً ونزلت اليهم سرى عافاجتمعت بمصرى فى أول الامر وقالت له كل
ولا تخبر أحد بل احفظ ذلك ثم فعلت يبحى ويولس وقالت ليولس أن يرسل لها
أبو زيد فلما حضرت قدمت له شيئاً من الطعام فشكرها على هذا الاهتمام ثم أنه قسمه
على سبعة أقسام فسأله عن سبب ذلك فقال لها اعلمى يا زينة الممالك وبدر الليل
الحالك أما وجماعتى أربعة واثنتى والجارية اثنتان على التمام والحصة السابعة سأحرمها
بجرام وأرسلها إلى ابنة عمى عاليا فى الظلام وكان أبو زيد يقول هذا الكلام وهو متوقف
عن أكل الطعام فقالت له سعدة لماذا لا تتعدى فتشهد من فؤاد متبول وأنشدت قوله:

إذا أكلت أما وجماعتى جماعتى فاوعى خالى يضرب الصفايح
إذا جمعت أما وأكلت جماعتى وأحمد ربى وهو كريم مساع
أيا ست زاد اثنين يكفى ثلاثة ويكفى أربعة ياست والكل راجح
ويكفى خمسة من أجاويد حيناً ويكفى لسته من هلال السباح

فضحكت سعدة من كلامه وأعجبها خوى شعر ونظامه ثم أنه بعد ذلك الكلام
أخرجتهم من الحبس وأحضرتهم إلى عندها وقدمت لهم الطعام وأخذت تعادهم
بالكلام وتسألهم عن أحوالهم وعن بلادهم فقال أبو زيد نحن من جملة

الشعراء نقصد الملوك والأمراء فنمدحهم بنفائس الأشعار ونرجع إلى الديار
بالدوهم والدينار فقالت اسكنكم لم تعلموني الحقيقي مع أنني عازفة بأحوالكم
على التحقيق فأخذت تعلمهم بسفرهم وما جرى لهم في الطريق والسبب في
قدومهم إلى تلك الديار بهذه القصيدة التي تستحق الاعتبار :

قالت سعدا بنت الأمير يونس بدمع جرى فوق الحدود غزار
ضربت تحت الرمل عشرين مرة ومرة بعدها ما شفت الحرف جهاز
فعرفتكم وعرفت اسم أميركم وعرفت أساميتكم بلا اسكار
إن مسير القوم أمير عامر حسن بن سرحان أمير جهاز
وهذا مرعى وذاك يونس ويحيى وأنت أبو زيد فارس الاقطار
فحلت أراضيتكم وقد قل خيها فجيتم بتونس انكشفوا الاخبار
فقالوا يا أبو زيد نرضاك راعدا ترود بلاد القهوان عمار
فقلت لهم سمعا وأطيعين طاعة أريد ثلاثة من فروع كبار
أريد الفتى مرعى ويحيى ويونس أماره أصايل من فروع كبار
لجأوا ثلاثتهم إليك كأنهم أسود كواسر طالبين قنار
فمن يوم فارقتم نجد وأرضها فاني أفتي منكم الآثام
وكبتهم مطايا وسرتم بسرعة قصدتم مكة والنبي المختار
وجزتم حلب ليلا في جال سرعة وردتم حماة وحمص بوسط نهار
وجتتم بلاد الشام جزتم بلادها وجتتم إلى القدس الشريف جهاز
مررت على غره وقطه وغيرها وبلييس جزتوها بلا اسكار
وجتتم إلى مصر ويعقوب يوسف مروت على نيل الصعيد مران
مررت على الماضي فحياركا بكم فرش اسكنم بيت للضيافة ودار
اسكنم ميت قافلة سايرين بمجلة وعشر الليالي كاملة بنهار
ولا بد ما تأتي هلال بن عامر من الشرق في جمع غزار
بأربع تسعينات ألوف عديدهم كذا دل الرمل بالأخبار

بحرف الالف تأليف عدتكم
 واليام بدت سيل ابن سرعان أبى على
 والنام ترى فى محل نجد وأرضها
 والجيم جيتوا ترودوا بلادنا
 والجيم جبرتم غرامى بهيمكم
 والحاء خليفناك ترجع وتنتي
 والذال دل الرمل حندى بأن لى
 والذال ذر الرمل نملك بلادنا
 والراء رؤيكم تجوا يا سلامه
 والزاء زلزل البلاد بأهلها
 والسين سرتهم من بلاد بعيدة
 والشين شدتو المطايا لأرضنا
 والصاد صدتكم على خبر خاطو
 والضاد ضربتم فى جموع زناى
 الطاء طفتوا الأراضى ردتهم بلادنا
 والظاء وظنى أنكم تملكوا
 والعين عيني نحو مرضى تطلمت
 والغين غلب نجعنا من قبالك
 والفاء فارقم لنجد وأهلها
 والقاف قابتم كل معنى كلامكم
 والسلام لميتم رجال الحينا
 والميم مال الحب فى قلب مرضى
 والنون نلقاكم على خيل سمر
 والهاء همل دمع أصابى
 أربع تسعينات ألوف راكبين مها
 فمن تلافها قطار قطار
 سبعة سنين كاملات عسار
 وتأخذ لقومك صحة الاخبار
 وحى لمرعى قد كوانى بنار
 تجيب لنا مال وما نخنار
 بأن بلاد القيروان ديار
 ونحلونا من أرضنا وديار
 على أصايل تقطع الأقفار
 وكل أمير يجعل الأقدار
 فطعنوا الفضا وتسير الأوزار
 وكل دار قطعتوها بعقب نهار
 لأعدتم بقاع السجن ياشعار
 وأبى من فعالكم عاد عتار
 وأبصرهم البلدان وكل ديار
 وقول وظنى هو صحيح جهار
 فأشعل فى قاي لهيب النار
 ونجم أبى واقف عليه غبار
 وجتم الينا لتكشفوا الاخبار
 وقلتم معانى أطيب الأشعار
 وجتم الينا لتلكوا الاقطار
 ولولا مرضى ما نظمت أشعار
 وكل ردينى أسمر خطار
 على شأن مرضى السكويك بنار

والوارثين خيلنا من رجالكم وتبقى تونس والرجال قفار
والبياء يبقى علمكم فوق علمنا باذن الله الواحد القهار
ولاني ربح الله ما احزن عهدكم ولو قطعوني بالسيف بتار
(قال الراوي) فلما فرغت منه من كلامها شكرها الامير أبو زيد وجماعته على
اهتمامه وباتوا تلك الليلة في سرور وانشرح ولما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح
أمر الزناتي باحضارهم فلما حضروا قال لأبو زيد إذا أطلقناك إلى أن تأتي جماعةك
من الاوطان فكم يوم تغيب عنا وماذا نجيب لنا فقال أغيب ثلاث شهور واجيب
لك أربع مئة الف مديدر مشهور فقال وما هو مرادك من المديدر أيها البطال
المصيدع فاخرج الامير أبو زيد من جيبه قطعة من الفضة الخالص واتي من الفضة
الروابط وقال هذا هو المديدر يا زينة الممالك ففرح الزناتي بذلك وقال اذهب بأمان
الوطان فقال أعطني عدة حرب وحصان لأن الطريق خطرة والاراضي موعرة
فأعطاه ما طلب وبعد ذلك ودع الزناتي وذهب وجعل يدور البلاد ويطوف في
المدائن حتى اشرف إلى وادي الغباين وتلك الاماكن فوجدها كثيرة المباد والنبات
متسعة البراري والغلات تصلح للحرب والقتال ومرعى النوق والجمال ثم صار من
هناك إلى قابس ومنها إلى دوس فوجدها أحسن على الاملاك تونس وقد تعجب
من سخرة البلاد وكثرة ما فيها من الايراد ومشاهدة من البلدان الكثيرة والمياه
والبساتين الغزيرة فانشرح خاطره وطابت سراحه .

هذا ما كان من أبو زيد ايث البطاح وأما يحيى ومرعى ويونس فاخذتهم
سعدته عندها وبقوا في سرور وافرار وبسطوا انشراح اما الامير أبو زيد فبعد أن
دار جميع البلاد وعرف السهول والوادرجع ليرى أحوال البلاد ولما دخل إلى قصر سعدته
فألقاه مطلى بالرصاص وكان الوقت نصف الليل فارعدت الدنيا وبرقت حتى قام
الاولاد من نومهم وعادوا يذكرون بلادهم وبكاء شديداً وصار مرعى ينشد ويقول
يقول الفتى مرعى على فقد أهله وقد لاح لي برق من الشباك
ويهيج أشواقى ووجدى ولوعتى أيا برق نجد ما أحلاك

يا شوق قلبي إلى نجد العنيدية وورعها أيا برق نجد هيجتي بسناك
 يبلغ سلامي للحبائب كلهم بلغ سلامي يا برق الافلاك
 خذ قصتي بنجد وأسرع لاهلها وبلغ عن مرعى الذي أوصاك
 وقل لحسن يا معدن الجود والنخا يا من عطاك لهدرها وتراك
 وقل له مرعى ويحيى ويونس بحبس الزناني يا أمير هناك
 موكل عليهم يا أمير غواشم عبيدا جونا طيزين عدك
 طولا الصغيرة كانت راحت أرواحنا وصارت هي ضد الأملاك
 وقالت لنا قوموا أطيبوا وأبشروا يا أمير مرعى ربنا عطاك
 يا هل ترى تريد أبو زيد يوصل بلا دنا ويخبر قومنا إذا صار علاك
 أبو زيد لهيك عليا تنشغل وحاشا عن طريق الردى حاشاك
 سألتك يا رحمن يا سامع الدعاء يا من جمع الخلق في مرعك
 بعيسى بموسى بالنبي محمد خلصنا يا من تسجد له الافلاك

(قال الراوى) فلما فرغ مرعى من قصيدته وكان أبو زيد واقفا تحت القصر
 يسمع نشيده ثم نظر الطواشي ففتح له ودخل إلى عندهم وسلم عليهم جميعا فقالوا له
 أين كنت يا أبو زيد إلى الآن أنت باقى فى تونس ونحن نقاسى أشد الضيق فقال
 إننى تممت عن الطريق وقد سمعت على السفر وأتيت لوداعكم ثم تقدم وودعهم
 وأوصى سعيداهم ورجوعه إليهم فى أقرب وقت ثم بكى بكاء شديدا وتقدم الأمام
 مرعى وأشار يودعه ويوصيه بالسلام ويقول :

يقول الفتى مرعى بعين وجيمه وهذان قلبي زائدت المايه
 قم بالسلامة يا هلالى سلامه فائقه لايريك عرك غنائم
 فاذا وصلت إلى أرضنا وبلادنا فسلم على أهل وكل الاكارم
 وسلم على أبى حسن الدريدى وسلم على الزغبى دياب بن غانم
 وسلم على شيحة الامير وقل لها تدعى لنا بالشملى إنه ملايم
 يا خال جده المسهر واستقم السفر فما فاز يا أبو زيد بالشكر ناييم

أيا خال لا تلبيك عليا فتلتني وتركتنا في حبس كله ظلايم
 (قال الراوى) فلما فرغ الأمير مرعى من كلامه وأبوزيد يسمع نظاه فقال له
 لا يكون لك أدنى فكر لاني سأبذل الجهد في تخليصكم ثم ودعهم وسار وعيناه
 تدور بالدموع من جراء ما أصابه وأصابهم وصار يقطع البرارى والقفار يصل
 سير الليل بسير النهار مدة عشرين يوما حتى أقبل إلى أرض الصعيد فدخل على القاضي
 ابن مقرب وأخبره بما جرى له من الاول إلى الآخر فبكى القاضي بكاء شديدا
 ثم أنه بقى بهنينا فنه نحو يومين وبعد ذلك ودعهم وسار يقطع البرارى والقفار مدة
 عدة أيام حتى وصل إلى نواحي حاب جلس تحت ظل الشجرة هناك لأخذ الراحة
 فيدينا هو جالس أقبل عليه رجل تاجر وحياء السلام ثم سأله الأمير أبوزيد عن
 حاله فقال له : إني رجل تاجر قاصد بلاد الغرب فقال الأمير أبوزيد : هل تعلم الأمير
 علام ؟ فقال له : من أعز أصحابي وأعظم أحبائي فقال له أبوزيد : انى أرغب أن أعطيك
 كتاب توصله ليه فقال : ما بذالك فعند ذلك أخذ أبوزيد يكتب للعلام ويقول له

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	فن كان شقى لا تسعده الأيام
نعم أيها الغادى وحامل كتابنا	تجد السفر في واسع الآكام
إذا جئت تونس وقابض وأرضها	فلم على الفتى المسمى للعلام
أوصيك في مرعى ويحيى ويونس	أولاد أختي من فروع كرام
وأجول لا تردد عليهما وتلتجى	وتحفظهم من شدة الآلام
فلا بد ما أرجع أعود وأنتى	ولا بد ما آتى بقوم لوام
بأربع تسعينات ألف هدام	تشبه جرادا منتشر بفلام
ولا بد من لكمة على باب تونس	ويبقى الدم فوق الثرى عوام
ولا بد من قتل الوهيجى بصارمى	ويبقى الزنابق باتقبور ينام
وأملك بلاد الغرب بمجد صارمى	وأملكك في العرب بأعلام

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير أبوزيد من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه
 فأخذه التاجر وصار يقطع البرارى والقفار حتى أشرف إلى تونس وتلك الديار

فأخذ المکتوب وسلمه إلى العلامة ففحصه وقرأه وهرق حقيقة فواء وأما الأمير أبو زيد فإنه ما زال يحدق السیر مدة خمسين يوما حتى أقبل إلى نجد وتلك الاوطان وحين دخوله إلى نجع بنى هلال التقاه السكبار والصغار وكلما تقدم إلى قدام يراحه الجميع غاية الازدحام وهم يصرخون بصوت واحد : اليوم فقد أنامنا من هو عزنا وحنانا وما زال سائر حتى أقبل إلى صيوان الأمير حسن فدخل عليه وعلى الذين حوالیه فلما نظره الأمير حسن والأمير دياب والقاضي بدير والأمير زيدان شبخ الباب تقدموا اليه وقبلوه بين عفيفه وأجلسه الأمير حسن بجانبه ودارت البشائر في بلاد نجد بأن الأمير أبو زيد حضر من بلاد الغرب فاجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان حتى احتك الديوان وحينئذ سألوه عن الامراء مرعى ويحيى ويونس فعند ذلك بكى الأمير بكاء شديدا وأشار يخبرهم عما جرى له من التعب والشديد بهذه القصيدة يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الملأى سلامة	ول قصة من أعجب الاخبار
في سفرى للغرب قد أردوها	وفي رجعتى قاسيت هموم كبار
دخلت إلى أرض الزناتي وودتها	وردت ميامنها وردت يسار
واخذت حشيش الأرض بيدي أدفنه	وأعلمه خــوف لا أثار
حتى إذا جاءت هلال وعامر	على خيلهم بالعسكر الجرار
يقولوا فما هذا الحشيش الذى هنا	وهذه دليل يا حرب اجهار
وما زلت أكشف المدن والقرى	حتى وصلت لتونس والدار
دخلنا على بستان بجوار تونس	فأنانى منها عسكر جراد
فصحت عليهم صيحة الله اكبر	الله تعالى عالم الاسرار
فمـسكروا من بعد حرب عتيفة	وضرب يقطع سيفنا وحجار
وأحذرونا لعند الزمانى خليفة	فتهددا بالقتل يا أحيار
ظلمتنا بنته سعدة بشورها	وقالت ترام يا أبا شعار
فأحسهم عندى وارسل عبدهم	يحيى بك فكاكم بجهار

وإن مرعى ثم يحيى ويونس قد بقوا سندها بوسط الدار
 الآن سعده بمرعى تعلقت وصار قلبها نحوه كشعلة نار
 جراها إله المرش خير ونعمة فاولاها لمتنا بلا إنكار
 وصرنا فضيحة بين قومنا وصارت أهالينا يا وشم يا عار
 فأرسلني الزناني لأحضر فكأكم كقول سعده زينة الاخيار
 ولما عزمت على الرجوع لأرضنا فيكوا الأمانة من قلوب مراد
 ووصاني الأمير مرعى وقال لي سلم على سادتنا وكبار
 وسلم على والدي حسن الدويدي مربى البتامي ومقصد الشعار
 وسلم على القاضي بدير بن فايد وعلى دياب الفارس القهار
 وسلم على عليا وريا وغيرها وللجاذية من نسل قوم كبار
 أبو زيد أفرى منا أمهاتنا سلام برتبة يا عزيز الجبار
 وقال لهم في الحبس يحيى ويونس ومرعى يقامى لوعة ومراد
 فبارقتهم والعين ترفرف بالبكاء وسرت في البيدا بوسع قفار
 وكم ساعة من ساعة بعد ساعة امسح دموعى في ليلها ونهار
 فيغيب عقلى عن ذكر رفاقي قلبى كواه البين والامرار
 وبعد خروجى من المغارب وأرضها ما بعشرين ليلة زایدات نهار
 دخلت على الماضى أبو الجود وحده وأحبرته فيما جرى وصار
 فبكى وبكى الحاضرين جميعهم وحزن على مرعى وعقله حار
 وبقيت عنده مقدار يوم وليلة ومن بعدها قد قلت للحضار
 بأنى راجع إلى بلادى وأرضنا وأنى سأخبركم بما قد صار
 فبارقتهم والعين تذر فى البكاى وقلبي غطامى كشعلة نار
 وما زلت سائر فى البرارى وسهلا والله يعلم كلما قد صار
 مسافة تسعين يوم ثم لنا لها حتى وصلت اليكم والدار
 أنى أخبرتكم فيما جرى فا الشور وتدير فيما صار

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام بكى الأمير حسن ومن حضر من السادات والسكرام لاسيما أهل الأرواد فقد تفرقت منهم الأكباد وقالوا لأبو زيد عن فرد لسان اعلم يا فارس الفرسان أننا لاتفك عنك ولا نعرف أولادك منك فقالوا كونوا براحة بال فإن قد أخذتهم من الأطلال وسار جمعهم على أحسن حال وأنعم بالولما انتهى من هذا المقال التفت الأمير حسن إلى الحاضرين والسادات المعتمدين وقال لهم إن مرادى الرحيل إلى بلاد الغرب وأقيم هناك الحرب وأنخلص الأمراء بالطعن والضرب فاستحسنوا هذا الخطاب وقال أبو زيد البطل المهاب هذا هو الراى الصواب ولكن قبل الرحيل من هذه الأطلال بالفرسان والأبطال والنساء والعيال يجب أن ترسل أم الأمير المؤيد بعض الذوات العمدياً نحو الجارية لتركب أمام ظعون بنى ملال أمير باقى سيد الأمراء والأبطال وهن الست ريم والست عدلا والست ربا وسعدا للرجال وبدر النعمان وجوهر العقول وزهر الدوح ونجم السعور ووزين الدار والست حليا لانه إذا اشتعلت نيران الحرب ووقع الطعن والضرب تكون الجارية وباقى السيدات أمام الأبطال فى الماريات لان الجارية من النساء المشاهير ذات رأى ومهابة وهكذا تم الراى بين الأمراء والاعيان وأرسلوا أربعة وعشرين فارس من الشجعان للرجيل مع فرسان القبيلة ونأهبوا للطعن والضرب والسير إلى تونس الغرب وأمر الأمير حسن بدق طبل الرجوع حسب العادة والاصطلاحات المعتادة فدق الطبل فى الحال واجتمعت الفرسان والأبطال وسارت الرجال على الأمير حسن بنى سرحان وهو فى الديوان فأخبرهم بما جرى وكان وقال لهم استقر رأينا أن نرحل من الاوطان ونقصد بلاد الغرب بعد ستة أيام فسيكونوا فى الاستعداد التام لار أرضنا قد أحلت ووقع بنا الفلا وأولادنا فى أسر الزناتى خليفة يقاسون العناء.

(قال الراوى) وفى اليوم السابع تجهز الأبطال للسير والارتحال فهبت المضارب والخيام وانتشرت الرايات والأعلام ودقت الطبول وركب الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وركبت الحريم والعيال والأولاد والأطفال ونساء الأمراء العمدة والجارية أم محمد الأمير أبو زيد فى مقدمة الفرسان

وساروا عدة أيام حتى نزلوا بأرض يملكها الديبسي بن مزيد وكان من صناديد
الابطال وشجيمان الرجال لا يقدر العواقب ولا يخشى حلول المصائب . وكان
في الجماعة والفروسية في طبعة عليه يقنخر بنفسه ويفضل ذاته على جميع الفرسان
في ساحة الميدان ويقول إنه إذا ركب الجواد لا يوجد من يقارمه في الحرب والبطراد
ولو كان أبو الفوارس عنتر بن شداد وكان له أربعة وزراء وكن اليهم ويعتمدون
أموره عليهم وهو مقلد وهمام وراشد وسلام وله ولد اسمه مزيد قد سماه
على اسم جده وكان يحبه كثيرا من شدة محبته فيه أراد أن يزوجه بأبنة أخيه
لجمع وزراءه وأخبرهم بما قد صمم عليه فأجابوه على ذلك المرام ما عدا الوزير
همام فإنه كان صاحب رأى وتدبير فنهأه عن ذلك في الوقت الحاضر وأعلمه
بقدوم بني هلال إلى تلك البلاد والجيوش والعساكر فأنزل الديبسي وحارقه
أمره وبينما هو في مجلسه دخل عليه الرهبان وأخبروه بما قام بني هلال وأنهم ملأوا
الأرض بجيشهم استشار الديبسي وزراءه فأشاروا عليه بأن يرسل من يستطلع
عددهم فأرسل أئمة راشد إلى مضارب بني هلال فأنزل بما رأى هناك من كثرة
الرجال والابطال والفرسان ورجع إلى الديبسي وأخبره بما رأى .

(قال الراوى) فلما فرغ راشد من كلامه وفهم الديبسي مقالته زاد خوفه وفرجه
فاستدعى إليه الوزراء وأخبرهم بذلك الكلام فلم يحبه أحد بكلام فقال لهم ما بالكم
لا تردوا جوابي ولا تجيبوني على خطابي فقال الوزير راشد أنه من الواجب أن
ترسل لهم كتاب تأمرهم بدفع عشر المال مع النوق والجمال فإن امتنعوا عن ذلك
فنفقنا عليهم في الحال وتشتتهم في البرارى والنلال فكتب لهم كتابا بهذا الصدد وأنا آخذه
اليهم وآتيك بالجواب فاستصوب الملك رايه وكتب لهم كتابا يطلب فيه منهم عشر
المال مع النوق والجمال وإن لم يرضخوا لطلبه ولا سيكون مصيرهم لعناء وختمه
وأعطاه الوزير راشد فأخذه في قطع القفار حتى أشرف على بني هلال عند وصوله
إلى صيوان الأمير حسن بن سرحان نزل من على الحصان فسلم عليه وعلى باقي
الأمراء الذين حوله فردوا عليه السلام والتعوى بالترحاب والإكرام وأمره بالجلوس
(٣ — تقرينة)

بقره وسأل عن اسمه وعمره فأعلمه بواقعة الحال وعن سبب حضوره إلى تلك الأطلال ثم أعطاه الكتاب فأخذه الأمير وقرأه ولما وقف على حقيقة فحواه غضب الغضب الشديد لكنه أخفى الكمد وأظهر الجلد ثم أمر الغلمان أن يأخذوا الرزير إلى دار الضيافة ولما خرج من الديوان التفت إلى الأمراء والأهليان وأعلمهم على خطاب الديبسي الذي يطلب فيه عشر المالد وقال جميعهم إن هذا الطلب لا يوافق عليه فقال أبو زيد إنه من الصواب ترسل تقول للديبسي أن يملأنا عشرة أيام ونحن ترسل له طلبه بالتام ومتى انقضت المدة ولح في الطلب فتقول له ليس عندنا مال ولا ذهب سوى الحرب والقتال في ساحة الجبال وأبطالنا وفارسنا تكون قد استراحت من تعب الطريق ثم أنشد يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه	كلام يشبه الدراري في معناه
لكل دام يوجد دواء يعالجه	والأحق الجاهل الحسام دواء
أنا الراي عندي ابن سرحان العلا	يامن زكى بين الانام اياه
فارسل كتاب الديبسي وقل له	كلامي يحكم بالخذاع جزاه
الا يا ملك حروه يا حاكم الملى	أملنا عشرة أيام درن سواء
إذا أملنا يابن عمى وسيدى	فتشبع خيول القوم من المرعاه
وتأخذ الراحة جميع قرومنا	وتبقى رجالك شبه أسود فلاه
غير الطمن والضرب ماله عندنا	لأن الديبسي جار وزاد طغاه
يريد اليوم غصبا نهب جمالنا	وأموالنا وذاك من قلة حياه

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الكلام استصوبوه جميع الحاضرين وعند ذلك أشار حسن يجاوب الديبسي ويقول :

يقول الهلالي أبا مرعى مناصحه	أبيات شعر بها علم الأبطال
يا غاديا واكبا على مطيته	يقطع فيافي الفلامع رؤس الجبال
إذا أتيت الديبسي قل لحضرته	قولا صحيحا خلا من كل إذلال
واقرا سلامى على أبطاله سحرا	من كل ليث شديد الباس مفزع

لئن سأعطيك مهما كان طالبه من عشرة مالى ومن أموال أبطالى
 لكننى أطلب منه أن يسمح لى بعشرة أيام انهى كل أحوالى
 حتى ألق من العريان أجمعهم عشر الجمال وعشر الخيل والمال
 (قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من شعره طوى الكتاب وختمه فى الحال وصله
 إلى الوزير وجذ فى قطع الهضاب حتى وصل إلى عند الديبى ودخل وسلم عليه وأعطاه
 الكتاب ففتحه وفراه وعرف ما حواه ففرح واستبشر وأيقن بالنجاح وبلغ
 الوطر ولما انتهت العشرة أيام لم ترسل بنى هلال الأموال قال للوزير ما قد مضت
 المدة المعبينة ولم تنف على إفادة ولا وردت الأموال فيجب أن تسهر إليهم
 وتطلب منهم أن يبادروا بإرسالها فى عاجل الحال وإلا حاربناهم وأنزلنا بهم
 الرىال فامتثل الوزير أمره وركب من وقته وماعته إلى تلك الديار حتى وصل
 إلى صيوان الأمير حسن فنزل عن ظهر الحصان ودخل وسلم عليه وتمثل بين
 يديه ثم جلس قليلا وبعد ذلك طالبه بالمال ولأمله على ذلك الإهمال فقالت
 السادات والامارة ارجع إلى مولاك قبل أن تحمل بك الحسارة وقيل له أنه ليس
 ههنا مال ولا نوق : لاجمال غر طعن السيف وطعن النصال فاغتاظ الوزير
 عن هذا الكلام وخرج من ذلك المقام ورجع إلى مولاه بالعجل وأخبره بما
 سمعه فاغتاظ وأمر الرؤساء والقواد بجميع العساكر والأجناد فعند ذلك دقت
 الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح وخفقت الرايات
 وركبت الأبطال أربعة مائة ألف مقاتل .

تمت هذه القصة وبابها قصة الديبى

قصة الديبسي

ابن مريد وسي المارية بذت القاضى وما جرى للأعجام مع
أمرأه بنى هلال الكرام من الحروب والأهوال وعلى أخبار
الملك الغضبان وحروبه مع بنى هلال ومرورهم على بلاد
الخفاجى عامر ورحيله معهم إلى بلاد الزناتى خليفه وما
حصل بينهم من الحروب الهائلة الخيفة

(قال الراوى) فلما ركب الديبسي ومعه العساكر والأجناد فما زال سائرا طالبا ديار
بنى هلال فلما اقترب منهم وسمع الأمير حسن وأبوزيد ودياب بن غانم وباقي السادات
الأكارم والتفوا بالديبسي في تلك الأرض ولما دنوا من بعضهم برز من فرسان الديبسي
قارس كانه الأسد الكاسر فبرز إليه دياب وصار قدماه فقال له من تكون من بنى هلال فقال
أنا دياب المصادم وصاح فيه وهجم عليه وقد عظم ذلك الأمر عليه فاتقاء الفارس كالأسد
الكاسر وجرى بينهما حروب وأهوال تشيب رؤوس الأطفال وما زال في هراك وطعان
نحو ساعة من الزمان بعد ذلك اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الأمير دياب
قارس الفرسان لأنه أعلم في أصول الحرب وأخبر في مواقع الطعن والضرب فوقعت الضربة
على هامه ففقدته نصفين ثم صال وجمال وطلب براز الأبطال فبرز إليه فارس آخر فقتله وثاني
جندله وثالث عجل إلى المقابر مرتحله وما زال على تلك الحال وهو يبارز الفرسان
والأبطال ويمددها على وجه الرمال إلى وقت الزوال فقت طبول الانفصال ويات
الفرىقان يتحدغان نحو مشيئة الرحمن ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح برز الأمير
دياب إلى الميدان واللب براز الفرسان فبرز إليه الوزير راشد وهو يقول أنا مفرج الكروب
والقهدا فالتقاء الأمير دياب بقلب كالحديد ثم التقيا البطالين كأنهما جبارين أو أسدين
كاسرين وحار عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين ولم تسكن ساعة من الزمن حتى
استطاع عليه دياب والميدان وطعنه بالرمح في صدره وخرج يلمع من ظهره فوقع على
الأرض فتيلار في دمه جديلا فقتل الوزير راشد هجمت جموع الديبسي بقلب واحد
فتلقفتهم بنو هلال بقلب كالحبال واشتد بين العسكرين القتال وعظمت الأهوال فما كنت تنظر

في اليوم الممهور إلا وقع السيوف على السيوف والنصول وقاتل يشهب الأطفال
ويذهب المقول وما زال القوم على تلك الحال وهم في أشد قتال إلى وقت الزوال فعند ذلك
دقت طبول الانفصال فتأحرت عساكر الديبسي خاسرة رجعت بنوهلال كاسية
ظافرة ففرح بذلك الانتصار ونثر في تلك الليلة على الفرسان النار وأخذ ينظم
بالكلام يحمهم على الحرب والصدام وفي ثانی الايام دقت طبول الحرب والكفاح
فركبت الفرسان واعتقلت بالسيوف والرماح وبرز الأمير دياب لفارس الحجاج
غصال وجان في ساحة المجال وطلب براز الأبطال فهزأ اليه الوزير محمود فانتقاه الأمير
دياب بقلوب شديدة وجعل يهدده بهذه القصيدة :

يقول الفتي الزغبى بن غانم ول قلب من رنين الجوانح طار
ألا يا فتى محمود اسمع قصتي واصغى لقولي مع الأخبار
واعلم أنى فارس الخيل بالوغى فن رام حربى قد يروم دمار
فلا تقدر اليوم تلقى مضارب لو عشت عمر النسر يا غدار
فلا بد ما تلقى أخوك راشد ودمك على وجه الثرى فوار
فلما فرغ دياب من كلامه أجابه محمود على شعره ونظامه :

يقول الفتي محمود قيا جرى بدمع جرى فوق الحدود شرار
دياب يا غدار يا ولد الزنا أيا اندل العربان في الأمصار
فلا بد ما أوديك بالسيوف والقنا وأترك دماك على أوطا فرار

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير محمود من هذا الكلام هجم على دياب فانتقاه دياب
بقلب شديد وهجم عليه هجوم الصناديد واشتد بينهما القتال في ساحة المجال فاختلف
بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الوزير محمود دفع على دياب تحته الحضر وأحتم
الحضر به خافية بعدما كانت صائمة ثم أنصب الأمير دياب وهجم عليه كسبح الغاب وضربه
بالسيوف على حامة فقطعه نصفين وألقاه على وجه الأرض قطعتين وكان له أخ يدعى الحذاف
فلما رأى أخاه قد مات زادت عليه الحسرات فهجم على الأمير دياب ليأخذ بثأر أخيه فشتمه
وصاح فيه واللقاه الأمير دياب في الميدان بقلب أقوى من الصوان وجرت بينهما حروب
واحوال تشهب رؤس الأطفال واستمر واعلى تلك الحال وهم في أشد قتال إلى أن ولي النهار

وارتحل وأقبل الليل على عجل فأوقفوا عن الحرب وتوقفوا عن الطعن والضرب وباتت
العساكر في البطاح ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ودقت طبول الحرب والكفاح
وبرز الهداف إلى الميدان وطلب براز الفرسان فيزاله دياب وجهدهم كليث الغاب
وكان الهداف من الفرسان المشاهير والأبطال والمغاوير قد تعدوا الحرب من صباه فكان
لا يهاب الموت ولا يخشاه اقتتل مع دياب أشد قتال وكان يحول معه في ساحة المجال
ويهمهم عليه هجوم الأسد الرئيل وما زال الفرسان في أشد قتال وطعان يذهل حقول
الشجعان إلى أن انصف النهار وكان دياب استظمر عليه كل الاستظهار وضربه على عنقه
بالسيف البتار فقطعه وألقاه في ساحة المجال فلما رأته جموع الديهني ما عايل بوزيها
هجمت على دياب ناصدة قتلوه وهي تدمه وتشتمه فعند ذلك جمعت بنى هلال من الديهني
والشمال والتقت الرجال بالرجال والأبطال وجرى الدم وسال من شدة الحرب
والقتال ومازالوا على تلك الحال إلى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال وباتت
بنى هلال في سرود وبات الديهني في قلق وضجر لأنه قد قتل من قومه جمعا
كثيرا أكثره من الرؤساء والقواد ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وركبت
الفرسان إلى الحرب والكفاح وكان أول من برز إلى الميدان وطلب قتال الشجعان
الملك الديهني دون باقي الفرسان فصال وجمال في ساحة المجال ونادى أين فرسان
بنو هلال فلهز الآن إلى ساحة القتال فاتم كلامه حتى صار الأمير دياب قدومه
وهو راكب على فرسه وكل العيون تنظر إليه وترى ولما اقترب منه أنهق وقال :

يقول الفتى الزعيم دياب ابن غانم أنا فارس الفرسان يوم طعان
أنا البطل المدعو ليوم الكريمة على ظهر خضرا تسبق الغزلان
ألا ياديهني لسمع كلامي وافهم من قبل أن تغدوا قتيلا طعان
فأولاده أختك قتلت بصارمي وقلت جمعا وافر فرسان
فلو كنت عاقل يا أمير وهاهم ما كنت تطلب زمرة النسوان
فكنا نعطيك مهما تريد من المال ثم الخيل والفصان

(قال الراوي) فلما فرغ الأمير دياب من هذه القصيدة اغتاظ الديهني ثم أنهق وقال أنه
يقول للفتى المسمى الديهني مريد فدمعي على الحدين كالغدران

وهران قلبي كلما أقول تنطقني يزيد لحيهما بالحر والدخان
 من قولك يا دياب يا بن غانم قدمتنا في حضرة الفرسان
 فلا بد من قتلك على وجه الترى وتعود بعد الرج بالخران
 وبعد ذا أقتل حسن في صارمي وأبو زيد أيضاً وعمدة الشجعان
 أمسى حلالكم وكل رجالكم تبقى من جملة الرعيان
 (قال الراوى) فلما انتهى الديبى من شعره ونظامه اغناظ دياب منه وانطلق عليه
 وحمل وفعل الديبى مثل ما فعل وأخذ في الحرب والقتال وجرى بينهما عجايب وأهولك
 وماز الواعلى تلك الحال إلى أن ولي النهار وأقبل الليل بالاعتكاف فافتراق عن بعضهم البعض
 ونزلت كل فرقة في ناحية من الأرض وعند رجوع الأمير دياب من معركة الصدام
 التقاه الأمير حسن بأعزاز وإكرام وشكره على ما فعل وقدر له الله درك في القتال
 وعلاقة الأبطال فأمره منك أن لا تنزل غداً إلى الميدان لأن لك عدة أيام
 وأنت في الحرب والصدام والديبى مرتاح ثم ختم الكلام بهذا الشعر والنظام :
 قال الفتى حسن الهلالى أبو على والدمع من فوق الخندود سبول
 يا مرحبا بك يا دياب الغانم يا فارس الفرسان يوم الهول
 يا فارس الفرسان يا ليت العدا يا ليت عمرك يا أمير يطول
 يا أمير إنك قتلت لراشد وسلام أضحي ميتا مقتول
 أما الفتى محمود ولى وانجى وأخوه عدا غدا مجدول
 واليوم قد نزل الديبى صادمك في حومة الميدان مثل الغول
 فأنا عليك اليوم قلبي خائف يا ليت عمرك ما ترى منكول
 يا أمير دع عدا ينازله فاسمع كلامى وافهم المنقول
 (قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من شعره ونظامه وفهم دياب خرو قصده
 ومرامه توقف عن رد الجواب فقال له حسن علامك يا دياب توقفت عن رد الجواب
 قال أعلم أيها الهام لا تمنعنى عن هذا الطلب وإن قتلت روحى فذاك فانى لا أخشى
 الموت فى قتال أعداك قال الراوى فلما فرغ دياب شكره حسن وقبله فى صدره وقال له
 أنا ما تفوهت بهذا الكلام إلا لما وجدتك تعبان وما دام الأمر كذلك فأبرز نهار غداً

قاتل خصمك واتكل على الله فملك تكفينا شره وأذاهم با تو املك الليلة في سرور
وانشراح لما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولا ح دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور
الخيول واعتقلوا بالرمح والنصول وتقدموا إلى ساحة الميدان وكان أسبقهم الأمير دياب
ولما صار في معركة القتال طلب الديبسي فانتدب إليه فالتقاء دياب كسبيج الاجام وأخذ معه
في الحرب والصدام واشتد بين المظللين القتال وعظمت الأهوال وكان اتارة يتقدمان
وتارة يتأخران وكانت عيون الفرسان شاخصة اليهما وماز الاعلى تلك الحال إلى وقت
الورال فدقت طبول الانفصال فافترقا عن بعضهما على سلامة ورجعا إلى الخيام
ولما أصبح الصباح ركب الأمير دياب فتقدمت إليه بنته وطفلا وهي تهكي بدموع غزار
فحسب من ذلك وقال لها اعلمي بما أصابك قالت مرادى أن تتوقف هذا اليوم عن
قتال القوم فقد رأيت حلما في المنام أصبحت منه في أروام ثم سردت له هذا النظام :

إن الدهر كواني حتى زادت نيران
من أجل حلم شفته منه قلبي فزعان
قد شفت ببحر من دم وأنت بوسطه فزقان
شفتك في وسطه تسبح وكنت منك الدرعان
ما عاد لك قوة تخرج أنا شفتك بعيان
أنت تنادى يا أبو زيد هيا يا أبا شيبان
في سرعة قد أناك ومعد إليك الزمان
وقال لك يا أبو موسى أمسكني بالدرعان
الحال قدرا في عاجل وقد جابك للصبيان

(قال الراوى) فلما فرغت وطفلا من هذا الكلام قال لها لا تخافى من مدة المنام فإنه
أصغاث أحلام فلا بد لى من الحرب والصدام فاذهى إلى خيامك ولا تخافى على من
أعداك فرجعت إلى الخيام وتقدم دياب إلى معركة الصدام فوجد الديبسي بانتظاره
فصلا وجه الامن ساحة الميدان وأخذ بالضرب والطمع حتى حير الأعداء ومازالا
في هنا وحصر من الصباح إلى وقت العصر فاختلف بين الاثنين ضربتير قاطعتين وإن
السابق الأمير دياب فبعثها الديبسي بمفرته ثم هجم على دياب كسبيج الغاب وطعمته

بالرح طعنة قوية فجاء الرمح في غنذه فسالع دماه وآيس من الحياة وأراد الدبى أن يعجل فناءه ويبلغ منه غاية مناه وإذا بفارس من بني هلال قد أقبل كأنه قطعة من جبل وهو يهدر كالأسد نخلص دباب من أيدي الدبى بن مزيد ورجع به حتى وضعه في المضارب ثم اقتحم الصفوف والمواكب وهو يصيح على الأعادى وينادى أأنكم أبو زيد ليث الأعادى وجعل يقوى بني هلال على الحرب والقتال فأجابته إلى ما طلب وحملوا على جيش العدا من كل جانب فعند ذلك حملت المساكر على المساكر وتقاتلوا بالسيوف والخنجر وحمل على الأمير حسن بن مريحان وتبعه السادات والأعيان ولم تسكن إلا ساعة من الزمان حتى اشتدت الأهوال وتددت الإبطال على وجه الرمال وماز الوافى أشد قتال إلى وقت الزوال وكانت مساكر الدبى قد استظهرت في ذلك النهار وأمرت عشرين فارسا من بني هلال الاختيار من جملتهم الأمير عرنيس والريائي ومفرج والمهادر فلما شاهد حسن تلك الأهوال خاف على بني هلال من الهلاك والوبال فلما نزل في المضارب جمع قواد المواكب وأخذ يستشير بهذا الفصيد :

قال الفتي حسن الهلالى أبو على من فوق الحدود لقد جرى
يا قوم اصغوا إلى كلامى وافهموا وأنت يا أبو زيد انظر ما ترى
قوم الدبى يا رجال اشارس القوم منهم مثل سبع يهدرا
يا قوم ما هو رأيكم فنكلموا حتى أصبر في أمورى وأبصرى

فلما فرغ حسن من كلامه أجابه أبو زيد يقول :

قال أبو زيد الهلالى سلامه يا أبو على اسمع وكن منى موقرا
واصغى لقولى يا ابن عمى وافهم هذا مقدر فى الكتاب مسطرا
واعلم بأن الدهر هذا حاله يوم لك ويوم عليك يا قسورا
اسمع كلامى يا ملك وافهم إلى أشور عليك يا غر الورى
أرسل إلى الزينات أحضر جميعهم حتى ينجوا فى القتال العسكرا
ثم تجمع فى الأعادى كلنا من فوق ظهور خيول خفرا
أما الدبى سوف أقتله أنا ويعود من فوق التراب مخفرا

ونجندل الفرسان في طعن القنا في يوم آخر ينظرونه أشقرا
 هذا جزاء من خان في أخيه الله يقطع كل من يتكبرا
 (قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه وفهم الأمير حسن خوى قصده ومراده
 استحسنته وكذلك جميع السادات والأعوان وقالوا عن فرداسانه أن الخطاب هو
 عين الصواب هذا ما كان من بنى هلال وأما الدببى فإنه عند رجوعه من القتال كبرت
 نفسه وأحضر الأسرى بين يديه وتهدهم بالقتل والدمار فوجدهم لا يزالون
 بالاختطاف فأرسلهم إلى الحبس بعد أن أشفى غليل النفس ولما أصبح الصباح
 وأشرق بنوره ولاح اصطفت المواكب وترتبت الكتائب ولما تقابل المسكران
 وبرز القاضى يدبر إلى الميدان وطلب مبارزة للفرسان فبرز إليه فارس وكان من الأبطال
 المذكورين لحمل على بعضهم البعض ونجاو لا في الطول والعرض وتضاربا بالسيوف
 والقواضب وقطاعنا بالرمح والسكواحب ولم يزالا في حرب وقتل وطعن بشيب
 الاطئال إلى قرب لزوال وكان القاضى قد استظهر على جاسر وهجم عليه كالاسد
 السكاسر وطعه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوق على الأرض يختبئ
 بعضه ببعض ثم هجم آخره قتله وعجل من الدنيا مرتحل فعد ذلك وقت طبول الانفصال
 فرجع القاضى من معركة القتال فالتفته بنو هلال بالأكرام والجلال وهنته بالسلامة
 من الوبال وباتوا تلك الليلة إلى أن أصبح الصباح وتواثبوا إلى الحرب والسكافاح فبرز
 من قوم الدببى فارس وطلب قتال الفرسان فبرز الأمير عقيل وهو أخو أبو زيد
 الفارس المسكران النيل صدمه صدمة جبارة فالتقاء مثل الاسد المكرار وأشار يقول
 أنا تميم ييوم الحرب طعانا كم قتلت من الشجعان فرسانا
 ان كنت فارسا فائبت ثم قاتلى حتى أبعد ويبقى الدم غدرانا
 فمادق الحرب بالميدان من صغرى اليوم تبقى طريق الأرض منها
 (قال الراوى) فلما فرغ تيميا من هذا الشعر والنظام فقال له عقل لثلى يقال
 هذا الكلام وأشار يقول :

عقيل غنى من الاشعار أوزانا وفي الحروب شديد البأس طعانا
 نحن الكرام لنا بالفصل قد شهدت كل الورى وملك الأرض نخشانا

أمهرنا ابن مروحان الأمير حسن لم نلتقى مثله في الناس إلحسانا
أخي أبو زيد من شاعت مكارمه فكلم سي في الوغى أسد وشجعانا
ما في الفوارس من قوم يماثله حامي حمانا من الحماد احمانا
أنا عقيل لفتلك جئت أطلبه وأجعل الدم فوق الأرض غدرا

(قال الراوي) فلما فرغ عقيل من شعره ونظامه حمل عليه وأخذ في العسدام والعراك واشتبكا اشد اشتباك وما زال على تلك الحال وهم في أشد قتال نحو ثلاث ساعات من النهار وكان عقيل قد استظهر على خصمه غاية الاستظهار فضر به على عنقه بالسيف البتار وإذا برأسه قد طار وكان له أخ اسمه ناصر فلما رأى ما حل بأخيه هجم على عقيل هجمة الأسود فالتقاء عقيل بقلب كالجلبل والتحم بينهما القتال وكان عقيل يريد سرعة الابتعاد من العسدام والبراق فلا صسته وطايقه وسد عليه طريقه وطر به بالحسام على رأسه شقه فوقع على الفلاة وعدم الحياة وكان الوقت قريب الزوال فدقت لحول الانفصال ورجع عقيل إلى بني هلاله فالتقاء قومه بالسكرامة وهنوه بالسلامة وشكروه على فعاله وزادوا في إكرامه وإجلاله وأما عساكر الديبسي بن مزيد فكان قد تنقص عيشه وتنكد فاجتمعت الأكابر والعمد ودخلوا دلي أمهرم وتمثلوا بين يديه وقالوا إلى متى هذا الحال لجعل يوعدم في الانتصار وثاني الأيام برز الديبسي إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز إليه غنيم بن مفلح وكان غلاما جميلا فقال له الديبسي من تكون يا غلام حتى تبرز في معركة العسدام فسوف أقطع رأسك بحد السيف ثم صدمه بقوة واهتمام وما زالوا في قتال شديد وحرب ما عليه من مزيد حتى صارت الشمس في رابعة النهار حتى الديبسي قد أظهر فاقتله من مرجه مثل المصفور وسأله إلى أصحابه فأوثقوه بالكتاف ثم حال الديبسي وجال وطالب أبرار الأبطال فبرز إليه الأمير زيدان وصدمه بقلب أقوى من الصيوان فالتقاء الديبسي كالأسد الغضباني وأخذ يتضاربان ويتحاربان واستمر الحال على ذلك الشأن نحو ثلاث ساعات من الزمان ثم اقتربا بالسلامة والأمان وبينما كان الأمير زيدان واجما من الميدان ضرب الديبسي حصانه فأرماه على بساط الفلاة فتنقص عليه جموع الديبسي فأخذوه في الحال وكتفوه وأوثقوه فزاد به الهم والبكدر وقد حلت به العير وأما بنو

حلال فقد هاجت منهم النساء والرجال واستعظموا تلك الأحوال وذهب منهم جماعة
 من الأعيان إلى عند أبو زيد فارس الفرسان فوقفوا عليه وفوضوا إليه وطلبوا منه
 أن يسمى لتخليص الفرسان والابطال من الأسر والاعتدال فطيب قلوبهم وأوعدهم
 بأنه سيبدل المجهود ثم انه غدر به وتكرر وليس حلة من الحروب الا خسر ووضع
 حلياسا على رأسه حتى لم يعد يعرفه أحد وقصد الملك الديلمي الخيام ودعاه بالمرز
 والانهام وكان كلامه معه باللغة الفارسية فلما رآه الديلمي على ملك الصفه ظن بأنه
 من دراويش الاعجام فاحترمه غاية الاحترام وقال له من اين اتيت يا ابن الاجواد
 قال من مدينة بغداد واني من فقراء عبد القادر رب الفضائل والمآثر فقال ادعوا
 لنا يا درويش الاعجم بالنجاح والانتصار وان الله يرزقنا يا بوزيد الخادم الماكر
 حتى نقتله على رؤوس الأشهاد وتبلغ منه سرور الفؤاد وهو الذي كان السبب في قدوم
 بني هلال إلى هذه المنازل والاطلال فاذا أجاب الله طلبك بلغناك أربك فنعجب
 أبو زيد من هذا الكلام وقال له بلغك المراد بجاه مولاي عبد القادر وباقي الأولياء
 العظام وما دام كذلك أريد منك أن تأمر لي بالذهاب إلى البلد فسمح له بالذهاب وأمر
 الحجاب أن يفتحوا له الأبواب وعند دخوله إلى البلد قصد باب الحديد وهو المكان
 الذي كانت مسجورة فيه فرسان بني هلال ووجد هناك جماعة للعبيد وهم يطوفون
 من خلف وقد ام وتحت جنتع الظلام فسامعهم فردوا السلام وقال من تكون من
 الايلم فقال قد أرسلني الديلمي بن مزيد لادعوا له في جامع عبد الصمد بأن الله
 يبلغه المراد وينتصر على أبو زيد من الاوغاد وأنتم من تكونوا من الناس فقالوا
 لنا من جملة الحراس وقد أمر الملك أن نحافظ على أمر بني هلال خوفا من أبو زيد
 لتلا ياتي اليهم بالسكر والاحتياط ثم أن أبو زيد بعد هذا الحديث أخرج من
 حبيبه ثمة من بنجي فاحضاهما عند فرك مناخيه فلما اشتعلت فاح منها رائحة البنج فلما اشتعلت
 فاح منها رائحة كية ولم تكن الابرة يسيرة حتى وقعت الحراس كالاموات من ذلك البنج
 وبعد ذلك أخرج حجر المغناطيس ووضع على الاقفال فتساقطت في الحال فرأى فرسان
 بني هلال في القيود والافلال وهم يقاسون الأهوال فاعطاهم الأمر وفسكهم من الأسر ثم
 أعطاهم أساحة الجماعة وقال لهم اتبعوني بعد ساعة حتى أكون فتحت لكم أبواب المدينة

فتخرجوا بالراحة والامان هم صارحت وصلوا الى الباب فوجد الحراس جالسين وفي ايديهم السيوف والحراب فردوا عليه السلام وقاموا على الاقدام واجلسوه بجانبهم وجعلوا يخاطبوه ويخاطبهم وكان كثيرا يمد يديه الى جرابه ويأخذ قطعة من السكر ويأكلها امامهم فقالوا له هذا الذي تأكله يا شامي قال هذا هو ملابس حلبي فقالوا اطعمنا ونحن ندعوك بالتوفيق والخير فأعطاهم قيعنة كبيرة وكانت مبنجة فأكلوها فما استقرت في بطونهم حتى سقطوا أو نأوا والاسرى فقد خرجوا ومدوا في قطع البراري والبطاح فوصلوا الهمهم عند الصباح فقامت الافراح وكثر الصياح واشتدت ظهور الابطال وشكروا أبو زيد على تلك الفعالة أهل البلد فقد حل عليهم الويل والتكدلة وأو الحراس راقدين والاسرى غير موجودين ولما بلغ الديبسي هذا الخبر طار من عينيه الشرر ونأكد عنده بعد التحقيق والتفتيش أن البلاء من الدراويش وما هو إلا أبو زيد صاحب المسكر والكيد ولكنه أخفى الكمد والجلد وحف بالعاكر والابطال لقتال بني هلال فالتفتة فرسان القوم في ذلك اليوم وكان أول من برز الديبسي سرور بن فايد فاتقاه الديبسي بقلب كالصوان ولم تكن إلا ساعة حتى أخذه أسير وقاده ذليلا حقيرا فبرز اليه نعيم الزحلان وكان من صناديد الشجعان فأمره في الحال والواقعة باقيدود وما زال على تلك الحال وهو يأسر الفرسان والابطال حتى أسر خمسين فارسا من بني هلال فقد منهم عدة أبطال وقد أشرقت على الوبال من هول القتال فلما كان اليوم الرابع هجم الديبسي بالمواكب والطلائع فاصدا قتال بني هلال وانطبق عليهم من اليمين والشمال وقتلهم أشد قتال فكانت موقعة عظيمة لم يسمع بمثناها في الايام القديمة كثر الصياح وجرى الدم وساح فاكنت ترى الارؤسا طائرة ودعاه سائرة وفرسان غائرة ودارت على بني هلال الدائرة واستمر القتال على هذا المنوال حتى كثرت الالهوال على بني هلال فلم يعد لهم ثبات فتأخروا الى الوراء فنفثوا الى جانب الصحراء وقد قتل من الفريقين في ذلك نحو عشرين ألف بطل كراو ولما اظلم الظلام اجتمعت بنو هلال في الخيام في حالة الذل والانكسار بما اصابهم في ذلك النهار وعقدوا ديوان مع الأمير حسن وطلبوا منه أن يمدح برأيه فأخذ حسن يحمسهم بالمقال ويشجعهم على الحرب والقتال ويقول لهم إنه من الواجب أن تتركب الخازية مع الماراية وتعمل عليهم في الصباح بالكتائب والمواكب

عز إلا حاص بنا القوائم وما يعرف بسلام منا أحد عند ذلك اشتد من أمرهم على الحرب
 والصدام وأجابوه على فرد لسان إننا ستقاتل فبدأ بالسيف والسيان حتى لا يبقى منا إنسان
 ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دفت طبول الحرب والكفاج فركب العساكر
 وأعطفت على المياه من المياسر ومجست عساكر بني هلال على عساكر الديسي بقلب
 حديد ومجست معه فرسان الصناديد والتقت الرجال بالرجال والبطال بالبطال واشتدت
 الأحوال وسال الدم وارتجفت السهول والجبال وما زالوا على تلك الحال حتى تضعضعت
 من الديسي الأحوال فعند ذلك مالوا من الحمين والشمال وتفرقت جموعهم بين الروابي
 والتلال هذرا الديسي ينحى البطل ويقول من عرفني فقد أكنى ومن لم يعرفني فإني الخفا
 أنا الفارس المزبد المدعى الديسي فلا يبرز من أبطالكم المشهورة وفرسانكم المذكورة إلا
 أبو زيد صاحب المسكر والكيد الذي أنى البناء وأحقال عليه فإنا أنم كلامه حتى صار أبو زيد
 أمامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال وفي الحال التقي في ساحة الجبال واصطدما كأنهما
 بحرين تهمارا كأنهما بحرين وتزاحما كأنهما أسدين حتى حان عليهم الحمين وزعق فوق
 رؤسهما غراب البين واستمر على تلك الحال إلى نصف النهار أما أبو زيد فاستظهر
 على خصمه وضايقه وسد عليه طرقه وضايقه وطلعه بالرح في صدره وشرج بدمع من ظهره
 فوقع على الأرض قتيلاً ولما رأت قومه ما حل به خافت من الهلاك والبوار فولوا
 طالبين الفرار وقصدوا المدينة وقد انقطع منهم الأمل فتنبهم أبو زيد وبني زحلان
 والأمير دياب والأمير حسن بباقي الفرسان وتبعوهم على ظهور الخيل ودخلوا المدينة
 تحت ظلام الليل وضربوا فيهم بالسيف حتى جرى في الأسواق وبابيت وقوم
 الديسي بما لا يطاق وكانت ساعة سريعة كثر فيها الصباح والكاه والنواح قد
 هجمت بنو هلال على الحصون والقلاع وخلصوا أسراهم من الاعتقال ورجعوا
 من ساحة القتال وثيابهم كشفاً في الأرض وان من أدمية الفرساب ونزلوا المعابر
 والحيام وقد بلغوا غاية المراد فغلبوا الحديد ولبسوا الأطالس والحرير ودارت
 القهورة والشربات على الأمراء والساعات وفي ثاني الأيام نهض وزير الديسي
 همام وأخذ مزبد بن الديسي وأمه يدران وسارهما عند الأمير حسن بن سرحان
 فدخل عليه وسلم عليه وبكى بين يديه وطلب منه العفو والأمان وأنهما ملهما بالطيب

والإحسان ثم تقدمت الأميرة بدران سالت على الأمير حسن وتماطلت بين يديه والامير مزيد ثم تقدم بعدهم الوزير مهمام إلى امام الامير حسن وقال له العفو يا ملك الزمان فقد نصحتك الديبسي حيلة امرار وحفرت من عواقب الامور فلم يسمع كلامي إلى أن نفذ به الامر المقدور

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير من كلامه وفهم حسن لحوى قصده ومرامه فأجابه ما طلب فأكرم مزيد واهم غايته الإكرام وخلع عليهما الخالص الفاخرة وأنعم أيضاً على الوزير وزاد له في التعظيم والتوفيق ونادى بالآمال وزالت الاكدار والاحزان وكان مزيد خاطب ائمة عمه هندو كانت من النساء المحسنات فاعلم الوزير الامير حسن ذلك الخبر وطلب منه أن يزفها عليه قبل رحيله فأجابه إلى ذلك الطلب وبلغه غاية الادب وفي الحال ذبحوا النوق والاغنام ودارت الافراح سبعة أيام وبعد تمام الافراح والسرور والانشراح ولي الامير حسن مزيد مكان أبيه على تلك البلاد وأطاعته جميع العباد وكان هذا القلام محبوباً من جميع الايمل لانه كان عافلاً فيهما سخياً بما يحب العدل والانصاف ويكره الجور والامراف

(قال الراوى) وبعد تمام عرس مزيد بعشرة أيام أمر الامير حسن بهذه المضارب والخيام وجمع المكاسب والاغنام أمر بالاستعداد للرحيل ودق طبل الرجوع للرحيل إلى بلاد القرب وحينئذ اجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان فرقت الامير دياب والقاضي بدر وركب زيدان شيخ الشباب والاسد المهاب بستين ألف من الشبان وركبت الجارية مع المهاريات وحينئذ ركبت الفرسان نظهور الخيول واعتدوا بالسيوف والنصولوا ونشرت البيارق وارتفعت الستاجق وكانت الفرسان تهوج وتهيج مثل أيام جوج وماجوج وجدوا في قطع البرارى والقفار والسهول والاوراد وهم يواصلون سير الليل والنهار حتى وصلوا بعد عشرة أيام إلى بلاد الاحجام فزلوا في مرج واسع كثير المياه والمنايع فغصبوا المضارب والخيام

(قال الراوى) وكان الحاكم على بلاد الاحجام في تلك الايام سبعة ملوك عظام وهم خرمندو على شاه والصلصيل والمغل وينذر المنذر والنمان ولما نزلت بنو هلال في ذلك المكان أطلقوا مواشيهم في المرعى وكانت كثرة الخيرات والاشجار

النبات في مدة يسيرة أكلت الموائش العشب والأشجار والبساتين والأثمار وبعد أن أخذوا الراحة وأمنوا من نوايب الزمان رجع الأمير حسن والقاضي بدر إلى نجد في حماد من الاجتاد لتجديد البلاد ورجوع الأمير حسن والقاضي إلى نجد اجتمعت ملوك الأعجام عند الحرمند وجمعا يتداولون في أمر نزل بني هلال في ذلك البر وبعد مجادلات طويلة قال الحرمند أعلموا أيها السادات أن بني هلال قدموا البلاد وهم كل يوم في ازدياد فقالوا الرأي عندنا أن نبادرهم بالقتال ونسبي حرمهم والعيال ونهيب نوقمهم والجمال قبل أن تكثر جمعهم وتصل أيديهم البناء (قال الراوي) وكان الملك النعمان حاضرا في الديوان فصب عليه ذلك الأمر لأن أصله من بلاد الغرب فقال للملك الحرمند ان كان لابد من حرب بني هلال طمعا بالغنائم والأموال فأرسل اطلب منهم عشر المال فإن اهتلتوا أمرك الشريف وأجابوك لطالبك تكون قد بلغت منهم المرغوب وان امتنعوا عن ذلك فحينئذ نبادرهم بالقتال ونهيب أموالهم ومواشيهم ونطفي نارهم ولاشيهم فلما سمع منه هذا الخطاب رآه الصواب وكذلك صادقت عليه سادات الأعاجم ثم أن خرمند بعد هذا الكلام استدعى بقلم وقرطاس وكتب إلى بني هلال يعالاب منهم عشر المال أو يرحلوا من بلاده :

(قال الراوي) فلما فرغ الحرمند من كلامه طوى الكتاب وأعطاه إلى النجائب وأمره أن يسير إلى حلة بني هلال ويدفع الكتاب إلى نائب الساطان حسن بن سرحان ويرجع إليه من غير توان فامثل النجائب أمره وسار حتى وصل تلك الديار فسأل عن نائب الأمير حسن فأرشدوه إلى مضارب أبو زيد فدخل وسلم عليه وتمثل بين يديه وأعطاه وطلب منه سرعة الجواب فلما فتحه وقرأه وعرفه وزه ومعه مرقه ورماء وكتب إلى الحرمند الجواب :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه فلا يسكنم الأسرار غير الأصايل
 ألا يكشف الأخبار غير خائن ردى الأصايل من قوم أراذل
 أنا أبو رزق من أهل عامر وأمي شريفة من خيار القبائل
 سميت أبو زيد على الناس زائد كريم شجاع من كرم أفاضل

بعثت ياخرمند تطلب لعشرنا عشر الفصائم الخيول الاصيل
وتريد منا كل بيضة جميلة بنأكل الامارة زائدات بالدلائل
فما تحظى بهم فان ورام رجال حروب كالاسود تقاتل
سألقاكم غدا بقوة ساعدى وجيش بنى هلال الفضائل
وان كنتم لا تبرزوا للقتال فاني سألقاكم بوسط المنازل
يقول أبو زيد الهلالي سلامة سيدركوني الفرسان في يوم الموائل

(قال الراوى) ولما وقف الخرمند على هذا الشعر والنظام صار الضياء في
هيبته كالظلام وقال هل بلغ من قدر بنى هلال ان يخاطبوني بمثل هذا المقال
وانا ملك بلاد العجم وذكرى في جميع بلاد الامم ثم انه استدعى من قواد العساكر ومن
يعتمد عليهم في الحروب والمخاطر وأمرهم ان يستعدوا للقتال ويجمعوا الفرسان
والابطال فامتثلوا أمره في الحال وجمعوا الابطال والفرسان حتى اجتمع خمسة
الف عنان وأرسل إلى بلاد خراسان تمده بالجيش والعساكر ثم ركب في ثاني الايام
الحرب والصدام ولما بلغ أبو زيد هذا الخبر ركب في جموع بنى هلال واشتبك بين الفريقين
القتال واشتدت قلوب الرجال وماجت بنو الزحلان وبنو هلال وارتدت على طوائف
الاعجام كليوث الآجام وقد ادهم أبو زيد فارس المعامع وهو يدرك كالاسد الكاسر
ولا يبالى بالاهوال والمخاطر وقد فضل المقات على الانهزام والهتات هذا وقد فاك
أبطال بنى هلال بالعجم فتك الذئب بالغنم وأوردتها مورد العدم وكانت ساعة من
أعظم الساعات فيها ارتفعت الهتات وتمكنت العوارم في رؤس الفرسان والسادات
فمنذ ذلك ولت الاعجام هاربة إلى النجاة طلبة وخلص أبو زيد من أيديهم النساء
والبنات ورجع بالنصر والاقبال إلى المضارب والايات مع باقي الامراء والسادات
هذا ما كان من أبو زيد الاسد الكرار والبطل المخوار وما فعله في ذلك النهار
وأما الماربة ابنة عم الامه غنيم فكانت في هودج على جمل أهوج فلما اشتد القتال
انهزم بها ذلك الجمل وسار بها على عجل فرأت نفسها بقرب الحلة والكوفة والاصيل
وراء هودجها طالب اخذها فصاحت على ابن عمها من ملو رأسها وكان المذكور
بالقرب منها فلما سمع نداءه ترك القتال واتاها لجعل يلعن الابطال ويمدد الفرسان
(٤ — تغريبة)

على وجه الرمال حتى اقترب من نواحيها وصار يناديها ويقول لبيك يا ابنة عمي وفارجة هني وغني فقد أتيك فابشري بالخلاص من شرك الاقتناص فلما فرسان الاعاجم تقدم مالت عليه من خلف وأمام وأخذت معه في الحرب والصدام فبينما هو يقاتل ويدافع وإذاهو بالصاصل قد ضرب به من خلف ظهره بالرمح فخرج من صدره فوق على الارض قتيلاً في دمه جزيلاً . فساق الصلصيل وودجها في الحال بينما كان أبو زيد يشتغل بالقتال وما عنده خبر بهذه الاحوال فلما أسى الظلام ورجع أبو زيد عن الحرب والصدام دخلت مارية الحلة مسبية من الاعجام وهي تبكي وتصح وتستغيث من فؤاد جريح وليس من يسمع نداءها

(قال الراوى) وبينما كان الأمير أبو زيد في خيامه مع سادات قومه يشربون المدام ويأكلون الطعام والنساء تدق لهم الدفوف وتدهو لهم بطول العمر على ذلك النجاح والنصر وأن الأبطال قد أنوا بجثة غنيم من ساحة القتال وأقاموا عليه النواح والصياح فسأل أبو زيد عن السبب فقال يسلم رأسك بالامير غنيم فانه كان يقاتل بقرب هودج مارية إلى أن ضايقته الأبطال فقتل وشرب كأس الحمام وراحت مارية مسبية الاعجام فلما سمع أبو زيد هذا الخبر تنغص عيشه وتمرر وطار من عينيه الشرور ولكن لما رأى نفسه مغلوباً من المعجم لكثرة ما عندهم من الامم كتب إلى الأمير دياب يعلمه بوقعة الحالد ويطلب منه المعونة في القتال وأرسل الكتاب مع عشرة أبطال فلما وصل الكتاب إلى الأمير دياب وقف على ما تضمنه من الخطاب امتنع عن الحضور وقال أولى بحماية الجمهور وهذا لا يمتنى عوامله فلما وقف أبو زيد على هذا الخطاب خرج عن السواب وغضب من كلام دياب ثم كتب إلى الأمير حسن بن مرحان يعلمه بهذا الشأن ومثل ذلك إلى القاضي بدير يعلمه بما جرى بينه وبين الاعجام فما فرغ الأمير أبو زيد من الكتاب سله للنجاب وأمره أن يحمده في مسيره حتى يصل إلى بلاد محمد ويسله إلى الأمير حسن ويرجع اليه بسرعة الجواب .

(قال الراوى) ومن الاتفاق الغريب بأن القاضي بدير رأى تلك الليلة حلماً وهو أنه قابض على حمامة بيضاء وإذا بعقاب أسود قد هبط من الجو فخطفها وطار فاستيقظ من المنام وهو في قلق عظيم وسار إلى عهد الأمير حسن وقص عليه الرؤيا

فقال يا ابن العم ان هذا الحلم يدل على شقيق وغم الآن وأن ابنتك مارية قد خطفها
 الاعجام فلما سمع هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال له ما دام الامر
 كذلك فوجب أن نركب حالا ونجدي قطع القفار ونكشف خبر قومنا في تلك الديار
 فاجابه الأمير حسن إلى هذا المرام وركب في ساعتهم ومعهم فرسان الصدام وقصدوا تلك
 الاطلال فاصدين بنى هلال وكان ذلك النجيب الذي أخذ هذا الكتاب قد سار قصدهما
 ولكنه أخطأهما في الطريق وعند وصولهما بالعساكر والابطال إلى أول نجوع بنى
 هلال ثم انه سار مع الأمير حسن حتى اشرفوا على الأمير دياب بالاكرام والزحاح
 وطلب منهم أن ينزلوا عنده بأن حسن وقال له علامك يا أمير ما ركبت مع أبو زيد
 على قتال الاعجام أنسى الحريم والعيال وتنب التوق والجمال وأنت جالس
 في الخيام بدون فكر ولا اهتمام قال أن الذي متهنى يا ملك الزمان هو خوف من
 هجوم العدا إلى هذا المكان فتنهب الاغنام ثم ركب دياب مع القاضي والأمير حسن
 وركب معه الابطال والفرسان وما زالوا يجدون المسير حتى وصلوا عند أبو زيد
 فالتقاهم بالتحظيم والاحترام وكان ذلك النهار عنده من أعظم الايام فزولوا عنده
 فذبح لهم الاغنام فامتنع الأمير حسن عن الاكل وهو مفتاظ زعلان فساله
 أبو زيد عن سبب ذلك فقال إني مفتاظ طيئك كيف تفقد المارية من يدك فلما فهم
 أبو زيد فعوى كلامه اجابه يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة
 يا أبو علي اسمع كلامي وافهم
 أتونا بنو الاعجام من كل جانب
 فصحننا عليهم هاجمين بعزيمة
 فسكات فتاة الحى مارية المها
 جعل بكرها فيها وما أنا ما رأيته
 ونادت بعالي الصوت يا آل عامر
 طعنت الملك صاصيل بالرمح صابه
 هو كان ظلام الليل بيني وبينهم
 بدمع جرى من مقلة العين تتابع
 وإذا مت يا قاضي فكأن اقولى سامع
 سبعة ملوك من غير التتابع
 قتلنا منهم ألفين ما عدا التتابع
 عدت فعاد القوم فيها طوامع
 وقلبي لأجل المارية عاد واجع
 وترمى بأيديها وتلوى الاصابع
 بحمرة نورها كالكشمس ساطع
 وعاد العجم من بعد هذه الوقائع

وحق كلام الله والبيت والحجر فلا بد لي من حريم أن أسارع
ولا بد من أن أجيب المارية وأهدم الكوفة وأرتد راجع
(قال الراوى) فلما فرغ الأمير أبو زيد من كلامه قال له الأمير دياب والله يا أبو زيد
لو كنت حاضرة قتال العجم ما كنت تركتهم يسبون المارية ويسطو على الأموال والحريم
بل كنت فانت أشد قتالاً وأموت موت الأبطال فلما سمع أبو زيد ذلك كان عليه كضربة
الحسام فالتفت إليه وقال له أمام الأعيان صدقت يا أمير دياب يا ابن غانم وبما أنك
كنت قادر على كسر الأعجم فلما حضرت وأظهرت شجاعتك في الميدان عندما
أرسلت خيلك عشرة فرسان ولا بد أن تقصد الأعجم وحينئذ ترى ما شجاعتك في المعركة
وأما ما كان من الأعجم فانهم لما رجعوا إلى أوطانهم وتنازعوا ملوكهم على مارية
بنت القاضي يدجرو كان كل واحد يريد أن يأخذها لنفسه دون الغير وذلك لما فيها من
الحسن والجمال والبهاء والكمال فاتفق رأيهم على إعطائها لاشاة خرمندلا من أكابر
الملوك وأهم يركبون على بنى هلال مرة ثانية وكل من يكشف امرأة تكون له مثل المارية
وفي ثاني يوم ركب الأعجم على بنى هلال فركب الأمير حسن واستقبلهم في ساحة
الميدان فاعدا أبو زيد فانه لم يركب معهم لقتال القوم وجعل نفسه مريضاً في ذلك اليوم
ولما انتشب القتال وعظم بين الفريقين الأحوال هجمت الأعجم على بنى هلال مثل
أسود الآجام وقالت أشد قتالاً وجعلت ترميهم بالفتاب وتطعنهم بالحراب بدون
خوف ولا ارتباك فلما رأيت بنو هلال تلك الأحوال وهجم العجم عليهم من اليمين
والشمال خوفاً من الهلاك والوبال فارتد إلى الخلف وانهمزوا أشد انهمزاً وتبعهم
فرسان العجم حتى دخلوا الخيام ثم داروا ينهبوا البيوت ويسبوا النساء والبناات
فوقع البكاء والنوح وزادوا في الصباح فلما سمع أبو زيد عويل النساء والأصوات
لحقن ترمش من سماعها الآذان وعظم عليه الحال وعصفت في رأسه نخوة الرجال فبكى
الأبطال والفرسان وفي أيديهم السيف والرمح فاتفق بمسكرا الأعجم وحكم رقابها
ضربت الحسام فزادهم عن المال والحريم بإذن الملك العظيم فارتدوا مهزومين إلى الخيام
طالبين وهو وقومه وراهم مثل الشواهد إلى أن بلغ منهم المارد قتل عدداً كثيراً من
الاجناد ثم ارتد منتصراً وعند وصوله إلى الصيوان فالتقاء الأمير حسن بن سرحان

وشكره على تلك المآل وقال له مثلك تكون الإبطال يا زينة الإبطال فلولاك لكتناني
أسوأ حال وصرنا معيرة بين سائر العربان على طول الزمار وكذلك القاضى بدور فاني
عليه وكان مناسفاً على فقد ابنته ماريه أمام الحاضر فقال له أبو زيد كزطاشنا من هذا
القبيل فلا بد من خلاص ابنتك أيها القاضى الجليل واشفى من عساكر الهجم الغليل ثم أن
أبو زيد صبر إلى وقت الظلام فنهض كسبح الآجام ونزى إلى الأعجام وساروا إلى
مدينة السكوفة مجمع الأعجام وفي صحبت عبده أبو القصاص و بدر بن غانم وعند وصوله
إليها وجدوا أبواها مقلعة فدار من جميع الجهات فلم يجد منفذاً بينها وبينه فرج ويتأمل
وأى دهلين صغير فنزل فيه فأوصله إلى البلد فالتقى جماعة بانتظاره وأخذ يعاوف من زقاني
إلى زقاق ويجول بين الحارات والاسواق وهو يحس الأحوال ويقف على الاخبار
هو كان كلما نظر إليه إنسان يكلمه في لغة الأعجام بأفصح لسان وما زال سائر من مكان
حتى وصلوا إلى حارة عظمة البنيان ذات أربع عمدان وفوقها قصر جميل الهندام من
الرخام وشبابيكه مصفحة من الذهب وإذا به يسمع آلات الطرب فقال أبو زيد في نفسه
إن صدقى حلى هذا قصر الملك خرمند لا عاله لما عليه من الهيبة والجمال ونظر أيضاً
إلى شجرة من السر واصله أغصانها الشباك القصر فصعد إليها حتى وصل إلى أغصانها
ولما صار عند الشباك وجه نظره إلى تلك الغرفة فوجدها من أحسن الغرف مريئة
بأفرش الفاخرة ووجد سبعة ملوك من المعجم جالسة على كرامى من الذهب ومارية
جالسة بينهما كأنها القمر وهي لا يسه ثياب تذهل البصر وكانت ملوك الأعجام تشرب
بالمدام والمغاني تغنى لهم بأنواع الانعام فبينما هم كذلك وإذا بخرمند التفت إلى ماريه
وقدم لها كأساً وقال لها خذى واشربى يا بنت الكرام وغنى لنا بأفصح كلام حتى يزيد
النشراحنا ويكمل سرورنا فامتنعت عن الشراب وزادت في البكاء والانتخاب فلم يزل
ذلك على الملك التعمان فنهض من وسط الديوان وكان أصله من العربان وكان
الملك خرمند متزوج بابنة هند فقال دعوها ولا تحكموها فإنها من بيت كبير
وأبوها قاضى وأمه وهذا لا يقبله سقيم ولا صباوك فسك بالحرى الملوك ولكن
من جهة الغنا فهذا ليس فيه عيب ولا تعيب ولا عناء ثم التمس منها أن تغنى
فلما سمعت الكلام أشاوت تغنى وتقول وتشكو حالها :

نقول فتاة الحى مارية من المها فنار الضنى والشوق يكوى ضميرها
بالله يارايح إلى الحجاز إذا سرى تهدى هداك الله خزلى مطورها
إذا جئت إلى نجد العدية بلادنا فسلم على كبيرها وصغيرها
وقل لهم العنسا والقول صادق بأنى فى الاعجام صرت أميرها
وقل لهم لا تحملوا سمر القنا ويلقوا عمامهم ويلقوا حريرها
ألا يا هلال فأنجدونى بسرعة فقد صرت فى ذل حال عسيرها
وإن لم تتجدونى طال ذل خاطرى وصندوق صدرى ضاق تكثيرها
وقد جابنى الحرمند داخل قصره مع المغل لوالصلصال ومن دوروزيرها
فبإله يارايح تحمل رسالتى واحل سلامى بالعجل وسطورها
وروح إلى أبو زيد الهلالى سلامه فقبل رأسه فزو خير أميرها
وقل له قالت فتاة الحى المارية شكت أمرها فانهض إليها جديرها
أبو زيد أبو زيد يا كاسب الثنا ارحم فتاة تاه منها بعيرها
ألا يادياب الخليل عاون سلامة وكل هلال كبيرها وصغيرها

(قال الراوى) فلما فرغت المارية من هذا الشعر والنظام طربت ملوك الاعجام
وشرب خرمند كاس المدام ثم أعطاه إلى الساقى ليسقى الباقى فلما فرغ الخرمند إلى
الساقى امل كاس المدام وناولوه إلى ماوية بدر النمام حتى تفرح وتطرب ويزول عنها
الحزن والكرب فجعلت مارية من الناس وقالت للنعمان انى لا أشرب من هذا الكاس
لأنك تعلم أيها السيد المعظم بأن مشروبنا هو حلب النوق والغنم ولا أن نشرب غيره
من المشروبات لاسما النساء والبنات فإن ذلك عفتنا من أعظم العار فاعتذر للنعمان
عنها إلى خرمند أمام الجلاس وقال له اعفها من هذا الكاس لأنها غير معتادة وليس فى
التسكار فائدة فتناول الخرمند الكاس من الساقى وقال له أريد منك أن تصف لى
مارية أمام هؤلاء الملوك وتذكر حسننها وجمالها فقال سمعاً وطاعة وأنشد الأبيات:

يقول فراج أنا ساقى الملوك الدمع من فوق الحدود تبدا
من رؤيتى للمارية عقل شرذ ما عاد لى صبراً بأن أنجلدا
الشعر منها مثل ليل دامس أو مثل لون غراب طائر أسودا

والوجه منها مثل بدر طالع وجبينها يسطع كبار موقدا
وعيونها مثل الغزال فواتك فكأنها حورية تتوقدا
وخدودها كالورد تزهر كأنها تفاح شامي أحمر وموردا
وشفاها تمر العراق وسكرا وسنانها تزهر كدر منضدا
إن شافها أبو زيد بهجم بسرعة يضرب بسيفه من طفا وتمردا
إن أطعنى خرمتد أرسلها غدا واسعى لهم بالصاح لا ترددا
لا تتبع الصاصل في آرائه شور النعمان خيرا وأرشدنا

(قال الراوى) فلما فرغ الساقى من كلامه وسمع الخرمندر الموك خروجه شعره ونظامه
قال له الخرمندر أحسنت بما فعلت فعند ذلك نهض النعمان وأراد أن يأخذ المارية إلى
بيته فاعترضه الصاصل وقال إنى كسوتها بالثياب الفاخرة والحلل وأنا أحق بها من
كل أحد فقال له النعمان إنى لا أمكنك من ذلك حتى ترى ماذا ينتهى الحال بيننا وبين
بنى هلال وأنا من رأى أن نطلق سبيلها فتذهب إلى أهلها خوفا من القيل والقال فقال
الصاصل هذا لا يكون ومردى أن أنشد معها بالاشعار أمام هؤلاء السادات الأخيار
فأنا أنشد من الشعر وهى تجبى عليه ولا تريد منها بغير ذلك ثم أشار يقول :
قال الملك الصاصل يا مارية غنى لى وارفعى المنديل عن وجنتيك الحرا
يا مارية بحياتك قومى اشرى كساتك وبنى شاماتك عن وجنتيك الحرا
بطل كلام القبل وافهم يا مذلولى نحن بناتك الأمر اقومى تعالى لقرى لأذوقك من
شربى وقربى لمنى حتى تطيب السكر : صاصل قال كلامك وأذن ممالك غدا
يسير هزائمك من سباع الفقرا : يا مارية ارتدى . ورجالك لا تعتدى بالحربة
ما هم قدى بأكرهى زيدان ودباب راعى الخضر يا مارية لا تزبدى بقولك لا تعيدى أن
الجميع عبيدى ما يلهتنى بكرى غدا يجيك سلامة أسمر طويل القامة سيفه يربل الهامة .
سلامك ذاك راحى من يوم درعا ما حى أن أنى لسكفا حى اقله فوق الصخر
غدا يجيك العالى أمير بخته عالى حسن كبير هلالى قومه كوج البحر إذ ذاك
ما أعداه يوم الحرب اهداه محمد سيفى قد أجهله وسط القبرا .

(قال الراوى) فلما فرغ الصاصل من هذه المناداة والمحادق والمكالمة كانت جالسة

يقربه أخت الملك خرمند وكان اسمها تاج بخت فلما سمعت أن مارية شتمت عنها
الصاصيل في شعرها وأهانته بالكلام كان ذلك عليها أشد من ضرب الحسام فنهضت
على قدميها ولطمت مارية بين عينيها وقالت هل بلغ من قدرك يا بنت السلاب أن
تمكسي هذا الخطاب وكانت الضربة شديدة فألماها فاندفق الدم من جبهتها فلما شاهد
أبو زيد تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال ولولا وجود الحديد بالشباك لكان
دخل عليهم وأورث العجم الدمار والهلاك وأما النعمان فإنه استعظم ذلك الأمر
لما نظر الدم يقطر من جبينها فنهض على الأقدام وسل كفه الحسام وجعل يهدد الأعجم
يقول للملك نعمان عظمي طار والقلب مني يهب بالنارا
قد جتمت بنت السكرام لداركم يا عادمين العقل والأفكار
لو عاينت فرسانها أفعالكم أو شافها أبو زيد وقت الغارا
لرايت أفعاله وقتاله وهجومه بين الصفوف جهارا
إني سأضعف ماريًا بمهندي بضرب فقد الروس والأعجارا
قول الفتي النعمان قول صادق لا بد لي أن أقيم الغارا

فلما فرغ النعمان من هذا الكلام وسمعته ملوك الأعجم خافت من الشرور وعواقب
الأمور فقال خرمند النعمان خذ مارية إلى عندك هذه الليلة وابقها لأنه يخشى من تواليها
فتي ظفرنا بهم ولا العرب حينئذ تبلغ منها الأرب فعند ذلك أخذها النعمان من يدها وقال
لها انهضي أيتها الأميرة إلى بيتي فنهضت وسارت اليه من عند الأعجم ولم يعترض أحد
بكلام فلما شاهد أبو زيد أفعال النعمان شكره في قلبه على ذلك الشأن وقال والله إن هذا
الرجل يستحق كل جميل ثم نزل من أعلى الشجرة وتبع آثار النعمان حتى وصل إلى
منزله وهو من وراءه فسمعه يقول لابنته خذي الأميرة وافرشي لها في غرفتك فانها من
بيت شريف فترحب بها وأخذتها إلى عندها ثم رجع النعمان ليصرف باقي ليلة عند
الأعجم ورجع أبو زيد إلى هلال وعند وصوله إلى الخيام سمع أصوات البكاه
والصياح والعيول والنواح لأنهم كانوا يظنون بأنه مات فلما دخل على الأمير حسن وهو
في الصيوان سلم عليه فنهض له على قدميه وشكر الله على سلامته وكذلك فعلت باقي السادات
وسأله القاطن بدير عن المارية ابنته وهل وقف على أخيارها في أثناء غيابها فأجابته يقول:

يقول أبو زيد الهلالي سلامة
وصلت إلى الخلا سريماً بلا بطل
إلى أن نظرت المارية في أعيني
في قصر خرمند يا قوم جالسة
والطاس داير والحنك والغنا
يمر عليها السكاس ما تلموقه
فكائنات تنادي بالصوت يا آل عا
فكان الملك النعمان قد أتى بها
وأخذها في الحال إلى دار بيته
فان حائى الرحمن ربى أجيبها
والأيام والدنيا تسبب هوائ
فدوت مياها ودوت الشبائل
فقولى صحيح ليس فيه زلايل
ملوك المعجم من حواها كالجمابل
والنيران بينهم وهو شهم فاضل
فتحسبه مثل سم الغوائل
مر وتضرب بايدها يميناً وشمال
تخلصها منهم بضرب هائل
وأوصى بها بنته وكل الاهائل
وأهدى السكوفة ووحدى أقاتل

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه وسمع الحاضرون لحوى شعره
ونظامه قال الأمير حسن اعلم يا صاحب الراى الحسن مرادى الآن أكتب
كتاباً إلى ملوك الاعجم وأطلب من الخرمند ان يرسل المارية الآن لأنها عند
الملك النعمان فاذا في ذلك فقال أبو زيد باقى الناس لا بأس فعلهم يتألمون من
كتابك ويرسلونها إلينا فعند ذلك كتب هذه الأبيات :

قال المقي حسن الهلالي أبو على النار في قلبى تهب وتشمعل
يا ملك خرمند اسمع قصتى ابعت لنا المارية ولا تشمعل
إنك ان أرسلتها ليوتنا قترى العساكر ودياب ترحل
حتى إذا خالفت في رحالها نهجم عليك في الصباح ونقتل

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من هذا الشعر والنظام استحسنه جميع السادات
السكرام في الحال أرسله مع نجاب ليحطيه إلى الملك ويأتيه بسرعة الجواب فامتثل حتى
وصل الملك الخرمند فمثل بين يديه وسلمه الكتاب ففتح وقرأه ولما عرف معناه
موقه في الحال واغتاظ من هذا الأمر وأمر العساكر أن تستعد للقتال وخرج بجيوش
الاعجم لقتال بنى هلال فلما وصلهم هذا الخبر اسعدوا للحرب والظعن والضرب
وفى أوائلهم الأمير أبو زيد والأمير دياب وغيرهم من الفرسان والسادات والسكرام

والتقوا بالاعجام بقلوب كالجبال وقالوا أشد قتال وفعل الأمير أبو زيد أفعالا تشيبه
الاطفال وكان يطمئن الأعداء من العيين والشمال وله در الأمير دياب فأنه قاتل في ذلك
اليوم قتال شديدا ألقى بنفسه على الهلاك حتى فرق الصفوف وطعن فيهم بالعم وهو
يفتحى الأبطال ويقول دوتكم وهؤلاء الأندال وما زال يشق صفوف الاعجام حتى
وصل إلى الملك القمقام وهو تحت البيارق والاعلام وضربه بالسيف على عاتقه خرج
يلمع من علاقه ثم مال على القوم وباقي الأمراء والنواب وإلهبهم بضرب السيف
القرضاب وقتل منهم عدة رجال فلما رأت العساكر والاعجام تلك الأحوال هاجت من
العين والشمال وارتدوا واجتمعوا إلى الوراء وانقلبوا منهزمين في تلك الصحراء وقطع
دياب رأس القمقام وحلقه على رأس الستار إلى عند الأمير حسن وباقي السادات ورجعت
بنو هلال ذلك النهار بالعز والانتصار وباتوا في فرح واستبشار ولما أصبح الصباح
وأشرق بنوره ولاح دقت طبول الحرب وتقدمت الفرسان إلى مقام العاهن والضرب
وكان أول من برز إلى القتال من أبطال بني هلال أبو زيد الفارس المفضل فصال
وجال في ساحة المجال فبرز من الاعجام الملك المنذر فالتقاء أبو زيد وانطبق
على المنذر كسبع الآجام والصدام ولم تسكن غير ساعة من الزمن حتى ضربه أبو زيد
بالسيف على هامته فده نصفين وألقاه على وجه الأرض قطعتين فوق دلى الأرض
يختبط بعضه ببعض فلما رأت الاعجام تلك الحال ضجعت منها الفرسان والأبطال
واستفظمت ذلك الأمر فعندها برز أخوه الأمير بندر أبو زيد ليأخذ ثأر أخيه
فالتقاء أبو زيد بقلب كالح يدعهم معجم عليه وضربه بالسيف فالحقه بأخيه فلما وقع
وانقلب هجعت الاعجام بشدة الغيظ والغضب فالتقته بنو هلال وحكمت فيها
السيوف والنصال وقتلت منها أكثر من عشر آلاف من صناديد الأبطال فانهزمت
إلى الوراء واستعظمت بعداه في اليوم الثاني دقت الاعجام طبولها وركبت خيولها
وبرزت إلى القتال وهي تهدد كالجبال طالبة أخذ النار وكشف العار فالتقها بنو
هلال وكان أول من برز إلى الميدان الأمير أبو زيد فبرز إليه المغل بن لدل .
(قال الراوى) فلما التقيا في الميدان وأخذتا يتضاربان ويتطاعنان وكان المغل المذكور
من أفرس الفرسان قوى الجنان وله ذكر شائع فقاتل أبو زيد أشد قتال وما زالا

على تلك الحال حتى تحبث من قتالها جميع الأبطال وكان اختلف من الاثنين ضربتين
 وكان السابق أبو زيد قال عنها المغل فراحس خائبة بعدما كانت صائبة وإذا ضربه
 المغل فإنه استلقاها أبو زيد في الرمس فقطعته نصفين ونزلت على رقبة الجواد فأبرتها
 كما يبرى السكائب القلم فوقع أبو زيد على الأرض فأراد المغل أن يكمل عليه فبادر
 الأمير دياب إليه وخلصه في أسرع من لمح العين لأنه يرقب قتال الاثنين وأشار
 أبو زيد إلى عبده أبو القمصان (قال الراوى) وفي الحال أقوه قومه فهو ادفركبه
 وجهه هو ردياب على صفوف الأعجم ولهمهم باقى أبطال بني هلال وخلصوا فيهم من
 النمين والشمال وكانت ساحة مهولة قتل فيها خلایق كثيرة وكان من جملة المقتولين المغل
 وغيره من سادات العجم والمقدمين وانزمت العجم في ذلك اليوم أقبح مزيمه وقتل منهم
 مقتلة عظيمة ورجعت بنو هلال بقلوب كالجمال فبرز من عساكر العجم الملك الصاصل
 وهو راكب على جواد مثل الفيل وطلب قتال بنو هلال ولما صار في ساحة الجمال
 برز اليه الأمير دياب وهو راكب على فرسه الخضراء فالتقاء الصاصل واشتد بين
 الفارسين القتال وعظمت الأهوال وماز الا على تلك الحال إلى وقت الظهر وكان الصاصل
 قد اعتراه التعب واسترخت منه المفاصل والركب وأحس بالهلاك والمغلب فولى وطلب
 لنفسه الحرب فلما رأت عساكر العجم بأن سيدها قد انهزم خافت من العواقب وحاول
 النواصب فارتدت إلى وراها حتى وصلت إلى الحلة فدخلت إليها وأغلقت الأبواب
 ولما كان الليل جمع الملك خرمند الملوك وقواد الخيل وقال لهم مرادى ان أخرج
 في ثمانى الأيام إلى قتال بنى هلال فأريد أن تشجعوا أنفسكم وتقاتلوا ولا تنتهكت
 ناموسنا وصرنا معيرة وفضيحة عند ملوك الزمان فأرعدوه بأنهم سيذلون غاية
 المجهود ويقاتلون معه قتال الاسود ولما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركب
 الملك خرمند في جميع الجند وخرج من المدينة يريد القتال فالتقاء في الحال
 جميع الفرسان والأبطال ولم العسكران وتقابل الجمعان برز أبو زيد إلى خدمة
 الميدان فانهبط الجرمند وأخذ في حربه وصدامة فالتقاء أبو زيد بقلب كالجبل
 فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف ومازال على تلك الحال من الصباح إلى
 وقت الزوال ولم يقدر أحد على صياحه فافترقا عن بعضهما وبات كل فريق

في ناحية من الأرض (قال الراوى) كان حاكم التركان في ذلك الزمان رجلا عظيما
الشان اسمه الخطريف ويلقب بال غضبان وله عدة وزراء واعوان ومن جملتهم
الوزير النعمان وهو عنده من اعظم الاركان كأنه صاحب معرفة وتدير وفي أمور
السياسة عليهم خبير وله ابن أخوت وكان ولي همده ونائبه على التخت تمر الجارح
وكان في الشجاعة والفروسية منطقة عليه يضارع أسود البطاح ولا يمل من الحرب
وكان الملك الغضبان يركن اليه كل الاركان ولما وصلت جموع بني هلال وخيمت
في تلك الاطلال كما سبق المقال وبلغ الغضبان هذا الخبر تطاير من عينيه الشرار
فاجتمع بوزرائه وباقي الاعوان وعقد معهم مجلسا في هذا فقال له الوزير النعمان
الرأى عندي الآن ترسل لاسيكم بعض الابطال تطلب منه المال فأجاب الملك باغنا
القصد وان أبي وامتنع وكينا عليه بكل فارس صيدع فنذهب أموالهم ونسبي حريمهم
وعيالهم ونقتل شباههم ورجالهم فامتنع الغضبان هذا الرأى وفي الحال امتدعى
بعض الفرسان وأمره أن يذهب إلى بني هلال على سبيل رسول وكتب اليهم يقول:

يقول الفتى الغضبان بما جرى له	نهران قلبي زائدات وقيد
ألا أيها الفادى على متن ضامرى	فأطع فيأق برها وبعيد
إذا جئت إلى حسن الهلال أبو على	فأعطيه مكنوبى تنال سمودى
وسلم على القاضى بدير بن فايد	قاضى العرب بالحق والتأكيد
وسلم على الزغى دباب بن غانم	وسلم على أبو زيد سلام مجيد
وقل لهم قال الملك ابن حامد	كلأما صحيحا خال من التعميد
إن كان مقصدك قهوج بلادنا	ويرعوا مراعيئنا وعشب البيد
فهاتوا لنا عشر المال بلا خفا	وعشر النساء والحبل بالتمديد
والفين سيف وألف ترمس مواضى	والفين رمح للطلعان تفيد
والفين بيضا من خيار بناتكم	والفين من السمر الملاح عبيد
هااتوا الينا عليا وريا غيرها	والجارية أم محمد الصنديد
ولا فمن حيث أتيتم فارجموا	وعودوا سريعا قبل حرب شديد
فعندى صماكر لا تعد جموعها	وهى على ما يبين كره نزيد

(قال الراوى) فلما فرغ الغضبان من هذه القصيدة استحسنها كل من كان حاضرا من الأمراء والسادات والأمجاد ثم أنه ختمها وسلمها إلى عبده رشيد وأمره أن يسير بدون إهمال ويسلمها إلى الأمير حسن سيد بنى هلال فامتثل أمره وسار ووجد في قطع التفار وهو على ظهر ناقه سريعة السيد تسابق سورها البرى وما زال على تلك الحال حتى أشرف على تجمع من بنى هلال فنزل من على ظهر ناقته ودخل على الأمير حسن من ساعته فسلم عليه وقبل يديه ثم ناوله الكتاب ووقف على الحجاب ينتظر الجواب فلما فتحه وقراه واطلع على ما حواه انشغل باله وتغيرت أحواله فقال له أبو زيد علامك يا أمير حسن فإني أراك فى غم وتكدير فنأوله الكتاب ليقرأه فلما قرأ الكتاب وفهم ما تضمنه فى الخطاب أبدى بالاضحك والابتسام من ذلك التهديد والكلام وقال أنا أرد الجواب ثم أنه كتب يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه	ونيران قلبى زائدات وقيد
يا غاديا منى على متن ضامر	تقطع فيأفى برها وتعيد
لأذاجيت إلى الغضبان بلغ سلامى	وخاطبتنا بالغيط والتهديد
طالب بنات مكحلات نواص	بنات الامارة مثل ورد اليبيد
أما كنت تعلم يا خميس ورامم	أسود قروم هلال وكل حسيد
ورامم حسن أمير فليس	حامى الزناني من كل قرم عنيدي
ورامم أبو لكسايد بر بن فايد	على متن ضامر مثل نار وقيد
ورامم أبو موسى دباب بن غانم	على ظهر خطر الغزال تصيد
ورامم أبو ضرغام شيخ شجابتنا	سقة آلاف قومه وتزيد
أنا أبو زيد الهلالي سلامه	لخلى الفوارس على التراب مديد
وافنى أكابر كم وكل رجالكم	واجعل دما كم على التراب تزيد

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من شعره طوى الكتاب وأعطاه إلى الحاجب فأخذه ورجد المسير حتى وصل إلى مولاه وقراه وفتحته وعرف حقيقة خواه رقه وراماه وزاد حزمه وبلاه واغناط الغيط الشديد من الكلام القامى وفى الحال أمر ابن أخته ووزيره نمر الجارح وابن عمه الملك أن يجمع العساكر والابطال لمحاربة بنى

هلال فأجابه بالسمع والطاعة ودقت طبول الحرب من تلك الساعة فاجتمعت من كل جهة ومكان وكانوا نحو مائة ألف بطل فركبوا بالعجل وهم معقلون بالسلح وفي أيديهم الرماح وركب نمر الجارح الأسد الأساكر في مقدمة العساكر ووجدوا بالمسير كالمظية التي تطير قاصدين بنى هلال حتى اقتربوا اليهم فلما علمت بنو هلال بقدمهم عليهم اسعدوا الحربهم ونزولهم فدفعوا بطولهم بالعجل فاجتمع كل فارس وبطل ودخلوا على أميرهم حسن بن سرحان وهو جالس في الديوان وأعلموهم بما جرى فأمرهم أن يسيروا لقتال عساكر الغضببان فركبت الشبان في مقدمتهم الأمير أبو زيد وساروا مدة ثلاثة أيام وثلاث ليالي حتى التقت العساكر بعضها ببعض وهجمت بنو هلال بقلوب كالصوان وانقضوا على عساكر الغضببان كسكوا سر العقبان وأحاطوا بها من اليمين والشمال وفي الحال اشتد القتال وعظمت الأهوال وكانت وقعة تشيب الأطفال وتذعر قلوب الفرسان كثرفها القتل والجرح وجرى الدم وساح وفعل أبو زيد في تلك المهار فعلا تذكرك على مدى الأعصار وكذلك فعل الأمير دياب وباقي الفرسان والانجباب فانهم ثبتوا وقاتلوا وما قصروا واستمر القتال على هذا المنوال إلى أن صار وقت العصر وكان الأمير دياب وقد التقي بالأمير نمر الجارح وزير الغضببان وهو ينحى رجاله فتقدم دياب يريد قتاله فصدمه بمر في الحال بقلب أقوى من الصوان واشتد بينهما القتال في الميدان نحو ساعة من الزمان وكان نمر قد طعن خصمه بالسنان وقال خذها من يد فارس الفرسان ففعل دياب نعت بطن الخنضرا فراحت الضربة خابية بعد ما كانت صابية ثم ضربه بالدبوس الحديد فخاب أمه ولم يستفيد لأنه خلى بالعجل وهجم على خصومه هجوما القضاة المنزل وضربه بالدبوس على الخوذة فتألم وصار على حالة العدم فار تدرجاً إلى الوراء وندم على ما جرى وفي الحال هجمت بنو هلال على الأعداء من اليمين والشمال وأذاقوا الأهوال وقتلوا منهم مقلعة عظيمة وربحوا غنائم جسيمة وكان النهار قد مضى وزال وأقبل الليل بالأسودال فانفصلت العساكر عن بعضها البعض ونزلت كل طائفة في ناحية من الأرض ورجع الأمير دياب من ساحة الميدان كان شقيقه أرجوان بما أصابه من أدمية الفرسان ودخل على الأمير حسن في الصوان

وهو مسرور فرحان فالتقاء بالبشاشة والإكرام ولاطفه بالكلام وقال له كيف وجدت خصمك نمر الجراح أجاب من الحجاج جمع والسكنى نهار غد أقصر عمره واكفيك شره فشكره على ذلك المقال وباتوا على أحسن حال فلما كان من بنى هلال وأما ما كان من عساكر الغضباني فأنهم رجعوا من ساحة الميدان وهم في قلق واضطراب من قتال أوزيد والأمير دياب وكان نمر قد جمع الأمراء ومن يعتمد عليهم من السادات والكبراء وأخذ يستشيرهم في أمر الحرب والطعام فقالوا له من فرد لسان أعلم ياسيد القريسان أنه من الصواب أن ترسل الآن وتعلم خالك الملك الغضباني بما جرى وكان وتطلب منه مجدة وإلا وقعنا في الشدة فاستصوب رأيهم وفي الحال كتب إلى خاله يعلمه الواقعة أحواله ويطلب منه المعونة بهذا القصيدة:

يقول الفتى نمر الأمير الذي شكا	ودموع عيونى على الحدود تسيل
يا غاديا متى على متن ضامر	فاقصدا إلى الغضباني أمير جليل
وقل له يا أمير اسمع كلامي	وافهم فقال لا نسكن ذليل
فلما أتتنا جموع قيس وعامر	على خيلهم وهي السهول تسيل
ركبنا مطايانا وسرنا لنحوم	نزلنا عليهم مثل نار شعيل
صرخت أنا فيهم صرخة قوية	هجموا علينا مثل نار شعيل
فبادرتهم بالضرب والطعن والقنا	وصار الدما يجري كبحر النيل
وحاربهم مقدار شهر وأزود	من الصبح إلى النهار يميل
وهم يشيروننا ونحن نشيلهم	بسمر القنا والمرهفات صقيل
قتلوا فوارسنا وكل قرومنا	وعدت أنا خسران ثم ذليل
فانجبدنا يا خالك قبل أن تقتلنا	عساكر هلال وعامر وعقيل
فنفسى ألا يا خال في ضيق حالة	وتبقى أسانا للرجال تسيل
وتملك هلال بلادنا وديارنا	ومعود في أمر مهين قليل

(قال الراوى) فلما انتهى نمر من شعرة طوى الكتاب وختمه وسلمه إلى نجاب يقال له عقاب فأخذه وجده في قطع البراري والقيمان حتى وصل إلى عند الملك الغضباني فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه ثم ناوله الكتاب ووقف زمر الحجاب فلما

فتحه وقرأه وعرف حقيقة غزواه اغتاضوا تأثروا وظاير من عينيه الشرار وقد عظمت عليه الأحوال واقسم أنه لا بد أن يفنى بنى هلال ولا يبقى أحدا منهم ثم أمر بجميع العساكر للحرب والطلعان ولم تمكن إلا ساعة من الزمان حتى تجمعت الفرسان فركبت خيولها واعتقلت بسبورها ونصوها وركب أيضا مع الضرغام أخو نمر ووزيره النعسان وقصدوا بنو هلال بقلوب كالجلجال وجدوا في البرارى وكان عدد الفرسان خمسمائة ألف عنان (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء أما ما كان من نمر الجارح فإنه بعد انفاذا لحالته ركب فى ثانى الأيام بمجموع فرسانه وأبطاله وتقدم نحو بنى هلال وهو قاصد الحرب فتقابل الفريقان فى ساحة الميدان وتقدم الأمير نمر إلى معركة الطمان وطلب بروز الفرسان فالتقاه الأمير دياب وهجم عليه هجوم ليث الغاب وحالا اشتبك بينهما الحرب واخذ فى الطعن والضرب حتى ألقى عليهما الغيار وحجبهما عن أعين النظار فالتقاهما من بطالين وفارسين عظيمين وماز الأعل ذلك إلى قرب الليل فكان دياب أشجع من نمر وأعلم منه بمواقع الطعن وأخبر قطعته بالرمح فى صدره خرج يلمح من ظهره فوقع على الأرض قتيلًا وأيقنوا بالهلاك والدمار طالبوا الفراد وتبعهم جموع بنى هلال فلما نظرت عساكر الغضباني بما جرى وقد زادت عليهم المصائب والبليات وحكموا فيهم السيوف والنصال وقتلوا منهم عدداً كثيراً واقتسموا أموالاً لا تعدو بينهم سائرون وفى الغلاة متشتتون وإذا بخيار قد ظهر عليهم من جوانب القفار ومن خلفه جيوش وعساكر تبهر النواظر فلما اقتربوا منهم: أملاوا بالعيان وإذا هم بعساكر الغضباني وكانوا قد حضروا من الأوطان لمعونة نمر كما شرحنا الآن فلما رأت العساكر المنهزمة ملكها الغضباني وهو فى المقدمة تقدموا إليه وقبلوا يديه وأعلموه بكل حل فيهم من المصائب وكيف أن بنى هلال قتل نمر الجارح فلما سمع الملك الغضباني منهم هذا الكلام خرج عن دائرة العسواب وشيخرو ونحر وطغى وتجبر وقال بحق ديني ومعبودى لا بد من قتال جميع بنى هلال وأسر الحريرم والعيال ثم أنه جد فى قطع القفار وقلبه يتوقد بنار من جرى هذه الأخبار وقتل نمر الأعدا لكرارانه كان يحبه أكثر من الغير ويتمنى له كل نجاح وخبر ومازال يمدح السير حتى انتهى بالقوم فى ثالث يوم فأمر الفرسان بالهجوم فهجمت فى الحال والتقت بها بنو هلال بقلوب

قوية وهجم عليه وفي مقدمتها السادات والأعيان والأمير حسن بن سرحان واشتبك
الطعان بين الفرسان والتقى الضرغام بالأمير حسن وهو ينحى العساكر فالتقاء الأمير
بقلب أقوى من الصوان وأخذ يتضاربان نحو ساعة من الزمان وكان الأمير حسن قد طعن
ضرغام قاصدان يسقيه كأس الحمام فخلى من تحت بطن الجواد فراحت خاية ثم
اعتلى الضرغام على ظهر حصانه وطعن الأمير حسن بقوة جثائه فالتقاء بترس البولاد
فانكسروا وقع وراح أربعة قطع وما زال في هراك وصدام إلى وقت المساء فعند
ذلك دقت طبول الانفصال وراحت العساكر من ساحة القتال وباتوا يتحدثون
تحت مشيئة الرحمن ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الفرسان ظهور
الخيول واعتقلت السيوف والنصول تقدمت إلى ساحة الميدان للبراز والطعان
فتقدم الأمير ضرغام وطلب البراز والصدام فبرز إليه الأمير عقل وكان صاحب أدب
وفضل وهجم الضرغام بقلب شديد فالتقاء عقل بقوة وأخذ في الحرب وقد اشتد
الحرب بينهما وما زال على ذلك نحو أربع ساعات من النهار وكان الأمير عقل قد
استنظر على خصمه وهجم عليه وطعته بالرمح في صدره طلع يلع من ظهره فوق
الضرغام قتيلا وفي دمه جديلا فلما نظر الغضبان ماجرى استعظم الأمر وهجم على عقل
وفاجأه وطعته بالرمح يريد أن يعدمه الحياة فخلى منها عقل فراحت الضربة غائبة وما زال
في أشد قتال إلى أن قرب الزوال فرجعت بنو هلال في السرور والأفراح وعساكر الغضبان
بالهم والأتراح وأخذوا جثة الضرغام وأقاموا عليها النواح وكسروا السيوف
والرمح ثم كفنوه وبعد ذلك دفنوه ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب
بنو هلال الحرب والكفاح وأشهرت في يديها السلاح فالتقاء عساكر الغضبان في
ساحة الميدان طلب الغضبان برازة الفرسان ونادى أين الشجعان أين جبابرة الضرب
والطعان فما تم كلامه حتى صار الأمير دياب أمامه وصدمه صدمة مزعزع الجبال
وترتعد منها قلوب الفرسان فالتقاء الغضبان كالأسد وطربه بالسيف فالتقاء دياب
بدرقة البولاد فانكسر السيف ما أفاد ثم أن الأمير دياب طعن الغضبان فهجم على
الأمير دياب هجوم الصناديد فأشار بتهدده بهذه القصيدة .

ألا ما قال أبو موسى دياب بن غانم نيران فأي زائدات لهايب

أيا ملك الغضبان اسمع كلامي وافهم حديثي يا وغد الأعراب
أرسلت تطلب نوقنا وجمالنا ونسأنا مع بنات الكواعب
أما تخشى تطلب بنات حرائر بنات الأمارا فروع الأطايب
ألم تعلم بأغواء أن ورام ليوث حرب من هلال أطايب
فلا بد من قتلك في حد صارمي وتبقى دماك على الفلاة سكايب
ويبقى رجالك بعد موتك مشقته وتبقى نسائك راخيات النقايب
(قال الرازي) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه التما الفرسان كأنهما جبلان
أسدان كامران وتضاربا وتطاعنا بالرماح واشتد بينهما الحرب والكفاح وتمايلا في
ساحة الميدان وتعلمت منهما الفرسان حقيقة الضرب والطعان وما زالوا في حرب وقتال
تشبيب رؤس الأطفال إلى أن اخلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق
الملك الغضبان وقال له خذها من يد فارس الميدان وليث المعارك والطعان فغطس
دياب تحت بطن الخضر فراح الضربة خائبة ثم طعنه دياب بالرمح من قلب ملان
راح الضربة خائبة وما زالوا على ذلك وهم في أشد حرب إلى قرب المساء فدفقت
طبول الانفصال فرجعت الفرسان من ساحة الميدان وباتوا يتحارسون تحت
مشيئة الرحمن وعند الصباح برز الفرسان إلى ساحة الكفاح وطالب براز الفرسان
فبرز إليه أبو زيد ليث الميدان واقتتلوا طول النهار وفعلوا أفعالا تذهب الأبصار
ثم افترقا على سلام إلى المضارب والخيام واستمر القتال بين عساكر الغضبان
وبني هلال ستة عشر يوما على التمام وقد قتل من عسكر الغضبان عشرين ألف فارس ومن
بني هلال خمسة آلاف بطل مداعس وفي اليوم السابع عشرا تعدوا القتلى العسكر
فدفقت طبول الحرب وبرزت الفرسان للطعن والضرب وكان أول من برز إلى
الميدان الملك الغضبان وقال هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لي كسلان
ولا عاجز اليوم من الهزاهز فأمم كلامه حتى صار الأمير أبو زيد قدماه فالتقاه
الغضبان بقلب شديد وأخذهم في عراق وصدام وجرى بينهما في ذلك النهار قتال
شديد يذهل كل صنف من أشد الفرسان وأقدرهم في ساحة الميدان وكان يعد
نفسه في ساعة الطراد من طبقة عترة بن شداد فلما رأى أبو زيد قوة حربه تأخر
من أمامه فعند ذلك صاح الغضبان على الفرسان بالهجوم على بني هلال فهجم العساكر

فالتفتها بنى هلال واشتبك القتال فما كنت ترى إلا رؤوساً طائرة و فرساناً غائرة
و كانت بنو هلال قد قصرت في القتال وانكسرت أشد انكسار وانسدت في
وجهها أبواب الانتصار وأيقنت بالهلاك الدمار فتأخرت ثلاثة أيام إلى الوداء
وعساكر الغضبان تتبعهم في تلك الصحراء وفي اليوم الرابع اجتمع أبو زيد
وسادات بنى هلال وقال لهم فقد سلحت أموالنا وفقدت أبطالنا ورجالنا فما
هو رأيكم أيها الأعيان في قتال الملك الغضبان فقالوا الرأي هو عندك يا أمير
فما فينا من مخالف لك حتى ولا الأمير حسن فقال الرأي عندي أن نقيم بنى هلال
في أربعة أقسام ونهجم على الأعداء من أربع جهات ونسد عليهم جميع الطرقات
ونكون الجازية في أول المماريات مع باقي النساء والبنات وأهجم أنا من جهة الشمال
والأمير زيدان والأمير حسن والقاضي بدير من جهة الجنوب وبقي الأبطال ونقاتلهم
أشد قتال ولا حل بنا إلا القتال فاستصوبوا هذا الخطاب لأنهم رأوه من الصواب
(قال الراوى) ولما أصبح الصباح ركبت الفرسان للحرب والكفاح وانقسمت
بنى هلال أربع فرق واعتقلوا بالأسلح وهجموا على عساكر الغضبان كليوت الغاب
وكان السابق الأمير دياب فصاح وزعق على الفرسان وانطلق وحكم سيفه في
الهجمات والصدور وتبعه آخره زيدان بكل فارس مشهور وحاوله على الفرسان بقلوب
أقوى من الصوان وجندلوا الأبطال في ساحة الميدان ولما أن رأى الغضبان ما حل
بقومهم من الحوان استعظم ذلك الشأن فجعل ينهى الأبطال وتقدم هو بنفسه وقد
هانت عليه المنية في بلوغ الآمال وضرب فيهم بالخصام وتبعه الفرسان من خلف
وقد لم يتزاحم الميدان وثبت الشجعان وفر الجبان وقطرت الدماء وحجبت الغبار
وجه السماء فبينما هم على ذلك وإذا بغبار قد ظهر وبان من تحته جيوش وعساكر
وأمام الجميع الأمير حسن بن سرحان وهو ركب بنى دريدو أبو زيد بنى زحلان
والقاضي بدير بباقي الرجال والشجعان ومن حوله السادات بالبيارق والرايات ولما
اقتربوا على الميدان هجموا على عساكر الغضبان من كل جهة ومكان واشتد القلب
دياب بقدم القوم وأمل بالنصر في ذلك اليوم فقاتل أشد قتال وهكذا فعلت بنو هلال
هذا وقد التقت الرجال وجرى الدم وسال وكان يوماً شديداً لم يسمع مثله في
سابق الأجيال فلهذا در بنى هلال فاتها نعت لموت الأسد وكان الملك الغضبان قد

برز إلى الأمير دياب وهو غائب عن الصواب وكان دياب يدور حوله مثل الدولا به وهو ثابت على الحروب والجلاد كأنه طود من الاطواد فعند ذلك تقدم الأمير حسن والأمير أبو زيد والأمير زيدان ومجموعا هجمة رجل واحد على الغضباني وأحاطوا به من جميع الجهات ونزلوا عليه بضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات وهذه القصة انما كان على دياب القتال فقدم السنام ومجموع على الملك الغضباني كأنه قضاء الرحمن وقال له خذ هذه الطعنة من يديك الغاب وقارس الاعراب الأمير دياب وطعنه بالرمح في صدره خرج يلعن من ظهره فوقع على الارض قتيلًا فلما رآه الرجال استبشروا باسعدوا الاقبال وقالوا لله درك من فارس فتاك فلا شئت يداك وشئت بك أهداك وقد تهلك النساء والبنات وقد أظهروا الافراح والمسرات وصاحت الجازية مع البنات المخدرات لا هدمت لك يا فارس الحضرة أو أغرسادة الوري فقد خلاصتنا النهار وأكسبتك بفعال الشرف والفخار فدحمن الأمير دياب على المديح والخطاب ثم انخط على الأبطال ففرقها مع العيين والشمال وتبعه ابن زعي وشجيمان بنو زسلان ومجموعا على عسكر الملك الغضباني بقلب أقوى من الصوان وكانت عساكر الغضباني لما رأت ما سكرهم أقدمت وحلت بها الآفات ضعفت عزيمتها وقلت همتها وأيقنت الهلاك والبوار فلولوا الأدبار وأدركوا إلى الحرمة والفرار فتيبهم فرسان بني هلال من أسود الرجال رقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكسبوا غنائم ذات قدرة وقيمة وكانوا قد تبعوهم إلى الجبل وحكمروا أجناسهم الصارم المندفهبوا الأموال وسبوا الحرير والعيال وبعد ذلك رجعو إلى الخيام وقد باغوا المرام وزالت عنهم الأوهام ثم أنه حضر ابن الملك الغضباني وكان اسمه عبد المدان إلى عند الأمير حسن بن سرحان وبعميته الأكبر والأخيان وطلبوا منه الامان فأجابهم إلى ذلك الشأن وعاملهم باللطف والإحسان وخلق عليهم الخلع الحسن وبعد ذلك ولوا بالأمير عبد المدان حاكم على تلك الأوطان فكان أبوه وقامت بنو هلال في الأوطان خمسة أيام على التمام واليوم السادس دق طبول الارتحال فركبت الفرسان بالحرير والنسوان وصاروا يقطعون الآفاق بدير العراق حتى وصلوا إلى بلاد العراق .

تمت هذه القصة ويلها قصة الست زهرة بنت الملك التمر لتيك ووزيرها اسكندر

قصة الست زهرة بنت الملك التمرلنك

هو وزيره إسكندر وما حصل لهم مع الأمير صبره بن الأمير أبو زيد
من الحروب والأهوال وفيه ما كان من الخنزاعى والملك بدريس
وما جرى له من الأمور الغريبة والحوادث العجيبة وأخبار الملك
الحراس وأسر دياب بالتقام والسكال
والحمد لله على كل حال

(قال الراوى لهذه السهرة العجيبة) بأن بنى هلال الماقتات الغضبان ووات ابنه ملكا
على بلاده ورحلت عن الديار طاباة بلاد العراق فلما وصلوا اليها وجدوا أن الحاكم
على تلك البلاد رجل من الأجواد قد اتصف بالجود والكرم وبالفضائل وحسن
المآثر يقال له الخفاجى عامر يحكم على البصرة وبغداد والموصل والعراق وما إلى
تلك البلاد وكان عنده من الأبطال والفرسان نحو مائتى ألف عنان فيبها هو جالس
فى الديوان وحوله الوزراء والأعيان إذ قد دخلت عليه الرعيان وقالوا له اعلم
يا ملك الزمان أن بنو هلال قد دخلت ديارنا وأكلت من ثمار بسايتفنا وأشجاره
وهم كالجراد المنتشر لم يعرف لهم أول من آخر وقد هربت من أمامهم الرعيان
وتركت النوق والعضلان .

(قال الراوى) فلما سمع الخفاجى هذا الكلام صار الضياء فى عينيه
كالظلام وانتفت إلى الأمراء وأكابر الرجال وقال لهم ما قولكم فى بنى هلال
فعند ذلك تقدم الوزير عميدة وأشار يقول :

يقول الفتى المسمى الوزير عميدة	أيا أمير اسمع لى ترى أفكارى
يا أمير ارسل للأمير أبو على	وأبو زيد والرغبي وكل كبار
ليأتوا بعشر الممال والخيل والعضى	والبوش يأتى لك مع الابكار
كل السراى والجوارى وغيرها	وما يملكوا من فضة ودرارى
فإن أرسلوا لك ما أنت طالبه	من الخيل والأموال والأعشار
فدهمهم يحوزوا يا أمير بلادنا	ويرعوا من أرضنا ويسار

فهذا كلامي يا أمير ونهيتي والشور عندي أحسن الاشوار
(قال الراوي) فلما فرغ الوزير من هذا الشعر والنظام قال الخفاجي هذا هو الصواب
الامر الذي لا يعاب ثم كتب إلى الأمير حسن يطلب عشر الممال والنوق والجمال
وطوى الكتاب وختمه وأعطاه لوزيره سلام ليأخذه إلى حسن ويطلب منه المطلوب
بالكمال والنظام فأخذه وقطع الروابي والتلال حتى وصل إلى نجوع بني هلال فدخل
على الأمير حسن بن سرحان وناول له الكتاب ووقف بقرب الباب فلما قرأه وعرف خواه
اغتاظ من ذلك التهديد وخاف من عواقب الأمور وقال للجمهور إن الذي كنت
أحذرونه وقعنا فيه والله أعلم ثم أمر بأخذ الوزير إلى دار الضيافة حسب العادة وقرأ
الكتاب أمام الحاضرين وطلب منهم الرأي والإفادة قالوا الرأي عندك فاعل ما تريد
برأيك السيد فقال مرادى أن أرسل له كتاب منطوى على المودة والاصطحاب وننظر
ما يكون من الجواب فقال الجميع هذا هو الصواب فعند ذلك كتب الأمير حسن إليه يقول

أيا غاديا منى على ضامر	يسبق صيد الطير إن كان طائر
إذا جيت نحو الكيسة وأرضها	فاقرأ سلامي الخفاجي عامر
وقل له قال الأمير أبو على	حاشا لملك يبنى المناسكر
تريد بناتنا يا خفاجي وما لنا	وتم تريد الخيل ثم الأباقر
وقد شاع ذكرك في البلاد جميعها	وكفك سخي الجود يا ابن الأكابر
ومح يا أمير لنا بالغرب سادة	بأرض الزناني يا ملك بالمعناذر
وجينا جميعاً يا أمير لأجلهم	لكي تخلفهم بضرب البواتر
ومح ضيقك يا خفاجي اهتدى	بجاه النبي فخر الورى والعشائر
فدعني ثلثي النخير بدرينا	حتى نصل للغرب وأرض الجزائر
يا أمير نحن نحت حكك وطلاعتك	فافعل بأصلك يا خفاجي عامر

(قال الراوي) فلما فرغ الأمير حسن من هذا الشعر والنظام طواه وأعطاه إلى
الوزير سلام فأخذه وسار حتى أشرف على الخفاجي عامر في آخر النهار فأعطاه
الكتاب ففتحه وقرأه وعرف خواه وسمعه من كان حاضرا من السادات المكرام
قال له أبوه درغام جواب بني هلال أحلى من المالد الزلال فقم اهزمهم وترحب بهم

نحن إليهم سائرين بسرعة والله يفعل كل ما يختار
قد علمنا جودك وفيض مكارمك يا قاهر الفرسان يوم الغار
فلما فرغ الأمير حسن من كلامه والخفاجى والأمير درغام يسمعون رقة شعره
ونظامه فالتشرح خاطر الخفاجى عامر وتقدم بعده الأمير درغام وأشار بترحب ببنو
هلال (قال الراوى) ثم ركبت بنى هلال مطاياهم والخفاجى عامر ودخلوا البلد فى
فرح وسرور وتفرقت عرب بنى هلال فى تلك الاراضى وأما الأمير حسن والسادات
فبقوا عند الخفاجى عامر على أكل طعام وشرب مدام وفرح وسرور مدة ثلاثة شهور
وهم على أحسن حال فاتفق فى بعض الأيام أن الخفاجى أولم وليمة عظيمة دعى إليها
الأمير حسن وسادات بنو هلال الأكابر حضرتها النساء والبنات وجميع السادات
وبعد أن أكلوا ولذوا ودارت كاسات المدام على من حضر فى ذلك المقام
وكانت البنات والنساء الحرير يشرن على اسم الخفاجى إلى أن انتهت التوبة على
الجازية وكانت بديعة الجمال فصيحة المقال تقدمت إلى الخفاجى تصف له محاسن
بنى هلال وما خصهم الله من اللطف والكمال والظرف والجمال وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى الجازية ونيران قلبى زيدات اشعال
إن الامارة يا أمير لبناتهم من الظبا والحسن والاشكال
أما جمال الطمن بنت سلامه الوجه منها مثل بدر تمام
بنت أبو موسى دياب الماجد فعيونها يا أمير كعين غزال
بنت قاضينا بدير الفايده تشبه غزالا بالافلاحة جفال
بنت أمير البوادي أو على شبيهة البدر فى بهاء وجمال
أنظر يا أمير لحسنى فانى أجمل واللطف من نساء هلال
قد شاع ذكرك بالمكارم والسخا وبكل فضل شامع وجمال

(قال الراوى) فلما فرغت الجازية من هذا الشرح والوصف شكرها الخفاجى
على شعرها ونظامها فلما فرغوا من هذا الطعام وشرب المدام نهض الأمير حسن على
الأقدام وشكر الخفاجى على ذلك الإكرام وقال له فى آخر الكلام وأريد من أفضالك
أن تشر فى غدا بجميع رجالك لاجل أكل الطعام وشرب المدام فأجابته إلى ذلك
المرام ووعدته بالمسير فى ثمانى الأيام وقد أولم الأمير حسن وليمة عظيمة لما قدور

حديقة ذبح فيها ألف رأس من الاغنام واحضر فيها مائة صر فكانت من اعظم
الولائم لم يسمع مثلها في الاعارب والاعاجم حضر فيها الخفاجي عامر وقومه
وسادات العشائر فلقيه الامير حسن بالترحاب وبعد ذلك جلسوا على مائدة الطعام
ودارت بينهم كاسات المدام فطربت الامراء والسادات والبنات اصوات ورقص
المغاني ولما فرغوا من الطعام جلسوا للحديث والكلام فعند ذلك التفت الامير
حسن إلى الخفاجي وأنشد هذه الابيات على مسامح الامراء والاكابر :

مقالات الفتى حسن المسمى	أبو مرعي فزال الهم عنا
نظرنا منك يا عامر جميلا	ومعروفاً وأطافاً وإحساناً
فدستورك يا أمير عامر	زماناً في بلادك قد أقمنا
ورانا حاجة يا أمير نازم	إليها قاصدين ولو قتلنا
فلولا يا فتى مرعي ويونس	ويحي وسط قابس مارحانا
لك الافضل اطلب يا خفاجي	لك الأرواح يا عامر تمنا
فبقى من بنات هلال أربع	عطيه من أبي مرعي ملكنا
فهذه هي عطر بنتي يا مسمى	وهذه بنت أبو زيد المدكنا
وأنت دياب وطفه يا خفاجي	وبنت قاضي العربان تسكنا

فلما فرغ الامير حسن من شعره وفهم الخفاجي لحوى شعره ونظامه قال والله
يا أمير حسن أنت صاحب الفضل والمن قد شرفتنا فرأى عنا السكدر وطابت
يقدمكم المهج والقلوب ميم أشار اليه يقول وعمر السامعين يطول :

مقالات الخفاجي في نظامه	أبا مرعي لك الإكرام منا
وفيكم حلت البركة علينا	رضا الحى فيكم يا مكى
وليس أريد منكم يا هلالى	بنات ولا جمال ولا أسنة
فليتك دائماً يا أمير قيس	مدا الأيام في خير منا
فليتك يا فخر قومك	وقد رديتها من غير منه
فسكدرت الخواطر في رحيلك	ومن وقت اجتمعنا ما زعلنا
فلا بد لى أن أذهب معاكم	إلى أرض المغارب يا مكى
أحارب معكم جيش الاعاجى	بحد السيف يا حسن المكى

فلما فرغ الخفاجي من الشعر والنظام وأكلت قوم الخفاجي وهلال من مرأته الطعام أمر حسن بالرحيل بعد ثلاثة أيام فقال الخفاجي لا بد من مسيرهم معكم إلى تونس وأبذل معكم المجهود في استخلاص مرعى ويحيى ويونس فلما سمع أبوه الضرغام منه هذا الكلام لم يبن عليه ذلك الأمر وقد اشتعل قلبه بالهيب الجرل أنه كان يحبه محبة زائدة وليس له صبر على فراقه ساعة واحدة فلم يقبل الخفاجي وطلب من ابنته وزوجته أن يذهبا معها في تلك الديار ويتركان الحى فامتنعا عن المسير وبكيا بدمع غزير ثم تقدمت ابنته ذوابه وأشاوت قنبيه عن السفر ونقول :

نقول ذوابه يا أبى لا تسافر فترك الأهل فى هنا ومصاعب
فألك يا أمير فى الغرب حاجة ولا لك فىها مال ولا أسباب
ولا أمار عندك الزناتى خليفة ولا دم لك ولا أصحاب
فكيف تشتتا وتطلب بعادنا وتبقى ضواحي فى هنا وحساب
وتبقى الهالين مجموع شلهم ونحن بلا أهل ولا أصحاب

فلما فرغت ابنته من كلامها وسمع الحاضرون فحوى شعرها ونظامها زاد البكاء والنحيب من ذلك الأمر الغريب وتقدمت بدمها امرأتها وأشارت تقول :

نقول فتاة الحى هى التى شكت ولى قلب من كثر الغباين داب
روحك ألا يا أمير ما فيه فايده وقصدك بلاد الغرب ليس صواب
فدع أبو زيد الهلالي سلامة وحسن الهلالي والأمير دباب
فكيف نخلى يا أمير بلادك وتبقى قصورك خاليات خراب

(قال الراوى) وبعد ذلك حضرت جميع الولاة وسادات العشائر لوداع الخليفة عامر فودعوه بالبتكاه والنواح ودعوا له بالتوفيق والنجاح .

(قال الراوى) وبعد هذا الحديث والكلام بثلاثة أيام أمر الأمير حسن يلقى طبل الرحيل والاستعداد والسفر من تلك البلاد فعند ذلك مدت المضارب وركبت للفرسان ظهور الجنائب واعتقلوا بالسيوف والنصول وقد ملأوا بالبكرتهم تلك السلول وركبهم النساء والبنات فى الهوداج فاصدين بلاد الغرب وتلك الجهات وأمام الجميع زوجة الخفاجي وابنته والحمازية ونساء الأمراء والسادات وكان الخفاجي من أفرح البشر

في هذا السفر (قال الراوى) لما قتلت بنى هلال ملوك العجم كان الخرمند صهر
التمر لذك حاكم بلاد الموصل فلما قتل الخرمند أرسلت زهرة لاجوها كتاب وأعلمته
بقتل زوجها فلما سمع التمر ذلك السكلام صار الضياء في وجهه ظلام وغضب غضباً
شديداً وليس كل شئ أحمر وطلع إلى الديوان وهو بالغضب مليان وكان له
وزير من جملة وزرائه اسمه اسكندر فلما تكامل الديوان أشار يسأل الملك عن غضبه
فأخبره بحلية الخمر وما كان من قتل خرمند وما كان من بنى هلال بالتمام والكمال
فلما انتهى الملك من كلامه والوزير والقوم يسمعون فقام من بين الوزراء
وزير وقال له يا ملك الزمان أرسل للبلاد واجمع العساكر ودعنا نلاق بنو هلال
فأمره التمر لذك أن يأخذ معه ألف مقاتل وقال له سير بالعساكر واحتفظوا حالكم
وكونوا رجال فسار الوزير اسكندر بالعساكر إلى أن وصل مكان يقال له القصر
فوجد فيه تجار آتين من بلاد العجم فسألهم من أين أتيتم وإلى أين متجهين فقالوا
من بلاد العجم إلى هذا المكان فاستدعى كبير التجار وكان اسمه كمال الدين وقال
له ماذا سمعت لنا عن بنو هلال فأخذ يوصفهم له .

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والوزير يسمع فقال لهم الوزير الراى عندنا
نرسل ماثنين فارس إلى بلاد الزهاوي يكشفون لنا الخبر ونحن نبقى هنا حتى يأتي الملك وإذا
قال لنا لماذا ذهبتم تخبروه بأن اتانا علم بأن بنو هلال نازلوا في بلد جاكده ونحن أرسلنا
لهم رواد يكشفوا لنا خبرهم وبقينا ننتظرهم فقال الجميع هذا هو الراى الصواب
اسمع للتمر لذك فإنه بعصف المكاتب إلى جميع البلاد بجميع العساكر وضبط عددهم
انقام أربع كرات وجابوا معهم المدافع وأحضر ابن أخته شروان وقال له احكمه وضعي
حتى أحضر لك وطفا بنت دياب فقال له هلى الرأس والعين ثم انه سار بالعساكر والجيش
يقطع البرارى والغفار والسهول والواو غار حتى وصلوا إلى بلاد الفرقة التي نازل فيها
الوزير اسكندر فلما وصل الملك للملاقاة الوزير وسلم عليه فقال علامك فالقمة يقوم هلال
فحكى له ما صار فعند ذلك غضب الملك غضباً شديداً وراوده الهم والتشديد أمر بقتله
فتتبعوه فيه ملوك العجم من القتل فصنع عنه ثم انهم ساروا إلى أن وصلوا الرأس والعين
ونزلوا في ذلك المكان قال اسمع ماجرى لبني هلال فإن الأمير حسن رأى منام هائل في

الاحلام فلما أصبح الصباح استدعى أبو زيد دياب والقاضي بدير وكل الامراء يخبرهم
بالمنام يقول :

يقول الفتى حسن الامير ابو على
يا قوم اسمعوا لى فصتى
شفت فى نومي مناماً رعبى
قد شفت لآل عامر كلهم
ترا با فى مركب بالبحر سايره
والريخ جالنا من شمال بلا خفا
من ساعته جتنا سباع كواسر
وكان عاد مركبا وسط البحور
عدنا جميعا اوسط لجة كلنا
أما السباع توردوا من حولنا
هو أن ماء البحر أحرقت مهجتي
يا غيمر قوم فسر لى المنام

فلما فرغ حسن من كلامه هزوا الحاضرين رؤوسهم وقالوا لاهول ولا قوة إلا بالله
العللى العظيم قال فتقدم أبو زيد والتفت خلف ابنه صبرة وأتى به فقام وضرب تحت
الرمل ورسوم الاشكال على شرح الحال فشاف الاله والفيكى بكاء شديدا وأشار يقول :

يقول أبو زيد الحلالى سلامه
وغيران قلبى كلما أقول تنطقى
من أجل منامك يا أمير أبو على
ولا أظن مثلى قارىء العلم دارس
من أجل منامك سار فى القلب
رباع أنا يا أمير أفسر منامك
وقد شفت حالك فى بحر من الدما
وذاك بحر من المنا يارجالنا
بدمع جرى من فوق الخدود سكب
لها بين غيب الضلوع لهيب
دعى فى ضميرى لاعجا ولهيب
وربى على كل العباد رقيب
سره وقد عوت يا أمير منه مريب
وما قد جرى لك فى كلام عجب
وأنت بموكب زيد الثقليب
نغوضه ونحن فى بكاء ونهيب

وهذا ترانا نبتلى بشداد
أما السباع تأتينا قبائل
ويأمنوا الفوف سدت القاع والأفلا
ونحن نخاف من العرب لاحقينا
ولن جاء إلينا لقتله مع جموعه
مقال أبو زيد اللال سلامة لا بد يجرى المقدر بلا تكذيب
ويأمنوا جري كل أمر عجيب
من أرض بعيد مثل نار طيب
ويأتونا إلينا واكبينا جنيب
أميرهم تمرنك قوم صعب
ندعهم بالماضيات ذهب
لا بد يجرى المقدر بلا تكذيب

فلما فرغ أبو زيد من كلامه قال لهم كونوا على حذر من الغدروا الأفكار فلو
جيوشهم وأخذوا حذرهم من الأعادي وباتوا إلى الصباح حتى صارت وقت الضحى
أقبل عليهم أحد فقال أبو زيدا أمير دياب أهزل من قومك ألف ومن بني زغبة
ألف ومن عرب القاضى ألف ومن قوم حسن ألف ومن بني هلال إثني عشر ألف
ونسلمهم الضمن وتجمعهم أربع فرق من كل فرقة أربعة آلاف فارس قال فرجع دياب
إلى الضمن وفعل مثل ما قال أبو زيد وجمعوا الأمراء عند الأمير حسن فقال كيف
الراى عندكم قال الراى انك ترسل كتاب إلى التمرنك وإذا بالأمير دياب كان مسيره
بالطريق نظر رجال آتين من ناحية التمرنك مسكهم دياب وأتى بهم الأمير فقالوا
ها هذا يا دياب قال لقيتهم في البرية فقال حسن أنا أكتب كتاب إلى التمرنك وأرسله
مع واحد منهم ثم أشار يرسل إلى التمرنك يقول :

يقول الفتى حسن الأمير أبو على
ونيران قلبي كلما أقول تنطق
نعم أيها الغادى على متن ضامر
إذا جئت نحو التمرنك بلا خفى
وقول له يقول الأمير أبو على
فأنا ترانا سايرين مغربا
إلى الغرب نبغى يا أمير بلا خفا
ففى الغد نرحل يا أمير عنكم
فما رضى الديبى بن مزيد
بدمع جرى فوق الحدود يسيل
تهب لها حوا الضلوع شميل
تقبه غزال بالفضلا جفيل
أمير على العجمان أمير ثقليل
أمير ابن أمير سيد وفضيل
ولا نحن عليكم رايدون نزول
وأولادنا فى وسط قبل ثقليل
ولا لى عليكم زايد التويل
دعينا بلادنا بلقما ودميل

ومن بعده جبين العجم بطعنا
وقد جعلنا الخرمند هو وقومه
فإن طعننا أقصر وأرجع لورى
ما قال الفتى حسن الأمير أبو على
ولما انتهى حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأعطاه إلى الذين
حلبهم الأمير دياب وقال لهم أعطوه إلى التمر لك وأخذوه وساروا حتى دخلوا عليه
وقبلوا يديه وأعطوه الكتاب أخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه أطرق رأسه في
الأرض وقال مرادى أرسل لهم الجواب وأطلب منهم عشر الممال والخيل والجمال
والبنات الحسن وفي الحال استدعى بقلم وقرطاس ودواة وأشار يكتب ويقول:
يقول التمر لك على ما أصابه
من أجل كلام البدو يا قرومنا
أرسل لنا ابن سرحان كتابه
يهدد بالحرب والحرب مقصدي
هل يحسبوني أخاف من كلامهم
أيا غادياً منى على متن ضامر
إذا جيت إلى حى الأمير أبو على
سلم كتابي إليه بلا بطلا
يسمع ويقصر عن كلامه بلا خفا
وأرسل لنا بنات هلال حامر
من قبل ما تأنيك جحافل العجم
وباع قداح والأمير مشعشع
وسادتنا ميتين ألف ومثلها
ما قاله التمر لك أنا أبو شمله
فلما فرغ التمر لك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وكان عنده عبد اسمه
اللماس لكن شديد الهأس صعب المراس فقال يا الماس خذ هذا الكتاب إلى حسن

أمن مرحان أمير العرب أن وصل له رسل نصف مال بني هلال والنصف الآخر بحشيش
فأخذ الأمير الكتاب وصار حتى وصل إلى عند الأمير حسن ودخل عليه وقبل يديه
وأعطاه الكتاب فاخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه فغضب غضباً شديداً وقال
إلى قومه كيف يكون الراي عندكم يا أمارة فتقدم الأمير أبو زيد وأخذ
الكتاب وقرأه ورماه في الأرض وأشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه لي دمع جرمه فبق الخدود سكيها
من أجل كلامي قد فاضت مدامعي وعدت أقاسي من كلامه نحيها
أرسل يريد المال هنا غصبيّة جموع هلال تأتيه اليها جديها
فيمسّل يهدونا بطعن وغيره وما يعلم أين من الباع هريها
فنحن رجال الحرب في يوم غارة بيوم يعود الدم يجري سكيها
فيسكم من ملوك كبار شدت شملهم وراحوا من سيفي يقاسوا لهيها
أيا تمرلك أجمع الأعاجم وارتحل لأرضكم سافر فالك نصيها
أنا أعلمك عن آل قيس وطامر وآل زغب خلاني أجبيها
إن طعنتي أرحل بقومك يا فتى نحن سباع الفلا ثم ديبها
من قبل ما تطلق بكم نار حربنا مغرور يوم الكوز من يقدر يصيها

فلما فرغ أبو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه وأعطاه إلى العبد فأخذه وسار
حتى وصل إلى عند التمرلك ودخل عليه وقبل يديه وأعطاه الكتاب فأخذه وقرأه
وعرف رموزه ومعناه وغضب غضباً شديداً وزاد به الغم والتفكير ثم أن
التمرلك استدعى الوزير اسكندر وقال كيف أعمل العربان ما يعطونا حسب
طلبنا وحيات رأسي لأصدم حصيد وأجعلهم يا البراري شريداً قال له الوزير ما هو
الجواب يا ملك الزمان فقرأ عليهم ثم قام الوزير اسكندر وقال دعني يا ملك الزمان
أكتب الجواب إلى الأمير أبو زيد فقال الملك لا يلزم الجواب وبأكر نصلي
عليهم نار الحرب ونسقيهم كأس السكر ولثاني يوم ركب الأمير أبو زيد وأشرف
على القوم وآم مقبلين مثل الجوارد لناشر ما لهم أول من آخر ولما نظرهم أبو زيد
وجع وأخبر بني هلال بهذه الأبيات :

قال أبو زيد الهلالي سلامه يا حسن جنتنا العجم تمشى سريع
يا ملك جانا التمرلنك قاصداً من فاق شعر يا أمير تلميع
والخيل من خلفه كبار غير صغارهم دوارع وسيوف تلمع لميع
عشر ملوك كبار غير صغارهم والتمرلنك في قومه جانا سريع
أيا دياب اركب وانقض عاجل واجعل الاعجام أن يغدوا قطيع
قال الراوى وهم بالكلام وإذا بالعجم أقبلت مثل الجراد فركبت بنى هلال
ولا قوا الاعجام ثم لنهم وقفوا بجانب بعضها البعض فنزل وزير من وزراء
التمرلنك إلى ميدان اسمه دخان عرض ويان وطلب الفرسان وصاح على بنى هلال
هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز كسلان ولا عاجز ما في حومة الميدان الا الوزير
دخان فما تم كلامه حتى صار القاضى بدير قدامه وأرعى العمامة وصدمة صدمة
هائلة فقال له من تكون من الفرسان حتى جيت تصادم الوزير فقال له أنا قاضى
العربان ثم التفتوا البطلين كأنهم جبالين وافترقوا وزعق على رؤوسهم غراب البين
ونار الغبار على رأسهم حتى شدا لا قطار وقد دعت حوافر خيولهم نادر ما زالوا
على تلك الحالة إلى آخر النهار فزعق القاضى في وجه دخان مثل الرعد القاصف
ثم انه ضربه بالرمح فأخذها دخان بالترس البولاد واح ضرب القاضى خايبه
فارتد الوزير وضرب القاضى بالترس فشطع على رقبة الجواد برها كايبرى الكاتب
القلم فأراد أن يكمل عليه فأدركه الرياشى مفرج فاركبوه جواد والتفت الرجال
بالرجال وجرى الدم وسال إلى وقت الزوال فعندما دقت طبول الانفصال وكل
هاد إلى حيه والاطلال ولما أصبح الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح وركب
التمرلنك بقومهم وركب بنو هلال وخرجوا حومة الميدان واصطفوا في جانب
بعضها البعض فبرز الوزير دخان إلى حومة الميدان ونادى على الفرسان وقال
لا ينزل إلا الأمير مرجان فما تم كلامه حتى صار الأمير دياب قدامه وقال له منه
فمك لمن الله أبوك وأشار يقول :

قال أبو موسى دياب بن غانم دخان أعوى من قبال هزيم
فر بنفسك وارجع يا فقى أنا أبو وطنفا ما أنت لى خصم

ما الوقت تنظر همى لادعيك شطرين في صيف قسم
 انزل إلى الميدان بادرنى سريع وانظر إلى طغى كئار جسيم
 ما الوقت أسقيك من سقى عذب وادعيك من فوق الوطن عديم
 اقطع رأى عاجلا في ضارلك وادعيك من فوق الوطن عديم
 وأفى عساكركم أيضا والملوك أما التمر لك أجعله عظيم
 قول الفتى الوغى دياب بن غانم لا بد ما أسقيك كأس حميم
 رد الفتى دخان في حرب الهمم اسقى الاعاوى من يد كأس حميم
 والسيف في يدى ترانى شامعه هندی يكاد يقطع الصخر المنيم
 لابس على درع داودنى هجيب وخوذتى تنهى كما همم العظيم
 تحنى حصان ثابت عند الفا موصى عليه من خيل المعجيم
 كم من أمير قد قلته بالوغى قد راح عنى فى الوغى أصبح عديم
 (قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه التقوا البطالين كأنهم جبابين وحان عليهم
 الحين وغى على رؤوسهم غراب البين وافتروا كأنهم أسدين فعند ما ضرب دخان إلى
 دياب بالسيف أخذها بترس البرد راحت خايبه بعد أن كانت صابية ثم أن دياب
 انحدف على دخان وكان معلم الخضره إذا صاح فيه الفارس وكان من وراءه تضربه
 الخضره بالجوز فلما انحدف على الدخان وأراد أن يضربه التفت دخان من وراءه دياب
 يريد ضربه وإذا بالخضره ضربه بالجوز رفته هو والجواد على الأرض فزول له
 دياب وشده كثاف قوى منه السواعدوا الأطراف وأخذه أسير بجره من وراءه إلى
 أن وصل لعند الأمير حسن فقال ما هذا يا أمير دياب فقال هذا دخان الذى قتل
 جواد خال القاضى بدير وقتل من بنى هلال ستة عشر فارس قال حسن والله هذا
 ما يتسخر فيه أن يقتل ثم أن حسن أمره بخلعة سنبيهة ولبسها إلى دخان وقال لا تخف
 وعليك الأمان إن رحمت عند التمر لك مع السلامة وإن بقيت عندنا حلت البركة
 فقال الوزير يا ملوك الرومان إذ رحمت إلى عند التمر لك ما أعود أقدر أنزل إليكم
 وإن زلت إليكم يقتل التمر لك والآن أنا بقيت أحدهم فقلت حسن حلت البركة فقال
 يا ملك الرومان لى ولد عند التمر لك فقال دياب أبشر أنا أجيب لك إياه فبقى دخان
 عند بنى هلال اسمع ما جرى من قوم التمر لك فانهم لما أصبح الصباح ركبوا وركب

ابن دخان وكان اسمه سكران فنزل إلى الميدان وطلب براز الفرسان فنزل إليه دياب وقال له من أنت فقال أنا سكران بن الوزير دخان وأنت أسرت أبوي قال دياب فقم اليوم الحفك به ثم التقوا البطلين كأنهم جبالين وافترقوا كأنهم مركبين وحن عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين من طلوع الشمس إلى الغياب ودياب ما يسخى بقتله إكراماً لأبوه فناموا على ذلك الحال إلى أن أمسى المساء ودقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم وكل منهم طلب أهله وباتوا إلى الصباح فقتلوا الاثنين الحرب والكفاح وتحاولوا في الميدان من الصباح إلى المساء فقال دياب وإلى متى وأنا أطاول روحى وسحب الدبوس وضرب به سكران أرماء على القيان ونزل إليه وشده كفافه وعاد به عند أبوه الوزير دخان فضمه إلى صدره وقبله بين الأعيان وأخبره بأكرمه به السلطان ففرح سكران وبقوعه عند بني هلال هذا ما كان منهم وأما ما كان من العجم لما راح الوزير وابنه صاروا في حساب وأمر صهاب وأما الثمرانك غضب الغضب الشديد وزاد الغم به والتشكيك وباتوا تلك الليلة إلى الصباح فدقا طبول الحرب والكفاح وركبت القومين وترتبت الجيوشين جانب بعضهم البعض ثم برز وزير الثمرانك اسمه شاهين فنزل له طوى ابن مالك فقال له اسمك أيها القادم فقال اسمى طوى بن مالك ثم التقوا البطلين كأنهم جبالين حتى كلت من تحتهم الجوادين وتعبد منهم الزندين ولم يزالوا على تلك الحال من الصبح إلى العصر فعندما قام طوى إلى عزم الركاب وضرب شاهين بعود القنا أخذها بترس البولاد راحته غايبة ثم قام شاهين في عزم الركاب وضربه على هامته أتى رأسه قدماه فلما شافت الأعجام أن شاهين قنيل هجموا على العرب وهجمت العرب على الأعجام والتعم القومين في بعضهم البعض وصار بينهم شر عظيم حتى جرى الدم وهربت الأندال ولم يزالوا على تلك الحال إلى أن دقت طبول الانفصال ورجعوا القومين إلى الصباح فعند ذلك اصطفت عساكر القومين وبرز أبو زيد إلى ميدان القتال وهرض وأيان وطلب براز الفرسان فنزل إليه من الأعجام أسكندر وزير الثمرانك فصدمه أبو زيد صدمة هائلة فتلقاها وقال على مهلك من تسكون من الفرسان وأشار يقول

قال أبو سرحان اسكندر انى قوم غصنفر وأس فرسانى وهسكر
 دوم فى الجهات عابس انى قوم غشمشم من يعادينى بيندم
 بس يا فارس تترحم اليوم أعدامك مقاميس
 فلما فرغ اسكندر من كلامه وأبو زيد يسمع نظامه أشار يرد عليه:
 قال أبو زيد الهلالي فارس يوم النجال عادته قتل الرجال
 يوم وقعات الصدام جاك أبو زيد المسمى من لقاكم ما بهما
 ضربنى والسن سعى سمها يهرى العظام من وقع فى يدى يزول
 كم قتلت ملوك أكابر شوف ايضا مع عساكر يا اسكندر قوم بارز
 والتقينا بالصدام

فلما فرغ الأمير أبو زيد من كلامه والوزير شاهين يسمع نظامه التقوا البعلين كأنهم
 جبالين وحان عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين ولم يزلوا على تلك الحال إلى
 وقت العصر حتى كانت منهم الزنود فعند ما قام الوزير فى عزم الركاب وضرب أبو زيد
 بالسيف وأخذها بيد رافة البولاد راحت خائبة ثم الأمير أبو زيد هجم عليه كأنه السميع
 السكاسر وضربه بالقرصان على نواجم الركاب وإذا برأسه قد تدحرج على التراب
 وأفل نجمه وغاب فلما قتل الوزير حملت المعجم على العرب والعرب على المعجم وانحطت
 منهم المعجم ولله در أبو زيد ودياب وباقي الشباب بما فعلوا من الفعال وما فرق بينهم
 إلا الظلام ودقت طبول الانفصال واقتروا عن الحرب والقتال وقد قتل من المعجم
 خلق كثير وعادت بنى هلال على خيل شاردة وعدمة ثم باتوا إلى الصباح ودقوا
 طبول الحرب والكفاح واصطف الفريقين فبرز التمرلنك إلى الميدان وطلب براز
 الفرسان (قال الراوى) فلما رأى بنو هلال التمرلنك تعجبوا من ممتته وهو كأنه
 البرج الحصين فقال حسن يا أبو زيد ما تقول فى هذا الفارس فقال أبو زيد العلم عند الله
 أنه عفرية من عفرات سيدنا سليمان فقال حسن نادوا إلى الوزير دخان لربما يعرفه
 فتنادوا فحضر فقال حسن يادخان من يكون هذا الفارس الذى فى الميدان فقال له ياملك
 الزمان هذا التمرلنك فقال حسن لا أحد ينزل إليه لأنه جبار عنيد فقال دياب أنا
 أنزل إليه وعلى الله الانكال ثم أنه نزل إلى الميدان وصدم تمرلنك فالتفتاه وقال منى

تكون من الفرسان قال امي دياب والهي القصاب وحذاف الرقاب فلما سمع التمر لك
هذا الكلام صار الضياء في عييه ظلام وانطبق عليه والنقوا البطلين كأنهم جلائه
والتطموا كأنهم بحرين وكلت منهم الساعدين وتعبت تحتهم الجوادين ولم يذالوا
على تلك الحال إلى المساء ودقت طبول الانفصال ورجسوا عن القتال وأثوا إلى أن
أصبح الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح ونزل التمر لك إلى الميدان وطلب
الفرسان فتقدم إليه فارس من بني زغبة فضربه التمر لك على هامته طير رأسه
أمامه ثم نزل فارس ثاني قتله وثالث جندله ورابع ما أمهله ولم يزل حتى قتل
منهم سبعة وعشرين فارساً وأمسى المساء فدقت طبول الانفصال فرجع كل فريق إلى
حيه والاطلال فجمع الأمير حسن إلى عنده وقال ما الرأي عندك يا أبو زيد
لأن مرادى قد بدير يكون مليح وكيف لسوى مع هذا اللعين والله إنه فارس عظيم
فقال أبو زيد الذي تريد نصير فقال حسن مرادى أن أرسل إلى التمر لك كتاب
لكي يطل عنا القتال فقال أبو زيد الذي تريده أفعله فكتب حسن إلى التمر لك يقوله
يقول ألقى حسن الحلالى أبو على يدمع جرى فوق الخنجر سكاب
نعم أيها الغـداى على متن ضامر تشابه لسيم الريح مثل شهاب
إذا جيت للتمر لك بلغ رسائى يا عمره ما شوف نكابه
وقل له قال الأمير أبو على أمير ابن أمير من فريج الساب
ألا يا ملك اسمع مقال وقصى وافهم كلامى لا تود عتاب
فان طعنى أسلم بروحك وغزوتك وفز بروحك من ملوك أعراب
من قبل ما تعلق بك نار حربنا وتوقع باوشم شومها وكلاب
فلما فرغ حسن من كلامه طوى التحرير وختمه بختمه وأعطاه إلى عبده فأخذه
وسار إلى أن وصل عند التمر لك وأعطاه التحرير فقراه فغضب غضباً شديداً
وسحب السيف وضرب العبد طير رأسه وقال أقوم بما كرىكون آخر أيام بنو ملال فوصل
الخبر إلى الأمير حسن فغضب غضباً شديداً وشارور الأمير أبو زيد على هذا الأمر
فأجابه ها تروا لنا ثمان أمراء من أولاد الامارة والعبيد لسوقها مزورا وتركب نحن
وراهم الله يعطى النصر لمن يشاء فاعتمدوا على هذا الرأي ولما كان الصباح وركب الأمير

فأبو زيد بقومه القسعين القاضى بقومه والامير دياب بقومه والامير حسن بقومه
وشبوا الجمال بعدما جعلوها ترابا وقال أبو زيد الذى مع الجمال إذا انكسروا اتعالموا
صوبنا ثم انهم دفعوا النوبات وركب السكورات وطلبوا اللقاه والنبات فلما سمع التمر لك
حسرت الطيور لدق طبله وركب بقومه فهجمت الأعراب بالمدافع وكان عددها خمسمائة
مدفع فعندها الكرت بنو هلال الجمال على المدافع بخفت من صوت المدافع وكثر الصياح
من وراء الجمال والعبيد تفسخهم بالرماح وفزروا هدول الغراب وهب الهواء وقاد
العجاج والغبار حتى غمى الأبصار فركضت الجمال وداست الاعجام وخيلها وحيتند
هجمت الأعراب هجمة الأسود وطعنوا الصدور والكبد فلما نظر التمر لك إلى
حاصار في قومه أراد الهرب وإذا بالامير صبرة بن أبوزيد عارضه في الطريق وصاح
به إلى أين يا ابن الف قرنان فالتقاء التمر لك بقلب مثل الصخر ونجا ولوا في الميدان
وتسكرت بينهم العيذان ثم أن التمر لك هجم على الامير صبرة هجمة الأسود وحمله
على راحة زنده وارماه على وجه الأرض فتعلق صبرة في صدره فوقع هو وإياه فتعبدل
صبرة على خصمه وسحب الخنجر وطعن به التمر لك وشق بطنه وإذا بالامير حسن
أدركه وفي يده السيف ونزل وقطع رأس التمر لك فعندها مالت العرب على المعجم
وفتكوا بها بالسيف وما سلم به الا كل طويل عمر وفاتوا على خزائن ملك التمر لك
وتنهبوا ورجعوا بنو هلال على خيل شاردة وغنموا تلك الأموال وفرق الامير
حسن على العربان وأحضر أقوام التمر لك وأحضر الوزير دحان وابنه سكران والبسه
عليهم ملك وقال حسن كل من خالف كلامه وميت رآه واخذت انفاسه قالوا حاشا
أن نخالف كلامه ومن بعدما ارتاحوا المعسكر من الحرب والصدام وقاموا عدة
أيام ورجلوا إلى أرض حلب (قال الراوى) ذهب بنو هلال من بلاد الحفاجى عامر
إلى حلب وكان حاكم حلب يقال له بدر بن وكان صاحب مال وخيل وابطال وكان وصله
خير بنى هلال أنها حلت أرضهم والبلاد رحو امنها وما فعلوا في الملوك الذين حاربهم
وكيف أن الحفاجى عامر أضافهم وسافر معهم فلما سمع هذا الكلام جمع أكاره قومه
وغابهم بهذا الشأن وكان عنده وزير يقال له الحزاعى فقال حلام يا ملك جمعت القوم
والفرسان فأجابه أريد أن أخبركم عن بنى هلال وما فعلوا من أن يدخلوا بلادنا

ويقتلوا أبطالنا ورجالنا وإذا ما عملنا تدبير وقعنا في عسر فلما سمعوا هذا
السكلام حادوا في أمرهم متحيرين عندها انفتحت الوزير الخزاعي وقال أم الملك العظيم
أنا عندي من الرأي أن ترسل لهم روادا إلى أرض السكينة يرودوها وهم يكون معهم من
العساكر والأبطال ويكشف لنا خبرهم ويعود بالحال حتى نتحضر رجالا لأجل
حرجهم وقتلهم فلما سمع منهم هذا السكلام قال هذا هو الرأي الحميد ثم استدعى برجل
كان شيعانا مريدا يسمى سابق وقال له أعلم أن مرادى منك أن تذهب ترود لنا بني
هلال تنظر قومهم والفرسان وترجع لنا بالخبر الشافي فقال سمعوا وطاعة وركب ناقة
عمارية وصار يقطع الفيافي والقفار حتى أشرف على نجوع بني هلال فرأهم بهدال الرجال
وحاربهم شهد من الفرسان وبينما هو على ذلك الحال وإذا بالأمير أبو زيد آتيا من
الصيد فلما رآه وعرف أنه رواد فتقدم إليه وسلم عليه وسأله ما أنت آتيا لا لترويد
بني هلال وتخبر مولاي بدريس أحوالنا فاجابه أخطأ ظنك وما عاد شيء غيبا عليك
ولكن قل لي من اسمك حتى أعرفك فقال له أبو زيد الآن وصلت من الصيد فقال
له يا أمير اعطيني الأمان حتى أعلمك جميع الاعلام فقال لك الأمان والف مرحبه
بك أنت ضيق وكل من عارضك آذيت به سيفي عندها أشار سابق يقول :

قال سابق بن كاسب صادق	الدمع من فوق الخدوسراعي
قد جيت من حلب أرود جموعكم	وأنا رسول الملك قطاعي
بدريس أرسلاني برأي صايب	بدريس سيفه للعدا قطاعي
أما الخزاعي يا أمير وزيره	يسمى محمد بن مفلح واعى
وأنا ظنك يا أمير سلامه	أنا شبيه الشاة أنت الراعى
أبو زيد لك بين الملوك اشاره	كل الخلاق منها غدت ترعاى
قول ابن كاسب للامير سلامه	يا ريت عمرك ما تشوف صداى
رد أبو زيد أمير الوفى	يا أمير سابق أنت وجل مراعى
إني خبير بالرجال وفعلمهم	وعلى حالك جيت إلينا ساهى
وأنت جاسوس بحيله رايد	وقلعت وديان الفلا وقلاعى
تأخذ غلام أولاد عامر سرعة	لبدريس الملك ثم الخزاعي

بشروا من ضلال سلامه ما يوم ضيقى يابن كاسب ضاعى
 إن الملوك حواصل وعواضب طعناتهم جوا الحشا الساعى
 يا أمير سابق موج كل جموعنا انظر بعينك صنعة الصناعى
 أربع ملوك على التخت جوالس عن الملاح الراخيات قناعى
 قل له إذا عادت نحو أميركم نفسه يهينا عن الاطسلاح
 ما قال أبوزيد الهلالى سلامه من كان يعرف بالزليل براهى

فلما فرغ أبوزيد من كلامه وسابق بسمع نظامه فأطرق إلى الأرض فقال أبوزيد
 أنت اليوم ضيقى قم بنا إلى المنزل فساومعه إلى بيته وأكرمه غاية الأكرام وأخلع عليه
 ثم قال قم بنا ياسابق إلى عند الأمير حسن نواجهك فيه فأجاب أنى أخاف من أن
 يقتلنى فقال له لا تخف بكفائى فقام وأخذه معه وسار لى عند الأمير حسن فدخل
 أبوزيد وسلم فردوا عليه السلام وقاموا له على الأقدام فخلص عين يمين حسن وجلس
 سابق إلى جانبه فقال له حسن من أين ضيفك يا أمير أبوزيد فقال له من حلب ولكن
 أسأله عن كل ما تريد فعندها ناداه حسن فقام سابق واقفا وتقدم إليه وقبل يديه
 فقال له حسن أهلاً وسهلاً ومرحباً من أين أنت وإلى أين ذاهب يا سابق أحسكى
 وعليك الأمان فقال يعيش رأسك يا مالك الزمان وحكى له قصته على التمام ثم أقام
 عند أبوزيد عدة أيام وبعد ما طلب إذن للسفر فاذن له وأعطاه ألف دينار فسار
 وما هو مصدق بالنجاة إلى أن وصل إلى حاب إلى سيده ووزيره وأشار يقول :

قال الفتى سابق على ما جرى له ترى القول ينقص تارة ويزيد
 وما زينة الانسان إلا صدقه وكذب الفتى يشينه والتنفيد
 غدوت أنا يا أمير المؤمنين وكان بها برد وبعض جليله
 أنا رماني السير بأرض الكبيسة بلاد الخفاجى عامر الصفديد
 نظرت جموعها يا أمير نزلهم تقول غماماً أو كبحو مديد
 مسير ثلاث يا أمير نزلهم ويوم تراه بالمرض يا صنديد
 الوف ومياه ملوا واسع الفلا ربى يكون عالم وشهيد
 أما حسن مقدم كل جموعهم أميرين أميرين سعد وسعيد

وأبو زيد رأى الشور والراى كله وأبو زيد نجمه بالسما سعيد
أما دباب الخيل قوم مجرب على ظهر خضرا فارسا وشديد
ومهم مكاسب يا أمير كشيوة وشفت طبولاً يرددون رعيد
وضربوا بلاد الفرس بأمر مفلح دخلة وكوفة والعراق عبيد
وقد جاؤا لعند الخفافى حامر بأرض السكينة والعراق قعيد
يا أمير يوم ينزلون بلادنا ينقلوا بلادك بلقما وهديد
يا أمير شد الخيل بالزحف والزود وجرى قومك الوغا تجريد

فلما فرغ سابق من كلامه والملك يسمع نظامه وتغيرت منه الأحوال من عظم هذه
الاقوال ثم انفتحت إلى الوزراء والقواد وقال ما هو رأيكم أيها الأعيان هل نبادرهم بالقتال
والطمان أو ندعهم يمحروا بلادنا بالامان فقالوا يا ملك الزمان نحن بين يديك ولا نبخل
بأرواحنا عليك والذي تشوف فيه الصواب افعله فقال الملك ما تقول يا وزير فقال
أرى نصبر حتى يصلوا إلينا ونسكون قد جمعنا قومنا وأبطالنا حتى إذا وقع فينا بيننا
القتال نشيلها على سنة الرماح ونهب مالهم ونسبي عيالهم فقال الملك هذا هو الراى
الافوق ثم أنه بعث الأوامر إلى جميع عماله بأن يحضروا بالفرسان والأبطال
وما معنى إلا قليل من الأيام حتى غصت حلب الشهباء من كثرة العساكر وازدحام
العساكر فسر الملك بهم وأمر التموا أن يسكنوا دائماً مقيمين لقدم بنى هلال أو
حتى حتروا ضيقوا عليهم ولا تغلواهم يتفرقوا عن بعضهم لبعض حتى تملكوا الجميع
ولا يفت عنهم لا فطيم ولا رضيع وأما بنو هلال فأنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا
إلى مكان بعيد قبلا عن حلب الشهباء وكان كأنه فردوس الجنان وهو بين كأس
وعناب فزلوا فيه وامتدوا في نواحيه وأكلوا الأشجار والأنمار وشربوا مياه
الأنهار فمريت الأهالى والساكن وأعلموا بهذا الشأن فلما سمع بهذا الخبر تطاير من
حواشي الشرور وفي عاجل الحال أمر بجمع الفرسان ثم استدعى إليه القواد وفرسان
المعارك والطراد وأكابر الوزراء الأعوان واستشارهم بهذا الشأن فقال له إنك ترسل
تطلب عشر المال والنوق والجمال فإن أجابوا إلى هذا الطلب كان غاية المراد وإن
امتنعوا نبادرهم بالقتال والحرب والنزال فاستصوب الملك هذا المقال وفي عاجل

الحال كتب إليهم يقول وعمر السامعين يطول :

يقول الملك بدريس بن مهمل	بدمع جرى فوق الحدود بديد
يا غاديا منى على متن ضامر	يطوى برارى الثلايم القدايد
إذا جئت إلى حسن الهلالى أبو على	فقل له جئت اليوم قاصد
وقل له بدريس حاكم فى بلاده	أرسل يقول لك يا ابن الأماجد
وهذه ديارى قصدكم تملكوها	وترعوا مراعيها وتبقى حصايد
فهاؤوا لنا عشر الجبال مع الغنم	وعشر المال مع حشر الولايد
وهاؤوا لنا نجله وقتته وغيرها	هاؤوا فتاة الحى الزين بنت فايد
وهاؤوا فتاة الحى الجازية أم محمد	وهاؤوا طفله بنت دياب الماجد
وهاؤوا جمال الضعن بنت سلامة	يا وعيا ثم بنت ابن حامد
وهاؤوا لنا أيضا ميت مليحة	عذرى يكونوا ماعقدن العقائد
ميتين سيف من الصواعق مصقطة	وميتين عقدن خواص القلائد
وميتين حمرة من خيول أصايل	وميت حصان من خيول أجاود
وهذا الذى أطلب يا أمير أبو على	فيايك إلى قولى تكون معاه

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه واستدعى بنجاب وقال له خذ هذا الكتاب وسر فى الحال وسلمه إلى حسن سيد بنى هلال فأخذه وسار فى قطع القفار حتى وصل إلى بنى هلال ودخل على الأمير حسن فتقدم وقبل يديه وأباض الأمانة الذين حواله ثم سلمه الكتاب وطلب الجواب فلما قرأه وفهم فحواه تغيرت منه الأحوال واعتراه المعجب ولكنه أخفى السكند وأظهر الصبر والجلد وأمر بأن يأخذوا السامى إلى دار الضيافة فأخذوه وبعد ذلك التفت الأمير حسن إلى سادات الرجال وأطعمهم بالقصص وما كتب إليه بدريس من التهديد وأشار إلى أبو زيد يقول :

قال الفتى حسن الهلالى أبو على	أبو زيد أطننى وكن شوارا
بهيأت رأسك يا أمير فقل لنا	وأمرح لنا يا أمير بالاشوارا
هذا الملك بدريس أشغل بالنا	وأرسل الهنا يطلب الاشوارا

يبغى لعشر المال يا فخر العلا
عشر النساء يا أمير مع كل الخدم
أبو زيد يا أبو زيد يا فخر العلا
قول الفتى حسن الحلال أبو علي
فلما انتهى الأمير حسن من كلامه وعرف أبو زيد والامارة فحوى قصده
ومرامه قال يا ابن عمي ليس لبدریس غیر ضرب السیوف والطنن وأما دیاب
صار الشرر یطیر من عینیه وعوارضه ترقص فی وجهه وقال علی فی بدریس
والخزاعی وحدی فاستحسن الحاضرون هذا الكلام منه فعند ذلك أشار
القاضی بدریر یرد له الجواب ویقول :

يقول الفتى القاضى بدرير بن فايد
يا غاديا منى على متن ضامر
إذا جيت إلى بدریس بن مهمل
بعثت تهددا بعزم هساكر
بدریس بدریس هل عقلك شارد
البیض فی حى الحلالی أبو علی
إن كنت حیل قرم مجرب
وانظر مضارب ما رأيت نظیرها
وأنا بدریر العامری بلا خفا
واعلم یقینا أن هلاك كثيرة
طغیت یا بدریس مالک حيلة
ولا بد من قتلك وقتل رجالکم
من ذا الذى یرسل إلیک حیلته
بأربع مذاهب حل قتلك یا ودی

فلما فرغ من هذا الشعر ختمه وأعطاه للجناب فأخذه وسار حتى وصل إلى الملك
بدریس فناوله إياه فلما فتحه وقرأه أسودت الدنيا في عينيه ثم استدعى بوزيره

الخزاعي الخضر بين يديه فأعلمه بواقعة الحال وأمره بجمع العساكر والابطال فامثل أمره بالعجل وجمع مائتين ألف بطل فركبت الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالرماح والنصول وركب الخزاعي بهذا الجيش الكثير وركب معه كل سيد وأمر وساروا إلى خارج البلد لاستقبال بني هلال قبل وصولهم إلى الاطلال وأما بنو هلال فانهم كانوا قد استعدوا للقتال وإذا بالخزاعي قد برز إلى ساحة الميدان وطلب برز الفرسان فبرز اليه الأمير دياب كأنه سبع الغاب فالتقاء الخزاعي بقلب كالخديد وصدمة صدمة الفرسان الصناديد وأشار يده ويقول :

يقول الخزاعي والخزاعي أدعى	كل النوارس لا أخاف لقاءها
إسمك دياب والدياب ستأكلك	يا أرذل الفرسان يا أرداها
وسأملك الخضر أبعذك يا فتى	وتنال نفسي منك منهاها
أنا الخزاعي بن مفلح صادق	ويخافني الفرسان يوم لقاءها
رد الفتى الزغبى دياب الماجد	الخيل تعرف همى وطراى
إني أصيد الأسد فى غاباتها	بمهند ماضى الحديد حادى
كم كربة فرجتها فى صارمى	والخيل وات لا تطيق طراى
إني دياب الخيل ذباح العداير	دى الفوارس يوم حرب جلاد

فلما فرغ الأمير دياب من شعره ونظامه وفهم الخزاعي فحوى شعره ونظامه وزاد به الغيظ ومازال يكره و فوطعن من لحيب الجمر من الصباح إلى وقت الظهر وكان الخزاعي قد ضاقت به الخيل فطعن خصمه وهو على آخر نفس فانقلب دياب تحت بطن الفرس فراح العظنة خاية بعد أن كانت صايبه فعند ذلك استوى دياب على ظهر الخضر وأضرب خراعى بالسيف شراراً فالتقاها بدرة البولاد فوقع دلى رقبة الجواد فبرتها كما يرى القلم فوق الوزير على الأرض وانحطام وصار وجوده كالعدم وإذا بقومه قد أدر كوه ونشله من على وجه الأرض وخلصوه فلما رأى دياب تلك الأحوال وهجوم الفرسان والابطال من العيين والشمال صاح فى بنى زغبة وأمرهم بالهجوم والقتال ومازال وراهم فى الطلب حتى أوصاهم إلى مدينة حلب فدخلوا المدينة وأغلقوا الأبواب وهم فى حالة الخوف والاضطراب ورجع الأمير دياب وهو مثل شقيقة الارجون.

عليه من أدمية الفرسان وقصد حسن في الصيوان فدخل وسلم عليه فقبله حسن بين عينيه بما
 مثل وشكره وخلع عليه أئمن الخلع فأخبره بما جرى له في ذلك اليوم في قتال القوم وقال
 له في أن الكلام لا بد لك بدريس أن يقصد في ثاني الأيام ويخرج بنفسه إلى ميدان
 القتال فأذيقه الويال واستنصه بالغانم والأموال هذا ما كان من بني هلال وأما
 الخزاعي فإنه رجع إلى حلب وهو في حالة العناء والسكر ودخل على الملك بدريس
 وأعلنه بذلك الاتكيس وما جرى عليه في ذلك اليوم التعميس وكيف قتل الرجال وفقدت
 الأموال وظفر بهم بنو هلال فلما سمع منه هذا المقال اعتراه الاندهال وخرج من
 دائرة الاعتدال وبات بدريس تلك الليلة على غيد هدى وقد صمم أنه يخرج في ثاني
 الأيام لقتال معدوما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أمر بخروج الأبطال للحرب
 فاستعدت في الحال وركب بأول العسكر كأنه الأسد الغضنفر وخفقت على رأسه الرايات
 ومن حوله الوزراء والسادات وخرج بموكب جسيم وجيش عظيم فلما علمت بنو هلال
 بمقدوم الملك بدريس للقتال استعدت وركب الأمير حسن في الفرسان والأبطال فاصطفت
 الصفوف وترتبت المئات والألوف ولقد برز الملك بدريس إلى ساحة الميدان بقلب
 أقوى من الصيوان طالبا براز الفرسان وقال لا يبرز لي سوى الأمير حسن بن سرحان
 لأن ملك من قتل خصمه حصل على طلبه وبلغ غايه قصده وما ربه فا أتم كلامه حتى
 صار الأمير حسن أمامه وصدمة تزعزع الجبال فاصطدمه بدريس وأشأ يقول :

قال الفتي بدريس الهام الما جد اسمع كلامي يا حسن يا فايد
 لا بد لي من قتل كل رجالكم في حد سيفي يا أمير الغلايد
 واقتل أبو زيد الأمير سلامة ودياب والقاضي بدير الغايد
 قال الملك بدير هذا يومكم يا من يودع قومه ويهايد
 فلما فرغ الملك بدريس من كلامه أجابه الأمير حسن على شعره ونظامه يقول :

قال الفتي حسن الهلالي أبو علي نيران قلبي زائدات وقايد
 لا بد من قتلك ونهب أموالك مع قتل أبطالك وكل معايد
 لو أن قومك ألف ألف ومثلهم لا بد أن يبقوا الجميع فقايد
 قومي أنا تسعين ألف ومثلهم تسعين في تسعين ألف ما حديد

أفعالم يا أمير هي طعن القنا فترى الفتى منهن كصخر جامد
فيهم أبو زيد الأمير سلامة ودياب والفاضل بدور الفايذ
هل ما رأيت دياب قل جوعكم وكسر عساكركم بنهر معاند
واليوم تبق يا أمير مجتذلا وعددا بين الفوارس فاقد

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من كلامه وفهم بدريس فعوى شغره ونظامه
زاد حقه وعظم غيظه فهم عليه وحمل عليه كأنه قلعة من القل أو قطعة فصات من جبل فالتقاء
الأمير حسن في الحال واشتبك بينهما القتال وعظمت الأحوال وكان تارة يتقدمان
وتارة يتأخران كأنهما أسدان كاسران وبحران زاحران وما زالا ينجاولان في ساحة
المدان حتى قصرت من تحتهما الجوادان وكلت منهما الزناد وتجنب من قتالهما الفرسان
وقد اختلف بينهما طعنتان وكان السابق بدريس فراحت خايبة بعد أن كانت صابئة
فارتد إليه حسن وهجم عليه وضربه بالسيف فاستتر في درقة البو لا دفرى السيف رقبة
الجواد فوق على المهاد كأنه طود من الأطواد فأراد حسن أن يضربه بالسيف ويسقيه كأس
الخطام فأدركه قومه في الحال وخطفوه من ساحة المجال وأركبوه على ظهر الجواد في الحال
اشتبك القتال والطرادوا التقت الأجناد بالاجناد وتضاربوا بالسيوف الحداد والرماح
المداد وتحكمت السيوف في الجماجم والاكباد فاكنت ترى في ذلك اليوم المهل إلا
ضرب السيوف وطعن النصول وهذا مجروح وهذا مقتول وما زالوا على تلك الحال
وهم في أشد قتال إلى الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت بنى هلال إلى
المضارب والخيام ولأقوا الأمير حسن بالترحاب والإكرام ودعوا له بطول العمر
والدوام فشكروهم على ذلك الاهتمام وأما بدريس فإنه رجح غضبان كثرة الهجوم
وقد خاف من العواقب وحلول المصائب وفي الحال كتب الرسائل وأرسلها إلى
ولاية المدن والقبائل يطلب منهم المساعدة والامداد بإرسال المؤونة والسلاح
والسيوف والعساكر والاجناد لقتال بنى هلال الأوغاد وأن يبادر إليهم بالقتال
ويحملوا عليهم من أربع أركان المجال لينتهى الحال وتنقضى الأشغال وبقي هو
داخل البلد بالعساكر والعدد فلما وصلت اليهم هذه الرسائل والاختيار إلى ولاية

الاقطار فامثلوا أمره في الحال وجمعوا الفرسان والابطال وقصدوا بنى هلال
من حدود البحر الاسود في جمع كبير العدد وكان بنو هلال في فرح وهم يؤملون بالفوز
والنجاح وإذا بالموكب والسكائب أقيلت عليهم وأحاطت بهم من اليمين والشمال من
أربع جهات الميادين وهم كعدد النمل فهاجموا عليهم من الأبيات وسبوا النساء والبنات فعلت
المنهجات وتكاثرت الصيحات وتضايقت بنو هلال أشد الضيق وعدموا السعادة والتوفيق
وأيقنوا بالهلاك والدمار ونفثوا ذلك اليوم قتالا يذهل الأبصار وألقوا نفوسهم على
الاقطار وما زال الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل حتى صار وقت الزوال عند
ذلك ودقت طبول الانفصال فافترقت العساكر عن بعضها ورجعت الجيوش كل
إلى أرضها وبات بدريس في سرور والفرح على ذلك الانتصار والنجاح وبات بنو
هلال في أسوأ حال مما أصابهم من الذل والهوان ولما أصبح الصباح أضاء بنوره
ولاح جمع بدريس أكبر دولته وأرباب ديوانه وقال لهم اعلوا أيها الرجال أن
بنى هلال قد حل بهم النكال وتضعضت منهم الأحوال ومرادى الآن بأن أطالب
منهم عشر المال فإن أبوا وامتنعوا وما دفعوا حينئذ نقاتلهم في هذا النهار واستخلص
عنهم المال قوة واقتدار وبليهم بالويل والدمار فلما سمع الخواص وأكابر الديوان
هذا الكلام قالوا افعل ما تريد أيها الملك الهام فعند ذلك سلمه السكائب وبه هذا
القصد على هذا التهمك والتهديد ويقول:

على ما قال الملك بدريس صادق	غدا نركب عليك يا هلال
غدا نركب بجيش مرمرى	شبه الغيث في عدد الرمال
فهربان البهيمية والشواهد	وعربان الدهيمي والموال
ترام يوم تنشب العوالي	كسجع طالب حديد الغزال
أقتل منكم الأمير ليس	وأخمد خيلكم ثم الجمال
واقتل آل زغبة مع الهلال	بضرب السيف مع طعن النصال
وأخذ من دياب الخيل بفته	ولا أفسر لنكبات الليال
فان طارعتي فلك الاماني	وهالي عليك عشر والجمال
وهاتوا الجازية بذك كامل	ووطفا ثم نهلا ذى الدلال

وارسلى عطور الجليل بنذك فابقي صهركم بين الرجال
 وإن لم ترسل لى ما طلبته فقوموا واستعدوا للقتال
 ألا يا أمهر لا تعطىء علينا ألا يا أبو على فاسمع مقال
 فلما فرغ من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه إلى نجاب وأمره أن يسير في الحال
 ويسلمه إلى الأمير حسن سيد بنى هلال فامثل أمره وسار يحد في قطع القفار حتى وصل
 إلى بنى هلال قبل الزوال فدخل على الأمير حسن وسلمه الكتاب وطلب منه الجواب
 فلما فتحه وقرأه وعرف غواه انشغل بالله وتضعضت أحواله وأمر أن يأخذوا
 النجاب إلى دار الضيافة هم التفت الأمير حسن إلى سادات الرجال وقرأ لهم ذلك القصيد
 وقال لهم ما قولكم أيها الأماجيد في هذا التهديد ثم أشار يقول :

أنا حسن فليست يا أهل ذليل	ألا يا بني عمى وكل قرايمى
ويطلب بنات طرفهن ككيل	بدريس أرسل بطلب الخيل والنساء
فاعلمونى بصدق القول بلا تطويل	فإن كنتم تعطوه ما هو طالبه
وأنت يا قاضى أمهر جليل	أنت يا زغبى دياب الماجد
ونعرف بما جاء فى التزويل	فرأيك والنبي يا ابن فايد
فا عاد ألا يا كرام تشيل	فقولوا لنا ماذا تقوموا جميعكم
إلى حربيه يا قوم بلا تحميل	وإن كان ياقوم ما تعطوه بادروا
فأنت لنا بالنائبات دليل	أبو زيد خبر أبو زيد قال لنا

فلما فرغ من هذا القصيد قالوا إن رأى السديد عند أبو زيد الفارس الصنديد
 فلما سمع أبو زيد هذا الكلام وعرف القصد والمراد قال الذى يلوح في فكرى أيها
 السادات الكرام هو أن أكتب أنا والأمير حسن إلى بدريس ابن النمام نوعده
 بأرمال المال بعد عشرة أيام بشرط أن يدفع عنا القتال والحرب والنزال عند
 فروع الوقت المؤجل نرحل بالليل من هذه الاطلال ولا يعلم بنا حتى نتمكن منه
 قطعنا مسافة يوم أو أكثر حتى إذا لحقنا بالعساكر نبادر باقتتال ونسقيه كأس الوبال
 ونملك مدينته حلب وبلغ القصد والأرب فاستحسن الحاضر وزهد الخطاب ورواه
 عين الصواب فعند ذلك أشار حسن يقول :

يقول الفتى حسن الحلال أبو على أبشر أنك الخير يا بدريس
 ألا أبشروا فقد أجاب مرامكم غدا الخير يأتي في ظهور العيس
 ونعطيك فتنة يا أمير وغيرها ونعطيك أموالا وكل نفيس
 ألا يا ملك بدريس أنت أميرنا وقولي صحيح ما فيه تدليس
 ونار الوغى يا أمير لا تضر مومنها ولا تسمع يا أمير شور إبليس
 إني أنا أمير قيس حاصر كريم ولست بما وعدت خسيس
 فلما فرغ الأمير حسن من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه وسلمه إلى
 النجاشي فأخذه وسار وجد في قطع القنار حتى وصل إلى حلب نصف النهار فدخل
 على الملك بدريس وقبل أياديه ثم ناوله الكتاب ودعا له بالنصر على أعاديه فلما
 قرأه وعرف فحواه فرح فرحا شديدا والتفت إلى أرباب الديوان والوزراء
 والأعيان وقال لهم لقد بلغنا المراد وحصلنا على مسرة الفؤاد ثم أمر الرجال
 أن تهيئ الخازن في الحال لوضع الأموال التي ستأتيه من هلال وأن تفرش القصور
 والحارات برسم البنات المخدرات فامتثلوا أمره في الحال وفعلوا بكارسم وقد استبشر
 بدريس ببخوع المرام وزالت عنه الهموم والأوهام وكتب إلى الأمير حسن بن
 سرحان يعطيه الأمان ويأخذ للعرب بالدخول إلى حلب وذلك على سبيل البيع
 والشراء بدون أدنى احتساب وهذه صورة الكتاب :

قال الملك بدريس يا أجوادى القول من صادق الانشادى
 يا أبو على أدخل مدينتنا حلب فلكم أمان الله يا أجوادى
 أعطيتكم من الزمام وجرتكم والله شهاد والثنى الهادى
 يبيعوا بضاعتكم علينا واشتروا روحوا وجولوا بالملا وبلادى
 الأرض أرضكم والبلاد بلادكم أرسلت مع كل الجوع منادى
 هذا كلامى بالأمان فادخلوا والحثم من فوق الكتاب شهادى
 كن براحة بال من بعد الهنا يا أمير أبو على يا زينة الابدادى
 (قال الراوى) ثم انه طوى الكتاب وسلمه إلى النجاشي وأمره أن يسير في الحال
 إلى بنى هلال ويسلم للأمير حسن الكتاب ويأتيه بسرعة الجواب فامتلأ وصار

فدخل على الأمير حسن في ذلك النهار فسلمه الكتاب وطلب الجواب فلما قرأه
وفهم خواه فرح فرحاً شديداً الذي ما عليه من مزيرو قام فقطع على النجباء وأرسل
معه الجواب وهو يتضمن على كلام لطيف ويشكر بدريس على ذلك النصريف ثم
أنه علم سادات بني هلال بما كتب بدريس من المقال فاعتزاهم الفرح والعرب بعد
ذلك الغم والكرب ومن ذلك اليوم ابتدأت العرب بالدخول إلى مدينة حلب فيشتروا
من أهلها البضائع الثمينة ويبيعون من المكاسب التي اكتسبوها من كل البلاد
والمدن وماز الواعلي تلك الحال وم في الشراح بالحق اقتربت الرعدة ومنه
تسعة أيام من المدة فعند ذلك اجتمع الأمير حسن بالأمراء والسادات الأماجد وقال
لهم هذا هو اليوم التاسع ولم يبق لنا إلا يوم واحد فما هو رأيكم أيها السادات
الفرسان فقال أبو زيد الرأي أن نركب ظهور الخيل ونسهر في ظلام هذا الليل
وأن لا يذهب أحد من العرب هذا النهار إلى حلب خوفاً من بدريس أن يعلم بواقعة
الحال فيقبض عليه فيينا تقدم له المال فاستحسنوا هذا الخطاب ورأوه الصواب
وفي الحال أرسل الأمير حسن منادى ينادى بين جموع العرب أن لا يذهب أحد
منهم إلى حلب هذا ما كان من بني هلال وما سمعوا عليه من الفعال وأما ما كان من
الملك بدريس فانه صبر إلى اليوم العاشر ولما بلغه بأنه لم يدخل في النهار أحد إلى البلد
من عرب العشائر زاد كدوره بعد الفرح والسرور وخاف من عواقب الأمور فأرسل
بعض الجنود إلى محبس في ذلك اليوم لتكشف له أخبار القوم وكان رجل اسمه المختار وهو
ذو فكر واحتيال يخطف الكحل من العين بسرعة البدين كما أنه التعلب أبو الحصين فخير
زيه وتكرح لا يعرفه أحد من البشر وأخذ حماراً وحمله من المنقولات والعطريات
وجهد في قطع القلوات فأصعد بني هلال بدون إهمال ولما وصل إليهم وأشرف عليهم جعل
ينادى ويقول يا معشر العرب معي الملبس والزيب وفسق وكرايج حلب فمن
أكل وشرب والتدواستطاب وحصل السرور والطرب ومعى أيضاً المدهار الطيب
الذي يصلح لكل حبيب ولم يزل على تلك الحال يصيح وينادى على الرجال وهو
قاصد الأمير حسن وفي يده الرمن فاتفق أن حانت منه التفاتة إلى وراء فلم ير أثراً
للحمار في تلك الغلاة فتعجب كل العجب وعرف أنها سرقة العرب فقال لقد سرقة

بعضا عتقا وفقد الحمار منا ولما وصل إلى صيوان الأمير حسن جعل يتجسس الأخبار بما أمكن فوجد عنده جماعة من الأمراء المشاهير وهم يتناولون في أمر المسير فعرف المراد وأن قصدهم الرحيل تحت ستور الظلام فرجع على الأثر وأعلم بدريس بذلك الخبر فمظلم عليه وتكدر فقال للخزاعي ومن حضر من الرجال بنو هلال قد خدعتنا بالمسكر والاحتياال ومرادى أن يرحلوا من هذه الديار تحت ستور الاعتكاف فما هو رأيكم الآن في هذا الشأن فقال الوزير الراى عندى يا مملك الزمان أن أسير بالمرأكب والكتائب وأكن لبنى هلال في سهل مراقب لأنه لا بد من العبور من ذلك المكان ثم أنت تدركنى بباقي الأبطال والفرسان ونبادرهم بالحرب والعدام من حاب وأمام وتبلغ منهم القصد والمرام فاستصوب بدريس هذا الكلام فعند ذلك ركب الوزير خزاعي بما نيسر من المسكر وقصد سهل من مراقب وكن لبنى هلال في تلك السباسب وكان الملك بدريس قد كتب إلى ولاة المدن والبلدان يطلب منهم أن ينجده بالابطال والفرسان فأرسلوا له بالمعجل مائتين ألف بطل فقرح واستشر وأمل ببلوغ الوطر ثم دقت الطبول ونفخت الزمور وتقلدت الرجال بالرماح والنصول وعليت الفرسان على ظهور الخيول وساروا بالعساكر والشجعان فاصدين ذلك المكان .

قال الراوى هذا ما كان من الخزاعي وبدريس وما جرى لهما من الكلام والحديث وأما ما كان من بنى هلال فانهم لما أظلم الظلام أمر أبو زيد العرب أن تضرب النار أمام المضارب والنجيام حتى لا يشعر بهم أحد من الأنام وأن تركب الحریم والعيال على ظهور الحوارج والجمال ويسيروا أمام الأبطال ففعلوا كما أمر ونجهزوا للسفر وسار الخفاجى حاصر بخمسة آلاف من الفرسان الشجعان مع البنات والنسوان خوفا من مكبات الزمان وطوارق الحدثان حتى وصل بالقرب من سراقب وتلك السباسب وعند وصوله إلى ذلك المكان أدركه الخزاعي بالابطال والعساكر وهجم عليه من جانب كل باب ومكان فلما شاهد تلك الحال وهجم العساكر والابطال إلى اليمين والشمال اعتري الخفاجى حاصر الانذهال وخاف على الحریم والعيال فجعل هو ومن معه من الأبطال والنقوا الاعدام بقلوب كالجبال وفي

الحال انتشب القتال وعظمت الأهوال وجرى الدم وسال وكان الخفاجى كما تقدم
 الكلام من أشد فرسان الصدام فبذل في الحرب غاية الجهود غير أن عساكر الأعداء
 كانت أكثر فانهضت عليه فظفر الخراعى واستظهروا ذلك بعد قتلى شديد
 وهجمات تشيب الطفل الوليد فبينما كان الخفاجى في أشد الأهوال وهو غارق
 في وسط المجال وعساكر الأعداء محيطة به من اليمين والشمال وإذا بفرسان بنى
 هلال قد أقبلت إلى ذلك المكان وأمامهم الأمير أبو زيد ليث الميسدان وهو
 راكب على فرسه الحمراء وكان قد بلغه الخبر بما حصل إلى الخفاجى فغار في
 الحال بالفرسان والابطال حتى أدرك بنى هلال وهجم إلى ساحل المجال وتبعته
 العساكر والجنود وقاتلوا قتال الأسود وبعد معركة عظيمة ومذبحة جسيمة
 خاضوا البنات والنسوان من الأسر والهوان وما زالوا على تلك الحال وهم
 يجندلون الفرسان والابطال وإذا بغيار من خلفهم قد ظهر وبعد ساعة انكشف
 للأبصار وبان عن عسكر جرار كعدد رمل البحار وكان عسكر بدريس ملك
 حلب قد حضر لقتال بنى هلال ليهايم بالذل والمهلب لأننا كنا ذكرنا قبل الآن
 بأنه قد أرسل ولاية الأمور يطلب منهم النجدة والإمداد فأمدوه بالعساكر
 والجناد وكانت مائتين ألف مقاتل بين فارس راجل فخرج بهم وقصد بنى
 هلال وفي قلبه منهم نار الهم وما زال يقطع الروابي والتفاد حتى أردتهم في
 ذلك المكان وهم في حالة الانتصار فبادروهم بالقتل من اليمين واليسار وفي الحال
 انتشب القتال وعظمت الأهوال واستمر القتال إلى وقت الزوال فعند ذلك
 دقت طبول الانفصال فانفصلت العساكر في كل ناحية وكان بدريس في قلبه
 لبنى هلال نار الاشتعال وذلك لعدم إعطائهم المال وما بدأ منهم وبات تلك
 الليلة في قلق عظيم رغم جسمه .

تمت هذه القصة ويلها قصة أبو بشاره المطار

قصة أبو بشاره المطار

الحاكم على قلعة صوالى وتلك الديار وما جرى له مع بنى ملال.
وأمر حسن دياب وغيرهم وذلك بالسحر والسكاهة ومجىء
أبو زيد وما جرى لهم بعد ذلك من الحروب والأهوال

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دفت طبول الحرب
والسكفاح فركب الفرسان ظهر الخيول واعتقلت بالرماح والنصول فاصطفت
الصفوف وبرز الخراعى وقال لا يبزلى سوى أبو زيد المحتال فأنهم كلامه
حتى صار أبو زيد أمامه وصدمة صدمة تزعزع الجبال فالتقاء الخراعى بقلبه
كالصوان والشد وقال :

قال الخراعى فالجرب مرادى	أنا مريح الخيل يوم الطرادى.
اليوم يا أبو زيد أفنى جمعكم	وأنا غاية مقصدى ومرادى
أقتل حسن أميركم بمهندى	وأقتل عرندس والأمير حمادى.
وأقتل دياب الخيل من حاز الملا	وأخذ النضرا بضرب جلادى.
والبيض آخذها وأقتل كل من	يوم الرغا عند البنات ينادى.
إنى وزير القوم جئتكم عاجلا	فالقوم تبصر شدق وطرادى.
وسأخذ الخرا رغا يا فقى	من بعد طعن يشيب الأولاد.
وأجعل لساكم خادما لسا لنا	طول الزمان وما لهم من عاد

(قال الراوى) فلما انتهى الخراعى من شعره ونظامه وفهم أبو زيد لغوى
قصده ومرامه اغتاظ منه الغيظ الشديد فأجاب بهذا القصيد وعمر السامعين يريده

قال أبو زيد المللى سلامه	اليوم تبصر يا خراعى طرادى
اليوم تبصر فارسا ذوممة	وعزيمة أقوى من البولاد.
إنى ساماك أرضكم وبلادكم	ويطيب فى هذا النهار فؤادى
وحلب سنجعها على جلوسنا	من حرب يشيب الأولاد

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام اغتاظ الخراعى من هذا

الكلام وصدمة صدمة الأسد الضرع غام فالتقاء أبو زيد بالعجل وانطبق عليه وحمل
 وجري ما بينهما من الأهوال إلى أن سبق منهما ضربتان كأنهما صاعقتان وكان السابق
 الخزاعي فالتقاء أبو زيد بدورقه البولاد قطعهما كما سقط على رقبة الجواد فبراها كما
 يهرى الكاتب القلم فوقع أبو زيد على الأرض وانحطم فأراد أن يعجل فناءه ويعدمه
 الحياة وإذا بفارس قد أقبل من وسط المجال وصاح صبيحة تزعزع الجبال وانقض
 على الخزاعي مثل العقاب الكاسر أو السبع الحائر وقال ارجع يا كليب الرجال فسوف
 يعجل بك الويال وتضحى قتيلًا على الرمال وكان صراخ الأمير دياب فالتقاء الخزاعي
 بقلب كالجبال واشتد بينهما القتال وما زال على تلك الحال إلى وقت الزوال وهما في ضرب
 وطعان يهيم عقول الفرسان وكان قد اختلف بينهما طعنتان فالتقتان وكان السابق الأمير
 دياب الأسد الوهاب فطعن الأمير الخزاعي بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع
 على الأرض يختبط بدمه فلما رأت حساكره ما حل بوزيرها من المقلب زادها الغيظ
 والغضب وحملت في الحال على بني هلال من اليمن والشمال بقلوب كالجبال وهم يصيحون
 بالثارات للوزير وقالوا قتال الأبطال فالتقتهم بنو هلال واشتبك بينهم القتال وعظمت
 الأهوال وجري الدم وسال وتمددت الرجال على وجه الرمال وما زالوا على تلك الحال
 إلى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال فافترقوا عن القتال ورجعوا بنو هلال في فرح
 واستقبال وأما ما كان من دياب ليث الوادي فإنه رجع من ساحة الميدان وهو مسرود
 فرحان وثيابه كشفاق الأرجوان بما سال عليه من دما الفرسان فالتقنه النساء بالفرح
 والسرور والغبطة والحبور وشكروه على ما فعل وقلن لله درك من بطل لقد هزرت
 الغريم وحيت الحريم فلا عذمتك يا فارس الخضراء وليث الصخرات ثم أنه أنزل في
 المضارب والخيام وخلع ثياب العدام وليس ثياب البرفير والأرجوان وبعد ذلك
 دخل الأمير حسن فقام له على الأقدام والتقاء بالترحاب والأكرام وأجلسه بقربه
 وترحب وقال له مثلك تسكون الفوارس يا زينة المجالس ومثل ذلك قال القاضي
 بدير بن فايد والأمير أبو زيد الهمام الماجد ولما استقر به الجلوس وطابت من القوم
 النفوس الغفت الأمير دياب إلى أبو زيد وأشار يخاطبه بهذا القصيدة :

مقالات الفقى الوغى دياب ول عزم كما الصخر الأصما

ولى همه كهمة ليت هابس أنا الزغبى دياب المسمى
فكيف رماك يا أمير الخزاعى وأنت أشد قلبا ثم عزما
أيا أبوزيد يا حسن العذارى فلولما أدركك لقتلت رغما
ولما قد أتيتك يا سلامة أذقت أنا الخزاعى كأس سما
وما قصصى أمتن فى كلامى لأنك فلفس اليبىد المسمى
أنا روحى فدا لى وكل قومى لأنك عزنا نعم المسمى
واقفل الملك بدريس باكر وآخذ مالهم والمال حتما
(قال الراوى) فلما فرغ دياب من شعره ونظامه شكرته الأعرام والسادات على

حسب اهتمامه ثم أشار أبوزيد يرد عليه القصيد وعمر السامعين يزيد :
مقالات أبوزيد الهلال أيا زغبى جزيت الخيز عنى
أبو زيد فاسمع كلامى أنا منك بقيت وأنت مئى
أنا للميدان عاجل وقد برز الخزاعى قرب مئى
ضربنى ضربته بالسيف حقا ولولا الترس يازغبى قتلى
فصاب إلى جوادى فى حسامه ترى النوى من تحف مئى
وقعت على الوطاو الذهن غائب جفونى بالدموع ففرحتى
ورأسى طائش يا أمير زغبة فجرحت شفقى من فوقى مئى
وقد أدركنى يا ابن غانم وفرحت العدا من حول مئى

(قال الراوى) فلما فرغ أبوزيد من شعره ونظامه فهم الحاضرين لحوى كلامه
شكروه حسن على هذا المقال وقال مثلك تكون الرجال أتوانلك اليلة فى سرور وانسراح
وانسباط وافراح على الانتصار والنجاح ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح
استعدت الفرسان الحرب والكفاح فدفع الطبول وركبت الأبطال ظهور الخيول
واعتلوا بالرماح والنبول ترتيب الميامن والميامر واصطففت الجنود وركب بدريس
ظهر الحصان وقلبه يقدر النيران على ماجرى له وكان من الانكيس والحنالان برز إلى
ساحة الميدان بقلب أقوى من الصوان وطالب بواز الفرسان وقال من عرفنى فقد اكنفى
ومن لا يعرفنى فمابى خفا أنا بدريس ملك حلب يا برزلى أعرام العرب فما تم كلامه

حتى صار دياب أمامه فأشار بدريس يتهدد بالكلام بهذا الشعر والنظام :

يقول الملك بدريس قولاً صادقاً
أسمع دياب من كلامي وافهم
أرسلت أطلب يا حبيب نسائك
ولقد بعث ملككم وأموكم
وحلتم بمنح الليل مع طفلكم
لا بد الفتك في وسط الفلا
فلما فرغ بدريس من شعره ونظامه أجابه الأمير دياب على كلامه :

يقول أبو وطفا دياب الغانم
فنحن قد مرونا في بلادك
زيد السير إلى أرض المغارب
فكيف تريد عشر المال منا
تريد بنات منا مع جواهر
أما بناتنا من كل فارس
فانزل عن جوادك لا تسكاب
والا اقتلك في حد سيلي
فيوم الحرب يا بدريس عيد
نريد السير إلى الغرب البعيد
إلى عند الزناتي بالأكيد
وعشر الخيل مع عشر العبيد
فهذا يا ملك عنكم بعيد
قواي القلب ذو بأس شديد
فسوف ترى إلى حربي الشديد
وتبقى من أهلك فقيـد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من هذا الشعر والنظام انحدر بين الصغين وهجم على الملك بدريس على الميمنة وأبو زيد على الميسرة وكان دياب يدور بالحضر اعليه بضربتان قاطعتان تهدا الجبال الراسيات وكان قد اختلف بينهما طعنتان قاتلتان وكان السابق دياب ليث الميدان فطعنته صدره خر جث تلمع من ظهره فوقع بدريس على الارض قتيلاً وفي دمه جديلاً فلما رأت العساكر ما حل بملكها أيقنت هلاكها وقلمائها ولما صممت على القتال وهجمت كايوت الاكام وهى تصبح النار البدار وحملت من اليمين واليسار بقوة وانحدار فالتقتها بنو هلال في الحال واشتبك الفريقان للقتال وعظمت الاحوال وجرى الدم وسال وتقطعت الارض ومزولت الارض من ضجيج الابطال وقطعت النصال وماز الوافي عراكه قتل يهيب الاطفال إلى وقت الزوال فعند ذلك

تأخرت عساكر بدريس وقصدت مدينة حلب خوفاً من الهلاك والمطب فتيبها أبو زيد والأبطال والفرسان فلما رأته ما حل بها من الهوان طلبت لانفسها الامان عندما بلغ أهل المدينة بما جرى كانت خرجت الأكابر والاعيان والتست من أبي زيد أن يغفرو عنهم ويعاملهم بالفضل والإحسان فأجابها إلى ذلك الشأن بعد أن استشار الأمير حسن بقتله بدريس ملك حلب زال عن بني هلال العنا والكرب وطابت لهم الاوقات وحصلوا على الافراح والسرور وكان لبدريس ولده حميداً لحصل مدوح من كثر الرجال اسمه جمال فلما قتل الملك بدريس وحصل ذلك الانكيس خرج الأمير جمال في جماعة من الأبطال ووقع حسن السيد لئني هلال فأجابها الأمير حسن ومال قلبه اليه وقد شفق عليه فأقامه ماسكاً مكان أبيه وأمر أهل المدينة أن تطيع أوامره وأقامت بنو هلال في تلك الاطلاع نحو عشرة أيام في أكل وطعام وشرب مدام وسباح أصوات الانام وفي اليوم الحادى عشر تجهزت الرحيل والمفر قد دق طبل الرجوع تتيبها العسكر وفي الحال هدت الخيام وركبت فرسان الصدام وسارت النساء والبنات في الهوادج المعمرات وركب أيضاً الأمير حسن وباقي السادات ورفعته على رؤوسهم الاعلام والرايات وجدوا في قطع البراري والغلات كأنهم ليوث الغابات هذا وقد اشتد ظهورهم وزاد قدرهم وغرهم بما شيدوا لهم من الشرف والمجد بعد رحلتهم من بلاد نجد وذلك باستظهارهم على الملوك والمظالم بقوة الحبيب والصدام وهما الزاوية قطعون الروابي والآكام مدة ستة أيام على التمام والكمال حتى وصلت إلى مدينة حماة فنزلوا على نهر العاصي ولم يمتدحهم أحد لا داني ولا قاصي لأن أهل البلد كان قد بلغهم ما جرى على أهل حلب من النكد والخافوا عواقب الامر واثارة الفتن والشرو فاستقبلهم الملك بالإكرام والوقار والاحترام وصار لهم من جملة الاخوان والاصحاب والخلان قال الراوى ومن الامور الغريبة والحوادث العجيبة وهو أنه كان بمدينة حلب قاجر اسمه كساب وكان من أشهر الناس ومن أتباع صاحب جزيرة قنبر من المالك الهراس قد حضر إلى تلك المدينة وكان يتاجر البضائع فاتفق أنه لما قدمت بنو هلال إلى تلك الديار ونهبت أمواله جملة الاموال فشكى للأمير دياب وأعلمه بذلك المصائب وطلب رد أمواله التي كسبها بنو هلال فلم يستغد والا حصل على ما يريد فترك حلب ونجا بنفسه وهرب خوفاً من المطب وقصد الملك الهراس دون باقي الناس

فدخل عليه وشكا اليه وبكى بين يديه وأعلمه بالحالة وما فعلت بنو هلال به فاغتاظ الملك غيظا شديدا عليه من مزيد لانه كان يحب كساب فاوعده باحضار دياب وكان عنده ثلاثة من اصحاب حبل وخداح وكابوا من جملة محافظين المدينة فاحضروا اليه وأعلمهم بواقعة الحال وطلب منهم أن يسيروا مع كساب ويأتوا بالامير دياب فقالوا نعم وطاعة وغيروا ثيابهم وساروا بالموكب من تلك الساعة وصحبهم هذا يار وعند وصولهم إلى اللاذقية نزلوا في المدينة وجعلوا يتجسسون أخبار بني هلال وعلموا أنهم في حاة الاسلال فعند ذلك ركبوا وساروا تحت جنح الظلام إلى أن وصلوا إلى البلد ولم يعرفهم أحد ودخلوا منزل دياب وصحبته الهدايا مثل سيف معقرب وخنجر كالفضة جوهر وأبريق فضة وثلاث ممالك يساوي ألف دينار وغير ذلك من الأشياء الثمينة فلما وصلوا دخلوا على الأمير دياب وسلموا عليه وقدموا الهدايا ففرح بغير غاية الترحاب وسألهم عن حالهم فقال له كبيرهم إن سألناك أمير نحن تجار وأخوة ثلاثة وجينا في تجرة عظيمة وتركناها في اللاذقية خفنا من الطريق وحذرنا كل صديق ومرادنا تميدا من هذا الطريق وعند ذلك شالوا ملاء منع من الجواهر الثمينة التي تدهش الأبصار وتحير الأفكار التي ما شاف منها سائف الا عصاره قالوا له هذه الأولى إلى الأمير حسن والثانية إلى الأمير أبو زيد والثالثة إلى القاضي فقال دياب ومن هؤلاء الذين تقول عنهم وكانهم من تحت يدي فقالوا نحن أتينا لعندك الذي تريد أعطيه والذي ما تريد لا تعطيه فقال لهم نحن ما ندري لاحدكم لئلا يقوموا يا محقوا قال كبيرهم نحن نهم ولا أحد يجلب متاجرا مثلنا ومعنا مركب موقوف خلاف ما بعناه نحن كل سنة ثلاثة ألبس ونشترى ويكسب النصف في بضاعتنا ولا نهمي طريقنا إلا على حلب وكان القعين بدريس يشتري مما يلازم من البضائع كل سنة وقد أتينا هذا المال على حسب عادتنا فلم نجد وقودا كم ناصي على حلب فسالنا بعض المسافرين فأخبرونا عليك بأنك قتلته وملكك بلادهم ففرحنا وأسر قلعتنا والشرحنا بعقلنا أن ذلك الملعون أخذ منا عشرة آلاف دينار وهذا غير عشرة آلاف ثانية فقلنا من شدة فرحنا تقدم لك هذه البدلة حيث أنك قتلنا هذا الملعون الخبيث ونحن أتينا إليك ما لنا ونوالنا الذي كان تحت يدنا فهو إليك وهذه البدلة منا هدية إليك مم طلعوا له

هل اعجبتك فقال لهم نعم قالوا نحن ما جئنا اليك إلا لاجل أن نهديك بها ففرح بهم
فرحاً شديداً ثم التفت إلى التاجر الثاني وسأله ما اسمك قال منذر ثم التفت إلى التاجر
الثالث فسأله ما اسمك فأجابته نظرون العقيلي فقال لهم إن كان متاجركم تعوز مائة
جمل أعطيها لكم لكن ان كان مرادكم أن أكون لكم حامي من المصريين واغفركم
إلى أرض تونس الغرب ثم قال لهم قوموا بنا سيروا إلى المركب حتى أنظر متاجركم
وأشوف الخوالة كم جمل تحتاج حتى أرسلهم لكم مع عبيد قد دخلوا معه بالخداع
وقالوا تريد أن تشهر الناس ونحن نريد أن لا يطلع على سرنا إلا الله وأنت يا أبو موسى
لأن العرب متى رأوا متاجراً يطعمون فينا ويغيروا علينا فيقع الخلل بيننا وبينهم
وينشب القتال فنكون نحن السبب في هذا الشر والتكبد فلما سمع منهم هذا الكلام
قال أنا أسير معكم وحدي وما آخذ معي أحداً من أهلي وجندي حتى أنظر ما ذكرتوه
لي فقالوا له سر على بركة الله تعالى فركبوا الثلاثة هجهم وركب الأمير دياب أيضاً وساروا
خوفاً من أن ينظروهم أحد لئلا تظهر حيلتهم وبينما هم سائرين وإذا بالأمير عمار أخو
الأمير حسن التقي بهم فلم يعرف منهم سوى الأمير دياب فقال يا ابن غانم إلى أين سائر
مع هؤلاء القوم فأجابته هؤلاء ضيوق وموصلهم خوفاً عليهم من سفهاء العرب فقال
فريد أذهب معك فأجابته أرجع أنت في حالك لا تتعب ذاتك وتسير معي فسار الأمير
عمار إلى منزله وأما الأمير دياب فانه سار مع أصحابه من العشاء إلى ثاني يوم الظهر حتى
أشرفوا على البحر المالح فسمع دياب صوت دوى الماء مثل الطبل قد دخل عليه الهم
وقال في بالله الله أعلم أن هذا الثلاثة خائفين لأن عيونهم ملانة بالغدر وهذه علامة
الغدر فأراد أن يرجع من وقته ولا بد للمقدر من نفاذه ولما وآه الثلاثة قد تغير
وفي سيره قد تأخر قال له أما تنزل معنا في البحر فاجابهم إن نزولي معكم في البحر
ما هو ضروري وإن كان كلامكم صدق أنزلواوها أو اقاتلوا عليها وأنا ما عدت أخطئ
ولا خطوة واحدة ثم نزل عن الشهما ومسك سرعه بيده اليسار والسيوف بيده اليمين
ووقف ينتظر فتركوه ونزلوا إلى البحر حتى أتى إلى الغليون وجابوا له خيمة من
الحرير الأصفر وتلك الخيمة مكللة بالدر والجوهر والياقوت والمرجان والزمرد
الأخضر فلما رأى دياب تلك الخيمة وفرشها الذي يدهش تعجب غاية العجب وظن

أن كلامهم صحيح ودخل معهم إلى الخيمة ودخلوا يتحاذون وأتوا بأكل والمشرب
وفي الحال جاءوا السلاسل قيوده ونزلوا إلى المركب ورفعوا المراسي ، وأقلعوا
ولما قطعوا مسافة طويلة أعطوه ضد البهجة ففاق فوجد حاله مقيد بالسلاسل والتفت
يميناً وشمالاً فلما نظرا الجماعه كانوا في ملابس بيض يلاقيهم وبرانيط سود فعرف
أن الحيلة تمت عليه فتنهد وأشد يقول :

يقول الزغي دياب ابن غانم	بكيت على حالي وأنا مأسور
بكيت على جماهي وهزي وهيتي	وأنا فوق يخني جالساً مسرور
ومن بعد عزي وارتفاعي وشمختي	بقيت مقيد ببيتكم مأسور
وخنتوني لأعر الله دياركم	وبعتون إنما نائنا وستور
يارب يا رحمن يا سامع الدعاء	يا من تسبح له شجر وطيور
يحيى أبو زيد الهلالي سلامة	يخلصني من كل هلاك وضور
ما قال الفتي الزغي دياب الغانم	دعني الليالي والزمان غدور

فلما فرغ دياب من كلامه ندم على فعله لم قالوا له لا بد من قتلك واتلاف مهجنتك
وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا جزيرة قبرص وطلعه مقيد وأدخلوه إلى عند
الملك هراس وكان عنده جماعة من الناس ففرح الملك به الفرح العظيم وألقاه تحت
العذاب والستر الأليم هذا ما كان من دياب وما جرى له من الأهوال والعذاب وأمله
ما كان من بني هلال فانهم كانوا كما تقدم الخبر في فرح ومسررات والهدايا تأتيهم
من جميع الجهات فيبينا هم في وسط والشرائح إلا والنخضر قادمة مثل هبوب الرياح
وهي كثيفة حريئة هل فقد خيالها الأسد المهاب الزغي دياب فأول ما نظرته بنته
وطفا طار الشرر من عينيها فصاحت وولولت فترا كض جميع الفرسان والأبطال
على صاحبها وفي ذلك الساعة صار ضجة عظيمة ما صار مثلها في سائر الزمان هذا
ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير حسن فانه قال لأبو زيد أن دياب صار
له مدة ما حضر لعندنا وأظن أنه مغتاض علينا لأننا ما خلياته ينهب حلب فقال
له أبو زيد قم نزوره ونشوف أموره لأن دياب لو كان حصل له شيء ما كان
طول علينا كل هذه النية فن ساعتهم وكيوا على ظهرو خيولهم ومعهم القاضى بدر

ساروا تحت منازل دياب سمعوا البكاء والنواح في جميع الجهات ولما نظروهم الامارة
تقدم غام أبو دياب وهو باكي العين زايد الانتحاب وأشار إلى الأمير أبو زيد
بهذه الآيات يقول :

يقول الفتى غام على ما جرى له ودعوى جرى فوق الخدود مسكيب
دياب يا عيني ويا نور ناظري سقاء النيا كأس المنون عصيب
تفرق شلى بعد ما كان مجتمعا غدوني زمانى والزمان عجيب
أنا ضيوف قاصدين بلادنا على ظر خيل مثل ريح هيب
فأضافهم ولدى وقام بجمعهم يرحب فيهم غاية الترحيب
فقلبي يحدنى يقول لى فما هم إلا من أهالى الصيب
أبو زيد قد امك أبو زيد غام أبو زيد قدمك حزين كتيب
أبو زيد لك من المال جملة الذين سرية وألفين جنيب
تعرف سعوده والنحوس طالعه وعلى العراية وكل فن غريب
وحقى عليك اليوم يا أبو عخير دخيل أيتك من صيف غريب
ما قال الفتى غام على ما جرى له وما اليوم أصعب من فراق حبيب
فلما فرغ غام من كلامه رسمع الحاضرين خوى شعره ونظامه حراوا على فقد
دياب واستعظموا ذلك المصائب ثم التفت الأمير حسن إلى أبو زيد وقال له حمل
هذه الحكاية وما أحديتها غيرك فالتفت الأمير أبو زيد إلى عبده أبو القمصان وقال له

قال أبو زيد المسمى جميع القدورى لنا ردى
حسن ويدىروا بالدهكنا مفرج فى العبدى
حسن يا ناس شديد البأس فهو رأس وأنا سندی
أبو القمصان أسرع جريان إياك تهان على العبدى
هات الرماين مع الشككين شرح الصدرين لنا جدى
لأجل دياب قلبي ذاب كما القصاب على الزندى

فلما فرغ أبو زيد من كلامه راح العبد وجاب الرمل وأعطاه إلى الأمير أبو زيد
فأخذه منه ورد الأشكال بأن له أشكال النحوس وعلى دياب الفال معكوس وهرف

غريم دياب شاف الامير أبو زيد هذا الحال بكي كل من كان حاضرا فقال له حسن
لماذا يا أبو زيد بكيت وبكيتنا معك فأخبرهم أن دياب في قبرص عند الملك هراس
وهو في السجن يقاسى أنواع العذاب فلما سمعوا هذا الكلام صاح الجميع عن فرد اسان
مالنا سواك يا شيبان لأنك مفرج الهم فقال لهم سمعوا وطاعة وتجهز للسفر وأخذ
هشرة فرسان من الفرسان الشهيرة وودع الامارة والسادات وركب ظهر الحصان
وصار يقطع البراري والفلوات وما زال سائرا حتى وصل قبرص بقلب مثل الحديد
إلى أن وصل إلى باب المدينة فرأى الهراس خارج بجماحة إلى الصيد والقنص فعرف
أبو زيد أنه الملك فتقدم إليه بقلب أقوى من العوان وسلم عليه بأفصح لسان ورحب
البخيرة وحمل بخور فمعه الدخان وقال له هذا البخور من دير الهمدان وطلع
ثلاث شمعات وقال له خذ هذه من دير البينات ودير الخيرة المباركات فقال الهراس
وقعت يا أبو زيد وكيف خلصت وأنا مربوط عليك الطرق فقال سلاما لا تقول هذا
الكلام يا ملك الزمان أنا خدام الملك مثقال ولى مائتين عام سابع ما خليت دير
ولا صومعة ولا مجلس وإنك الثالث على دياب وأسرته لأنه قتل بدريس فقال الهراس
يا راهب أما دياب فقد سكنه في الحديد رمينا ولكن بهيأتى عليك أنت بعينيك
منقال فقال أبو زيد أى وحق الإله المتعال فعندما أخبروه والهراس كيف عمل في
دياب فقال أبو زيد شأنا شاك من هذه الحيلة التي تمجوز بها أعظم الرجال ثم انهم
دخلوا إلى الديوان وأمر أبو زيد بالجلوس لجلس الطعام فأكل ثم بدأ أبو زيد
الملك حديثا ما سمع مثله في طول عمره حتى ولا من العلماء والفلاسفة فسر منه جدا
ونادى في أكابر ديوانه بأن يكون أبو زيد السكير فيهم جميعا فتقدم كبير الرهبان
كان حاضرا ضرب الرمل فعرف أنه أبو زيد فقال الجميع هذا كبير ذا تغلب يكون
انغلينا وكان يسمى أبو برناس فتقدم لعند أبو زيد يقول :

قال الراهب أبو برنامي	اسمع قولى يا قاضى
أنا لك ضد بهزل وجد	وحق العهد وأبو شماس
دخلت المكر وبهر الفـكر	وماء السكر وأم الناس
وما المكروم وما الخزوم	وما المنصوص بفضن الآس

وما البنين لهم بعلين	وما الشخصين وما الراس
وما المحرم وما المطروف	وما المعروف وما الجلاس
سؤال جيت إن كنت لبيب	بلا تعجيب وما ملاسى
رد سلامه يا جلوس	أنتم ملوك خييار الناس
كونوا شهود على الراهب	شهادة حق بغسده أكاى
وشوفوا السيد من الخادم	وابن اللاس وابن الناس
وأما المكروه وأما المحرم	وما لقوا إبليس وخاسى
أما المفهوم جفاه النوم	وليس يروم لجفنه نعامى
أما البنين فلم بعلين	بيد شيخين روى نعامى
أما المقروف إبليس يطوف	له شرشوف قن الناس
وأما المحروف خليل الله	أما الظروف النضر العباس
أما الهرجوس لنا جاسوس	حاسد وتغوق خفيف الرأس
أما الرادى نسيم الريح	أما السكاى عقرب السكاس
أما الشافى دنى النفس	من المسكر نسيم السكاس
ففى حواء خلقت كالبدن	بوجه منه كالمقياس
آدم قام يريد لها	أناه الوحى بلا قرطاس
سلامة قال نركى الخطاير	شرحت سؤال أبو برناس

فلما فرغ سلامه من كلامه تعجبوا الحاضرين من فصاحة لسانه فما بقى عنده
 الهراس أكبر منه وقال تمنى على ما تريد يا سلامة قال له أريد أن ترينى دياب حتى
 أشفى قلبى منه بالعذاب فأمرهم بما قال فعند ذلك قاموا فى ساعته وأخذوه والشبع
 قدماه أشعلوه وساروا حتى وصلوا إلى السجن فأدخلوه ولما شاف دياب فى هذا البلاء
 والعذاب كل عن الصواب وتقدم إلى عنده ورفع يده وضربه كف طير الشرر من
 عينيه فتألم دياب وصاح الله يقطع يمينك فقال له وأنت الله يقطع عمرك من هذا
 السجن ثم أنه خرج من عنده وتوجه إلى عند الهراس وقال يا مالك الزمان هذا دياب
 ما بقى يشفع قال الهراس كيف يكون رأى عندك فقال يا سيدى فكك من الحديد

حو لبسه شوه جديد وطلعه إلى القصر وأطعمه دجاج وخبز كان حتى يسمن ويعود
 ويصلح للعذاب فقال الهراس اطلعه فطلعه وعمل ما فيه مثل ما قال الراهب سلامه
 وقال دياب من ساعة لساعة يصلحها رب الأرباب وأما أبو زيد لم ينزل إلى دياب
 إلا كل على أنتم المراد وكان مراد أبو زيد أن يرد دياب إلى عافيه لأنه قد انسلأ
 من كثرة الجوع ولا عاد عنده القوة ولا حيل قال واستقام أبو زيد عند الهراس
 فلا يغلب عليه أحد من الناس فسمع راهب من الرهبان وكان يسمى مغلوب ابن
 توما فركب وأتى إلى عند الهراس فلما وصل إلى المدينة قامت الصخرة وقالوا يا ملك
 أتاني مغلوب بن توما فركب الهراس ولا فاه وسلم عليه فما رد سلامه قال له لماذا
 يا سيدى ما ترد سلامى قال كيف أرد سلامك وعدوك أبو زيد عندك وأتى إلى
 هذا الدالى لأجل خلاص دياب المغوار فقال الهراس أن لا تأخذ أحد ظلم وعدوان
 فقال مغلوب هذا يتكلم بالسمع لغات ويصيح حاله يسمع صيغيات لأنه غضبه من
 الغضبيات وأنا مالى معه غرض ولكن خيرة ومحبة وأخاف أن يقتلك ويخرب بلادك
 فقال له الهراس اذهب معى ياسيدى إلى الديوان شوفه فساووا إلى الديوان ولما
 دخلوا التفت الهراس إلى الراهب سلامه وقال له أنت أبو زيد صاحب المكرو والكيد
 أتيت تفك دياب من البلاد والعذاب وحضر من يعرفك وجيت سحر تبا بمكرك
 فقال سلامه من الذى حضر يعرفنى فقال له مغلوب يعرفك وهو عالم بلادنا وخطيب
 هياونا فما أنتم كلامه الهراس إلا والراهب سلامه بكى بكاء شديدا وقال يا ملك
 ها دام كل من أتى اليك تسمع كلامه أنا بقى لى عندك قعود وأشار يقول :
 قال الراهب سلامه يا ملك اسمع كلامى وأنت قاهها يدها السؤال
 من عند مثال ثبت لعندكم وردت قبرص والسهول من الجبال
 وجيت إلى عندك وأكرمتى وأعطينى كل المواهب والأموال
 وعلى الجميع قد رقيتني وجعلتني ملك أحكم بالرجال
 إذ قال أكيد هذا أبو زيد الذى يحكون من جبال إلى جبال
 هابه وخابره وأتيت شاهده والمحق ما يخفى عن أهل السكال
 أنعلم معى ما تريد وتشتهى وعواد شبحنى عن درس الجبال

وإن كان ما يثبت ويطلع كاذب من أين من أنى إليه أبو زيد الحلال
وأما ورائي ألف عايد سابعين ما كواهم عشب الفلا ثم الزلال
وصابعين الدهر هن كل النخيل ما يعرفون النخيل أيضاً والجبال
قلما فرغ من كلامه قال الحراس تحقيق هذا قبل الشيطان قوم روح إلى عند
مغلوب هذا وهما في الكلام إلا والراهب داخل عليه قاموا له وسلم عليهم
فردوا عليه ثم التفت إلى من حوله وقال هذا الراهب سلامة قالوا نعم قال لهم
من أين يا راهب قال من بيت المقدس قال أول كذب وأنا إلى أربعين عاماً في
بيت المقدس ما سمعت عن الراهب سلامة قال أبو زيد أنا مثل ما يدخل جدولا
بأى عمار أنا كنت سايح في رؤس الجبال قال له قطعت يدك يا محتال ولكن
أقولنا الإنجيل فقرأه فقال له أقولنا المزامير فقرأه فقال السواعي وغيره والكتب
فقرأها في لسان مثل المبرد فتمجّبوا الحاضرين منه غاية العجب قالوا مسلم
لا يعرف يقرأ كل ذلك قال لهم مغلوب هذا يعرف السبع السن يقرأ فيهم
وأشار يسأل ويقول :

قال مغلوب أين نوم الموحى	ألمهم كلامي يا سلامة وافهمي
قد جيت تأخذ بمكرك	وتروح إلى أهل وعنا تطلعي
إن كنت راهب في مسائل	إن كنت شاطر لا تكون بصبحي
اخبرني كن شجرة طويلة فروعها	وبها عمار مثله ومربعي
واخبرني هن شيخ مصل دايم	مفطر ولا يدخل لمعبد يوكعي
رد الجواب إن كنت عارف راهب	وإلا لتوبك والبرس اقلعي
اليوم يا أبو زيد لا وريك العجب	عن كل مسألة بها لا تسمي
هذه مسائل ابن توما ردها	ارمي للسبك ثم قوم واطلعي
رد الفتى الغريب المسعى سلامة	أصل من قدس الشريف موعدي
وأنت ترمي لنا مسائل مثل معجزة	عندك ولكن عندنا لا تسمي
صلياً بالقدس قد باخوا فيها	ومشهورين بين النساء يا عدي
تقول هن شجرة كثيرة فروعها	آدم وحوا النيل منهم مزعي

تقول عن نور بضوء فوق الدجى فوق الظلام والظلام يفرقي
 هناك نور العصب لما انقضى بعد الظلام بسرعة يفرقي
 تقول عن شيخ مصلى وصائم مفطر لا يدخل لمعبد لا يركعي
 هذا طير الليل دائما ساجد صائم يأكل دود ما يترجمي
 وتقول عن حرمة تمصيح بصوتها الحق تهواها ولايتها تهري
 هنيك دنيا تحول وتقلب وتميل مثل السلع ما يترعي
 هذه رموزي قد صرحت فصولها أخبرني عن خمسة وستة وأربعة
 خافوا من الصخر الأصم جميعهم ما كان لهم نار تهب وتلمعي
 وأخبرني عن حرمة توقع بعلمها ألفين مرة بفر يوم وتكلمي
 ونجوا أولادها ما يشوا صفوا والشخص منهم لقلوب يروعي
 وأخبرني عن أربع بنات بكر من شافهم فوق الوطى يتضرعي
 وقال لي عن نفر نفير ومنفر والكبر والكارين يبطلي
 وقال لي عن شلا وشل وشلة والتحط والتناحوط والمترجمي
 والاهل والاهول أين مكانهم والسبط والنبطان والمترجمي
 رد الجواب إن كنت عارف قائم والإقام من قبالي وأطلعني
 فلما فرغ من كلامه تعجبت الناس من فصاحة لسانه وعلمه وبيانته وأما من منسوب
 قال الملك علامك ما ترد جوابه وقد أرميت عليه مسائل ردها قال يا ملك أنا ما قلت
 لك هذا نعمة من النعمات ولكن هذا أبو زيد أقتله وإن أردت أبقيه فقال له الهراس
 كيف تكون يا راهب سلامة فقال يا ملك الليلة مسمى المساء وأمكن أبقيا إلى الهد
 وأنا الليلة اختلى في ذاق مع سادق الدين ربوني من صغر سني وما أظن أنهم
 ينسوني ومن هذا المشكل يخلصوني غدا أخبرك وانقبض الديوان وتوجه أبو زيد
 واختلى بنفسه ثم احضر دهن السندل ودهن به جسمه وإذا لمس النار ما تؤذيه
 وبات إلى الصباح وطلع الهراس وانكف عليه الناس قال الهراس كيف رأيت
 يا سلامة فيكي أبو زيد وقال وحق العمامة آتاني أربعين عابد وكل واحد طول
 أربعة رجال وعمرهم ما تركوا الصلاة وهم في أقطار الأرض طائرين ينظرون
 (٨ — تغريبة)

لحال المساكين لحكيت لهم عن مغلوب حفظوا أهم لا بد أن يحرروه وحكيت لهم
فقتلك باركوا لك في طول عمرك وكل واحد أومبك من عار عام تمام فقال له الهراس
جبرك الله عنا كل خير لأنه زاد في عمري أربعين عام هذا في اليقظة أو في المنام
وكيف قالوا لك أن تفعل فإن قالوا لي خلى الملك يوقد النار في القرن ودخل القرن
أنت ومغلوب والذي يكون غاطان نحره بالنار قال الملك ماذا تقول يا مغلوب قال
يدخل النار قبل هذا الشيطان المكار قال سلامه نعم أدخل قبله وأمر أن يوقد القرن
فأوقدوه حتى صار حمرا أحمر ودخل أبو زيد القرن من بعد ما تلا اسم الله الأعظم
فمادت النار باردة باذن الله سبحانه وتعالى العزيز الجبار فنزل الهراس بعد ساعة
وجده جالس كأنه في روضة خضرة فقالوا ادخلوا مغلوب فقد موه وصرخ صوت من
صميم فؤاده فديده أبو زيد وساقه حتى نثره حتى صار داخل القرن فاحترق وقضى محبه
أما أبو زيد طلع سالم فصار الموجودين يتباركون به وأما الهراس فإنه استعقد فيه
العبادة وصارت تحمله الذنوبة باكر وعند الغياب تغلبهم حتى قتلهم شوية لجمعوا
الأنباري من جميع البلاد وإذا هم اثني عشر ألف أسير فوضعهم في مكان حصين
وفي الليل قام أبو زيد وأخذ شمعاً ودخل على دياب بلاقيه في هم شديد ولكن
فيهم واحد أطول من الكل اسمه عمر وكان من بلاد الشام فلما شاف سلامة قال
آه يا ملعون على ما أكون مطلق السواعد فقال له سلامة ماذا يطالع بيدك ثم تقدم
اليه وأطلقه وقال له دونك وما أنت طالب ها أنا أمامك فاستعد وانطلق على
أبو زيد فالتقاء كالأسد ومد يده من وسطه ودفعه على رأسه وخبطه بالأرض قام
يدخل طول بالمرض وقال كيف رأيت نفسك ثم عني عن فلما فرغ أبو زيد فرح
هاب فرحاً شديداً ما عليه من مزيد والأسرى دعوا اليه بانثو فيق ثم أخذهم إلى الزدخانة
فأخذوا منها ما يحتاجون ثم أرسل أبو زيد أرسى عمر مع الفين من الشباب وربطوا
الطريق والأبواب وفرق الباقي في جميع أنحاء البلد وأخذ معه دنانير ألف فارس وسار
نحو السرايا ودق الباب دغلبه الحارس فقال أبو زيد أنا الراهب سلامة ففتح ودخل
الأمير أبو زيد وضربه بالسيف قطعه نصفين ودخل على الهراس مع رفقاء نده أيام
على فراشه فرفسه برجله ففارق وفتح عيونه يرى الموت الأحمر فوق رأسه فقال من

أنتم يا قوم أبو زيد أنا الراهب سلامة أسمع أبو زيد قال الراوى فما أنتم كلامه
إلا وأشهر دياب حسامة وضربه على مامه رمى رأسه قد انه وأخذ أنفاسه ثم تفرقوا
في الأسواق والأزقة وحملوا السيف بمن لم يطلق حتى قتلوا اثني عشر ألفاً وباقي الناس
طلبوا الأمان ووضعوا المحارم في رقابهم فعضوا عنهم وطلع منادى ينادى في الأمان
وجاس أبو زيد في الديوان واتي عنده الأكابر والأعيان بين أبو زيد ونوفل إشارة
وكانت مراكبته دائماً في البدر فرفع أبو زيد الإشارة فلما تقدم نوفل بركبه نحو
البنط وصعد إلى البر فذهب أبو زيد ودياب لا قوة وسلموا عليه ورجعوا به إلى الديوان
والتفت أبو زيد إلى الحاضرين من أعيان البلدة وقال لهم قد وليت أوقل حاكم عليكم
ولا أحد منكم يخاف له أمر فلما فرغ أبو زيد من كلامه شكره على مقاله ودخلوا إلى
دار الهراص وجدوا المال الذي فيها لا يبد ولا يمحى فأخذوه ووثقوه في المراكب
وردعوا نوفل وسافروا بعد ثلاثة أيام ووصلوا إلى دير اللاذقية فأرسل أبو زيد من
ي بشر الأمير حسن وفي هلال بقدمهم فقامت عندهم الفرحات وعلت الصيحات
وزغرط النساء والبسات ودفعت النوبات وركبت الأربع كرات والامارة السادات
وساروا حتى وصلوا العندهم فلما وقعت العين ترجل الفريقين وسلوا على بعضهم البعض
سلام الاحباب فهنئهم بالسلامة ثم حملوا الاحمال رساروا وأما الاسارى ماشيين
على عرصة قدام الأمير أبو زيد إلى أن وصلوا إلى الخيام فقابلتهم النساء البنات بالزغاريط
والنوبات وهنوا الالهير دياب بخلاصه من الاسر والاعتقال وشكروا الأمير أبو زيد
على حميد أفعاله والخصال وصرقوا ذلك الهار بالفرح والسرور والغبطة والجمهور
وعمل الأمير حسن في اليوم الثاني وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وما زالوا على تلك
الحال وهم في أرغد عيش وأنعم بالمدة عشرة أيام وبعد ذلك سمعوا على الارتحال
من تلك الاطال فهدت الخيام ونشرت الرايات والاعلام وركبت السادات ظهور
الخيول واعتقلوا بالرماح والفضول وركبت النساء البنات في الهوادج والعماريات
وجدوا في قطع البرارى والفلاوات طالبين أرض عيام حتى وصلوا اليها بعد أيام
فمنصبوا المضارب والخيام ورفعوا الاعلام .

قال الراوى لما رجعوا بنو هلال من قبرص واجتازوا في طريقهم مارين التفت

حسن بن سرحان إلى الامارة والفرسان وقال لهم يا قوم مرادنا هذا اليوم أن نذهب إلى الصيد والقتل وانتهاج الهوى والفرس فإذا أنتم قائلون فقالوا نحن لك مطيعين ثم في ساعة الحال نهض الامير دياب وبدير وساروا مع حسن يجدون السيروسا يقولون بمسدهم الطير وما زالوا سائرين من مكان وهم يطاردون الارانب والغزلان حتى وصلوا إلى أرض يقال لها قلعة سوا كن فيبيها هم على هذا الحال وإذا لاقاهم رجل عطار ذو هيئة ووقار قدمه حار واضح عليه العطارة فلما أقبلوا سلّموا عليه فأرد عليهم السلام بل انه قال لهم وقم يا أرباش لا بد ما اقتلتمكم وأريح الدنيا منكم ثم تقدم إلى حسن وقال له وبالك إلى أين سائر في هذه الاطلال أنت ودياب وبدير أبناء الكلاب والله لا عذبكم أليم العذاب (قال الراوى) فلما فرغ أبو بشاره العطار من كلامه والامارة يسمعون كلامه قال حسن اسمعت قطع الله لسانك فعند ذلك صاح القاضى بدير وارتمى على أبو بشاره وأراد أن يفتك به فصاح به أحمد بالقنطرة فلما أتم كلامه حتى ارتفعت أعضائه وكذلك حسن صار فيه قتاله فلما انظر دياب هذه الاحوال حمل منه وصاح فيه اليوم يومك يا ابن التمام ثم أنه فورم الرمح السام وقال له خذ ما من دياب الاسد الريال فاواد أن يطعنه فلما نظروا نفسه إلا مكتف مكشوف الرأس بلا لباس حافي القدم فعند ذلك صاح فيهم ومشى أمامهم فنبهوه مثل الغم وكل منهم صار في حالة العدم

قال وما زال سائر فيهم حتى وصل إلى قلعة سيهون فاحذرهم قدانه وأراد يستقيم كأس المنون وأدخلهم إلى السجن ووضع لهم الحديد والأغلال وقال لهم ما بقي لكم خلاص من ضيق الافقاص قال الراوى هذا ما كان من أمر هؤلاء أما ما كان من أمر أبو زيد فإنه كان غائب في الصيد والقتل فلما رجع إلى الاطلال ما وجد حسن والابطال فسأل عنهم بعض الرجال فقالوا ساروا على الصيد والقتل ولهم يد ميني تلك البرارى والايام وهذا ما نعلمه يا ابن السكرام .

قال الراوى عبيداهم في الكلام وإذا بالذين كانوا مع الامارة شاردين في تلك الايام فسأهم أبو زيد عن حسن الامارة فاعلوه بهذه الاشارة فلما سمع أبو زيد هذا الكلام غاب عن الصواب وصار في حساب رأمور صعاب وسفر ساعة من الزمان

هم التفت الى الامراء والفرسان وقال لهم كيف يكره عندكم لرأى فقالوا له الراوى رايك
ونحن ما عندنا رأى فقامت اسامه دلال بالاصباح والبكوالواواح من كل جانب وباتوا
فى هم وغم شديد ما عليه من مزيد (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء
بنوره ولاح واجتمعت بنوه دلال عند أبو زيد وقالت ما هذا لئاصاب وما يكون
من الجواب قال لهم قوموا بنا فى ساحة الحمال تدر عليهم فى البرارى ونفحص عن
هذه الاحوال فبينما هم كذلك وإذا برجل صابر فى تلك الدكادل فساروا اليه فسلموا
عليه فرد عليهم السلام بكل ادب واحتشام فقال له أبو زيد يا أبا العرب وصاحب الفضل
والادب أنت من أين والى أين فاصد فقال له يا أمير أنا كنت فى صهيون وسار الى
بغداد وتلك العيون فقال ما عندك من الاخبار فقال اعلم بينا كنت أس سائر
فى تلك الناحية إذ وجدت أبو بشاره المعطار ومعه ثلاثة أماره وخيارهم من بنى
حلال ولكن واقعهم فى أوثم الاضرار وأخذهم الى قلعة صهيون ووضعهم فى
الحديد والاعلال وهذا ما عندى من الاخبار وإذا كنتم ذاهبين الى خلاصهم
ارجعوا واستجروا بالله لتلايصهم فيكم مثلهم لانه ما يقدر أن يصل اليهم فقال له
أبو زيد من أى شئ فقال له من أبو بشاره لانه سحار مكار لا يبالى له بنار ولا كن
أنتم من أى بلاد فقال له من بلاد الحسار والقظيف فلما سمع الساعى كلامهم تركهم
وسار الى حال سبيله واما أبو زيد فانه قال لفرسانه والابطال ما يكون عندكم من الراى
والارشاد فقالوا الراى عندك يا ابن الامجاد فقال لهم ارجعوا الى الاطلال وانا
وزيدان نكنفى لهذه الاحوال فعندما رجعت العرب واما أبو زيد ساروا فى تلك
البرارى والغفار طالين قلعة صهيون وفى تلك الاوطان إذ نظروا أبو بشاره المعطار
يدور فى تلك البرارى وسابق قدماه الحمار فلما نظرهم وقف حتى وصلوا اليه وصاروا
بين يديه فصاح فيهم وقال لهم وبلكم أيها الاندال وقيم فى أوثم الاحوال وقمت
يا أبو زيد أنت وزيدان وتظنوا أن سكركم يدخل على واثقه يا أبو زيد لا بد اقتلك وارج
الناس منك فقال له من عرفك بيننا حتى تعادينا فقال عارفكم من وقت ما خرجتم
من اوطانكم قال الراوى فلما فرغ أبو بشاره من كلامه والامير يسمع نظامه اغتاض
هبطاً شديداً وقال له سد فك لعن الله أبوك وأمك وما أنت الا ملعون يا بايع الغفل

والسكون روح ويبيع عطارك على النسوان ولا تعارض الفرسان وأشار يده
 يقول أبو زيد نحسا ياردي نحسا انا أبو زيد حاوي جميع الاشناف
 لا بد ما اقتلك واقتل الى حنا لو كان عندي ثلاثين ألف سيف
 انا أبو زيد وكل الناس تشهدل قوم صميدع من نسل الاشراف
 قال الراوي فلما فرغ أبو زيد من كلامه وأبو بشارة يسمع نظامه غضب غضبا شديدا
 ما عليه من مزيد وأراد لهم التنكيد فعندها سحب زيدان حسامه وغار عليه ويريد
 إعدامه فلما نظر حاله إلا وهو مكتوف ورأسه مكشوف ووقف أمامه بلا شاش
 ودموعه رشاش فلما نظر أبو زيد ما صار في زيدان خرج عن دائرة الاعتدال وزاد به
 الجور والخيال وما كان عليه في تلك الاسباب بل سحب سيفه وهجم عليه بحجة الأسد
 الريال قال له ويك يا ابن الاندال دع عنك هذه الأحوال فلما نظر أبو بشارة من
 أبو زيد تلك الأعمال خاف من الريال فقبض كبة من التراب وعزم عليها ثم حذفها
 على أبو زيد وإذا برجليه قد لبست في الأرض وكذلك يده يابسات ومرفوعات
 إلى فوق رأسه فعدم حواسه ثم انهأ أبو بشارة زعق في أبو زيد بصوت هائل كأنه الرعد
 الصايل ورفعه في يده ما شاف نفسه إلا وهو طائر ما بين الأرض والسماء وأما زيدان
 لجزء ذلك الملعون ووضع في حصن صهيون ملعون ما لها إلا الله وأشار يقول:

يقول الفتى زيدان بن غانم ونهران قلبي زائدات لنجاح
 أنا كنت أبو زيد في البر سائر تدور عليكم في مسا وصباح
 فلانا العطار السكين في طريقنا أناري سحار مكار يا صاح
 فصاح عليه الأمير سلامة وقال له من هنا عاد لك نهار راح
 وأبو زيد ما نظرتة ابن خدا يا حسرتي ما اعلم لاي أرض راح

(قال الراوي) فلما فرغ زيدان من كلامه والامارة تستمع شعره ونظامه فقالوا
 مليح هذا ملعون يمجينا واحد بعد واحد في حساب وأمر صعاب هذا ما كان منهم
 وأما ما كان من أبو زيد فانه ما وعى على ذاته إلا بين ملال يبكي وينعى أهله
 والأعمال ويعترب يبداه اليمنى والشمال فلما رآه بنو ملال بهذا الحال فأمر عليه الصباح من
 كل جانب قالوا يا ناس أبو زيد جن الآن يبكي وبان ثم أنهم تقدموا اليه وغاروا

عليه وقبضوه وحطوا القيد في رجليه وبقي في هذا الحال مدة ثلاثة أيام مع ليالي لا يعرف
ذاته في أي مكان اجتمعوا عليه الفرسان وصاروا يرأسوه بالكلام فعند ذلك صمى
من الأوهام فقالت أكاثر بنى هلال إلى متى هذا الحال يا أبو زيد ومن الذي طامع
فيك هذا فقال لهم أين أنا وأنتم ما تكونوا فقالوا نحن أمالك وأحبائك بنى هلال
فعند ذلك صمى مليح وعرف من عنده وصيح وأشار يعلم بهذا القصيد يقول :

قال أبو زيد الهلالي سلامة	ويزان قلبي زائدات ظروف
يا آل عامر يا أجواد اسمعوا لي	فيا جرى لي يا ناس في هذا اليوم
علي أنا والفتى زيدان قدامي	في فرد ساعة دمانا يا قروم
وقال لي أنت غدار تغدر في	اسمك سلامة ودير على القوم
فصحت في زيدان أنطح رأسه	ادعى هذا السكب وسط السم يوم
فصاح يا ناس بزيدان أولفه	مربوط في شاشه بقي محروم
لما نظرت أنا يا هلال فعلاه	بقيت بهال الذل شبه اليوم
صرخ علي ويده أو ما تجرى	ما عاد لي حول حتى أقوم
وجدت نفسي بين العرب واقف	صاحي كأي يا ناس في نوم
عمرى ما زلت بالناس مثله	أبو بشاره دعاني أنا يا قوم
يا هلال ماذا العمل وإش قولوا	أرواحنا في سبيل الله تروم

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه وبنو هلال يسمعون نظامه وإخلاء
بالأمير غانم أبو دياب مقبل عليهم فدخل وسلم فردوا عليه السلام وقاموا له على
الأقدام فنظر بينهم فلما رأى أولاده غائبين زادهم وغه وقال يا أمه أبو زيد أجب
أولادى وثمره فزادى فأخبره بما جرى وصار فلما سمع هذه الأخبار طار من عينيه
الشرار وصاح صوتاً من صميم فؤاده ووقع مغشياً عليه وغط على قلبه ساعة من
الزمان فاستيقظ وعاد بصبح ابن دياب وأين زيدان فارس الفرسان وأشار يقول :
يقول الفتى غانم على ما أصابه ويزان قلبي زائدات شعال
أنت الأمير أبو زيد سلامة رأيت عرك قط ما تنظر هوال

أين زبدان المسمى مع دياب مرعب الفرسان في هوق الجبال
أنت أبو تكنا بدر القدير قاضي هلال ما مثله مثال
أوبع فرسان في يوم الحرب مال فيهم الدهر يا أمير مال
أنوك جميع هلال يا أمير الملا يا فارس الفرسان يا مفضل
وكلهم منك يريدون الفرج يا أبو شيبان فارس هلال
أهم ما يوم ساجوا لك قديم تاجر فيهن ترى من الاصل
أخذت لأولادى سرعة بلا بطل أبو بشارة كتفهم بأربع حبال
وانت قد وليت أنت لحنونا ما نظرنا منك قط هذه الفعال
بالقلم يا أيها ما حد يسيقك غير سعدنا التي عنها يقال

(قال الراوى) فلما انتهى من كلامه والامير أبو زيد يسمع نظامه صاحبت بنو
هلال صيحة عظيمة تغلق الجبال وقالوا يا أبو زيد إلى متى هذا الحال وانت
قاعد يا مفضل قم ورس بلا امهال وانظرا حوالا المارد والابطال ونحن نمرقك
ما نترك ملوك هلال قوم يا أبو زيد وسير أنت وأخوانك بدل فعيايلك فقال لهم يا قوم
هذا أبو بشارة كمين من السكمان وما يقدر عليه لا من أنس ولا من جان ولكن
استعنت عليه بالله وتوكلت على الله الواحد الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن
يا بنات وكونا بأعظم المسرات وإن شاء الله ما أموت إلا وأنا غلص السادات من
الأمر والشدات فبكوا الجميع بكاء شديدا ما عليه من مريد وقال له يا أبو زيد
لا تسير تخاف عايلك من التسيير بما يصير فيك مثلهم فقال لهم أبو زيد ما يصيبنا إلا
ما كتبته الله لنا هم أنه قام من ساعته وقلع ما كان عليه من الثياب ولبس من صفة
هزيرش وأخذ في يده عكاز وأبريق وكوكب وسار يقطع البرارى والقفار
والسهول والأوعار وما زال سائر حتى أتى إلى ضيعة من حكم تلك البلاد فبينما
يشترى تلك الرادى وإذا به سمع صوت أبو بشارة ابن الأوغاد وهو ينادى على
الهارى يا غندورة فقال أبو زيد الله يخفى لك هذا الصوت يا ستار استترى من هذا
الجبار ثم أمد دخل خرابة في ذلك المكان واختفى فيها خوفا من ذلك الملعون ابن الاندال
لأنه أنطلق أبو بشارة من تلك الضيعة فكان أبو زيد مشاهدا إليه ثم أخرج من تلك

الخرابة ولحقه من خلف إلى خلف حتى يقتله فلما قرب إليه التفت أبو بشاره ونظر
تابعه فوقف وقال أين بقيت قزوح يا نذل العرب وأنا وراك في الطلب تحسب إني
هاشام بك أنت الذي تخبيص في الخرابه ثم قال له تعالى قدم إلى عندي حتى أوريك نفسي
يا كلب يا مكار يا عرب الديار فلما سمع أبو زيد هذا الكلام أراد أن يهرب في
الأكام وإذا رجليه بإيسات ولاصقات في الأرض فقال له المطار موت كذا
ولا يدريك أحد فصار وتركة فعند ذلك رفع أبو زيد رأسه إلى قبلة الدعاء وبسط
الأرض على رجليه فلما قال المي وعري وجهي ومولاي ورجلي نجاه كل الأنبياء
والمرسلين أنك تغنيني من هذا الأمان بجاه سيدنا الخضر عليه السلام منجى الأيتام
ومغيث كل من دعاه فما أتم كلامه إلا وقال يقول لا تخاف يا أبو زيد ولا عليك من
بأس قتل شيخك الخضر أبو العباس عليه السلام فعند ذلك انطلق أبو زيد من مكانه
وسار قليلا وإذا بشاره أمامه فقبل عليه وقال له من فلك يا غدار يا مكار
فقال له يا عطار أنا عري ما تدخلت على أحد يا مغوار فارجو يا فتى أن تخبرني
وتطافني من وثاق وأنت سيد واقتل المحابيس الذي عندك وأنا بدهم قد ساعدتكم
فقال له إذا طلقك وسرت إلى عند المحابيس قتلهم ما أكون عمت أكون قطعت
ذنب الحية وأبقيت رأسها ولكن أنا لا بدل عن قتلك يا ابن الأندال وقتل محابيسك
أماره بنى هلال فلما سمع أبو زيد هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وأشار يقول
دع عمر السامعين يطول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة ويومان قلبي زائدات شعال
سألتك يا رحمن يا سامع الدعاء بجاه من على الجبال قد جال
أبو بشاره ما تخاف الله يا كاهن يا حيف راجحين أبطال
لو كنت ما سرور وكان الأسر أهون لي وكنت أشوف الرفاقي ورجال
لأهوى بحق السكرام وكعبه وجاه الأنبياء وكل مقضال
بأنك تجهيني من الكهين الساحر أبو بشاره الساحر المختال
مقالات أبو زيد الهلالي سلامة ويومان قلبي زائدات شعال

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والحق متجلى على دعائه استجاب ندائه

فأراد أبو بشار أن يسير إلا وصوت أروعد له الجبال يقول الحقوا أبو زيد بمفضل
 وأسقيه كأس الوبال أو استورك أبو الخضر العباس ما عليك منى يا أبو زيد من بأس
 فلما سمع أبو زيد هذا الكلام ظن أنه في المنام فعندها انطبق أبو زيد ولحق أبو بشار
 في تلك الليلة ولاقى به صاحب عليه وقال له أين عدت تسير يا ابن اللثام اليوم أسقيك كأس
 الحماق وما عاد لك خلاص من حديق الانفاس فأراد أبو بشار أن ياتفت اليه ويهجم عليه
 وإذا بكف على وجهه عقد لسانه ومجذت عيونه ما بقي له كلام فزاد به الأوهام فمسح
 أبو زيد النخعة من العكاز وطسه على هامه حطراسه فقامه فوقع قتيل في دمه جديل ولما قتل
 ذلك لمحتل حمد الله المتعالم الذي خلاصه من هذه الأحوال وقرأ ألفها تحفه وهذا ما إلى الخضر
 أبو العباس الذي خلاصه من الأوجاس ثم أنه أخذ حماره ونزل عنه بضاعته ففردها
 ونظر عافيا ومن ذلك حزمها ووضعها على الحمار وبق في ذاتة مختارهم أنه شلح ما كان
 عليه من الثياب بدون اثياب وتزيابزي أبو بشار في المطار وساق قداده الحمار وقال له
 الله يحرق نظام صاحبك ابن الأوغاد وسار في تلك البراري والأوداد وسار على قلعة
 صهيون وصاح أنا الحنون ساق الضد كأس المنون ومعنى فلفل وكون وحته وأساور
 وأبر وحقن ودمان وأحمر وسيداك وخطوط أرخص لكم البضائع في هذه السفرة
 يا بذات فتكاثرت عليه النساء من كل مكان فصار يكبش ويهطلى لهم بلاش من غير
 هاليل ويقول لهم هل من سفرة كسبتنا شيء كثير فعادوا يدعوا به بكل شفة لسان
 فتركهم وسار في تلك البراري والكسبان ولم يزل أبو زيد سائر حتى وصل إلى قلعة
 صهيون وتلك المعالم فانظر إلى واحد فنزل له وائب على الأقدام والتفاه بالترحيب
 والإكرام وأجلسه بجانبه على مراقبه وأمر له بالخمر والشراب فقال أبو زيد في سره أنا حموي
 ما شربته وكيف أشرب الآن وعاد بامر مختار من هذا الضر فقال له صاحب القلعة
 وكان اسمه حنا علامك يا بشار ما تشرب وتضرب فقال له أبو زيد مالي حاجة حيث
 حلقت عنه يمين جمعة كاملة إنني لا أذوقه لأنه من خاطري قتل هؤلاء الأسارى
 وأسقيهم كأس الذل والخساء فقال له ونحن عندنا ننظر لك حق أنك تهضر ونفعل
 فهم مرادك فقال لهم أبو زيد لأجل أن أسقيه كأس الهوان فلما أحضره ونظر إليه

وصاح عليه مريك يا ابن الانذال أين رفقتك والابطال قال له في السجن يا مفضل
فقال يا جان أنا أسألك عن أبو زيد أين هو الآن فقال له أبشر باكر بيمينك ويدك
فبعد فقال له لا تخشى أنت وإياه لازم قتلك أنت وأبو زيد وحسن ودياب آخذ
منكم النار واكشف عن العار وأشار يقول :

أبو بشارة قال يا زيدان	وحيات وامي لأجلك قربان
لأعماك شهرة في كل الملا	وحيات ديني يافتي زيدان
اليوم يا زيدان تبقى حاد	من يد أبو بشارة الفارس العرمان
واقول حسن أنا بعدك	وقتل دياب الفارس الخوان
وقتل بدير بن فايد يا فتى	وقتل أبو زيد على الوطيات
يا قوم هاتوا الخطب ثم اضرموا	كبريت ابيض حطوه بالنيران
وهات الرئيس والسكواهن كلها	وهات يعوب وأبو سلمان
وكل من يأخذ شقفة منهم	يوصل خبرهم إلى جبل سيمان
وأخذ ثار بدريس الفتى	وثار دابق ثم ثار الإخوان
زيدان لاشق فؤاد منكم	إن أقيت فارس قرم هنا التقاني

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه وزيدان يسمع شعره ونظامه قال لزيدان يا أبو
بشارة لا تخوفنى بقولك ولاهى المراحل في السحر لما جلى على ظهور الخيول مات
جبراد وعة جلاد وادعى قومك كلهم بالقوى في الميدان يا كلب يا جان وأشار
يقول وعمر السامعين يطول :

قال الفتى المسمى زيدان	أبو بشارة ما أنا فرعان
إن كنت تقتلنى فهذا يومى	هذا الذى مقدره الرحان
لأن عمرى يافى ما هو بيدك	العمر من الواحد المتان
إن كان نجاتى إلهى منكم	لألن أبوك من قديم الزمان
وحيات رأسى إن طلعت الفلا	وركب لفرسى وعود الزمان
أبو بشارة كيف تأمر بحرقنا	وقول قوموا اضرموا النيران
النار تحرق بالعين فؤادك	ما تحرق الإسلام ياخوان

يا أبو بشارة يا لعين تأدب يا نذل يا سحار يا شيطان
قوم وانظر في المرايا وجهك وما كانك إلا من فرخ الجان
قال الفتى زيدان من وسط الحشا كلامي صدق ما به بهتان

(قال الراوى) فلما فرغ زيدان من كلامه وأبو بشارة يسمع نظامه قال له يا نذل
دياب قتل ابن عمى أنت وأبو زيد قتلته وعلى الأرض جندلته قال زيدان تقول
أنك عارف شاطر وتعلم السحر ما هو أناريك كذاب وما لك علم في هذه الأسباب فقال
له كيف ما أعرف ذلك وأنا مالى وقائع ومها لك قال له زيدان كل الذين قتلوا
ما قتلهم غير دياب ابن الانجاب وأما أنا وأبو زيد ما قتلنا أحدا فقال أبو بشارة هاتوا
دياب ومن معه حتى نطرح هذا الارتباب فأجابوه بما قال وساروا في الحال واحضروا
دياب وبقية الأبطال حينئذ التفت أبو زيد إلى دياب وقال له من قتل أولاد عمى
واسقام كأس العذاب فإن زيدان قول أنت قتلتهن صحب هذا الكلام أفيدنى بالجواب
قبل أن أعل رأسك بهذا الحسام فأجابه اعلم يا أبو بشارة أن المكتوب يقرأ من
هنواته انظر إلى كلام زيدان أنت تحاكيه بالدم وهو يحاويك بالنظار هذا
كلامه في هذه الأمصار وما ذا يكون في البراوى والقفار والله ما نجس إلا أبو زيد
الغار العنيد وهؤلاء الذين عليهم الكلام يا فريد فقال أبو بشارة والله ما فيكم واحد
مقصروا كلكم أنجس من به عنكم البعض أنت مثل الحية ناسع وتحنى رأسها وأشار يقول:

أبو بشارة قال أبيات مرتبة أبيات موزونة على البيكار
لا تأمن من الدهر عرك ساعة الدهر درلاجه حقيق دمار
دياب قتلت العزاز في سيفك حتى الخراعى دعيته على الوطاح تار
وحياة ديني لأجعل قتلهم عبدة يوصل خبرها إلى بلاد شنجار
وأقتل أمارتكم كل رجال مبدئين كبراج كل واحد دار

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وقوما تسمع نظامه ودعوا له بالنصر والظفر
قال أرموا دياب فجابوه وطرحوه فأخذ المعاصبيده وقام ليضربه فقال له زيدان ممكن
يدك يا أبو بشارة ريت عرك ما تشوف خسارة من بعد ذلك العذاب القبي في النار
فقال دياب ويالك يا زيدان كيف يهون عليك هذا المرام يا خفيف يكون أبوك غامر

وأخوك دياب فقال أبو بشارة إلى زيدان ماذا يكون منك هذا هل هو فأجابهم
من قرد أم وأب ولكن قوم اقتله وادعى من الدنيا مرثله لأنه هو الذي قتل
وجالك وألقانا بين يديك ظلم فقال دياب واقه يا أبو بشارة صاحب الطعان غلب
صاحب الإحسان والله ما يستاهل القتل غير زيدان لأنهم قتلوا أولادكم وهذا
زيدان يرباية ذلك الشيطان فقال أبو بشارة حنا أنك ترعاه ولا بد ما يمدك .
قال الأمير حنا يا بشارة قوم اقتل هؤلاء الأسارى فقال له طول بالك يا ملك
ولا تعرف قتلهم الا متى ولكن لا تقتلهم حتى أجيب أبو زيدون بذهبهم سواء أنت
كون في صفك فلما سمع حنا كلامه سكن روعه وجلس موضعه وقال افعل مرادك
بملك الله آمالك عندها التفت أبو زيد إلى القاضي وقال له أنت قاضي العرب قال نعم قال
أنت قلت إلى قومك أن يقتلوا عباد النار ذات الشر اخرجي قتلوا إلى أمارتنا وفرساننا
فقال له قتلهم حلال قال في كل المذاهب لأنه ليس بعيد إلا الله سبحانه وتعالى فقال
له مرادى أن أرعى عليك مسائل فقال القاضي اسأل ما شئت فقال أخبرني عن شجرة
وفي كل غصن ثلاثين ورقة وفي كل ورقة خمس ثمرات من الثمين اثنين بعض وثلاثة سوء
فقال له القاضي هذه السنة والأشهر والأيام والصلوات الخمس فقال له أخبرني مسيرة كم
يوم فقال له خمسمائة عام قال زيدان بنى عليك أن تسأل دياب وأن ما عرف يجاوبك قطع
رأسه واخذ أنفاسه فقال دياب ويحك يا زيدان أما أنا أخوك لاشك أنك ابن لثام
وأنت تربا أبو زيد الهمام قتلتم بدريس وعواها فإن قتلوكم يكونوا اخذوا قارهم
منكم وأشار يقول :

دياب غي قصيداً من ضميره	ودمع العين عاتلين طوفان
يا أهل المروءة اغفوا اليوم عن قتل	إن كنت تقتل قوم زيدان
هذا الذي قد حان يا نحر الورى	راعى دماء على الفلا خلعان
وهذا وأبو زيد قتلوا عمالك	دخلوا الفوارس في بلا وأحزان
ونحن يا أبو بشارة قوم اقتلنا	أنا وبدير مع ابن سرحان
ترمى علينا مسائل ما نعرفها	ما يعرف اللغو إلى أخى زيدان
وإن كان زيدان ما يعرف سؤالك	قتله يا أمير محمد يمان

واقفل أبو زيد اللال سلامة واجمع عليهم يا أمير فرسان
أنت صاحب العزة والمجد والعلا أنت صاحب الصيوان والعبدان
وهذا الذي أبصرت يا فخر الملا وقولي ما به نقصان

(قال الراوى) يا دياب أنت تقول ما قلته وحسن القاضى وزيدان يقولون أيضا
ما قلنا أحد ومرادى أعلم من هذا الذى قتلهم أخبرونى وأصدقوا المقال وإلا
نقطتكم فى الحال فقال لهم دياب أعلم يا أحباب ما حدث قتل عمامك والابطال أبو زيد
الأمير زيدان وأنا أعلمك بصدق اللسان وما بقى على ملام ولا قتلنا جميعا نكون
فسخت الزمان فقال زيدان ويلاك دياب من قتل بدرين والخزاعى فى ذلك المقام
والمراعى فانت تعمل عمالك وتتهم غيرك وأنت دايما فى العانيات ومالك فى شىء
تحياب وطبعك العدا والهزيمات وأنشد يقول :

قال زيدان قصيدة من ضميره أبيات كالدر مورثة بيزان
وحق عيسى وموسى والنبي محمد قولى صحيح ما فيه بهتان
دياب هو الذى قتل ابن عمك قتل بدرين بسيفه وستان
أيضا مثل الخزاعى ما خنتى هناك بحقيق يا أبو بشاره ما أنت وثمان
حننا يا أمل المروءة بالسباع واجمل دمه فوق الارض غدuran
بهيات رأسك تشفى خاطره منه هذا يقين فتن كتمه شيطان
وهذه المسائل يحلها دياب بساع وإن ما عرفها اجعله اليوم قربان
اضربه على رقبتك بالسكف وحياتك يا فارس الفرسان يوم طعان

قال الراوى فلما فرغ زيدان من كلامه والجميع يسمعون نظامه فقال حنا كيف يا أبو
بشاره دياب يفتح أهلنا ورجلنا وأنت ساكت عنه يحياق عليك تشفى خاطرى
عنه فقال ارموه تحت الضروب فرموه وقام أبو بشاره وأخذ العكاز فى يده ومال
عليه حتى كسر أجنابه من القتل والنفس إلى العاضى وقال له مرادى ارمى
عليه مسائل أن ما جبت عنهم ضربتك مثل رفيقك فقال له سل عما تريد أيها
الملك السعيد أخبرنى كم طير نزل بالسكناب فقال له نسعة فقال حنا وما - ، التسعة
قال الذباب وقل وطير الأبايل والجراد وطير عيسى وهو الخفاش والغراب والهدد

والصنا والهو وهو السمك فلما أتم كلامه قال أخبرني عن طير يمن ويحيض وعن شيء إذا حبس عاشر وإن شئت الهوى مات فقال أما الطير فهو الوطواط وأما الثاني هو السمك ثم إن القاضي التفت نحو أبو بشاره وقال له مرادى أسألك سؤال هو أخبرني عن شيء كان حلال ثم صار حرام فقال له البيضة حلال وإذا وضعت تحت الفرخة صارت حرام فقال القاضي أخبرني يا أبو بشاره عن رجل قام إلى الصلاة سلم من يمينه وجب عليه ما قد دينار وسلم عن شماله طلقت زوجته وإلى موضع سجوده يطأ صلاته فأشار لي شرح صلاته ويقول :

أبو بشاره يا قاضى العرب	أنت فهم تعرف الآيات
اسمع كلامى يا أمير وافهم	واصفى لقول يافى وأبيات
وحق ديقى إني مشفق عليك	ولا دعيتك كنت بالحفرات
دياب قربت بهذا منيتك	أيضا حسن أسقى له كاسات
جاءوا المقارع واضربوهم بالعجل	لحسن يروحوا السكل للسفرا
ترمى على يا بدير مسائل	أنت فما تعرف أمور صلات
هل كان يصلى يا قاضى العرب	عليه مائة دينار من الطبايات
نظر عن يمينه شاف الهلال	وجب عليه المال بالجزايات
نظر عن يساره قد شاف المرا	وعيب عليه طلاقها بثبات
لأنه حالف عليها بالطلاق	بأن ما تطلع من الآيات
نظر فدأمه موضع ما سجد	وجد النعاسة مانجوز صلات
الله يهدينا إلى أوقاتها	بحق من أزل الآيات
كلام أبو بشاره يا بدير	وحيات راسك لاجلك رفقات

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والقاضى بدير يسمع نظامه فقال عفا الله يا أمير على هذا سلم لك يا خفيف عليك تسكون عابد النار ويكون عندك هذا العلم فضحك وقال يا قاضى خلص وحك ولا أقنك أنت ورفقاتك فقال القاضي أريد أن أسألك سؤال فقال قل ماشئت قال أخبرني عن خمسة أرواح أكلوا وشربوا ولا لهم أم ولا أب فقال لهم أنا أعرفك هؤلاءك التفت أبو بشاره إلى رفقاء وقال

أجيبوا سؤال هذا المسلم فقال إذا ما كان عرفتم سؤاله ماذا يعرفنا فقال يا قاضى ما عرفنا سؤالك فاشرحه لنا وخذ لك خمس دجاجات وخمسين رز وسنبرو كان أبو زيد مراده يطعمهم لحم حتى تزدروهم اليه فقال له بدير يا أمير هؤلاء هم آدم وحواء وكهش اساعيل وعصى موسى وناقة صالح فقال أبو زيد أخبرني عن موضع لا يجوز فيه صلاة المسلمين وهو طاهر فقال له ظهر الكعبة فأمر أبو زيد بأخذه إلى موضعهم فأجابوه بالسمع والطاعة أما أبو زيد رتب لكل يوم خمس دجاجات وما زالوا هل هذه مدة أيام (قال الراوى) وفي ذات يوم من الأيام قال أبو زيد يا أمير احنا مرادى أن أسير إلى بنى هلال واقتل أبطالهم ورجالهم وأدعهم بأوثم حال واقتل أبو زيد وتبقى قد يرفى هلال رجالهم ثم أشار بعلمه هذه القصيدة يقول :

عقب على دهرى وفي سبيوان ارماني	عند قوم بين القاضى والداني
الدهر دولاب لا تأمن له باللك	في أرض صهيون هذا اليوم ارماني
نظي حماي وجملي هل بضاعة	حتى أروح سواح في آخر البلدان
واعمل وليمة واجمع فرسانك	وأحط يدى عليهم وعم ذرعاني
وهذه المحاميس يوم العيد نذبحهم	واجعل دماهم في الأرض طوقان
وأجيب أبو زيد وأعماله الماكر	كى يظفر العذاب أشكال وأوان
وحياة دنى لاجعل قتلة شهرة واج	هل صد القلب واكشف الاحزان

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والملك حنا يسمع نظامه قال أفعلم مرادك ربما فبتنا من يخالف مقالك هذا ما كان من أمر هؤلاء أما ما كان من أمارة بنى هلال فيبيناهم بذلك والحقبال تفكروا أهلهم والخلان وكيف عادوا في الدل واليهوان من بعد عزهم فقال القاضى ما يصير علينا إلا ما كتبه الله لنا هذا ما كان منهم وأما ما كان من أبو زيد فانه التفت حنا إلى وزيره جرجس وقال لهم هذه الليلة مرادنا نعمل كيفية فقتلوا حبا وكرامة وما كان إلا برهة من الزمان حتى حضر الخمر وجعلوا في ذلك للمكان وقالوا من يكون الساقى علينا يا إخوان فقال أحد الامارة وما أحد يستقينا غير أبو بشارة لأن يده مباركة فقام المذكور من ساعته وصار يسكب الخمر ويسقيهم حتى سكروا الجميع ما عاد يعرف الأول من الآخر

فتركهم أبو زيد وسلك عليهم الباب وصار على الاعتاب في البراري والمضارب حتى وصل إلى أمانة بني هلال وفتح باب السجن ودخل عليهم وقال قوموا ولما رأوه ارتعدوا منه وقالوا نحن في جديرك يا أبو بشارة فقال لا تخافوا أنا لست أنا أبو بشارة فقالوا من تكون أنت يا فارس الفرسان أعلننا بالحال فقال لهم أنا أخوكم أبو زيد وعليكم الأمان من نوائب الزمان فقال لله درك يا أبو صبرة وشيخان ولولاك متنا من زمان في هذا المكان ولكن أعطى بالك من أبي بشارة ثوباً يعرفك في هذا المكان فقال لهم كونوا براحة بال من هذا الأمر ولازم أذيقه كأس الحمام فطيب خاطرهم ورفع عن وجهه الثام وحدثهم بما جرى بينه وبين أبو بشارة من الأحكام بالتمام وحدثهم بما فعل بهم فلما سمعوا منه هذا الكلام قاموا له على الأقدام وقبلوه بين الأعيان وشكروه بكل شفه ولسان فعند ذلك تقدم إليهم وفسكهم من وعماقهم وأخذهم في جنح الظلام وساروا يقطعون البراري والآكام حتى وصلوا لقومهم ففرحوا بهم فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وطلعوا لقومهم بالطير والزمور وفرحوا على سلامتهم وشكروا الأمير أبو زيد على تلك الأعمال التي تعجز عنها صناعات الأبطال وهازلوا سائر من حتى التقوا في بعضهم البعض فسلموا على حسن ودياب وزايد ونزلوا في تلك القفار في الخيام وقدموا لهم الطعام وبعد ذلك قاموا على الأقدام وتقلدوا بأنواع السلاح وهاتوا ينتظرون الصباح (قال الراوي) هذا ما كان من أمر بني هلال وأما ما كان من أمر حنا والابطال فكانوا خرابين كما تقدم الكلام ولما كان الصباح استنفدوا الأسارى فما وجدوهم وفتشوا أبو بشارة فما وجدوه حينئذ علموا القضية وبما كانت معلومة ثم صاح حنا في الفرسان وأمرهم يركبوا الخيل فعند ذلك ركبوا ظهور المهارة وجدوا في قطع الصحارى طالبين بني هلال وما زالوا مجدين في سيرهم حتى قاربوا الأرض التي فيها بني هلال فقال لهم الوزير وأخوه مريض خذوا أهبتكم للقتال واستعدوا للحرب والزال فلما سمع حنا المقال قال ما لكم ومن بني هلال فقال جريس إذا قمنا إلى وقت السحر وسرنا بلا مهل نصف

النهار إلى بني هلال فقالت الفرسان لقد نظر جريس موضع النور لأن من أمدى وأصبح على خطر لا يأمن من القضاء والقدر ثم إنهم باتوا في ذلك المكان يتقلبون تحت مشيئة الرحمن وعولوا على ما قال جريس من الخطوب وفيما هم على ذلك وإذا ببخيل بني هلال طلعت ولبعت رماحها في شعاع الشمس وهي غاصة في الزرد والسلاح تحن خلفها قطع الرماح وفي أوائلها أبو زيد ومن جواره دياب وحسن والقاضي وزيدان فرسان الحرب والطعان فتبادرت إليهم عساكر جريس وحنا صاحوا بهم فارتجت لصيحتهم الوديان ثم سأل من أنتم أيها اللئام فحمل عليهم دياب بدون جواب فتلقاه فارس يقال له الدمقان وتحاول هو وياه ساعة من الزمان حكم دياب عليه السنان وطعنه في صدره خرح يلمع من ظهره وكان معه عشرة من الفرسان فلما نظروا ما حل به حملوا على دياب فتلقاهم كأنه أسد وفي أقل من ساعة قتل سبع فرسان وانهم الباقون وهم ينادون بالعرب أنقلونا فقال الجن قد حل بنا العطب قم الآن يا حنا وقا تل الجمان فقد برز إلينا من هؤلاء القادمين شيطان بصورة انسان قتل مقدمنا دهقان وسبعة فرسان فلما سمع حنا هذا الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال لهم كان هؤلاء القوم ما عرفوكم حتى قاتلوكم ووجه الأرض جندلوكم ولو عرفوكم ما كان حاربوكم وإن صدقتني حذري ما هذا الجيش المعسكر إلا مع أبو زيد الأسد المغوار وأظن أنه لما خلاص الأسارى إلى العرب وأنا للعطب والآن يحمل بهم العطب ثم أنه غاب عنهم ولما وقعت العين على العين لا وصاح من الفريقين ووقع السيف بين العاتفتين ونادى حنا أنتم لئام غير كرام تظنون أني لكم مالى وما نهيتوا من أفعالى وما قتلت من رجالي اليوم أبليخ منكم ماربى وآمالى فلما سمع أبو زيد من كلامه عرفه وقال له ويلك يا فاجر لئام تفرع هؤلاء الأندال وأنا أبو زيد مقدم الأفيال هم أمر رجاله بالحملة فحملوا من غير إمهال ووقع بينهم القتال ساعة من الزمن فوقع يقوم الفناء سنا الدمار وخاب منهم الآمل وأيقنوا بحلول الأجل ووقعت أسنة الرماح في الأرواح والمقل وجرى الدم على تلك البطاح وهطل وضرب في ذلك اليوم المثل بأن الخطأ والزلل وعليت نهر أن الحرب كغليان المارجل وكان حظها

هو امر الرماح الذبل وخاضت بنو هلال الغبار الفسطل وابر الرقاب واهنو الصدور
 بالاسل وقاتلوا اغتال الجبابرة الاول قلله در أبو زيد وما فعل وقد استقل وسطا
 زبدان وسط البعل ونزل الأمير حسن في جلته بين تلك الامم حتى التي الوزير
 مرقص أخو جريس فرآه ينحني من حوله الفرسان فأقبل عليه وطلعه به دونه بالراح
 خرج يلمع من ظهره فله انظرت قوم حنا إلى مرقص هو قتيل تصايحوا على حسن وطلبوه
 من كل مكان فعند ذلك حملت القومين فرد ذكره واسعروا من نار الحرب حمرة وسالفا
 عنهم الدماء وعاد وجود القوم عدما وزاد الحرب وصارت النعم تقما وملأت
 الأرض ججا وخلت السروج من ركابها بعدما كانت لها حيا وكملت الأجفان بجواره
 السما وثبتت عساكر الملك حنا واجتهدت وطلعت رد أعدائها فلم قدرت بل أها لها ما
 وأت وانحلت عزائمها وتفرقت ولم يزال السيف يعمل والدم يجرى إلى أن أفسى المساء
 فعند ذلك دقت طبول الإفرات وكفوا عن الحرب وكل فريق ذهب إلى مكانه أما
 عساكر حنا فصاروا يتأمرن ويقولون ما م إلا أبو زيد ودياب الذي شاع ذكرهم
 في كل الأرض وبقوا يتذكرون في المحاضر أعمالهم وأخبارهم وإن كان الأمر عن
 هذا الشأن فهذه مصيبة لا ترد إلا بكثرة الفرسان ومعاونة إخوان هذا ما كان من
 هؤلاء وأما ما كان من بنو هلال فإنهم هتوا بعضهم ببعض بهذا النصر وباتوا تلك
 الليلة مسرورين ولما أصبح الصباح همضوا للحرب والكفاح واضطفوا ميمنة
 وجناح وإذا بالوزير جريس يبرز إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل إليه
 الأمير دياب فالتقاء جريس بقلب لايهاب وقال له ماذا بلغك منزلنا حتى دخلت
 أرضنا فذع عنك الحاجة وما لك فيها حاجة ولو ما كنت جاهل لما دخلت هذه
 الأوطان وطلبت تلاقيا في مرمزة من الفرسان فاستدرك أمرك قبل الفوات وادخل
 على والي مقدمنا حتى تعطيك الزمام وما تم كلامه حتى أشهر دياب سيفه وضربه
 على هامه خط رأسه قدماه فلما انظر حنا إلى وزيره قتيلا غاب عن الصواب
 وصاح في قومه إنوني بهذه المصيبة القليلة حتى أشفي منها غليلي فحملوا عليه من
 كل جانب فالتقوا بنو هلال كالأسود الكواصر وانطبقوا على بعض وغطت

الدماء الأرض وأبو زيد في قلب العسكر ينثر الزموس ويبلل الفرسان بعد وجودها بالعدم فكانت ساعة مكدرة وقد طلعت على الطائفتين الغيرة حتى وقع عسكر الملك حنا التقصير ولما نظر إلى عساكره قد انكسرت وعصابة بني هلال قد انتصرت خاف على نفسه وبلاده وبأدى العساكر وشجعهم على الثبات فانطبقوا على بني هلال انطبق الليالى على الايام وحمل حنا وأولاهم ونشرت الاعلام فوق رأسه وأخذ يشحى الفرسان وبينما هو كذلك إذ التقى به أبو زيد فحمل عليه وضربه بالحسام بين عينيه ينسح من الفخذين وقطع الجواد قطعتين وأما دياب وبقية الفرسان فاهم فرقوا الكتائب وأظهروا المعائب ولما رأوا عساكر الأعداء ما حل بهم من الدمار رأت الأديار واركنت إلى الفرار والتجأت إلى القاعة فتهبهم أبو زيد والفرسان فعندما طلب الأمان فأعطاهم الأمان ورتبوا عليهم الحامية في كل عام ورجعوا إلى مضاربهم كسبائين غانمين وفرق الأمير حسن ما غنموه من الجميع وأقاموا على شرب قهوة وأكل وطعام مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك صمموا على الاوتحال من تلك الاطال فهدموا الخيام وانتشرت الرايات والاعلام وركبت الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالرماح والتصول وركبت النساء والبشات في الهودج والماريات وجدوا في قطع البرارى والآكام حتى وصلوا إلى حصن فأقاموا فيها خمسة أيام وكانت تأتهم الهدايا من جميع الولاة والحكام وارتحلوا من بعلبك ومنها إلى زحلة وقد طابت أيامهم في هذه الرحلة لأنهم كانوا يصرفون الاوقات في السرور والطرب وقد زال عنهم العناء والكرب وبعد ذلك صاروا قاصدين مدينة الشام فوصلوا إليها عند الظلام ونصبوا المضارب والخيام .

(تمت هذه القصة ويلها قصة التبعي)

قصة شبيب التبعي

قال الراوى تقدم لنا فى الجزء الرابع أن بنو هلال بعد ما قتلوا أبو بشارة
العمارة حاكم بلاد صهيون جدوا فى قطع الغلوات حتى أقبلوا على مدينة الشام
كان الحاكم فى تلك الأيام على دمشق ملكا أشد فرسان المحاركة واسمه شبيب التبعي
ابن مالك كان فى تلك الأيام قد رأى حلفاء المذموم فقام خائفا فجمع أكابر لديوان
والوزراء والاعيان وقال لهم قد رأيت رؤيا الآن قالوا ما هو يا ملك العصر والاوران
قال رأيت فى منامى أنه قد أتى إلى هذه البلاد سبعاء شبه الجراد وكان كل سبع
يأتى إلى شجرة يقلعها بأنيابه ولا يبالي من الاخطار وكان لهذا الملك وزير عاقل
خبير واسمه الوزير عميرة فلما سمع من الملك هذا الكلام نهض وقال :

يقول عمارة والفؤاد محسر	من أهل عامر يا شبيب تحذر
بنو هلال يجمعهم قد أقبلوا	مثل الجراد يا شبيب وأكثر
من نجد قد رحلوا يجمع وافر	وفرسانهم من كل ليث قسور
قتلوا الديبسى بعد حرب هائل	وأثروا إلى الكوفة بهذا الجسر
لأقام الحر مندى سلطان المعجم	قتله أبو مرعى محمد الإبر
أما الفتى القمام فارس قومه	قتله الفتى الزغبى الأشقر
قتلوا الخزاعى بن حامد فى حلب	ثم غربوا إلى حماة وسنجر
أما السباع بن هلال وحرهم	أما الشجر أبطلنا نثر
فالتقوم منهم ما يسلم روحه	الا بضرب السيف حتى يتكسر
حتى القوم قد بان عندى ياملك	هذا منامك يا شبيب تفسر

فلما فرغ الوزير فهم نفسه حله استعظم هذه الامور وكان قد بلغه قدوم بنى
هلال إلى الشام فزاد ذلك الامر اهتماما على اهتمام لأن أبو زيد كان عند رجوعه
من تونس ومروره إلى الشام كما سبق الكلام قد استخلص من داره سرية عربية
واسما فنوع وسار بها نحو بنى هلال فتأثر شبيب من هذه الافعال فاستدعى
بنجاب وأمره أن يسير فى الحال ويكشف له أخبار بنى هلال فسار ودخل على

بنى هلال فأضافه ثلاثة أيام ورجع لعند سيده وصار يخبره بهذه القصيدة يقول:

يقول مسرور عما جرى له ونيران قلبي زائدات شرار
ذهبت أكشف في هلال نزولهم فسرت وفي قلبي لهيب النار
مازلت ساير في البراري وسهلها حتى وصلت لنزولهم والدار
ولما وصلت ياشيب لأرضهم نظرت خلائق مثل موج البحار
مسافة خمسة أيام يا أمير نزولهم ويوم وابيلة عرض يا غوار
دخلت صيوان الأمير أبو علي عليك عظيم على المقدار
وقال أهلا وسهلا ألفين مرحبة لك الخيم مني أنت ضيف الدار
وأمر لي حسن بخلعه منية بعشر مفاتيح وخمس زوار
وجدت فنوع العامرية جالسة ومن حولها الشبان والأمار
بانت فنوع ترفع الصوت بالغنا بصوت يحاكي العود والمرمار
قد مدحت بالسكر حتى تمايلت وقد طار عنها برقع وخمار
تميل مثل الرياح وتفتنى إلى أن عرفتني بغير إسكار
فقال أوصي شبيب وقل له يلاقى هلال صفاء ووقار
إذا جاء أبو زيد يبغي حربكم يكن شبيب في لقاه حذار
تري عدد قوم هلال وعامر أربع تسعينات ألوف جهاز
أبو زيد مع أجاريد قومه عديم تسعين ألفاً كلهم أمار
ودياب في تسعين ألف محارب من آل زغبة من فروع كبار
وتسعين لقاضي بدير القائد قاضي هلال فارس الجبار
وتسعين إلى حسن أبو علي أمير جوى جاما وكل وقار
وهذا الذي أبصرت! بأفخر الملا وقولي صحيح ما به إسكان

فلما سمع شبيب هذا الشعر والنظام وفهم فحوى الحديث والكلام صار الضياء في عينيه كالنظام فقال للأكابر والأعيان ومن حضر في الديوان ما هو رأيكم في هذا الشأن لأن بنى هلال قد حضروا الآن إلى هذه الاطلال بمساكنكم عدد الرمال فقالوا إن الرأي هو أن نبادر القتال ولسكننا في أول القتال أرسلنا طلب منهم حشر المال فإن أجابوك

إلى هذا الطلب بلغت القصد والارب وإلا نهارهم في العسكر وتشقتهم في البر
فاستصوب شبيب رأى القوم وأرسل يطلب منهم هشر المال وكتب إليهم يقول:

يقول المدعو شبيب بن مالك لي قلب أقوى من صفا الجلود

أنا صاحب العز والمجد والعلا أنا صاحب الصيوان والعامود

أنا صاحب الدرع الذي ورثته عن جدودي من عمل داود

أنا صاحب السيف الثقيل قرابه بياضه شبه المشعل الموقود

وفي خوة من عهد جدى ورثتها لها عشر تفاحات وخمس بنود

ويا حسن قدم لنا المال عشرة وقدم لنا من أحسن الموجود

وقدم لنا عشر الخيول جميعها عشر الحرير بيضا والأسود

وقدم الفين عود من اللقا وقدم لنا ألفين سيف مشود

وقدم لنا ألفين عقد جواهر عقود ثمينة قليلة الوجود

وقدم لنا ألفين طير جوارح ومعهما ضواري وكامرات الأسود

وقدم لنا فنوع العامرية بخدرها وهاتوا عطور الورد أم الجود

وهاتوا فتاة الحى أم محمد صبيحة الوجود أم العيون السود

وقدم لنا جمال الطعن بذت سلامة ووطفا وريا غاية المقصود

ومن بعد هذا امكثوا في بلادنا وتسكنوا من شرنا ونسكود

مقال شبيب التابعى بن مالك وما كان طارف يفهم المقصود

وإياك تمهل كل شيء ذكرته وإلا تروحووا الحبال شروء

فلما فرغ شبيب من شعره طوى الكتاب وختمه بختمه وأرسله مع نجاب إلى الأمير

حسن فأخذ الكتاب وسار إلى أن وصل إلى الأمير حسن وأعطاه الكتاب فلما فتحه

وقرأ قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم جمع بنى هلال وأخبرهم بالكيفية وقال ما هو رأيكم

فقال الأمير أبو دياب ليس عندنا جواب إلا الرمح المكعب والسيف القاطع

والقرضاب فحينئذ قال الأمير حسن الرسول إذ ذهب إلى مولاك شبيب وقل له إنى سأرسله

جواب في وقت قريب وبعد ذهاب النجاب نهض أبو زيد فكيف الغاب والقي

الأمير حسن هذا الخطاب أيها الملك الهام أن شبيب ملك دمشق والشام استعندوا الحاربنا

وجمع الرجال لمصادمتنا والرأى الصواب وأمر بعض الغوسان الاختيار إلى تلك الديار
للكشف الأخبار والوقوف على عدد العساكر والأبطال التي تجهزت للحرب والقتال
وذلك في شعراء حتى لا يعلم أحد ولا يدري وبهذه الوسيلة تبلغ المقصود فاستصوب
الأمير حسن هذا الكلام وقال لقد أصبحت ثم استقر على مسير أبو زيد والامير دياب
مع الأمير عدي بن نيس والرياشي مفرح وأواليت السكندى العارف بعلم الرمل والحساب
إلى تلك الديار ليجدوا الأخبار في ثاني يوم استعد أبو زيد إلى المسير إلى الشام مع
الفرسان وتركوا الحى وفارقوه وجدوا في قطع البرارى حتى وصلوا إلى دمشق الشام
فدخلوا بسلام وقصدوا الأمير شبيب في مراتبه حتى دخلوا على حضرة فسلموا عليه
وتشاورا بين يديه وكان جاسأ على كرمى مرصع بالجواهر يدهش العقل ويذهل البصر
وحوله الأنواع والخدم فرد عليهم السلام قال من تكونوا من العرب الأجواد وما هو
سبب قدومكم إلى هذه البلاد نحن شعراء أقصد الملوك والأمراء فنمدحهم بالقصائد
الحسان ونرجع بالخارج والاحسان وقد سمعنا بحجودك ونداك ومكارم أخلاقك
وحسن مزايك فأتيغاك إليك وقصدنا لندحك وننقل ثناك ونرجع بحجورين الخاطر
إلى الديار وندهو لك بطول العمر على مدى الدهور والأعصار ثم إن أبا زيد

بعد هذا الخطاب عدل الباب وصار يمدح الأمير شبيب بهذه الأبيات :

يقول الفنى المدعو سلامة	بدمع جرى فوق الحدود سكيب
ركبنا وجيتنا يا أمير على نقا	من فوق نوق شبه ربح هيب
فقلنا لهم يا قوم أين مسيركم	فقلنا إلى نحو الأمير شبيب
شبيب بن شيبان بن مالك	أمر البوادي والبلاد شبيب
شبيب الذى كل البلاد عياله	ونحن بقينا من عيال شبيب
شبيب الذى إن قل ماله يوماً	فيمزى إلى مال تعدى ويهيب
شبيب من لا يوجد فى الهرم	له ولا بهت العربان مثل شبيب
أتينا إلى ملك العراق يدرينا	فالج وصالح والامير نجيب
فجاد علينا بالمسكار والعطا	وبالجود معك أيضاً ثم مسك رطيب
يا أمير أعطنا ولك الثنا منا	فثنى عليك عند الضحى ومغيب

فلما فرغ أبو زيد من كلامه شكره شبيب على حسن نظامه ثم صرف معهم هذا النهار في الحديث والاختيار ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب شبيب إلى الصيد وركبت معه الفرسان وابنه صقر ما عدا الشعراء وأبو زيد التفت شبيب إلى الشعراء وقال لهم لماذا لا تركبوا معنا في هذا النهار فقالوا له اعلم يا بدر المسالك أن الذي يمنعنا عن ذلك هو عدم وجود الخيل لأن مطايانا لا تصلح للركوب وفي الوعر والسهول فأمرهم شبيب بضممة أفراس من الخيل الجياد فركبوا عليها ما عدا أبو زيد فإرس الطراد فقال له شبيب علامك لا تركب وما هو السبب فقال إن هذا الجواد لا يحملني وهذا هو السبب الذي يمنعني فأمر السائيس أن يأخذه إلى الاسطبل ويختار له جواد من أطايب الأفراس فذهب معه الاسطبل وجعل أبو زيد ينظر في الخيول فلم يعجبه سوى جواد شبيب وهو غطاس وكان أبو زيد قصد بهذا العمل الغريب هو الاكتشاف على خيول شبيب وكان السائيس قد رجع على الآخر واعلم شبيب بذلك الخبر فقال له وقد زاد تعجبه أعطيه إياه إن كان يتدر يركبه فعاد السائيس إلى الاسطبل من قريب واعلم أبو زيد بما سمعه من الأمير شبيب وقال لعلم يا شاعر العرب ونخبة الأدب أن الحصان هو جواد الأمير شبيب الغطاس الذي تضرب به الأمثال بين الناس فلا يقدر أحد منا أن يقر به ولا يدنيه وإذا أردنا أن نطعمه ندل له الشعير من سقف البيت الذي هو فيه فخذ إن كنت تقدر عليه فتقدم أبو زيد إليه فسهل الحصان حتى زعزع المكان لأنه كان بطران فأطعمه أبو زيد بالسكف بين عينيه ومرجه وركب عليه وسار إلى عنده شبيب فتمعجب منه كل العجب وقال في نفسه وحق ذمة العرب أن هذا الأمر مستغرب وهذه الأفعال والأعمال لا يقدرها الشعراء بل صناديد الأبطال وقد تأمر من ذلك الأمر ثم إنهم ساروا في جوانب البر وجعلوا يصطادون حتى صار وقت العصر ثم إنهم ارتدوا راجعين قبل دخول الليل وفي أثناء طريقهم رأى شبيب عيدا فلما لمسابق الخيل فامتثلت أمراء الفرسان وجعلوا يقساقون في الميدان فلم أبو زيد على جميع الشجعان بالسيف والسنان حتى حير العقول وأذهل الأبصار وكثرت فيه الظنون والأفكار فرجعوا إلى الهدونول أبو زيد في دار الضيافة مع جماعته وكان التبعي

رمال اسمه عكرمة وكان قد خرج معه للصيد فاجتمع به في قاعته على أنفراد وقال له :
 أعلم أيها الرمال أنني في حيرة من جهة أولئك الرجال الذين حضروا نهار أمس
 عند غروب الشمس وادعوا أنهم من الشعراء وما أقول للامير حسن هذا الكلام
 إلا أنهم جواسيس نظراً لما رأيته من أفعال أحدهم في هذا اليوم لانه علم على جميع
 الناس فأريد منك الآن أن تضرب الرمل وتعلمني بواقعة الحال لاني قد صرت
 مشغول البال فقال السمع والطاعة وأنا اظهر لك صحة الامر في هذه الساعة ثم
 أنه أحضر الرمل وولد البنات من بطون الامهات وجعل يعلمه بهذه الايات :
 يقول عكرمة الرمال صادق خرجنا يا شبيب إلى الدراوى
 وجدنا صيده يا نعم صيده أكارش من فوق الهاوى
 فهم خمسة كأنهم أسود ومنظرهم عفاف كالدرارى
 وفيهم سيد مشهم ورأيت بكل حوادث الايام دارى
 وفي جسمه وسوم كثيرة تدل على معاني كالدرارى
 هريض الصدر مدموج السواعد وسيع الوجه مثل سبع ضارى
 عساه يكون أبو زيد الهلال وترميه النسيئة في الديارى
 تذكر فله بنهار أمس بوادى السطر عند الاعتكار
 وهو محشم جواده بين طى كحلمات المراهف والقطار
 ورفاقته فيهم مرار هلال محاسن وجهم مثل الدراوى
 فاقطع يد أبو زيد الهلال واقطع أنفه هذا النهارى
 فهذا يا امير قد بان هتدى وقولى حق ليس فيه فشارى
 فلما فرغ الرمال من هذا الشعر والنظام وعرف شبيب خوى الحديث والسلام
 غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وفي الحال أحضر أبو زيد ومن معه من الرجال
 وصاح فيهم وقال أيتها الامراء إلى هذه الديار لتجسوا الاخبار والسبتم أنفسكم
 بأنكم شعراء تمدحون الملوك والامراء فلا بد من قتالكم وأمر العبيد والخدم أن
 ياخذوهم إلى المشقة فامتثلوا أمره وأخذهم في تلك الساعة ووضعوا المراس في رقابهم

ودوم في منازلهم والاطلال وبعد ذلك رجعو إلى المشقة وأرادوا أن يفعلوا الشفاعة
 وإذا بصقر بن الأمير شبيب أتى من الصيد والقنص فلما نظر ذلك سأل عن الخبر
 بالامر والمنكرة فعند ذلك نزل عن ظهر الجواد إلى الأرض والمهاد وخاضهم من ذلك الشأن
 وقطع المراس من رقابهم فوصل الخبر إلى شبيب فأحضرهم عنده في الديوان ووبخ
 ولده علي الشأن وقال هؤلاء من بني هلال أعداؤنا أوتوا إلى منازلنا والاطلال
 لأجل أن يقتلوا الرجال ويدعونا بأوشم الاحوال قال صقربا ابني ما عندي خير من
 ذلك الأخبار وهذا الامر قد جرى وصا وشفتي في هؤلاء الشعار وتبطل كلامي ونقص
 بين الشباب مقامى فالأوفق أن تبصر لهم إهانة ولا تقتلهم وتدعى من الدنيا مرتحلهم
 وإلا يرموا عليهم رموز أسامى وإذا ما عرفهم حينئذ قتلهم قال شبيب هذا هو الصواب
 والامر الذي لا يعاب ثم أنه التففت إلى أبو زيد وقال يا صديدي ما كارك اليوم يا أديب
 قال شاعر لبيب قال مرادى أدعى شعرائنا وأحضرهم إلى دياره وأدعاهم أن يرموا
 عليك رموزا ما عرفتهم فإني أقتلك من الدنيا ثم تحملك قال أبو زيد أفعل ما تريد يا ابن
 الاما جيد فعند ذلك أدعى الأمير شبيب إلى شعراء بلاده وكانوا أربعة وعشرين شاعرا
 وكبيرهم يدعى صولجان بن ماهر فله أحضروا أمرهم أن يرموا رموزا على أبو زيد
 ورفاقته فأجابوه السمع والطاعة فاحتبك الديوان في تلك الساعة فالتفت
 أبو زيد إلى صولجان وقال له يا سيد الفرسان مرادى قبل أن تبدي شعره وقصيدة تسد
 إلى موضعي رأتني لنا بطعام حتى يصير بينك وبينى وملح فأجابه بما قال وسار إلى
 بيته في ساعة من الزمان وأحضر إلى أبو زيد قطعة ملاحة عصيد وفيها ملحقة وقال كل
 يا ابن الكرام وأدعى لنا بدوام العز والإكرام فأخذ أبو زيد شفقة برأس الملحقة
 وذاق شيء قليل وجد هامره مثل الحنظل قال هذا زادك لارحم الله شبابك قم يا ذليل
 يا مهان وهات ما عندك من الأوزان فعند ذلك تقدم الصولجان وأخذ الباب وبدأ
 حتى أطرب ذوى العقول والألباب وأما أبو زيد يراقب السكواكب فنظر نجمة حاجب
 وهو سعيد ففرح بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد فلما رآه الصولجان ينظر في
 السكواكب ظن أنه ينظر إلى بنات نوح أشار يقول:

رأيت ناظرا إلى بنات نعش
فهل غاديت نجم هواها
فمن في حمانا كل ما
فلما بعرك تقطع وتباع
كأنك ضفضة في قاع جب
فاذا أتاه الماء تسبح
فقل لي بين السحاب بما
وعن عزه تغنى جنح ليل
وعيناها طوال وهي عمية
فلا فرح ولا يبيض لوالها
قل لي لانسكن جاهلا غشيا
غلاما فرغ الصولجان وأبو زيد سماع نظامه وأشار بجوابه يقول :

أراد تدانئ الأشعار دفنى
قولك عن أبو زيد الهلال
فأنتم تعرفون فلا تراعوا
فيكم من يوم قيس أجزعكم
فسرف أن هذا الحديث يجري
ويصبح ضيفكم ضربا وطعنا
وتنظرون على حرام طعنه
ويجزي المعتدين بالهر معنا
وعيب عليكم إذ لم تعرفوني
فأله يطمعك طعنة عموسى
تكون من يد أبو وطننا دياب
لأنك لا تصد ولا ترد
أما ياطول ما أقريت ضيف

وما عندك من العقل ولا شئ
غشيا ما يعرف الشعر إلا بشئ
فقول الصدق ما به من غشئ
ميم الأفاعى من سم ودقئ
ويمفش في صدر الخيل عفشئ
وتبقى الروس مكدوشات كدشئ
أرش الدم على الأرض رشئ
وتنقش دياركم بالدم نقشئ
أريج الحبل فالأرماع مقشئ
من يد فارس قط ما يرحشئ
روح الريح في كرشك ويمشئ
ولا تلقى الضيوف ولا نعشئ
لخطار لما أهدى مغفل ومغشئ

أنا أبو زيد أنا صور الصبايا
أنا حذر تسكم لا تجهلون
أيا صولجان اعلم بأني
نسأبني عن عرش عظيم
وعن عنزه تغني بمجنح ليل
تقدم أخبرني عشرة عشرة
وهم من حين خلق أبوك آدم
يموتوا ثم يجود بعد موت
ومنهم طائفة تأكل وتشرب
عن حوت وفوق الحوت جوت
ودولاب يدور الشغل منه
إذا لم تخبروني لمن ما أفلك
فنعن لشبح الخطار لما
وحيا إلى أجاريد الرجال

ولست هنا ما منكم ينشون
بتنهمكم سباع البر تنشه
عرفت مسائك صنما ونقشه
فكم بينه وبين الأرض كشه
دوما بالأرض عطفه ثم عطفه
عددتم خمسة تريح وترش
إلى يوم الحساب ولم يموش
ومنهم شيء لم يتبعش
كما منهم منذ عمره ما ارمش
وتحت السكل بحر الماء يمش
بجوهر فيه مر نصف البانوش
وإلا أنت عذري مثل جحش
ونخمش منهم بالزاد خمش
ومن هو لكلامي يسمعش

فلما فرغ أبو زيد من كلامه وشاعر على السمع نظامه تمجروا الامارة من ذكاؤده
أبو زيد وما عاد الشاعر يعرف يجاربه فأغناظ شبيب غيظا شديدا أما عليه من زيد
وحلق ذقن الشاعر وطرده من عنده والتفت إلى أبو زيد وقال له بقي لي عليك
ست أشياء ان عرفتهم خلصت من دهام وإذا ما عرفتهم قتلت أنت ورفقت فأجابته
مام أخبرني عنهم فقال له المصارعين والمشاكين والمدافقين ورمابين الذهب
وشايبين العلم وطباخين السكيا لهم بعد ذلك قال إذا ما أجبته على ذلك فأني
لا شاهد ما لك ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم إنهم بانوا تلك الليلة
إلى الصباح فقام شبيب وأحضر كبير المصارعين وكان بطل وزين ماله من قرين
فلما رآه أبو زيد قال له يا أخا العرب دريك العرب لأنه إن أجمع لك في التراب ولا
تظن الصراخ أكله حار فقال له المصارع دع عنك شنقة لسان يا ذليل يا مهان واليوم
بيان الشجاع من الجبان فقال أبو زيد اليوم عندى عيد بقلبك يا مهان ثم مضى

وأعيت الأقدام وأصرع إليه مثل الأسد الضرغام والتقى البطالين كأنهم جبلين وحن عليهم الحين وزعق فوق رأس غراب البين قال وكان المصارع دافق في ركن التبان حربه مثل الثعبان وهي شغل بلاد الروم مدخرها لمثل هذا اليوم ويريد بها هلاك أبو زيد في تلك الهبة فرأى دباب وقال له خذ بالك يا أمير من هذا الشيطان الرجيم وانظر هذه الحرب التي كأنها نعمة أنا وأيتها قبلك يا أمير دباب وهذا اليوم أدعيه ملق على التراب ثم اصطلما واقتربا واقتربا وابتعدوا ما زالوا على هذا الحال مقدار ساعة من الزمان حتى وجد المصارع ماله من أبو زيد طالع فعند ذلك هجم عليه وأدخل دماغه بين وجليه وأراد أن يقاتله ويقصف عمره فإكان من أبو زيد إلا أنه أطبق عليه صوابين ركبتيه وانسكا على رقبة المصارع وفك جوزة رقبته وما زال كما مشا عليه حتى خرجت روحه من بين جنبيه فقلب على قفاه قدام شبيب وصاح غيره يا أمير يسلم رأسك بها التحرير ثم تقدم المدافق ودفق أبو زيد ساعة من الزمان فالتقاء بهمة وعلو شأن وضربه بالعصا على دماغه فطرش بذرعته وقال غيره يا أمير شبيب قدم فارس نجيب فتقدم المشابك وشابك أبو زيد ففرك أنامله ولقطه من يده ماخها من الباط فتقدم رامي النشاب فذهب أبو زيد ووقف في تلك المصايب وأما ذاك الرجل مرشق أبو زيد أربعين فاستعان عليه برب العالمين في أصابه شيء ضربه أبو زيد موقفاه على الأرض رماه فوق قتل بدماءه جديل فعند ذلك تقدم شايين العلم فغلبهم وكذلك طباخين السكيميا طلعت طبيخته أحسن من طبيختهم ثم التفت إلى شبيب وقال له يا أمير المؤمنين لك عندنا شيء بعد من هذا التنكير فآثر كننا نذهب إلى أهلنا وعيالنا فعند ذلك غضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد وقال له لا شك أنك عفريت من عفاريت سليمان وبعد ذلك أمر الخدم أن يأخذهم إلى السجن لأجل الفصاص والإنتقام فأخذهم في الحال ووضعوا في أرجلهم القيود والأغلال ووكلوا بهم جماعة من صفاديد الرجال وكان الأمير دباب ومن معه من الأصحاب في خوف واحتساب خوفاً من القتل والعذاب وكأوا في شدة وإضاعة وقد قطعوا السلامة فجعل أبو زيد يشجعهم في المقال ويوعدهم في الخلاص من الاعتقال ويقول لهم أن الفرع قريب بعون الله السميع المجيب وأنا

في هذه الليلة ذاهبين إلى أهلنا وننال المأمول فاطمأنوا وجعلوا يتحدقون بالسكلام حتى أظلم الظلام ونامت الحراس فعند ذلك أخرج أبو زيد الكيس المغناطيس وأمره أن ينادي بالرجال فقاموا فقاموا فصاح على الأمير دياب وباقي الفرسان الانجاب وقال لهموا للذهاب فقد تخلصنا بأذن الله فنهضوا في الحال وجدوا في قطع الرزاق والثلال حتى وصلوا إلى بني هلال وكان وصولهم عند الصباح فدخلوا على الأمير حسن فالتفاهم بالسرور والأفراح لأن أفكارة كانت مشغولة عليهم فقالتهم بن عفيفهم وقال لهم: ته على سلامتكم لأنني كنت مضطرب الأفكار من جهة غيابكم فأخبروني بأحوالكم وقصتكم وما جرى لكم مع شبيب في سفرنا فآخبره بمحدثهم من الأول إلى الآخر وأطلعوه على الباطن والظاهر فشكروا الله على خلاصهم من الاعتقال وأثنى على أبو زيد نظراً لما بدأ من حسن الفعل وبينما هم في هذا الحال إلا وقد أتى إليهم مرسال من عند الأمير شبيب بهواب لأنه تفقد الحمايين فلم يجدهم ثم إن السلطان حسن بعد أن عرف حقيقة الأحوال وعرف ما عند شبيب من الفرسان والابطال صار يكتب له الجواب يقول فيه:

يقول الفتى حسن الهلال أبو علي قل حربة كالشمع الموقود
ولي همة تعلو على كل ماجد أخلى الأعداء ع الجبال شroud
تهياً غداً يا شبيب الحربنا مع أبطالك وكل الجنود
فكم حاكم ملكا بلادنا من بعد حرب يشيب المولود
ونجد ملكناها محمد سيوفنا وزلت لنا يوم القتال جنود
يريد منا اليوم عشر أموالنا فسوف ترى منا رجال أسود

فلما فرغ حسن من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلبه للنجاب وأمره أن يسير إلى سيده بالاجل فأجاب وأمثل ولما دخل على سيده سلمه الكتاب ولما قرأ غاب عن الصواب وفي الحال أمر المساك والابطال للاستعداد إلى الحرب والقتال فاجتمع عنده مائة ألف مقاتل بين فارس وراجل وكلهم بالسيوف والرماح والأت السلاج فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره وراح دقت طبول الحرب واستعدت المساك للظعن والضرب وركب في أول الفرسان ومن حوله الوزراء والاعيان وسار بهذا

الجيش الكثير والعدد الحفيع إلى قتال بني هلال وكانت بنو هلال قد استعدت في ذلك النهار واصطفت من اليمن والشمال ولما تقابل الجيشان برز شبيب إلى ساحة الميدان ومقام الطعان وطلب برز الشجعان فبرز وزاد إليه وانطلق الفرسان على بعضهم مثل أسود الآجام وأخذوا في الحرب والصدام وكان شبيب كما تقدم الكلام من جسارة تلك الايام فقاتل قتال الاسود وفعل فعال تشبيب المورود فثبت أبو زيد أمامه كالجبل الراضى التقاه بقلب أقوى من الصوان للمعاصى فكان تارة يتقدمان وتارة يتأخران كأنهما أسدان كاسران وقد تعجبت من قتالهم جميع الفرسان وتعلت منهما حقيقة الضرب والطعان ومازالا على تلك الحال وهما وأشد قتال قرب زال وكان أبو زيد قد انحمل عقبيه وقصر فرجع إلى الوراء وتأخر فعند ذلك دقت طبول لانفصال فاقربت العساكر من ميدان القتال ورجع أبو زيد في أسوأ حال عما شاهد من الأحوال فسأله الأمير حسن عن خصمه فقال له فارس شديد وبطل صنديد وإنى قد بارزت الأبطال في معارك الزلافا وجدت فارس منه في القتال ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول واصطفت الصفوف ورتبت المئات والآلاف فكان أول من برز إلى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان الأمير شبيب الفارس النجيب فبرز إليه الأمير دياب وهجم عليه كليك الغاب فالتقاء شبيب في الحال والتحم بين الفارسين القتال وجرى بينهم عجائب وأحوال تشيب رؤوس الأبطال ومازالا في قتال وحدام إلى أن أقبل الظلام وكان الأمير دياب قد أبصر في ذلك النهار من قتال شبيب ما يذهل الأبصار ويحير العقول والافكار فلم يقدر أن ينال منه مرام لا يضرب الرمح ولا يضرب الحسام فارتد راجعا إلى الوراء ثم نزل إلى الميدان القاضي بدير بن فايد وجعل يتصادم مع شبيب في ساحة الميدان نحو ثلاث ساعات من الزمان وكان القاضي قد كل ومل وضعف عزمه وانحل فرجع وتأخر خوفاً من وقوع الخطر فبرز الأمير زيدان من أمامه خوفاً من حربه وحدامه ثم تقدم هاجم أبو دياب واقتتل معه القتال الشديد وأبقت ثبوت الجسارة الصناديد إلا أنه لم يكن من رجاله ولا يعد من أقرانه فإلهى أكثر من ثلاث ساعات من النهار

حتى طلب الحزيمة والفرار فبرز الأمير عرندس كأنه المفترس فطال معه وصال
وتقائلا في ساحة المجال وما زال على تلك الحال إلى وقت الزوال وكان عرندس
قد ضعف وتعتنع فولى وارتجع وبعد ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت عن
بعضها الفرسان والأبطال وكانت بتو هلال قد اعترها الازمهال وخافت من عواقب
الاحوال فلما رجعت إلى الخيام وجمع الأمير الأمراء الكرام ومن يعتمد عليهم
من فرسان الصدام واستشارهم في أمر شبيب ملك الشام فقالوا له فارس جبار وبطل
مخوار لا يصطلي بنار له هجمات الأسود وقلبه أقوى من الجامود ومن الصواب
أن تحاربه غدأ بالمسكر وترك برازه إلى يوم آخر بينما يكون قد تعب من القتال
حينئذ تبرز إليه الأبطال فاستصوب الأمير حسن الخطاب ورآه عين الصواب وباتوا
تلك الليلة على هذه النية وفي قلوبهم نار الحمية ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره
ولاح استعدت بنو هلال للحرب والقتال فدقت الطبول وركبت الفرسان ظهور
الخيل واعتقلت بالرماح والنصال وركب الأمير حسن على ظهر حصانه وتبعته
جميع أبطاله وفرسانه وكان شبيب الآخر قد التقاهم المسكر فمعد ذلك صاح
وحمل معه فرسان الكفاح وفي الحال التعم القتال وانتقت الرجال بالرجال
والأبطال بالأبطال وجرى الدم وسال وعظمت الاحوال ونزعت الروابي والنلال
من صياح الفرسان وقعقة الستان وكان بينهم وقعة عظيمة ومعمعة جسيمة قتل
فيها خلق كثير وعده غفير فقتل الأمير أبو زيد والأمير دياب فانهما هجما
كأسود الغاب وحكما السيوف والحرب في الصدور والرقاب ونكسا إليهم
بطعن أشد من نزول الصواعق وفعل شبيب أيضا في ذلك النهار المعجب وألقى نفسه
في المعطب وداهوا على تلك الحال إلى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال
فرجعت الفرسان والأبطال وفي اليوم الثاني اصطفت الصفوف وترتبت المئات
والآلوف وانتقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وكان يوم شديد الاحوال
انتصرت فيه عساكر الشام وأسرت فيه عدة من المئات والنسوان وقتلت جملة
من الفرسان ولما أقبل الظلام رجعوا وباتوا في الخيام وهم في قلق واهتمام وفي
الحادى والثلاثين برز الأمير حسن مع السادات والمقدمين وطلب شبيب وقلبه

آخر من نار لحبيب فما أنتم كلامه حتى صار شبيب أمامه وانطلق على بعضهما حتى
حجبهما الغبار عن العيون والأبصار وما زال الأمير حسن يحارب شبيب حتى
قرب وقت المغيب وكان قد أبصر منه الأحوال فالتفت إليه وقال قد ولى النهار
وزال فذهبنا الآن من القتال وفي الصباح نعود إلى الهراز والقتال فتقسم من
هذا الكلام وقال إني أنا أمهلك ثلاثة أيام ثم رجع بمن معه الجميع وفي أثناء الدرك
نزع عنه الدرع وعنه رجوع حسن قالت الجارية أم محمد علامك رجعت
بالعسكر ولعود العرب لها رجعات في الوقائع والغارات فتحبس الأمير حسن
من هذا المقال ورجع إلى خصمه وصاح فيه وطعنه طعنة بهمة وحمية فأصابته في
وقبته وانجرح ووقف على ظهر الجواد فأدركوه قومه في الحال ونشلوه من ساحة
انجبال وأخذوه العسكر إلى داره وهو في حالة النزال يقاسى الألم والأوجاع هذا وقد
ارتدت المساكر على بعضها البعض واقتتلوا قتالا شديدا في تلك الأرض حتى كان
فلك اليوم مثل العرس كثرت فيه الأحوال وجرى فيه الدم وسال وزاد الخوف
وعظم البلاء وتمددت القتلى على وجه الفلا واستمر القتال على هذا المنوال إلى وقت
الزوال وكانت بنو هلال قد حلت أسراها من الأسر والاعتقال بضرب السيوف
وطعن النصال فعندما دقت طبول الإنفصال فارتدت عن بعضهما الفرسان ورجعت
بنو هلال في فرح واستبشار على ذلك للنجاح والإنصار وأما الملك شبيب فإنه كان
كما تقدم قد أشرف ذلك الرمح على العدم فلما رأى حاله طربح الفراش زاد عليه
الخوف والارتعاش وقد عظم عليه راسودت الدنيا في عينيه ولا سيما رأى الأهل
والأصحاب في هويل وانتحاب فتمهد من فؤاد متهول وأشد يقول :

يقول شبيب التبعي بن مالك	قد زال عقل يا ناس وراح
أنقني جنوب تطعم على خدودها	وهي في هويل وكثر نواح
فقلص لها تحمل واصلرى	إن طلبت باكر ما عز وراح
أنا إن سلمت يا جنوب إلى غذا	تري الاعادى في بكاء ونواح
سأقتل منهم كل قرم غشمت	في عز واق وطن رماح
وإن مت أمرى لإلهى	وأرضى بحكم الواحد القهار

(قال الراوى) فلما فرغ شبيب من نظمه غاب عن الدنيا لكثرة آلامه فوقع في قومه البكاه والنحيب هذا ما كان من أمر شبيب وأما ما كان من بنى هلال فان الامير حسن كان قد جمع سادات الرجال وقال لهم مرادى هذا الصباح ابادر الاماوى يا اقبال والسكافح فقال له ابو زيد تبهر فسوف تبلغ القصد والامل وأنا مرادى عند طلوع البهوان ادخل المدينة واكتشف اسكم الخبر وأنا بصفة طبيب فعل اجتماع شبيب فيفرح قاي وبطبيب فقال حسن افعلى ما تريد أيها الفارس الصنديد فعند ذلك صار ابو زيد إلى مضربه وهو يؤمل بدلوغ ما ربه ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هض ابو زيد بالعجل وليس أخيراً الحلال وتعمم بعمامة كهيته ولبس جباً قصيرة وغسل وجهه ببض العقاقير فصار أبيض مثل الثلج وأنعم من الحرير لم يعد يعرفه أحد من الأنام لمركب ظهر كدشة عرجا ودخل مدينة الشام وهو في هذا الزى والهندام وجعل يحول في الاسواق وهو ينادى أنا الطبيب أنا الحكيم فن كان فيه علة ازاتها عنه يا ذن الاله الفتاح وما زال يطوف ويحول وينادى ويقول أنا الحكيم أنا الطبيب حتى وصل إلى قصر شبيب وكان لشبيب ولد مثل البدر يقال له صقر فاتفق أنه كان هناك وسجعه من الشباك فقال في نفسه إن هذا الطبيب رجل غريب ولوم يكن من الاططار والحداق ما كان يطوف في الاسواق فرادى أن أعرف به أو أجمعه يداويه لعله يشفيه ثم طلبه فحضر وسلم وقال له حكيم قال نعم قال إذا شفيت أي من هذه العلل والمرض وأزلت عنه المرض أغنيك إلى الابد وقدمت لك على أطباء البلد فقال لى سأبدل الجهد وأداويه ولا أخرج من هذا القصر حتى أشفيه ففرح كل من حضر هناك بهذا الخبر وزال عن قلوبهم الغم والسكدر ولم يعدوا بأن الطبيب هو عدوهم الاكبر ثم تقدم ابو زيد إلى شبيب في صفة حكيم وطبيب وهو يترقب الفرصة ليعدهم نية عن قريب وكان رأسه موصوباً بمنديل وهو ينفذ من قلب طليل ففك العصابة ومسح الدم ووضع له المراهم وقال لقد زالت الاقدار يا ذن الواسد القهار فاتفق أن شبيب فتح عينيه فرأى ابو زيد حوله خفاف وأندر وأيقن بالموت الأحمر فصاح من حلاوة الروح بصوت خفيف هذا ابو زيد صاحب المسكر والسكيد فقال الحاضرون ما هذا الذى يقول أيها الطبيب قال يريد أن تموتوا الاسراج

زيت أو تخرجوا جميعكم من البيت حتى يستريح أو يزول عنه اليباس لأن العليل
تضييق أخلاقه بكثرة الناس فخرجوا الفرح الشديد الذي ما عليه من مريد وخرجوا
من القاعة ولما خلى المسكان من الجماعة أخرج أبو زيد من جنبه السكين وذبح شبيب
من الوريد إلى الوريد وقد بلغ قصده ثم خطاه إلى فوق رأسه وخرج فسألته عن
حال شبيب الجماعة فقال لها إنه بخير فلا تدخلوا عليه إلا بعد ساعة بينما يكون قد
صحى من النوم ولا بد أن يشفى من عاقته في هذا اليوم لأنى عالجت بأحسن علاج
فلا تكونوا في قلق وانزعاج فشكروه على ذلك ووعده بالخلع والآنعام وبلغ
القصود المرام ثم ودعهم وسار ولو كان له أجنحة لطار هذا ما كان من أبو زيد
وما فعله في تلك النهار وأما زوجة شبيب وباقي الجماعة فاتهم بعد ذهاب أبو زيد
بساعة دخلوا على شبيب في القاعة فوجدوه على تلك الحال وخرجوا من
دائرة الاعتدال وعلموا أن الطيب كان أبو زيد المختال لأنهم كانوا يسمعون عنه
أشياء كثيرة فاستمظمو الأمر وأخذتهم الحيرة وأقاموا العزاء والنحيب على
وفاة شبيب وهم يلعنون ذاك الطيب وكان لشبيب أخ اسمه الصمصاح وكان من أبطال
الكفاح فأسودت الدنيا في عينيه وحظم الأمر عليه وقال لا بد لي أن أتبع هذا الغدار
وأسقيه كأس الدمار لأنه جفنى بأخى الحبيب وأضر في قلبى نار الطيب وركب وسار
وراه وهو يمدد كالأسد إلى أن انتهى به بقرب طاحونة خارج البلد فلما نظره أبو زيد
وراه عرف أنه الصمصاح وأنه يريد قتله ورفاهه فدخل على الطاحون وغدق له بالاعشاب
ونزع منه الثياب ثم خرج ووقف على الباب فلما وصل الصمصاح إليه اشتبه أمره
عليه فقال له من قلب محزون علقى من صاحب هذا السكس فقال في الطاحون فنزل
على ظهر الحصان وسامعه مع الرمح أبو زيد فارس الميدان ثم صل سيفه ودخل إلى
الطاحون وهو من شدة الغيظ مثل المجنون فلم يجد سوى الطاحون هناك فضربه وأورثه
الحلاك وخرج في الحال وهو يظن أنه بلغ الأمان وقتل أبو زيد المختال فوجد أبو زيد
على ظهر الحصان يتعجب من ذلك الشأن وقال له من تسكون قافلا أيم كلامه حتى طعنه
أبو زيد بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الأرض قتيلًا وفي دمه جديلا
وسار أبو زيد بالمجمل وهو مسرور على ما فعل حتى دخل على الأمير حسن في الصحن.

وحوله الامراء والاعيان فاعلمه بما جرى وكيف قتل شبيب والصمصاح ورجع
 بالفوز والنجاح فشكروه الجميع على ذلك الاهتمام وقالوا لاعدائك يا فارس الصدام فقد
 هان علينا الحال بل اغنا المرام وسوف نبادر الاعداء بالحرب والمهاجمة لانهم بعد شبيب
 لا نقوم لهم قائمة هذا ما كان من بني هلال اما ما كان من اهل شبيب فافهم لما علموا بقتل
 الصمصاح زاد عندهم النواح واحضروه لجااب أخيه وأقاموا عليهمما النحيب
 فتقدمت جنوب زوجة شبيب تراثيه بهذه الابيات وزادت عليهم الحسرات :
 تقول جنوب الخير بما جرى بدمع جرى فوق الخدود سكيب
 الايام والدنيا كفى شرها ومن عاش فيها ينظر الفسكيب
 فا اضحكت إلا بكى بعد ضحكها فيالما من حسرة بعد شبيب
 ألا يا نجوم الليل عالمينه اهل أرجاع الفؤاد تطيب
 شبيب الذى فرق له الرعد بالسما وصاحت ديك العرش مات شبيب
 شبيب الذى ما رأت البرك مثله وما ربت الدايات مثل شبيب
 شبيب الذى يلقى الضيوف بفرحة ومسرة ولو كان الزمان جديب
 غيا ليت من كان السبب بفراقنا بقتل محمد الماضيات قريب
 ألا يا حمام النوح توجها وانديبوا وابكوا عن فقد الامير شبيب
 يا اهل توى الايام هادت تلعتنا وتجمعنا ه بوقت قريب
 شبيب الذى بكته الناس كلها وصاحت ديك العرش مات شبيب
 تقول فتاة الحى ما أصابها ولا عيش لى بعد الحبيب يطيب
 قلنا فرغت من هذه المراثية جملتها نكي وتنوح من فؤاد مجروح وتعلم على خدودها
 من شدة الاسف وتقول والله لقد انهدم شبيب العز والشرف فبكى الناس لبكاها
 عزوما على ما دهاها ثم اجلسوا شبيب على كرسي من الذهب الاصفر مرصع بالدر
 والجوهر والبسوه عدة الحرب وبكوا على ملكهم حتى كثر الصباح وارتفع الهكام
 والنواح وتكبرت السيوف والرماح ثم تقدمت جنوده وهى ترقص بالسيوف وبعد
 ذلك تقدمت اليه وقبلته بين عينيها وقالت باطل عنك يا أبى الحسن ما لك انائم يا مرمى
 الضيوف قم وأنظر هؤلاء الامراء الذين جاءوا لضيافتك فمالك لا تقوم بواجبهم وهى

ترقص بالسيف وتقول من بعدك لا أريد الحياة ثم وضعت رأس السيف في بطنها وقبضته
 وفي الأرض وانكبت عليه فخرج يلمع من ظهرها حينئذ ضج الجميع في العويل وكثر
 الولاويل ثم دفنوها مع الصحصاح بكل احترام ومن بعد ما دفنوها باحتفال وأقاموا
 مناحة طويلة وأظهروا أحزاناً جزيلة في سائر الأيام في شدة الحزن والاغمام.
 هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير حسن وبني هلال فانهم بعد الحال استعدوا
 للحرب والقتال فاعتقلوا بالسيوف والنصال وهجموا على المدينة بقلوب كالجمال
 ومكنوا لضرب على الرجال من العيين والشمال ونهبوا ما فيهم من الأمتعة والأموال فغند
 ذلك خرجت الأمراء والأعيان وابنه في جماعة من النسوان وطلبوا من الأمير حسن
 العفو والامان فاجابهم إلى ذلك الشأن وأرسل منادياً في الأسواق بالامان فتوقف
 القتال وخرجت هلال واقامت في الخيام وبلغت المرام وزالت الأوهام وبعد عشرة
 أيام ولي الأمير حسن الأمير صقر مكان أبيه على تخت مدينة ثم أمر بدق طبل الارمحال
 والمسير من تلك الاطلال وفي الحال هدمت الخيام والمهارب وركبت الفرسان
 ظهور النجايب وجدروا في قطع الروابي والآكام حتى وصلوا إلى القدس الشريف
 بعد ستة أيام فزلوا خارج المدينة في المضارب والخيام وزاروا الأماكن المقدسة
 بكل احترام وتصدقوا على الأوامل والايام ثم رحلوا منها بعد عشرة أيام قاصدين
 غرة بقلوب معتزة وما زالوا يمدن في قطع البراري والآكام حتى ابلوا على تلك
 المدينة وهي مدينة مشيدة حصينة فتصبوا فيها الخيام والاعلام وفرقوا مواشيهم
 وجابوا أقطارها وأكلوا من محصولها راثماً فلبات الرعيان تلك الفرسان قدماء
 البراري والقيان ذهبوا إلى ملكهم وأعلموه بذلك الشأن وكان ملكهم قوى الجفان
 لا يهاب فقال الشجعان لا يبالى احد منهما كان صاحب جيوش ومواكب يقال له السر كسي
 ابن قاربو كان عدد عساكره خمسمائة ألف من الأبطال الذي يعتمد عليهم في الحرب
 والقتال فلما بلغ الخبر من الرعيان بقدم بني هلال إلى الاوطان اغتاظ وتكبر وطار
 عن عينيه الشر وجمع الوزراء والأعيان وأكابر الديوان واستشارهم في ذلك الشأن وكان
 عنده وزير عاقل وخبير ذو رأي وتدبير يقال له الأمير واشد فكان كثير الشر معانداً فلما
 سمع من السر كسي هذا الكلام قال اعلم أيها الملك المهلم انني اخبر الناس ببني هلال وأعرفه

ما عندهم من الغنم والجمال والخيول والأموال لأنني قد ذهبت إليهم من نحو عشرة
اعوام وقت فيها جملة أيام فنددم أربع تسعينات ألف من الذكور وبناتهم
مثل البذور من حيث قد أقبلوا إلى هذه الأطلال فمن الصواب أن تبادروهم
بالحرب والقتال ونهب ما عندهم من الأموال لأننا أشد منهم بأسا وأقوى
مراسا وفي الحال كتب لهم هذا الكتاب يطلب منهم عشر المال وهو يقول :

يقول المركسي هو ابن نارب	بدمع جرى فوق الخدود يسيل
ونيدان قلبي كلما أقول تنطفي	يدب لها على الضلوع شميل
ياسائر بالله خذ لي رسالتى	مكرية منى بلا تمهيل
إلى حسن أمير قيس وعامر	أمير البوادي في الملوك جليل
فأرسل لنا عشر المال مع الغنم	وعشر النساء جمالكم والخيول
وهاتوا فتاة الجازية أم محمد	لها عين سود وطرف كحيل
وأرسل مطور بنك بلا خفا	بعيون سود مكحلات بمهيل
وهاتم ديا ثم وطفا بعدها	ليس لهم بين النساء مثيل
وإن لم نجيبوا ما أراه لطفي	أخلى دهاكم في الفلا تسيل
وأقتل دياب الخيل بحد صارمى	وادمى الفتى زيدان بالتشكيل
وأقتل أبو زيد الحلالى سلامة	واقطع رأسه في حسام طويل
وأقتل جميع هلال في حد صارمى	وادمى لساكم في بكا وعويل
مقال الفتى المركسي بن نارب	حاكم بلاده بين ملوك جليل

(قال الراوى) فلما فرغ المركسي من هذا الخطاب طوى الكتاب وسأله إلى
النجباء وأمره أن يأخذه إلى الأمير حسن ويأتيه بالجواب فأخذه وسار وجمد في
قطع القفار وما زال يقطع الروابي والتلال حتى وصل إلى نهب بنى هلال فدخل على
الأمير حسن وسلم عليه وأعطاه الكتاب ورائه بين يديه وكان حسن جالسا في وسط
الديوان وحوله الأمراء والأعيان منهم الأمير أبو زيد والأمير دياب وغيرهم من
السادات والانتحاب فلما فتح الكتاب وقرأه وعرف حقيقة ما حواه اشتغل باله وتغيرت
أحواله ثم عرعه على الأمراء وقال لهم ما رأيكم أيها السادات فقال الأمير أبو زيد والأمير

دياب ما عندنا إلا العائن فعند ذلك أشار الأمير حسن بجواب السركسى بهذه الايات:

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على	بدمع جرى فوق الخد نقوع
ونيران قلبى كلما أقول تنطقى	يب لها طلى الضلوع لدوع
أسمع ترى يا سركسى لمقاتلى	فأنت تريد المجازية قنوع
تطلب بنات عسكات كواعب	وتريد تأخذ سيوفنا ودروع
فألك عندى سوى السيف والفتنا	أجمع عليكم من دريد جموع
أبو زيد والزغبى دياب بن غام	لم ضرب يقطع بين عسكرك وجموع
فنحن ملوك هلال ليس مثالننا	ويأما قتلنا من ملوك وجموع
وكم قتلنا ملوك مثلكم	تركنا دماهم فى الفلاة بفوع

(قال الراوى) فلما انتهى الأمير حسن من هذا الجواب طوى الكتاب وسلمه إلى ذلك النجاش فأخذه وسار يقطع السباسب والارحار حتى وصل إلى السركسى ابن زايد فسلم عليه وقبل الارض بين يديه ثم ناوله الكتاب فلما قرأه وعرف ما تضمنته من الخطاب طار الشرار من عينيه وأمر الوزير أن يجمع العساكر والابطال لمحاربة بنى هلال فامتلأ أمره بالعجل وجمع ثلاثة آلاف بطل وكلها بالاسلحة الكاملة والعدد الشاملة وركب الأمير السركسى فى أول المسكر مع الأمير راشد الوزير الأكبر ومن حوله الاعلام والرايات والفرسان والسادات وجد فى قطع البرارى والقفار قاصدا قتال بنى هلال ونهب الامتعة والأموال ولما شد من القوم وعرفت بنى هلال بقدمه فى ذلك اليوم استعدت للقتال والطعان والنزال ركب الأمير حسن فى عاجل الحال وتبعته بنو هلال وكان الأمير أبو زيد راكبا عن يمينه بفرسانه وابطاله والأمير دياب راكبا عن شماله بجندوه ولما التفت العساكر ببعضها البعض وقف كل فريق فى ناحية من الارض وكان أول من برز إلى مساحة الميدان وطالب براز الفرسان السركسى وهو كاليث الواثق فبرز اليه أبو زيد فى الحال فالتقاء السركسى كالجنان وأشار يده بهذا المقال:

يقول السركسى هو نازب
ونيران قلبى هو نازب
أحرقنى على ما قد فعلتم يا هلالى

طلبت المال منك والمطايا وعشر الخيل أيضاً والجمال
فلم ترسل لنا مال ونوقا وأنتم ما تخافوا من قتال
فجئدت العساكر إلى انقائكم لاقتلكم على وجه التلال
فلما فرغ السركسي من هذا المقال أجابه الامير أبو زيد في الحال :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه والنار في قلبي تزيد هضام
أرسلت تطلب خيلنا ورجالنا وتطلب بنافا شبه بدر تمام
أما تستحي تطلب بنات كواعب وأما وه أضايب فروع حرب صدام
فلا بد من قتلك وقتل رجالك يوم المدهى عند حرب صدام

(قال الراوي) فلما فرغ أبو زيد من هذا الشعر والنظام انطبق على السركسي
انطبق الرعد في الغمام التفاه السركسي كأنه ليث الآجام وأخذ معه في طعن الرمح
وضرب الحسام وكان السركسي أفرس زمانه ولا أحد يماذله في ميدانه وفي
ضربه وطعانه وكانت تضرب به الأمثال وتباه الفرسان والابطال فقائه خصمه
أشد قتال حتى تعب وأكره به يجد الحسام قاصدا أن يسقيه كأس الحمام فاستتر أبو زيد
بالدوفة نزلت للضربة على رقية الحصان صاعقة فبرتها كما يبرى إلى كتاب القلم فوقع
أبو زيد على الأرض وانحطم فجهم السركسي عليه هجمة الاسد وأراد أن يثني
عليه بالسيف المهند فلما رأى أبو زيد تلك الحال من الهلاك والويل طلب منه
أن يعفو عنه فأجابه إلى ذلك الدأ أن وقال له اذهب من الميدان وأرسل لي الامير
دياب حتى أعلمه حقيقة الضرب والطن أو تمضروا إلى حشر المال حتى أوقف
عنكم القتال فرجع أبو زيد على الامر في حالة الذل والسكدر ورجع معه باقي
الجيش والعسكر حيث كان قد أظلم الظلام واعتكر ولما وصل إلى المضارب
والابيات التفت النساء والبنات وسألوه عن حاله وما جرى له في قتاله وكانت
أمام البنات عطور الجبد ابنة الامير حسن قصار اليهن يقول :

قال أبو زيد الهلالي سلامه والدمع من فوق الخدود سجام
أيا عطور الجبد إن السركسي يقبه الذئب قد حطى بغنائم
دوحى وقول لايبك أبو علي ينزل اليه باكر ويهاجم

ما دام النسيان طول في الوری تظهر فوارس كالسباع تصادم
 هذا السرکسی ما أحد يصادمه إذا قام في ظهر الحصان يلاطم
 قامض إلى حسن الهلالی والدک وقولی له أبوزید ولی هزایم
 (قال الراوی) فلما فرغ أبوزید من هذا الشعر تعجب البناات واستعظمن الامن .
 ورجعن وفي قلوبهن ایهب الجمر وعلمن أن السرکسی بطل عمبد وفارس صندیثم ان
 أبوزید ذهب إلى عند الامیر حسن وهو فی الدیوان وأعلمه بما جرى وكان فتعجب
 الامیر حسن وباقی الامراء علی ما تم وجرى وقالوا ما دام الامر علی هذا الحال
 فما بقى غیر الامیر دیاب أن یبرز إلى السرکسی فی ساحة المجال لعله یقضى الاشغال
 ویبلغ منه الآمال وإلا تضعفعت منا الاحوال وسمعت فینا أطلال غزوه دون باقی
 الابطال فاستصوب الامیر حسن هذا الکلام وصاریح بحسن الامیر دیاب بهذا الشعر
 قال الفتی حسن الهلالی دیاب أت فارس الخیل شهم منتخب
 فقم وانزل قتله یا امیر واسقیه بالحراب کاسات العطب
 واتركه فوق الوطی كما فعلت بالخزاعی حلب
 بالحرب والمرحلة أنت مغرب یا عز قیس المکاره والکرب
 قال الفتی امیر قیس وحامر الیوم أنله ونبلیخ الارب
 فلما فرغ الامیر حسن من کلامه سار الامیر دیاب یحییة علی حدیثه :
 یقول الزغبی دیاب المنتخب وحق النبی ومن بمکة قد خطب
 لا بد عن قتله یا امیر الملا وادعی دواه لی الارض تاسکب
 والیوم نملک فی بلادہ حقاً ونجعل عزه تحت أحكام العرب
 نحن ملوک فرسان الوفا وایوت حسن لا تخاف من العطب
 فلما فرغ الامیر دیاب من کلامه شکره الامیر حسن وباقی الامراء علی حسن
 اهتمامه وابتوا علی تلك البلیة وعلی تلك النیة وقد خافوا من ذواقب النضیة ولما أصبح
 الصباح وأضاء بنوره ولاح برز السرکسی إلى ساحة المجال فصاح وجاهل وطالب
 بمراس الابطال فبرز الیه دیاب کأنه لیث وهو راكب علی فرسه الماضی راکل الدین
 تنظر الیه وترى ولما صار فی ساحة المیدان والتقاء السرکسی بقلب کالصوان وقال له

من تكون من الفرسان فقال أنا المصادم واليكت المقاوم الذي صار ذكره في الآحارب..
والأحاجم الأمير دياب بن غام فضحك السركسى من هذا المقال والتقى خصمه
في ساحة الميدان واقتتلا بالرمح والنصال أقوى قتال وهما على بعضهما هجوم
الأسود حتى خدرت منها الزنود وما زال على تلك الحال إلى وقت الزوال وكان
السركسى كما تقدم الكلام أقوى من أقوى الفرسان العظيم في تلك الأيام فإنه استمال على
الأمير دياب بعد أن لعب عليه من الأبواب الثنتين وسبعين باب فهرب من أمامه -
مع عسكره وخلافه ولم يثبت لحره وصدامه حتى دخل المضارب والخبام وهو مقهور
ورجع السركسى إلى قومه وهو بغاية الفرح والسرور وبات تلك الليلة مشروح
الفؤاد على نيل المراد وأما دياب فرجع غائب عن الصواب حتى أقبل على صيوان
الأمير حسن فلما رآه قال علامك يا أمه دياب فأتى أراك في خوف راضطراب
فصار يخبره بهذه الآيات على مواقع الأمراء والسادات :

قال المدعو الأمير دياب والنار في قلبى تزيد لهاب
يا حسن اسمع كلامى وافتمم واصنى إلى قولى وزد جواب
السركسى ما رأيت مثله فارس يفتح على الحروب أبواب
وقد هالني بروح ويرجع نزل على مثل سبع الغاب
ماه مثيل في هلال وهامر أيضا ولا في سائر الأعراب
فوموا بنا الليل حتى نزل يا أبو على الرأس منى شاب

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه وأمرأه بنى هلال تسمع نظامه..
حسوا أمر السركسى وخافوا من الشرور وهو أقب الأمور وجعلوا يتخابرون
كيف يكون العمل في قتال ذلك البطل وباتوا تلك الليلة وفي الثاني جمع الأمير حسن
الابطال والفرسان ونزلوا إلى ساحة الميدان فالتفتهم عسكر السركسى في ساحة المجال
واقتتلوا أشد قتال وهجموا على بعضهم البعض واشتبك بين العسكرين القتال وجرى
الدم وسال حتى كلت منهم الزنود وبقوا على هذا الحال إلى نصف النهار فإذ كنت ترى
إلا رؤسا طائرة ودعاه وفرسان غابرة حتى دارت على قوم السركسى الدائرة
وفياهم على مثل هذا الحال ومتعضا يقين بالحرب والقتال وقد أيسوا من النجاة

وكانت بنو هلال محيطة بهم من اليمين والشمال فيسناهم في ضربات قاطعات بهذه الجبال
الراسيات وإذا بغيار من خلفهم قد ثار حتى سد الفاروز والاقطار وبان عن
عسكر جرار ليس له قرار في مقدمتها الوزير راشد الاسد المعاند فانه جبر مائتين
ألف فارس أسود حواسب وكان السبب في قعودهم أن السركسي أرسل يطلب منهم
الامداد للحرب والطراد لحضر الوزير بمائتين ألف عنان فلما وصل إلى ساحة
الميدان ووجد بقومه من الذل والهوان هجم على بني هلال وأحاط بهم من اليمين
والشمال وخلص السركسي من بين أيدي بني هلال واقتحم هو والعساكر إلى
ساحة الجبال بقلوب كالاجبال ومازك الحرب يعمل والرجال تقتل والدم يندل إلى
أن انكسرت بني هلال أشد انكسار وانهمز الأمير دياب ببني زغب وأبو زيد
ببني زحلان والأمير حسن والقاضي بدير ببقية الفرسان وتبعهم الوزير راشد
بكل بطل مغوار وأسد كرار وشقتهم في جوارب القفار مسافة ثلاثة أيام وكسب
عنهم غنائم كثيرة وأموال غزيرة ولما أظلم الظلام رجعت الفرسان عن بعضهم
البعض ورجع الوزير والجبال وصارت بني هلال مشتتين في البراري والتلال في
ملك اليلة اجتمع الأمير حسن والأمير دياب والأمير أبو زيد وأكابر الديوان
وأخذوا يتشاورون في خلاص ما أخذه عنهم قوم السركسي وكيف يقتلوا
الوزير الذي كان سبب هذا البلاء .

(قال الراوي) وكان للأمير حسن ابن أخت شديد الباس قوى المراس يسمى
الامير عقل وكانت أوصافه مدروحة مستحسنة وعمره أربعة عشر سنة فلما رأى
ما جرى وكان وانهمز الابطال والفرسان من قتال السركسي في ساحة الميدان
واستعظم ذلك الشأن فجاء إلى عنده خاله الأمير حسن وتعهده له بقتل السركسي
ولإزالة السكروب والخن بشرط أن تذهب معه النساء والبناات ليجمعوه في
الحرب والثبات ثم انه بعد ذلك الكلام أنشد هذا الشعر والنظام :

يقول الفتى الأمير عقل بما جرى	ونيران قلبي زائدات وقيد
أما فارس الفرسان في حومة الوغا	أهل الأعادى بالفلا شريد
فتأدى بنات هلال تأتي بصرعة	ونأدى لنا أم أم الأمير شديد

ونادى الجارية أم محمد وغيا وريا ثم أم الحميد
ونادى لوطفا بنت عمى وزينب وعليا ونجلا حسنين يزيد
قاربك فمضى فيه يا أبو علي وأويه طعنا في الحال شديد
على ظهر حمرا ليس يوجد مثلها أنا فوقها قمر أصيل عنيد
مقال الفتى الأمير عقل بما جرى لآخر في رجل يكون عنيد
(قال الراوى) فلما فرغ الأمير عقل من كلامه شكره الأمير حسن وباقي الأمراء
على حسن اهتمامه وقد تعجبوا من ذلك وقالوا لعلى الله أن يأتي على يده بالفرج
والنصر ثم أن الأمير حسن أمر الجارية أن تنتخب في الحال مائة بنت من خيار
البنات الأبنكار اللواتي يشبهن الأقار لحضرت بهن عند أخيهما بالعجل وقالت له
ماذا تريد أن تفعل قال تذهبى مع البنات ومع الأمير عقل إلى ساحة الميدان
وتشددونه بالأشعار الحسان كما فعلتم مع غيره من الفرسان حتى ينحس على قتل
السر كسى بن نازب فلعله يقضى بالاشغال وتقال المقاصد فلما سمعت الجارية خوى
كلامه استعظمت الحال وقالت كيف تذهب مع عقل وهو ولد صغير السن أليس
هو صغير السن والقتال إذا كان أبو زيد ودياب ما قدروا على السر كسى فكيف
يقدر هذا الصبي وربما نحن بهذه الوسيلة تقطع في أرضه الويلة ويأمرنا السر كسى
وتبقى معيرة بين الأعادى فلما انتهت من هذا الخطاب تقدمت وطفا بنت الأمير
دياب وألشدت تقول :

تقول فتاة الحمى التى شكت بدمع جرى فوق الحدود بدايد
أبو زيد وأبى دياب الغانم ما مثلهم بين الملوك شديد
راحوا مزاييم منه يا أمير أبو علي فكيف أرسلنا مع طفل وايد
مقالة فتاة الرغا البين قلبها فاحكم بعدل لا تسكون عنيد
(قال الراوى) فلما فرغت من شعرها ونظامها وعرف الأمير حسن خوى
كلامها اغناظ الغيظ الشديد وقال لها هذا الكلام لا يقيدتم أمرها بالركوب مع الأمير
عقل وفي الحال ركبته المهاريات أمام الفرسان والأبطال واعتقلوا بالرمح والاتصال
وقصدوا ساحة القتال فلما وصلوا اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف

وكان الأمير عقل مضربا بالسلح وهو راكب على ظهر جواد يسابق الرياح فيبرز إلى الميدان عرض ديان وطلب براز الفرسان فيبرز إليه السركسى كأنه قلة من القتل أو قطعة فصلت من جبل فقال له من تكون من الإبطال وصناديد الرجال فاقى أوى نفسك شاحنة معزة قال أنا السركسى أمير غزة وأنت من تكون من الشبان قال الأمير عقل ابن الأمير بدر ثم ألتشد وقال :

يقول الفتى الأمير بما جرى بدمع جرى فوق الحدود منهدا
أنا فارس الفرسان في حومة الوغا خلى دماكم على الاراضى سكايب
ونحن الهلايون ما بنا خيا فمن نهد يملكها الارض المغارب
ولا بد مدعى لشخصك مجندلا وتصير غزة من بعدك خرايب
دونك سوق الحرب بينى وبينك تشد بنات القوم من كل جانب
فقال الفتى عقل بقول صادق فلا بد من سيفى تراح شغاييب
فلما انتهى الأمير عقل من شعره وأجاب السركسى على نظامه :

يقول السركسى بن نازب ونيران قلب زائدات ثمايب
غيا أيها الشاب الذى ضرب نفسه اظنك مجنون بلا عقل : اهب
مالك ومال الخيل تلوى عنانها تحارب أصحاب المعى والشوارب
فان طعنى اسلم بروحك وانهمزم وارجع إلى أهلك وولى هرايب
هجمنا على عسكر هلال وعامر فساروا ولوا فى البرارى هرايب
فارجع إلى الميدان يا ولد الحفا لادعى دماكم على الارض سكايب

(قال الراوى) فلما فرغ السركسى من كلامه التقاه الأمير عقل وأخذ في حربه وصدامه هذا والتقى البطلان في ساحة الميدان كأنهما جبلان أو أسدان كاسران وعلا عليهما الغبار حتى حجبا عن الابصار وقد حثت حوافر خيلهما شرارا لئلا ومازالا على تلك الحال وهما فى أشد قتال إلى قريب الزوال وكان السركسى قد تعجب من حرب الأمير عقل واستعظم قتاله لانه رأى منه فى مواضع الطعن والضرب ما أدهشه وأهاله ثم ضربا فى الدبوس فاصدان يمدمه الحياة ويجعل القبر مأواه فخلى عنهم افراحت الضربة غائبة بعد أن كانت صائبة ثم إن الأمير عقل ارتد

على خصمه مثل الأسد وضربه بالسيف المهند فجاءت الضربة على وقبة الجواد فبرتها
كما يرى السكاكيب القلم فوقه السر كسى على الأرض وأعظم فادركوه قومه في عاجل
الحال ونشوه من ساحة القتال فهم عليهم الأمير عقل بالحسام فولوا وطلبوا الانهزام حتى
وصلوا إلى غرة عند الظلام فرجع الأمير عقل والفرسان من المعركة والصدام وهم في فرح
واسم بار ورجعت عليه البينات الابكار وقد تعجب من أمره نظراً لصغر سنه فدخل
على الأمير حسن وسلم عليه وعلى جميع الأمراء الذين جواله وأعلمه بما جرى وكان
وكيف أن خصمه ولي من ساحة الميدان بعد أن حارب طوال النهار وقال له إن كنت في
ريب نكلامي فاسأل البينات الابكار وشهدت البينات بالشجاعة والفروسية والهمة
العالية فشكره الأمير حسن على فعله وقد تعجب من قتاله ولباقته واجلسه بقربه في صدر
الديوان ريعه بالجميل والإحسان ورفعته إلى درجة الأمراء والأعيان هذا ما كان
من بني هلال وأما ما كان من السر كسى فانه رجع لساحته للقتال وهو مشغول بالبال
فاجتمع بوزيره وأعلمه بقتال الأمير عقل واجهه بالكلام ولا مة أشد ملام وقال قد
كننا في غنى عن هذا التعب ولعلنا نلك أنت الذي أتيت في حرب بني هلال دون باقي
الأمراء والسادات حتى حرى ما فندجى في هذا النهار من ذلك الولد الجبار والبطل
المغوار غزال الوزير لا تخاف يا مالك الزمان إن شاء الله نهار غد أنزل إلى الميدان
وبارز هذا الولد وأذيقه الأحوال والشدائد وباتوا تلك الليلة يتحادثون
وفي الصباح اصطف الجيشان وتقاتل المسكران وبرز الوزير راشد إلى ساحة
الميدان وطلب الفرسان فبرز إليه الأمير عقل فالتقاء واشد بقلب كالجميل والتحم
بينهما القتال في ساحة الجبال وتضارب بالسيف واطعنا بالرياح وفعلنا أفعلنا تعجز
عنهما صناديد الأبطال ومازالا على تلك الحال وهما كل يوم في حرب يشيب الأطفال
قبل الفطام مدة خمسة أيام على التمام وفي اليوم السادس التقيا في ساحة الميدان وتقابلا
أمام الفرسان إلى أن اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الأمير عقل فجاءت
الضربة على رأس الوزير راشد فوق قتيلا وفي دمه جد بلا فلما رأى قومه ما حل
به من الوبال لنشوه من ساحة القتال وأما السر كسى لما نظر ما جرى وكان كيف
لبن وزيره قد قتل وحل به الوبال غاب عن دائرة العوالب وهجم على الأمير

عقل مثل ليث الغار فالتفاه السركسى بقلب أقسى من الصوان وتقاتلا معهم في
ساحة الميدان حتى تمحيرت من قتالهما الفرسان ومازالا على تلك الحال ومما في أشد
قتال إلى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فوجها عن الحرب
ورجع السركسى وهو غضبان على ما قاسى من الحرب والطعان في ساحة الميدان
وخصوصاً على ما أصاب الوزير من الهلاك والتدهور وصمم النية على أن في الأيام
يهجم الفرسان والأبطال على بنى هلال ويذيقهم العذاب والبتكال هذا ما كان
من السركسى وما جرى له من الأحوال وأما بنو هلال فإن الأمير حسن بعده
رجوعه إلى المضارب والآيات أحضر إليه الأمراء والسادات وقال لهم : اعدوا
أيها الرجال إنه قد طال علينا مطر الاطلال ونحن رجال قصدنا الوصول إلى
تونس الغرب ليخلص من أمر الزناقي خليفة بالحرب والطعن والضرب والرأى عندى
الآن أن نهجم في الصباح بالأبطال والفرسان ومحارب أعدائنا بقوة الجنان
حتى نبلغ الآمال ونسير بالعجل من هذه الاطلال ويركب الأمير دياب في بنى
زغبى الشجعان والقاضى بدير والحفاجى حامر مع الأمير زيدان الرياضى وفرج
وعرندس الأزعى والأمير عقل يقصدون الميدان والأمير أبوزيد يركب في بنى
زحلان ويقصدون أبواب غزة بعد حضور السركسى إلى الميدان وهكذا تم الاتفاق
وسار الاقران .

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب
وركب الفرسان للطعن والضرب واندفعت الشجعان إلى ساحة الميدان من كل جهة
ومكان وطلب السركسى معركة القتال وطلب براز الأبطال فبرز إليه الأمير دياب
معه ساعة من الزمان ثم هجمت العساكر على بعضها البعض في تلك البقاع كأنها
كواصر السباع وجعلوا يتضاربون بالسيف وينطاعنون بالرمح حتى جرى الدم
وساح وزهقت الارواح وما زالوا على تلك الحال إلى قرب الزوال فعند ذلك
هجم الأمير عقل وزيدان واقبلوا السركسى من ظهر الحصان وارتقا بالاسلح
والقيود وأخذاه إلى الخيام وبلغوا المقصود ولما بلغ أبوزيد هذا الخبر فرح استبشر
وكان كما تقدم الكلام إنه محيط بالبلد من جهة الشمال فعند ذلك هجم الفرسان

والأبطال عساكر المركسي الذين انهزموا من ساحة المجال وحكم فيهم ضرب
السيف الفصال وبعد أن دخت بنو هلال غرة تغلوب معتزة فغنموا الأموال وبلغوا
الأول وخالصوا صباياهم من الاعتقال وكان أظلم الظلام فخرجوا وباتوا في الحيام
وفي اليوم الثاني أقبلت أهالي البلد والأكابر والعمد وطلبوا من الأمير حسن الأمان
فأجابهم إلى ذلك الشأن وأرسل منادياً ينادى بالامان والإطمئنان فاستكنه الأحوال
واستبشر بنو هلال بالامان والإقبال ثم حضرت قواد الفرسان والامراء والشجعان
إلى عند الأمير حسن فشكروهم على ذلك الاهتمام وغرهم بالعطايا والإنعام ثم
أحضرهم عقل وأكرمهم غاية الإكرام على ما أبداه من العرب والصدام من مزيد
الإعتناء والاهتمام وقلة الأمير حسن مقام الأمراء العظام وأبسه سيفاً مرصعاً
بنفيس الجواهر ثم أشار بمدحه بهذه الأبيات ويعرض عليه ما يريد من بنات النساء
والسادات مكافأة لافعاله ومجازاة لأعماله وأشار يقول :

يقول الفتى حسن الهلالي أبو علي بدمع جرى فوق الحدود بديد
عقل اسمع إلى كلامي وافتهم يا ليت عمرك كل يوم يزيد
أنت نصرت الهلالي في حد سيفك ورحت إلى المركسي في اليد
نحن كفا غافلين بحربنا نصرت قوم هلالى بالتأييد
لولاك كنا في حالة الردى صبايا هرايا في البلاد شريد
فخذ لك مني ما تريد وتشتي وأطلب مني كل شيء تريد
هذه بنات هلال ما فهم خفا صبايا عليهم من خلاع جديد
فلما فرغ الأمير حسن من نظامه وفهم الأمير خوى كلامه فشكره وأثنى عليه
أمام السادات وقال يا هلال أوجوك أن أجوز الأشغال بنظرك السعيد طول السنين
والأجهاال لأنه ما حل وقت زواجي وطلوع نجم أبراجي فتقدم الأمير زيدان
شيخ الشبان والنس من الأمير حسن أن يأمر بعمل عرس لأولاد الامارة الذين
حان وقت زواجهم في هذه الإدارة حيث تمت الوقائع والحروب واسترحنا من
الشدائد والكروب فقال له حسن لا بأس وركبت أولاد الامارة فوق ظهور
الأمهار والأبراش وعملوا عراضة عظيمة لما قدر وقية وبعده عملوا عرساً طالها
(١١ — قمرية)

بالمسرات وقصص أحامهم النساء والبنات الخدرات ومكثوا على هذا الحال ثلاثة أيام بالفرح والسرور وشربا المدام والخمر حتى خلوا العقل جار بعد ذلك أحضروا السر كسى مقيد بالأغلال وهو صامت الفم واللسان وأدخلوه عند الأمير حسن يثرا مى على أقدامه ويطلب العفو والأمان وكان الأمير أبو زيد عن يمينه والأمير دياب عن شماله فهده الأمير دياب بالعقاب والانتقام على ما جرى فحينئذ طلب منه العفو والأمان وقال يا أمير دياب الوزير ياشقى وكان هو سبب الأذى والضرر وكان سبباً لسي النساء الحسنان وارخته العنان في ذلك غشيان فارحوا أن تعفو عنى فأمر السلطان حسن باطلاق الاغلال عنه وقال يا سر كسى العفو عنك إذا حفظت الشرائع الملوكية وهى أو صيك بمحبة الله وحفظ شرائعه ووصاياه ما دمت على قيد الحياة ولا تكون لخوا فى الكلام ولا مدمنا لشرب بل حافظ لوامام الاحتشام متخلفا بأخلاق الكرام مع الخاص والعام متجنبيا كلام المجرم والبهزيان واقيا نفسك من عثار اللسان لأن سدود الاحرار قبورها فن صان نفسه ماك أمره ومن باح لم ينجع وزاد بدمه واحذر يا سر كسى من النساء الاشرار فان مكرهن عظيم وخطواتهن تؤدى الى قاع الجحيم لانهن أصل الأذى والضرر وسلاح ابليس عدو البشر يتظاهرون بين الرجال تحت برقع العفاف والكمال ومن اغدر من كل إنسان ومن أعظم البلوات وبهن الشيطان على ملك سليمان وكان أعظم حكام الزمان وأفضل رجال العصر والآوان حتى غدره وطغاه وقال منه صيته ثم لما تسلط على أيوب بأمر الله كان هو مذكر فى التوراة واعدامه كل جبراته وجمعه بينه وبيناته واتخذ امرأته له سلاحا فكان يحاربها بها مساء وصباح وهو الذى وسوس الى حواء فأغوت آدم وبها دخلت الخطيئة الى العالم وبها أخطيئة الموت الذى لا مفر منه فبالجدة أنهم مفاتيح الشرور فلا تركن اليهن أمر من الآلهة لأن ليس لمن عهد ولا امانة البلاد عرض الإصلاح ورفع العباد فتضع الحق والانصاف وبكثرة الجور ترتفع الادناء على الاشراف وتساقت اليهم ثم على الاكابر بالبراطيل والولاء بدل على الدراهم فتساقت الملكة الهلالية وبصره وودها كالدم بين ملوك الأمم لأن القوة والصورة وتمكين قواعد الدولة لا يقوم بكثرة

الجنود ولا باتساع الاقاليم والحدود بل بالوزراء وحسن التدبير والإدارة وعدالة
السلطين والمحك والتصرف بأحسن السلوك فايك ايها الأمير أن تسمى وزير
أو تقيمه مديراً ومشيراً إلا بعد الفحص والامتحان ولو كان ابن ولا شريف ولا
ديانة إذا استغنى زوجين أمرضنه بأساتين وإذا افتقر كلته بأساتين وإن شاب
واكتمل عاليه الجفارة الملل وجعدهن جملة وجهه وصاحبه جليلا غيره ولو كان
فقيراً أو صاعوا كحقيق وإن مات تزوجن بعده وما حفظن حقه وعمره كما هو ظاهر
العيان في كل عصر و زمان سدد عليك يا مركسي لكي نسمع وصيتي وتمي إلى نصيحتي
بمقصود أرباب الدولة فقال السر كسي أنا طوع بك وجميع أهوري راجعة إليك
فشنف أذنأي بأقوالك اللطيفة وصاتحك العاريفة لأنى لأمرك سامع ولوصاياك
خاضع فقال له السلطان حسن متى توليت أحكام البلاد وبحكمت على رقاب العباد
اياك أن تغفل عن أحوال الرعية وتتعدى القواعد الاخلاقية وتخلف قوانين وشرائع
الملوكية بل سالك الطريق المرضية معاملة الكبير والصغير بالسوية رافعاً لشكوى
المظلوم حجابك فاتحاً وجهه بابك واضعاً الاشياء في محلها والمناصب في يد أهلها
ولا سياراة الانظار وأرباب الوظائف الكما فينبغى أن يكون هؤلاء الرجال من
خواص العيان ومن أهل الفضل والكمال موصوف بالاستقامة والأمانة ومشهور
لحم بالحلم وصدق الديانة لا يميزون بين الحقير والشريف ولا يظهر من القوى على
الضعيف فهاهم جميع المأمورين ويقتدى بهم بين باقي المستخدمين لا هم أصحاب
الكلام وولاية الأحكام ويهدم أرومة الأمور وتدين مصالح الجمهور ومحافظة
الحدود والشعور فإذا كانوا على هذه الحالة تستقيم أحوال الرعايا وينتشر العدل في
كل مكان فتزى الذناب مع الغنم وتبات الفصاير مع الرحم وكان أحوال هذه
الأوصاف ما بين الاوجاج والانحراف لا يتصور منهج الحق ولا سيما
بقتضيه الحق بل يصرفون الاوقات بالذات وسماه الأعراف والأصوات ونكاح
السكيات والمسكرات ويسمعون كلام الوشاة وينقادون منقاداً لهم في كل شأن
الأحوال ويوقع الاختلاف ويكون سبباً لضرر ربه وسال حتى لا تفهم سؤلك
وتعيد به أحوال رعيتك فهذا الذى يقتضيه منك وهو سره في الدارين ختامك

ولما كان تغترق الدنيا وتلهي بافراحها ومسراتها فانها محتالة غدرة جميع أمورها مستورة فلا تتركن إليها ولا تنفق عليها وتعتمد عليها فكما افنت من الملوك وفنتك بالأنبياء وما هي الا كظل زائل وجدار مائل واعلم يا أمير السركسى ان مراتب العليا وشعادة الانسان في هذه الديار لا تقال بالفصاحة والمهارة ولا بكثرة السعى ومغطة التجار ولا بالقوى وأقوى اليأس كما يتوهم بعض الناس وإنما هي موجب وعطايا وعناية من رب البرايا لأناس خصصهم الله دون الغير وفتح في وجههم أبواب الخير وذلك لغايات ما تدرىها العقول وأسباب لا تمدى إلى معرفتها الفلاسفة الفحول فمنهم أنبياء وأبرار ومنهم أشقياء وأشرار كما هو ظاهر بالاختيار كالشمس في رابعة النهار ولكن يجب على صاحب الدولة ولا يأكل عن مساعده العناية ويصرف وقته في الكل دون أدنى عمل لكن عليه أن يسمى ويحتدو عن طريق الشر يحيدو ببدعة فيجب على الإنسان الحاذق أن يخضع لأوامر الحقائق ويعلمها بالرضا والنسليم لأن الله كريم وعادل وحكيم وهو الشفوق على عباده كما الوالد وأولاده فلا اعتراض إذا ما حكم فيما سمح به وأوصى به وهدى فتصبح هذه الأمور يوم النفوس عندها تقوم الموفى من القبور فتظهر الحقائق وتعرف الخلائق مقاصد الحقائق وأوصيك متى قولت تحت ملكة غرة أو صيكت في الحنك والحكم والسيف والقلم واجب عليك أن ترسل إلى الخازنة في كل عام خيمنة نهض السركسى فقبل يديه وقال أنا طوع يدك وجميع أموري متجهة إليك وما أنسى جميلك وإحسانك ما دمت على قيد الحياة خيمنة أمر له السلطان بخلعه سنية وحلته ملوكية نهض أبو زيد ودياب والبسوه إياها أمام الوزراء والقواد وأرسلوه إلى محكمته في احتفال عظيم وأجلسوه على تخت المملكة ودعوا بعضهم ثم أخذوا في أميتهم المسير إلى بلاد العرب لكي يخلصوا أولادهم من الاسر والكرب فركبت الأربع تسعينات الأولوف وانتشرت البيارق والصفوف والطبول في الصحارى والسهول وأخذوا يحدون في السير ويساقون في سيرهم العظام إلى أن وصلوا العريش فغضبوا المضارب والخيام وسرحوا في مسيرهم تلك الوادى والآكام (قال الراوى) أنه كان في العريش ملكان من الملوك العظام صاحب بطش وإهه ام يقال له البردويل بن راشد وكان فارس شديدو بطل عنيد وكان باني له قصر مشيد الامكان على

البنيان وحواله العساكر والفرسان وكان يجوسى يعبد النار دون العزيز الجبار ويسجد
لشمس كل نهار ويلبس طاقية الاخفا ويقرأ السلام والبراهين فايعود أحد ينظره
من الفرسان وبهذا الشأن يقهر الأبطال في بعض الايام أخذ خيبر بنت الملك سذيم
الملك مرصادا حكم هاتيك البلاد وعنده ثلاثة آلاف فارس ما بين مدروح ولا بس والبنيت
اسمها عليا وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجهاء وكال فلما سمع البردويل
بوصفها ما بقي يملك من العقل ولا درهم فكتب كتاب إلى أبوها الملك مرصاد
يطلب ابنته عليا إلى الزواج فأبى الملك مرصاد ذلك فجأبه البردويل وقتله وزيه
وأخذ بنته عليا زوجة له هذا ما كان من أمر بردويل والملك مرصاد ونزج
بالكلام إلى بني هلال انتهوا من حرب السركسي في غرة قصدوا وادى العريش
فنهضوا فيها المضارب وسرحوا مواشيهم على البراري والاكلم وكانت هاتيك
البلاد يحكم عليها البردويل فلما سمع بقدوم بني هلال ونزولهم في وادي العريش عند
مرادها طلقوا طر وشهم في كرومه يكون أكلون ويتلفون الأشجار واغتافوا وتكدوا
وشجر ونخروا قسم رب البشر لا يبقى من بني هلال لاعداء ولا أسرا واستدعى
بوزيره منصور اليه فتمثل بين يديه فقال له ما الرأي في هؤلاء العربان الذي
سوادهم هلا البطاح والوديان وأشار يقول :

قال الهامى ودعى شجاني	أنا ابن راشد قاصم الاخصامى
جونا هلال فوق الجبالى	ونزلوا قبالي وبنو الخيام
وبنو البيوت النخوتى وهبوا	الرخوتى لحيل وأملوا الاراضى
طولا وعرض اليوم لامضى	بجنح الظلامى معهم دروعى
سيوفا لموعى جملة جموعى	يوما لزامى معهم رماحى بيضا
صفاحى لأجل الكفاحى	اليوم الصدام يا وزير منصور
قل لى ما الدور نركب وتدور	تدركم قوامى تركب عليهم
وتبلغ اليهم ونهجم عليهم وقت	المنام دولا خوارج جونا
خوارج الدحارج ادفعهم أمامى	يقول ابن راشد القول ناخذ

والاعداء جاحد فى الزحامى

(قال الراوى) فلما فرغ البردويل من كلامه والوزير يسمع نظامه أجا به
قال طويل العمر رفيع القدران كنت تريد رأى وشورى ولا تقع لقول غرى
أكتب إلى الأمير حسن في طلب عشر المال والنوق والجمال فإن أعطى كان قتالهم
حرام وإن ما أعطى كان قتالهم حلال وملاهم فبعد أن أتم الوزير هذا الكلام
عندها طلب البردويل قلم وقرطاس ودراية من الذهب الخالص وأخذ يكتب
لى حسن في طلب عشر المال والخيل والجمال :

يقول الفتى البردويل بن راشد وقارس الهيجا يوم طرادى
ولى ممة تملو على ما جند ولى فى ملاقاته الملك عوادى
يا حسن اسمع كلامى وافتم واصنع لقولى لا تكون منادى
من أى أرض أتيتوا لبلادنا وأنا حاميا فوق ظهر جوادى
يا بو على وادى العرش جهتها يسقى ورعى للدا بدادى
يا بو على قدم لنا عشر خيلكم عشر المواشى مع جمال بوادى
وقدم لنا وطفا وبنت القاضى وقدم لنا بنتك بغير عنادى
ولن لم نجيبوا كل شئ طلبته ردوا إلى مجد شريع زادى
فأ قال البردويل بن راشد وأنا دوام سيفى للعدا قتادى

فلما فرغ البردويل من كلامه طوى الكتاب وأعطاه إلى عبده سعيد فأخذه
وصار إلى أن وصل إلى بنى هلال وأعطى الكتاب للسلطان حسن فقراه وفهم معناه
فأسودت الدنيا في وجهه وارتبك في حاله فكان أبو زيد موجودا لما رأى ذلك أخذ
الجواب وقراه وفهم معناه فقال أبو زيد للعبد سعيد قل لسيدك ليس لك عندهم غير
الحرب ورمى الرقاب فسار سعيد وأخبر مولاه البردويل بذلك فغضب وفي هذا
الحال أمر وزيره المنفذ وكان تلاميا يركب في مائة ألف فارس وينزل إلى الدرب
وأن لا يذكر منهم صغيراً وكبيراً إلا الله فسار البطل منصور حتى وصل إلى السيد
فسر إليه الأمير وقالوا جالا وصالا واصطدم وضرب أبو زيد منصور دياب بالرمح
تخل منها دياب وضربه بالحربة خرجت تلمع من ظهره وولت رجلاه ودخلت على
البردويل وأخبرته بما جرى فلهس البردويل ثلاثة دوح فوق بعض ووضع في

جميعه طاقة الاخفا - نزل إلى الميدان فوجدوا بنو هلال رقد وقع في قلوبهم الرعب
ولكن لله در بعض أبطالهم فانهم اظهروا الحمدواخفوا السكدومع كل ما جاهدوا
وعانوا واستظهرت عليهم عساكر وكسروهم في آخر النهار فرجعوا على أعقابهم
مقهورين وقد كان أبو زيد غائب في الصيد والقنص ولم يعلم ما جرى من هذه القصص
في صنوان حسن وممر بعد جرح بني هلال من هذه الواقعة التي كانت عليهم أشأم الوقائع
اجتمعوا وأخذوا يتشاورون في دفع الجزية للبردويل وإذا هم في الحديث أقبل
أبو زيد فلزموا السكوت فسألهم أبو زيد ما لهم وعما لقوه من حرب البردويل أجابه
حسن وقال له والله إن البردويل ما أحد يلقاه إلا يس ولا جان فقال له أبو زيد
الله يا حسن قد أغراكم الوهم ولا شك إنكم تشاورون في دفع الجزية للعدو فواقة
ما أطاوعكم أبداً ولا أرسل الجزية ما دمت أقدر على ركوب الجواد وتقله
في آله الحرب والجلاد وراح يتكنا بقبل البردويل وهو يقول :

قال أبو زيد الهلالي يا حسن اسمع كلامي أنت منع من سخر
لا تخافوا من طعان البردويل إنني أطفئ لكم منه الخبير
وغداً باكر أنا أول إليه فوق مهر مثل طير أو صقر
سوف أسقيه المنية عاجلاً ثم أدركه حديثاً ينذكر
ما يشاء ربى ويركبني الجواد لا تخافوا من ملوك ووزراء
وكفى التسليم في كل الأمور وهنيئاً لذي بلغ الوطو

فلما فرغ أبو زيد من كلامه توجه كل أمه للصبيان ولم يبق عند السلطان حسن
غير دياب والقاضي بدير وعلى بن مالك وأبو عوف وعامر وحامد وعريس نقشاو وروا
مع بعضهم وقالوا غداً يذهب أبو زيد إلى البردويل فيقتله البردويل ويأتي بعده
في حزن طويل ما يكون علمنا ثم نهض حسن ودخل إلى خزانة السلاح وطلع ليد
المسكوك وهو أربعة أرتال فضة ووضعه على منديل وأعطاه إلى دياب وقال اذهب
إلى أبو زيد أنت وخالك القاضي بدير وعلى بن مالك وأبو عوف وعامر وحامد
وعمك عريس وقل له إن كنت طابع الله والأمير توضع رجلك في هذا القيد
لبكرة وباكر نجى نفتح لك فان حسن خاف عليك أن تذهب إلى البردويل ويقتلك

فاخذ القيد دياب والامارة الذي قال عنهم حسن وساروا إلى أبو زيد ودخلوا وسلموا عليه فقام لهم على قدميه وترحب بهم وأجلسهم في دار الضيافة وبعده قال لهم ما هذه البجة فقام دياب ووضع المذيل قدام أبو زيد وقال له باعت لك إياه ابن عمك حسن فقام أبو زيد فتمعه ووجد فيه القيد فقال ما هذا يا أجاويد قالوا لأجل أن توضع في ذلك لذكرك لذكرك وأخبروه بما قال حسن قال صبراً جميل وبهت ساعة وقال إن خالفت حسن فما أحديطيعه ومن يقرر بسفه كلام الأجاويد ثم انه أخذ القيد ووضع في رجله وقال سمعاً وطاعة قال لله در الأمير ولكن عليكم وحدة تهيئوا وتخلوا إلى القيد بكرة من صلاة الصبح فقالوا سمعاً وطاعة وذهبوا وعلموا حسن فخاف حسن أن يتعرفوا على أبو زيد فبعث وراءه أم غنيمر وقال لها يا أم غنيمر خذي مفتاح القيد خطيه معك ولما تشق في الفجر لاح يمكن الامارة يتعرفوا على بعلك وأبقى أعطى المفتاح من عند الأمير حسن وإياك يا أم غنيمر أن يعلم بك أبو زيد ويخبره عن المفتاح فقالت سمعاً وطاعة ثم ذهبت إلى عند أبو زيد وقعدت قباله هذا ما جرى على أبو زيد الدرغام ورجع إلى البردويل الهام فانه في الصباح دق طبول الحرب والسكرام وبرز إلى ساحة الميدان وطالب براز الفرسان فاحذر اليه الأمير حسن وحين التفت العين بالعين قال له البردويل أهلاً وسهلاً يا أمير بني هلال وعاهرو من الديار والخيول علينا نخامراً ما حسن فلما شهد البردويل وهرة جسته وكبر هامته وغلظ رقبته فقال والله إن هذا من عقاريت السيد سامان ومن أفرس أبطال الجن فانطبق عليه وأخذ في الصدام من الصباح إلى وقت الظلام فافترقوا على سلام ورجع كل منهم إلى الخيام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح رز البردويل إلى ساحة الميدان فبرز اليه قاضي العربان فلما نظر البردويل قال أنت قاضي العربان تريد تحارب الفرسان فقال له اليوم أريك اليوم أفعالي وأبليك بنزال وهجم عليه وتقاربا وتصادما ولم يمض عليهما ساعتين حتى أن البردويل هجم والدبوس في أيده وضرب بين كتفيه فظن أن روحه خرجت من بين جنبه فدار رأس جواده إلى هارب إلى النجاة طالب فانهدر إليه زيدان وانطبق عليه انطبق النعام فما أطال عليه المطال حتى كل في الحال هارب وإلى النجاة

طالب فبرز إليه عظيم وبعده عكرمة ثم مفلج أيضاً بطل حتى برز إليه خمسة وعشرون أميراً من الفرسان المشهورة والابطال المروفة فنهز الجميع وعلم على الكبير والصغير ولا يمكنك لو احد أكثر من ساعة إلا ويول هارب وإلى النهاية طالب وماز الواعى هذا حتى أمسى المساء ولما أقبل الظلام ودقت طبول الانفصال أخذ كل منهم شطراً مما أصابه من هذا الأسد الربيعال وفي ثاني الأيام برز الأمير دياب الأسد المهاج وصال وجال ولعب برمحه المعصا حتى حير عقول الشيوخ والشبان وطالب برز الفرسان فبرز إليه البردويل وهو بعظم جثة القبل فالتقى البطلان كأنهما جبلين وحان عليهما الحين وغى فوق وأسهما غراب البين وأخذوا في كرفر واقتربا وابتعاد فلما شاهد الأمير دياب أن خصمه شديد وقرم عنيد فأشار إلى بني زغبة فطبقوا على قوم البردويل فثاقوهم أو لذك في ضرب مثل النار حتى ما هدت تنظر في ذلك النهار إلا رؤوس طائفة ودماء فائرة وفرسان غائرة وأنذاك حائرة والرؤوس تنساق مثل ورق الشجر فيألفها من رقة مهولة تشيب رؤوس الأطفال ونحو عقول الابطال وكان ذلك اليوم على بني هلال بئس الأيام وأشهر الأعوام وقد كسرتهم عساكر البردويل وأرجعهم إلى الخيام ينوحون على مصائب الأيام ورجع البردويل إلى قصره فرحان وهو يذمهم كالأسد الغضبان هذا كله والأمير أبو زيد مقيد فلما قال لنا أبو زيد هذا الخبر ، ما قيل وما جرى على بني هلال من العبر اغتاظ وتكدس وصارت عيناه تقدم شرر وصار أبو زيد يتقلب على الفرش مثل الثعبان فقال لهما أم عظيم علامك أنت حامل كل هذا الهم وأنت عندك مال أكثر من غيرك وأنت الامارة ما يدفعون غفارة لاي شيء اترمي روحك في المهالك مع هذا الماحز وأنت ما سمعت ماذا عمل مع العباد فقال لهما أبو زيد والله ما هو على شوء ولكن من غيظي من حسن ودباب ما به ذفي ولازم أروح البردويل واقتلوا بني بعون الله ده ثلاث مرات بكل ما يمكن أو ما للبردويل قد طلب مال وخيل وجمال وعبيد وجوار وسلاح وبنات ملاح وأول ما طلب بنتك جمال الطمن كيف أعطيه لها ما قالت لا يرجع الله ولكن أنت تقدر عليه وعلى طلائمه ويحمره فقال لهما إن شاء الله تعالى وأنت ما تعرفي ملك يأم عظيم والأمير حسن كل يوم عند الصباح وعليك المفتاح ومرادى الآن في هذا الليل أن تسهرى إليه وتسرق

المفتاح من جيبيه وتجي تفقح القيد وأتوجه إلى البردويل وأقتله وأخذ يا حبة على
 بنى هلال فضحك وقالت ماذا تعطي الذي يجيب المفتاح فقال لها ما تريد أن أقام
 وعند أربعين ليلة فإذا كنت تريد أن تفرجني كربي افتح القيد وأطلق البار الصيد
 فقالت إن الأمير حسن قد أقسم على أن لا أفتح لك إلا في الصباح أين تريد الذهب في هذا
 الليل فاني أخاف عليك من البردويل أن يقتلك وبمعجب بدمارك فقال لها إن قتافي
 تأخذى لك رجل آخر وإنه لوك بعدى فما أنت أحسن منى فقالت له يا ذلنا من بعدك
 يا أبو شهبان وأخرجت له المفتاح وفتحت له القيد فوثب في الحال مثل الجرذان
 وشد على ابن الحصان وتصفح بعمد من البولاد وليس المدرع المصفح وشده وحاله
 بأنواع الحرب حتى صار قطعة من البولاد وعقل على ظهر الجواد كأنه كتلة من
 السكتل وقطعة فصلت من جبل وشاحت عليه وعلى الحصان هياكل الطلاس والقسام
 وتحولت بآيات الله العظيم وسلم روحه إلى الواحد العلام وقد وجد السهل الحال حتى بلغ
 قصر البردويل الربيعال ودار حوله ثلاث دورات فوجدته على البنيان زفيغ الاركان
 وهو منزرد عن القوم مسافة نصف يوم وكان وصول أبو زيد عند طلوع الشمس
 فمكّن البردويل نايم على ركة عليا وتمدد مثل العفريت من أول القصر إلى آخره
 فمعد وصول أبو زيد إلى الباب وجده مصفح في الواح البولاد كأنه من بنيان نمود
 وعاد فرفع يده وضرب الباب في دبوس الحديد فتزعزع القصر بسكانه وكاد يزيح
 من مكانه فعند ذلك أتمكى على قراقه وصار يتأمل فيمن يرد عليه ويفتح له فما
 أحد رد عليه فدى الباب ثاني وثالث فأناه سعيد عند البردويل وأطل من الشباك
 فرأى أبو زيد راكب على ظهر الجواد وهو كقطعة من البولاد فقال ما تريد أيها الفارس
 العنيد والبطل الصندي فقال له أبو زيد أريد مولاك البردويل يا أيها العبد الذليل ..
 فاذهب إليه وقل له فارس على الباب طالبك في الحرب والمكفاح فانه دش العبد من
 هذه الجسارة ورجع وأخبر سيده عليا بهذه العبارة فان مولاه البردويل كان نايم
 على ركبته اقتال لها يا مولاي إن فارس بالباب أسمر اللون بطل عنيد كأنه البرج
 المشيد وهو قد ملا الأرض بصر اخيه ولما رأى قال قل لمولاك البردويل أن يبرز

إلى الحرب والكفاح فقالت له ما قال اسمه أجابها لا ولكن همیشه تدل على أنه اعرفني
وبينا العبد يخبرها بذلك إذ سمعت صوت من خارج القصر يقف كالرعد حتى
كادت تهز منه أساسات القصر وكان الصوت صوت أبو زيد وهو يقول قم
يا بردويل من نومك الآن وفيما بعد أدهوك تنام إلى الأبد فلما سمعت عليها هذا الصوت
أرتعشت فرائصها وزفعت رأس البردويل عن ركبته ووضعت على مخدة ناعمة
وأشرفت إلى الباب قبال الأمير أبو زيد وتأملت فيه فإذا هو مثل الصقر وقلبه
أشد من الصخر ، فلما نظر أبو زيد ذلك المنظر كأنها البدر المنير حول نظره
عنها فقالت له ما مرادك وعن أي قبيلة أنت فقال لها أنا الأمير أبو زيد من بني
هلال ومرادى أحارب البردويل هذا النهار ودعيه ينزل إلى حربي فلما سمعت
هذا السلام أخذت تترحب به وتخبره عن حالها وتقول :

أسمع يا صنديد منى وافتهم	أسمع لقولى ولا تكون جنوف
أن الملك مرصداً مثله حد	محكم على قوم بغير جنوف
مائة أمته تركب مع أبى	ومائة ألف عساكره وصفوف
خمسين ألف من العبيد وغيره	ماكولهم لحم الغنم معلوف
أنا الذى فاق حسنى على القمر	حتى دعا البردويل كسوف
قتل أبوي بوسط عكا بظلمه	ودعاه من فوق الثرى مجدوف
وأباد عساكرنا وشتت شملنا	وأنا أخذنى غضب حتى عسوف
أنا وثمان سنين أئدب حائرة	حتى إلى من سباه يشوف
فأراد أخذى ابن راشد زوجة	أيام سعدى قد انت سموف
إن كنت يا صنديد تفرج همنا	خير القلب الخائف الملهوف
أدهو لربك من سباه تخاصك	من شر هذا الناكِر المعروف
ما قالت طلياً عما جرى لها	يا ناز قلى لا تزيد لهوف

فلما فرغت طلياً من كلامها قالت لأبو زيد أنا خائفة عليك من البردويل لأن
يدبلك الحرب الويل لأنه فارس ما مثيل ولا يوجد مثله فى الآفاق قال لها أبو زيد

تجيبه أن يأتي من دون إطالة كلام واليوم ننظر من فعالي والسلام لا بد أن تذكره
فعالي على الدوام فعند ذلك توجهت عليا إلى البردويل فرأته غارقا في المنام فلما أفاق
قصت عليه ما سمعت من الكلام وأخبرته عن قدوم البطل أبو زيد الصندي وأنه عن
قتله لا يحيد فلما سمع كلامها من الأول إلى الآخر قام وقعد ورغى وأزبد وقال لها
بغضب اقليني وسأخذ بئارك لو كانت أعز من حياتي وشاع فبك غرأى وشجوى
استكنت ضربت عنقك بهذا الحسام فسكيف تخيفيني من فارس أو من مائة فارس أو
من ألف فارس وأنا لا أحسب لكل من دب على الغير أم وطارف السماء حساب فقامت
له أهل كل الرجال رجال والتعاليب مثل أسد الدكار فإزالت النساء محبل وتلد على
وجه الأرض شاطرا فلما سمع من عليا هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وصرخ
صوتا دوت له الجبال واهتز من هول التلال وقال لها كفأك عربان يا بنت القمام إلا
قطعت رأسك بهذا الحسام فلما سمعه أبو زيد من خارج الدار صاح عليه صوتا وقال له
اسكت يا حماروا نزل إلى قتلى فستري بلاني أنزل قبالي وإلا أهدم عليك القصر قبل أن
ياق وقت العصر فلما سمع البردويل هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام فقام لساعته
ولبس آلة حربيه وعدته وأفرده على يده ذراع داوردى مصفح وتقلد في سيف كأنه
البرق اللامع أو الموت الماحق ووضع على جنبه طاقية لا خفا نادى على عبده مسعود
وقال شد لي على جوادى المعهود في الحال شد عليه فأحضره إليه فوثب ركب عليه وعلا
فوق ظهره كالبرق المشيدوه وكقطعة من حديد حتى صار كأنه كتلة من الكتل أو قطعة
فصلت من جبل وقال العبد افتح الباب وحافظ دلي مافى القصر وإلا أذيقك العذاب
ففتح العبد الباب وكان مصفحا بالجديد وحصل أبو زيد على فرح ما عليه من
مزيد ولما فتح الباب تأخر إلى الوراء وأخذ يقرأ آيات الله العظيم ويقول
هوذك يا رب الأنام وحينئذ خرج البردويل كأنه سيمع كاسر أو أسد ظافر
أخذ يلاعب حصانه كأنه فرخ جان أو من عناريت سليمان وكان أبو زيد منكى
على رجه يلتفت ذات العين وذات الشمال فنهض الملك البردويل إليه .

قصة الملك الغرمذ

حاكم مصر ونزول أمراء بني هلال عليه وما جرى من
الحروب والأحوال التي تسبب لحوادث الأطفال وفيه قتل
البردويل بن راشد ملك العريش على يد الأمير أبو زيد
الفارس الهام

(قال الراوى) لهذه السيرة الغريبة أن الأمير أبو زيد لما علم بانكسار أمراء
بني هلال أمام البردويل كان ذلك الوقت مقيد بقيد من الحديد فعمل كل حيلة على
زوجته حتى فتحت القيد منه فقام في الحال وتقدم بعدة الحرب وركب وسار بمفرده
إلى أن وصل إلى قصر البردويل بن راشد فناداه أبو زيد بصوت كالرعد فنزل إليه
البردويل وناداه قائلاً تعالى يا أعرابي حتى أنظر ما هو مرادك ومن الذى قادك
وغربك فأخذت أبو زيد الحية الجاهلية والنخوة العربية وهجم عليه هجمة الأسود
فالتقى البطلين كأنهما جبلين أو أسدين درغامين وحلف منهما الصبيحات حتى ملأت
الفوات فعند ما رأى البردويل أنه تعبان من صدمات أبو زيد طلب سيفه في الحال قال
قال ابن راشد من فؤاد ميلى والنار في قلبى تزيد وقادى
أيا ملوك الحال فالتفتوا وافهموا ما قالت من الانشاد
يا ملك شموخ أتيتى بعروك وعكرش ومكرش ثم ابن جرادى
وأنت يا غيلان مات لقورك مثل الجراد وربطوا بالوادى
يا شرزان فلا تخاف كلتى واشفى لقلبي مرة في مرادى
فلما فرغ البردويل من كلامه وأبو زيد رافع عينيه إلى السماء غير مكترث
نظامه بل كان يقرأ الفاتحة ويذكر كلام الله ثم بعد ذلك التفت إلى البردويل فوجده
لابس الطاقية ويقول أراك جهول ثم أشار بيده إلى الملوك العلويين وقال :
يقول أبو زيد الهلالي سلامة فانا بفعل المسكرات أتادى
أصيل من العبدین فخر قبيلة شريف دأكى الإصملى من أجداد

وامى شريفة يا ابن راشد أصلها
واسم أمك صالحا يا بردويل
أبوك فرنجي وجدك حفا
إن كنت ما تسلم دهبك طعنة
عندي عزائم مواتيه كثيرة
سبع قبائل والملوك سبعة
والسكواكب والمنازل والبردوج
حزبت أنا بالرمل أخذت علامك
أنا أسأل ربى بموسى وعيسى
فارسل ملائكتك يعنوا بحراسى
وارسل رؤفائيل نموى بعينى
يارب يارحم اسمع دعوى
يا غنى بلطفك يا سميع مرادى
فلما فرغ أبو زيد من كلامه والبردويل يسمع نظامه استشاط غضبا وغيظا
فلما عدت تسمع إلا صياح وهدير ودعومة فى السن مختلفة وكنت تسمع الصوت
ولا ترى الزوال هذا والبردويل لما وجد حاله مغلوب ولم يقدر أن يخفى من قدام
أبو زيد حيث أن الملائكة الملوية طردت ملوك الجان السفلية إلى سبع أرض
وأبطلت عزيمتهم على ما فرط منه فى حرب أبو زيد وكانت عليا زوجة البردويل
تتفرج من الشباك فلما نظرت زوجها انقطع أمره وأبو زيد غلبه فرحت وصارت
تؤخرت فظن البردويل أن هذا الغناء لأجله ولم يعلم أنه لأجل عجزه وفشله فأخذته
الحاسية والنخوة وهجم على أبو زيد مثل النمر إذا خطر فتلغاه أبو زيد كما تلقى
الأرض المطشاهه وأبل المطر وعلا عنهما الصياح حتى ملائكة الروابي والبطاح
وسار الأمير أبو زيد حول البردويل حينئذ تيقن فى ذهاب روحه وزوال سعادته
فهرأبو زيد فى يده عود الزان ورفع يده وقال اللهم استر عبدك يا من رفعت
ويسطت الأرض وطعن البردويل فى صدره خرج يلعب من ظهره ومن عظم
الطعنة أصاب بالرمح شجرة كانت وراء البردويل فشقها فوقع البردويل على الأرض

مختبئ طوله بالعرض فقالت عليا لا شئت يداك يا فارس وحالا نزل أبو زيد
عن ظهر الجواد وسحب لسانه وأزال أسنانه وأخذ الساقية والدروع والسيوف
والخوذة والرمح ثم تقدم إلى تلك الصخرة وكتب عليها بخط واضح هذه ضربة
أبو زيد الحلال سلامة وملعون ابن ماعون كل من يمر بهذا المسكان ويقرأ الكتابة
ولم يسمح للخيال عنها والصخرة الآن في حريش مصر ثم التفتت عليا وقالت
يا أمير أبو زيد خذ هذه بدلة زوجي البردويل فانت أحق بها من غيرك لأنك
أنت القتال لهذا الشيطان فأخذها أبو زيد وعلق الجميع في قربوس ابن الحياص
وأتى باب القصر وكان ذلك وقت العصر وختمه بختمه وركب على ظهر الجواد وقال
علمان خاطرك يا بنت الكرام فأرجوك عندما تطلبين الشهادة تظهرين
واقعة الحال كالعادة وتكلمى كما نظرت فقالت أرجوك تدخل القصر اترتاح ثم
تناول الطعام أيها البطل الدرع والوث الهام فانتك تعبت من الحرب والكفاح
في البيض الصفاح فقال الأمير أبو زيد أنا لم أدخل الدار خوفا عليك من القار
لكنك غريبة فيكون كلام الناس أمر من ضرب السلاح وأما أنت فاعطيني
المفتاح لكي أنفل عليك القصر حينئذ حققت عليا شهادته وعرفت نغوته
وأكدت أنه من أمانة بني هلال فأعطته المفتاح فأخذه وقفل القصر وأدار رأس
جواده إلى ناحية بني هلال فوصل في نصف الليل ثم دخل صيوان أم غنيم
فأمرها تبكي فقال لها أبو زيد الحمد لله على اجتماع شملنا ثم قام ووضع ما أتى به
من أمتعة البردويل في الصندوق وقيد نفسه بالقيد الذهبي وتظاهر بأن لا له ولا عليه
هذا ما كان منه وأما ما كان من حسن وهو في الديوان وحواليه الأمانة فقال لهم
البارح قد التفتينا بالضيوف وتركنا أبو زيد وما رأينا كيف حاله والبردويل ما عاه
علينا للحرب فقوموا وأذهبوا لعنده ودعوه يأتى ننظر ما هو رأيه فراح أحد
الأمانة وأخذ معه المفتاح غير الذى كان مع أم غنيم ودخل على أبو زيد قال له
عن أمر السلطان أرفع القيد من رجلك وأذهب اليه فقال أبو زيد قد صار لي
مائة أيام ما نظرت أحد منكم نسيتم اليوم أبو زيد ولكن الله يجازى كل واحد
بأعماله فقال الأمير فأيده الله يا أبو زيد ما نسيتك ولكن كان موجود ضيوف عند

حسن وهذا المانع من زيارتك في عدم هذا الكلام فك القيد من رجله وركب دون سلاح رما حمل معه سوى عصاه بيده وتوجه نحو حسن فحين وصل إلى الحياض قام الجميع على أقدامهم وحبوه بأحسن نحية ثم قال له حسن لا تؤاخذني يا ابن عمي قد غفلنا هنك بمقابلة الضيوف فقال أبو زيد وماذا علمت من المصالح في حرب البردويل فقالوا نحن أرسلنا ورامك لاخذ رأيك فقال أبو زيد والله إن البردويل فارس من الفرسان ولا أحد يقدر محاربه فإلى رأى إلا أن ترسل له عشر المائل والنساء والعيال وتذهب إليه المحارم في رقابتنا فقال حسن في هذا الوقت قد قالت العنوبات بآرك الله فيك وأعطاك كل ما يكفيك إلا أن أرحمت أفكارنا واشتريت أعمارنا هذا ما كان منهم اسمع ما جرى بعد ذلك أنه صباح اليوم الثاني الذي قبل قتل البردويل أخذت الرعيان في تسريح المواشي حسب العادة فصار منهم ثلاثة رهيان وسرحوا قرب قصر البردويل وكان لهم عادة يناموا في ظل القصر كان البردويل ما كان يقوم إلا العصر فقبل أن يبلغوا المكان المقصود انظر وا شخص البردويل على الثرى مدود وهو منفوخ مثل البرميل ولم يعلموا أنه قتل ولكن توهموا بأنه را صددم إيقاعهم فقلوا إليه منهم هذه الثومة مشرومة فتأخروا من ذلك المكان خوفا من أن يسطى عليهم هذا القران وكان معهم عبد اسمه مسعود قال لهم أنا مرادى أذهب إليه وأنظر ما حواله فانظروني أقول له أنا أتيت بهذا الطوس من عند العرب وأريد أن أعيش في ظلك وأنال الأرب وان ما شافني أن هو أترك على الفرع فقالوا رأيك مناسب فتوجه مسعود إلى أن وصل إلى قرب القصر فرأى البردويل مقتول وعلى الثرى مغلول ودظم جثته كجثة الغول ورأى رأسه بعيد عن جثته ولسانه بأخوذ منه أخذ يتفرج على ذلك الرأس وهو قد رأس الثور الكبير فأخذه الرعب وصار ينفث يمينا وشمالا فلم يجد أحد فقوى قلبه وسكن روعه وكانت عا لية في الشباك فصاح مسعود هيا أصحاب قصر علام سيدكم قتل وأنتم نيام يا حيف هذا البناء ترك هذا المقام فاجابت عا لية من الشباك وهو تضحك عليه فسأل عن زوجها البردويل فأشارت تقول :

تقول فتاة الحى عليا بما جرى والنار جوا الحشا زادت ضرام
اسمع كلامي يا مسعود وافهم ما أتى راع ولا قد جاء علام

هذا بعلى البردويل بلا خفا من أم أناه السهم هل من الغمام
 بان لي بالك أنت غريمه بان عليك أنت من فوارس عظام
 ليفخر بقتله بعين الملوك يبقى لك هيبة كما سبع الآكام
 فلما فرغت عالية من كلامها ومسعود العبيد يسمع نظاما ظن انه يخدعها
 وقال أنا الذى قتلته والحياة أعدمته ومرادى أخذ رأسه إلى أميرنا حسن الملالى وافترخ
 فى قتله على جميع العربان فقالت أفعل ما تريد فأخذ مسعود الرأس وكان هال جدا فقدم
 المدبنتين وربط الرأس فى فرسه وعلقه فى كتفه وراح يتنم بقوله ما كل العبيد عبيد ولا
 المولى موالى وكان العبيد حول مسعود يغنون له الاغاني وينشدون النشائد وكان هو
 حامل رأس البردويل على كتفه حتى وصل صيوان الأمير حسن ورمى الرأس
 قدام الصيوان كراس مرده الجان فخرج الأمير حسن والامارة يتفرون على ذلك
 الرأس المايل والشعر فيه كالجدايل وقد تعجب الأمير من فعل مسعود البطل الممدود
 فقال حسن والله من أتى رأس البردويل هو بطل ماله مثل ولده من الانعام الجريل
 فوئب مسعود وقال لعينيك ياسيدي عبدك مسعود أى بالرأس واخذ من ذلك الشقى
 الانفاس وأعدمه لإحساس فقال الأمير حسن لله العجب من كان يقول ان منية
 البردويل تقضى على يد عبدنا مسعود وقد كان هذا يحطف الأرواح ويتركها
 كالإشباح وذقنا من حربه البلاء والكرب وانواع الذل والتعيب ثم التفت إلى العبيد
 مسعود وقال كيف عملت فى قتل البردويل فقام وقبل يد الأمير حسن وقال قد كان عبيد
 دواشكم فى البردويل والجمال سارحة فأخذتنا هجمة التوم فقمنا قليلا ثم استيقظنا
 فوجدنا شنا غائب عن أعيننا حتى بلغت قصر البردويل وتلك الفقر فتوجهت بنفسى
 لأردها ومن عنادها اصدها فلا فاني راشد ونهرنى وظن انه بناورنى لكن لم أرد عليه
 ونقدمت اليها لأردها فأنا فى وهو مثل كالسبع الكاسر ووقع يده بالدوس وأراد
 إعدامى الحياة ويذيقنى المات فراحت الضربة خائبة من غير صابئة ثم وضعت حجر أفى
 فقلاعى وفعلت فعل داود فى حليات وأذقت البردويل الحسرات لانه بالقضاء والقدر
 أنت الضربة بين عيبيه فخرح الدم يتدفق من بين شفتيه وحالا تقدمت اليه وعجلت

عليه وطرحته على الأرض انقطع منه النفس وسحبت في يدي السكين وقطعت رأسه
 واتخذت نفسه وجميع العبيد يشهدون لي بذلك فقالت العبيد نعم إنه قد قطع رأس
 ابن راشد أمانا فقال مسعود أريد منك يا سيدي أن تجعلني سيداً على كافة العبيد
 وأن تزوجني ابنة يبيضاء وأربع جوار سود وأن تعطيني جواد من خواص الخيل
 وعدة حرب كاملة والف دينار ومواشي وعبيد وغلان فقال القاضى تستاهل
 يا مسعود أزود من ذلك في الحال نهض أبو زيد على أقدامه وقال كفك يا عبد سوء
 ما تستحق إنك تقول قتل البردويل أيها الهيبيل قال الهيبيل نعم وحياة رأسك ورأس
 الأمير حسن فقال له يا عبد السوء أنت أفرس مني ومن دياب فقال مسعود إن
 لكل إنسان منية ومنية البردويل على يدي فقال أبو زيد في أي شيء قتلته فقال حسن
 كيف ما كان قتله أراحنا بما كان يلعب في الميدان وقنطر فيه الحصان ومسعود
 حر رأسه فقال أبو زيد تمهل يا حسن قليلا ثم قام وفتح فم البردويل وقال أظنه
 كان أخرس كان ليس له لسان فاذا اللسان وقام الجميع ونظروا ذلك وتعجبوا
 فقال يا مسعود لما البردويل طلع ما كليك فقال نعم وكان صوته مثل الرعد القاصف
 فبالحال وقف أبو زيد وقال له أين درعه وأين طاقيته وسيفه ورجعه وبدلته وحصانه
 وقد أخذت من أبو زيد الحدة فقام وركب جواده إلى عمدة أم غنيم وأتى بعده
 البردويل والحصان والطاقية والسيف والرمح وكل ما كان عنده من أمتعة البردويل
 وأتى بهم إلى صيوان حسن ووضع الجميع أمام الأمانة ثم رمى بالسان البردويل أمام
 دياب وقال له تفرج على هذا اللسان وبهتوا الأمانة وتعجبوا من هذا الأمر وأما
 مسعود والعبد حين نظر ما جرى سار ينسحب بحفاة إلى أن هرب من الصوان لعند
 الرعيان وأما الأمانة فأقاموا من ساعتهم وركبوا خيولهم وكانوا الذين فأس من
 الفرسان المدةودة والرجال المشهورة وقالوا إلى أبو زيد اركب معنا فقال أنا ما أروح
 حتى يتكشف اسم الخبير فركبوا وفي أوائلهم حسن وساروا الجميع نحو قصر البردويل
 وعند وصولهم إليه وجدوه قصر عال البنيان فتقدم حسن نحو باب القصر فوجدوه
 محتموم بختم أبو زيد فقال حسن يا ترى هل يوجد أحد في هذا القصر فأتى كلامه
 إلا وعاليه أشرفت من الشباك فشاهدت حسن وأمانة بنى هلال وكان للقصر

باب صغير غير الذي قفله أبو زيد وختمه بختمه فنزلت عاليه منه وأقبلت أمام
حسن وقبالت يديه وتمثل بختمه وحينئذ سأله من قتل ابن راشد فحكى له
ما جرى لأبو زيد معه وما فعل العبد مسعود بعد ذلك .
فلما فرغت عاليه من كلامها وحسن وبقيّة الامارة يسمعون قولها قال حسن والله
ما هذه إلا أفعال أبو زيد ثم قال إلى عاليه وأين المفتاح فقالت له مع أبو زيد وبيننا
في الحديث إذ أقبل أبو زيد راكب على الحصان فعند ما أقبل قاموا له على
الأقدام والاقتراف وحيوه في الاكرام وأثنوا عليه وقالوا له لله درك من بطل
لا تخشى نواب الايام وحينئذ قام أبو زيد وأخذ مفتاح البيت المصفتح بالحديد
والزود النضيد وفتح لهم وأدخلهم إلى القصر لينفروا على حسن فرشه هذا
ما كان من هؤلاء وأما ما كان من قوم البردويل عندما علموا بموت مليكهم ساروا
عند ابن أخته مسعود وكان عدواً لخاله البردويل وكان نازلاً في أطراف العريش فأخبره
بفعل خاله البردويل ثم قال له سعيد ما الرأي عندكم في بني هلال قالوا الجميع من
فرد لسان أن بني هلال يحجم سعدهم على وأميرهم حسن الهلالي وهذا قد ارتقى ما لا
يرتقى غيره من درج المعالي فانتا نشير عليك أن نركب جميعنا ونسير اليه ونوقع بين
يديه ونطلب منه أن يجلسك مكان خالك فاستصوب سعيد كلامهم وسار معهم لعند
حسن فلما وصلوا إلى دار بني هلال طالبوا أن يؤذن لهم بالدخول على حسن فدخلوا
عليه وقبلوا الأرض بين يديه وأخبروه عن حالهم فترحب بهم حسن غاية الترحيب
وأجلس الأمير سعيد خلعة سنية وحلة ملوكية وأجلسه مكان خاله وعين عليه الجزية
وكتبوا كتاب سعيد على الست عاليه امرأة خاله البردويل وبعد ذلك أمر حسن
بندق الطبول وأن يرحلوا من تلك التلول فنشرت الرايات وركبت الهاريات على
الهاودج واعتلوا الفرسان ظهور الخيول وأخذوا يحدون السحر حتى وصلوا إلى
مصر للقاهرة وكان في بلد مصر ملك يسمى الفرمندي بن متوج وكان ملك عظيم
الشان يحكم على أبطال وفرسان بكل عن وصفها اللسان ولما بنى هلال قتلوا البردويل
ورلوا مكانه ابن أخته سعيد قاموا وتبشروا على الرحيل يقطعوا كل سهل وورقى
وصلوا إلى مصر فنزلوا في تلك النواحي والاطراف وودعوا الزرع حتى حصدوا

الحصيد هذا ما كان من بنى هلال وأما ما كان من فرمند ملك مصر فإنه في تلك الليلة حلم منام هائل المنظر فقام مرعوب فأحضر الرمال وأشار يخبره عن ذلك يقول:

يقول الفتى الفرمند بن متوج	بدمع جرى فوق الخدود سجام.
رأيت مناما آخر الليل راعى	وألفقتى والعالمين نيام.
رأيت نارا ضرمت في بلادنا	قد أحرقت أشجارها وأكرام.
رأيت سباع ماليا السهل والفضا	ومعهم لبوات بحسن قوام.
يهبوا لي بالعين قدام ناظرى	كفرلان زهى في مراح خزام.
فهميت إلى اللبوات أصيدهم	إلا وسبح أسمر على حمام.
ورفع إلى هتفه لهم ناشى	فوليت منه هاربا وهزام.
فوليت نحو القصر هارب مرته	ب إلا وطير أبيض على حمام.
ضربنى بمتقاره وحط غالبه	في وسط قلبي والدماء قد عام.
ففريت من هذا المنام خائف	تحييت يا ناس في هذه الأحلام.

فلما فرغ الفرمند من كلامه والرمال يسمع منه نظامه أشار الرمال يفسر منامه

يقول ابن بدر أن الفهم إلى شكى	فسبحان ربى واحد علام.
فأثار هذه يصهر وضجة	وتعلموا عجائته وضرب حسام.
هذه عرب يسموا بنو هلال بن عامر	هربان على أحد الحصا وردام.
وخرجوا بعد الاعجام قبل ما أنوا	ومن بعده خرجوا بلاد الشام.
وأما السباع التي تقول رأيتهم	وهم يتزاحون في البلاد زحام.
والسبع الأسمر هذا الهلالى سلامه	أمير الملا سائر بهم قدام.
والطير الذى جاء من البر لا شك	وخلى دماك على الثرى سجام.
فهذا أبو موسى دياب بن غانم	وتحتة شبه طير وعام.
عمر ك بيده يا ملك في بلادنا	وتعنى عليك الأهل والزمام.
فان طعتنى يا أمير لا تعرض لهم	سما بوادى خوين كرام.
فان ينزل أرضك وما يقربونها	ولا يتصبوا في البلاد خيام.
بحايبهم عند الزناني خليفة	لهم جنده مدة سبع أعوام.

برأنا بنصحك يا أمير لا تتعرض لهم وأناصحك والنصح خير كلام
وهذا كلامي يا ملك مصر افهمه والله كل الأمر والأحكام

فلما فرغ الرمال من كلامه اضطرب اضطرابا عظيما وهو في هذا الحال إذ دخل
عليه المهايل حاكم الصالحية وسلم عليه وبكى بين يديه وأشار يعلمه بواقعة الحال ويذكر
تقدم بني هلال إلى تلك الاطلال فلما فرغ المهايل وفهم الفرمند خوى كلامه واشتدت
عليه المصائب وخاف من العواقب فاحضر الوزراء والأعيان وعقد مجلسا بهذا
الشان وبعد جلسة طويلة استمر الرأي بوجه الاجمال في أن يرسل يطالبهم بعشر
الجمال والنوق والجمال فان أجابوه بهذا السؤال كان جل القصد والمراد والإتيان بهم
بالحرب والجلاد فاستصوب هذا الرأي وكتب لهم بذلك جوابا وأعطاه إلى
نحباب ليأخذه إلى السلطان حسن ويأتيه بالجواب وسار وجد في قطع القفار
حتى وصل إلى القوم في ذلك اليوم فدخل على السلطان حسن وهو في الصيوان وكان عنده
جملة من الأمراء والأعيان فقدم وسلم بأصح لسان وتكلم وأوله الكتاب ووقف
عن جملة الحجاب بانتظار الجواب فلما فتحه وقرأه عرف معناه اغتاظ الغيظ الشديد
وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كل ما وصلنا إلى أقليم يادونا أمره
بأنه يدير يطلب منا هشر المال والحرب والقتال ثم أمر الخدام أن تأخذ الرسول إلى دار
الضيافة وبعد ذلك قرأ الكتاب على أرباب الديوان واستشارهم فقال أبو زيد أرى من
الصواب أيها المهايل ترسل الجواب وتوعد باجزاء الطلب وتطلب منه مئة عشرة أيام
فبينما يكون قد أخذها الاستعداد اتام الحرب والصدام فاستحسن هذا الخطاب وفي
الحال أرسله وسلمه بذلك ولما وصل الفرمند فرح واستبشر وزال عنه الهم والسكدر
وأيقن ببلوغ الأمل وظن أنه سيمنال ما يطلبه من الموائى والفضة والذهب ولم يعلم أن
دون الطلب الهلاك والعطب ولما مضى الوقت المعين ولم يقف على إقادة من السلطان حسن
كتم غيظه وقد زاد عليه الحال وكتب السلطان حسن يطلب منه هشر المال بخطاب (قال
الراوي) فلما فرغ الفرمند من هذا الخطاب طوى الكتاب وأعطاه إلى نحباب وأمره أن يسير
به إلى السلطان ويأتيه بسرعة الجواب فأخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل إلى

قبل الزوال فدخل على السلطان حسن وسلم وبأفصح لسان تكلم وأعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قرأه وعرف خواهله إلى من حوله من الأمراء والأعيان وأعلمهم بما كتب لهم الفرغ مندوقال ما رأيكم في هذا الشأن فقال أبو زيد للنجاب سر بأمان وقل لحولاك المملك في هذا النهار ينال المطلوب ففرح النجاب بهذا الخبر ورجع على الأترو أخبره مولاه بما سمع وبصر ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وبعد ذهاب النجاب التفت السلطان حسن إلى أبي زيد ليث الغاب وقال له ماذا دعوت أن تفعل يا أبا الحيل قال مرادى أن احتال على الفرغ مندوبحيلة يكون ما سبقني عليها أحدهو أن اختار أربعين بنت من بنات العرب ومن جملةهن الجارية أم محمد واحضر أربعين صندوق يكون طليقتين فاجعل الطليقة الأولى للقماش والحري والطليقة الثانية للفرسان المغاير وتحملم ظهور الجبال واركب مع البنات والأحمال ولسير إلى الفرغ مند على سبيل تقديم المال وتدخل السراية وهو لا يعلم بهذا الحال حتى إذا وصلنا إلى هناك احتلنا عليه وبنجناه وبلغنا ما رسمناه ونهبنا ما في قصره من الأموال ثم ارتحلنا بالحريم والعيال من هذه الاطلاع وليس لنا غير هذا التدبير فلما انتهى أبو زيد من هذا الخطاب التفت إليه دياب وقال له ليس هذا الرأي بصواب لأننا نخاف أن ينكشف الحال ويعود الأمر إلى وبال وتقع البنات الأبكاري أيدي الاندال والرأي عندي أن بمادرم بالقنال ونشتعل فيهم ضرب السيوف وطعن النصال فتعهد أبو زيد أمام السادات في النساء والبنات بأنه يرجمن سلمات فقال له السلطان حسن أفعل ما تريد أيها الفارس الصنديه فعند ذلك تجهزت البنات في الحال وفعل أبو زيد كما أشار وكانت هذه البنات من المحصنات وكان من جملةهن وطفا بنت دياب وجمال الطمن بنت أبو زيد وبنت القاضي بدير والسرت ربا وبدر النعام وجوهر العقول وسعد الرجاو لبس أبو زيد قرون من جلد الثعالب والذئاب وتقلد بالسيف من تحت الثياب وأرخص له سوا الفه طوال من أذئاب السكدش والبيغال وجعل بزمام ناقة الجازية أم محمد وقد تعجبت من أفعاله السادات والعمدوقال له السلطان حسن لله درك على هذه الحيلة التي لم يسبق عليها أحد وودعه وسار بمن معه من البنات الأبكاري والصناديق والبكار ومن داخلهن الأقمشة الحسان والابطال والفرسان حتى دخل إلى المدينة وطلع إلى قصر الفرغ مند

فوجدوه بأحسن الزينة والمفروشات الثمينة وكان الفرند قد بلغه قدومهم من
الخدم فالتفاهم بالترحاب والاکرام فسلن النساء عليه وجلسن حوالیه فقال أهلا
بالکواعب والاکرام والاصدقاء والاحباب وكان أبوزید أمام الجميع وهو یرقص
ویلعب ویضحک ویطرب وكان لابسا تلك الثياب التي ذکرناها وهو بالصفة التي
وصفناها فسأل الفرند البتات والنساء ومن یکون هذا الانسان فقلن هذا فرج
الغوم بمحرکاته وفرح والسرغایة السرور وسأله عن اسمه قال قشمر بن منصور
قال فتلك من یصلح تسامرہ الملوك لما فیک من الحركات وحسن السلوک فامل هذا
الکاس حتى أشربه أمام الحلاس ویزول عنی البأس فامله وناوله إياه فأخذه الملك
وهو مسرور الفؤاد وقد بلغه أنه المراد وحصل علی ما أراد ولم یعلم أن دون ذلك
خطر القتاد فعمد بذلك غشفت البتات ودقت علی الآلات حتى کاد یرقص القاب ویطیر
من شدة الطرب والفرح الكثير وكان الملك وقعت عینه علی الجازیه فهاجمها وتعلقت
نفسه فیها لأنها كانت کما تقدم الخیر جمیلة المنظر ولطیفه المحضر فاجلسها علی جانبہ
الایسر والنفت الی أبوزید من تكون هذه یالشمر فقال هذه الجازیه ذات الوجه الحسن
وأخت الأمير حسن فالتفت الیها وقال لها غنی لی علی الکاس یا صبیبة الجمال فان قلبی قد مال
ومازال یشتد علیها یشذل البهاقی أجابته الی مناله وأخذت تغنیه بهذه الآیات تقول

تقول الجازیه بقلب عروق فمحن الیوم قد جشأ هدیة
هدیه من أن مرضی الهلالی أمیر البوادی والرمیة
اخی ابن سرحان المسمی أمیر ابن أمهدة برمکیه
وجشنا لمصر عندناک حللال ولا عادیه وواح ولاجمی
تقول الجازیه من قلب عروق آیا حیف الزمان أحیف علیا

فلما فرغت الجازیه من کلامها طرب الفرند من نظامها وشرب الکاس عن اسمها
وهو یتأمل فی محاسنها ویباض جسمها ثم أمر قشمر أن یرسله کاس آخر فلاحه وناوله
إياه فأخذه وتقدم الی وطفای بنت الأمير دیاب وقال غنی علی هذا الکاس یا بنت الایجاد
لجعلت تغنی وتقول :

تقول وطفای فؤادی اکثری بدمع جری فوق الحدود غزازی

ونهران قلبي كلما أقول تنطفئ
 الأياملك سعيك على الناس دابر
 بهب لما في وسط قلبي شرار
 وطاعت لأمرك سائر الاقطار
 وألهب حشاي ياملك بالناد
 وانظر بنات تشبه الاقمار
 وحسنى فاق على أقدار
 وأنظر وشامى يحير الأفكار
 تشبه التفاح على الأشجار
 وعنقى كعنق الريم أو عنق شادر
 وعن الهلايات مافى مثلنا

فلما فرغت من كلامها المشرح الفرغ من نظامها وشرب الكاس على اسمها وأعطاه
 لقشمر فلهذا قد زاد عشقه وهو أنه ثم تقدم وجلس أمام جمال العلمن وقال من تكونين
 يارب الحسن قالت أنا بنت أبو زيد قال أنت بغيه المراه وأنا أسأل رب العباد
 يرزقني منك بولد يكون جده الأسد كل هذا وأبو زيد يسمع الكلام يلتفت
 إلى وراء ثم قال لها وحيات رأسى أن تغنى على كاسى فأشارت تقول :

قالت جمال العلمن بنت سلامة أبيات شعر لا ثقات غرائب
 ياملك مصر البشارة فالشرح وانظر بنات فائنات كواعب
 أنظر بنات هلال يامير نظره السنن ونحن كالأسود حايب

فلما فرغت من كلامها وسمع الفرغ من نظامها طرب من كثرة شرب المدام ولا عاد
 يعزبين النور والظلام ثم صرف الاغوات والخدم حتى لا يكون أحد في هذا المقام
 وبعد ذلك شرب الكاس على اسمها وشكرها على نظامها وأعطاه لقشمر ليملاه فلهذا
 وأعطاه إياه وجلس أمامه وتحلاو كذلك جلس أمام جميع البنات الأبكار وهن ينشدونه
 بالأشعار وهو يشرب العمار حتى فقد الوجود وصار بسففة مفقود فمقد ذلك منهجه
 أبو زيد حتى غاب ونهض كالأسد ونزع ما كان عليه من الثياب حتى حراه وجعله
 هبرة لمن يراه ولفه بهرام عتيق ثم فتح الصناديق فخرجت الأبطال مثل الأسود
 فذهبوا مافى القصر من الاموال والتحف الغوال ولم يتركوا شيئا فى القصر الا اخذوه
 باهتمام وكانت وطقة قد أخذت خاتم الفرغ منده وهو على تلك الحال التي تقشع مندها
 الابدان ولو أرادوا اقتلوه وأسقوه كاس الهوان وساروا حتى وصلوا إلى باب البلد

فأهتز منهم الحارس فأورته وطفأ خاسم الفرند وقالوا نحن جملة الخدم قاصدين الآن
أهلاً لاجل المنام فعمد ذلك ففتح لهم الباب ولم يعرف حقيقة الأسلوب فساروا في
سرور وأفراح وقد استبشروا بالفوز والنجاح إلى أن وصلوا إلى بني هلال ففرحت
بتقدمهم جميع الرجال ودخل أبو زيد على الأمير حسن بن سرحان وأعلمه بما جرى
وكان فالنقاء بالترحاب والإكرام وشكره على ذلك الاهتمام وسأله بواقعة الحال
وما فعله من الأفعال فأجابته وقال :

يقول أبو زيد الهلال سلامة يا بو على جيت البنات وجيت
وجيت لك مال كثير وعدة تحف وجواهر يا ملك عييت
وجيت دروع ثم طرس مذهبة دبابس مع أطيار لك لميت
وجيت معادن وسيوف مسفطة ودباج معركة وكتان لك شديت
دخلت إل قصر الملك أبو علي وأركانه يا أمه لك هديت
رفعت للملك وطيبت خاطره ومن بعد ذلك كاسه أسقيت
أنقلب فرمند على الأرض واقع ففقت أنا من ساعتي فريت
جئنا بعون الله يا أمه كلنا فلا تحسبوني نمت والسريت
وضمنت أنا البيض من كل رية وقت يقول يا حسن ووفيت
وجيت البنات والموالي جميعها وهذه فعالي والذي سويت
قول أبو زيد الهلال سلامة وقسط يوم الروح ما ذليت

(قال الراوى) فلما انتهى الأمير أبو زيد من كلامه وفهمت الأمور أعطى نظامه
وقالوا عن فرداسان الاوفى لنا أن نرحل من المكان قبل أن نزعنا الابطال والفرسان
فاستحسن الأمير حسن هذا الخطاب ورآه عين الصواب وفي الحال أمر بدق الطبول
والمسير والارتحال فدق الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول وارتحلوا من تلك
الاطلال بالحريم والعيال حتى ابتعدوا مسافة مسيرة يومين على البلد خوفاً من أن يتجدد
وكان الأمير دياب وزيدان في أول الطعن يبق الفرسان هذا ما كان من هؤلاء وما
جرى لهم من الأحوال وأما ما كان من وزراء الفرند وأكابر الأعيان فأنهم كانوا
قد استقبلوا حضور ملكهم إل الديوان فلما مات الوقت ولم يحضر أخذهم القلق

والضجر وقالوا لابد لهذه العاقبة من سبب وكان له ابن أخته اسمه محمود الغنصوفه
 وكان وزيره الأكبر وقائد العسكر فصعد إلى القصر في جماعة من الحجاب وقبرع
 الباب فلم يجبه أحد فذاع الباب ودخل إلى القاعة فوجد ها خالية ووجد خاله ملقوف
 بالحرام ومطروح على الأرض فغاب عن الصواب واستعظم هذا المصائب فأرسل
 وأحضر أرباب الدين والسياسة فدخلوا الأمر ونظروا ما يمكنهم على هذا الحال فاتفقوا
 ألا يذموا له أن ابن أخته أعطاه ضد البنج فمطس وهو في آخر نفس فوجدوه ملقوفاً
 في ذلك الحرام وهو في حالة الذل والهوان ولم يجد أحد من البنات والفسوان فراد
 مصابه وعظم اكتنابه فبادر ابن أخته بالمجمل وأتوا بحلة من أقمشة الخلل فلبسها له
 وقد اعتراه الحجل لا سيما رأى خاله على تلك الحال وهو بين الوزراء وضادات
 الرجال ولكنه تصبر فالتفت الملك إلى من حوله من الوزراء وقواد العسكر وقال
 لهم أتعلمون من فعل في هذا الفعل واحتمل على هذا الاحتمال حتى بلغ القصد
 والآمال قالوا من يكون يا ملك الزمان فأخبرهم بوقعة الحال فطلب منهم أن يكونوا
 مستعدين للحرب والقتال فاستعظموا القضية واستغربوا تلك العملية وكيف أن أبا
 زيد جاءه بتلك الوسيلة وانطلقت عليه الحيلة فقالوا الأمر إليك وما نحن بين يديك
 فأمر بندق طبول الحرب والاستعداد للطنن والضرب فدفقت في الحال واجتمعت
 الفرسان والابطال وكانت نحو مائتي ألف مقاتل فركبوا في الحال واستعدوا القتال
 وركب محمود في مقدمة الجنود وخفقت على رأسه الرايات والبندوق قال له الفرقة تاتبع
 بني هلال الآن ذالوا ومنعهم عن المسير والارتحال فيم فيهم ضرب السيف والتمثال من
 النمين والشمال وأنا أتبعك بباقي الرجال في عاجل الحال ثم سار الوزير بالفرسان
 والابطال وجدوا في قطع الروابي والتلال حتى أدرك بني هلال فلما رأته بنو هلال
 المساكير المصرية قد أقبلت من تلك البرية استعدوا للحرب والقتال وركب
 الفرسان والابطال والتفت بعضها البعض في تلك الأرض وخرج الوزير بمحمود من بين
 الابطال فصال وجال في ساحة المجال وطلب براز الفرسان والابطال وقال لهم هل
 من مبارز من مناظر فلا يبرز لي كسلان ولا عاجز اليوم يوم هز الهرايز
 (قال الراوي) فلم يترك أبو زيد الوزير يتم كلامه حتى صار قد أمه وانطبق انطبق

الاساد بدون شعرو ولا لشاد فالتقاء الوزير بالعجل وهجم عليه وحمل وأخذ في الطعن والصدام والمهاجمة والاقدام والمفارقة والالتزام واستمر على تلك الحال إلى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقا على سلام ولم يبعث أحدهما على الآخر بعلامة وعند رجوع أبو زيد إلى الخيام سأله الأمير حسن على خصمه فقال هو بطل ممام وليث درغام فقال الأمير حسن لا بد من ثانی الايام أن نهجم عليه بالمواكب ونيلهم الويل والمصائب لأن الحرير والعيال سبة لنا مع الأمير دياب وفي ثانی الايام استعدت العساكر للحرب والصدام فنفخت الزمور ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالسيوف والنصول وهجموا على المواكب عاواكب والسكتائب على السكتائب وتطاعنوا بالرماح فله در أبو زيد فافس الحاجة وكذلك الأمير زيدان وباقي الأبطال والفرسان فانهم قاتلوا أشد قتال وما زال السيف يعمل والدم يبذل فعند ذلك دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضها الأبطال .

(قال الراوى) واستمر الحال كذلك مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع انكسرت عساكر الوزير ولم يعد لها أدنى ثبات فزلت في جوارب الأمير اوى والفلول وانفق لها في ذلك اليوم قدوم الفرقة بياقى الجند قد أشرف إلى ذلك المكان ورأى ما جرى فاغتاض وحمل على بنى هلال بمن معه من العساكر واحتاط بهم من كل جانب فنكس بفعله الميامن والميامر وحكم الطعن في الصدور والخواطر وكانت العساكر المنكسرة لما رأت جهاتها ظافرة ارتدت إلى معركة الصدام وفانلت بعد ذلك الانهزام وكان الملك الفرند قد التقي بالأمير حسن في ساحة الميدان وهو ينهى الفرسان الأبطال فتقدم اليه وهجم عليه فالتقاء حسن بالعجل وتطاعنا باطراف الاسل وتضاربا بالسيوف على القتل حتى اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الفرند فراحته خالصة بعدما كانت صابئة وأما ضربته حسن فالتقاها الفرند في درقه الهولاد فسهكت على رقبة الجواد فبرتها فوق الفرند على الأرض واتحطم وصار هو وجواده كالعدم فعند ذلك هجمت فرسانه مثل سيل المطر وخطفوه وخلصوه من الخطر وفي الحال التقى الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وتقاتلوا إلى الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فخرجت العساكر عن بعضها ونزلت كل طائفة من أرضها ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره

ولاح جمع الأمير حسن أكار الديوان ومن يعتمد عليهم من الفرسان وقال لهم مرادى
أن اكتب الآن واستدعى الأمير دياب ليحضر إلى هذا المكان يساعدنا على الحرب
والطعان وإلا طال الحال وقتلت الفرسان لأنه كما تقدم الأمير دياب كان قد سبقهم
بالحریم والعيال فاستصوبوا رأيهم وقالوا لقد أشرت بالصواب فكتب إلى الأمير
دياب فعند ذلك كتب إليه يقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على	وغيران قلبى زایدات لهاب
على ماجرى فينا وقد أصابنا	وصرنا بحيرة والامور ضباب
أيا غاديا منى على متن ضامر	فقل إلى الرضى الأمير دياب
أتونا جموع كالجراد كثيرة	قروم شداد مثل سيل سحاب
نزل من الميدان فرمندا نتحى	وقال كل ينزل من الاعجاب
فأين المسمى الأمير سلامة	واين حسن ثم الأمير دياب
فقلت إبيك يا فارس الوغا	ونزلت أنا لحربه يا أمير دياب
ضربته فى القربض يا أمير ضربه	ففتحت جواده وكاده وينصاب
والثقى الخيشان فى ساحة الوغا	ويا ما قتلنا من شيوخ وشباب
مقال الفتى حسن الهلالى أبو على	أنا شعر راسى قبل وقته شاب

(قال الراوى) فلما انتهى الأمير حسن من هذا الخطاب ختمه وسلمه إلى النجاش
وأمره أن يسير به إلى عند دياب ويعود إليه بسرعة الجواب فامتثل وسار وجد في
قطع الففار حتى وصل إلى عند دياب فسلمه الجواب وطلب منه رده فلما فتحه وقرأه
وعرف ما حواه احمرت عيناه وزادت بها بلاء وأمر بدق الطبول في الحال وأقبلت
إليه الفرسان والابطال فاعلمهم بحيلة الأحوال وقال لهم استعدوا للمساعدة بنى هلال
قبل أن يحيق بكم الوبال رضى الحریم والعيال فلولم يكونوا فى أشد الأحوال لما كان
كتبلى حسن هذا الكتاب وأرسله للنجاش فلما سمعوا منه هذا الخطاب تحسست
مفهم جميع الجمال والشباب وركبوا فى ساعة الحال طالبين معركة الصدام وفى
مقدمتهم البطل دياب لبث الغاب والبطل زيدان شيخ الشبان حتى أشفوا على
بنى هلال عند الغياب فالتقوهم بالأكرام والترحاب وشكروهم على ذلك الاهتمام وفى

فانى الأيام وكبت الابطال والفرسان وطلب منهم معركة الطعان وكان أول من برز إلى ساحة الميدان وطلب براز الشجعان الوزير محمد بن أخت الفرغند قائد الجنود لما صار إلى ساحة المجال قال هيا يا بني هلال أين فوارسكم للمشهور وقوا بطلاكم المذكور فأتى الأمير دياب الذى تلقبوه بليث الغاب فلما تم كلامه حتى صار دياب أمامه فعند ذلك أشار يده بهذا القصيد ويقول :

يقول الفتى محمود عما جرى له أنا ناطح الابطال يوم فكيد
يا ابن غانم أنت صرت غنيمة فسوف ترى منى قتال أكيد
إن طعنتى اسلم بروجك يا دياب اخلع الدرع وما عليك من حديد
وارمى سيفك ممزجك والثياب واترك الحضرا لانسكون غنيد
فلما انتهى من كلامه فأجابه دياب على شعره ونظامه وهو يقول وعمر السامعين يطول
أتى دياب الخيل فى حومة الوغا قاتل الابطال وكل قوم غنيد
كم فارس جندله بمنى فوسى وجهات من بعد عزه فقيد
محمود لا تصلح تشوش لحيلنا من كان منك نجمله بين العبيد
لا بد ماضرك لرأسك بالحسام واترك دماك على الفلاة بديد
مقال أبو موسى دياب بن غانم اسمع كلامى يا أمه لا تزيد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من هذا الشعر والنظام انطبق على خصمه مثل صاعقة الغمام وألقاه الأمير كسبح الآجام وأخذ فى العراك والصدام ومازالا فى قتال شديد وضرب يشيب الطفل الوايد نحو ساعة من النهار وقد اختلف بين الاثنين ضربت بينهما وكان السابق الأمير دياب ليث العاب لجمات الضربة على رأس الوزير خل به الهلاك والتدمير فوقع على الأرض يحيط بعضه ببعض فلما رأت العساكر المصرية ما حل بوزيرها من البلية عظمت عليهم الامور وانقضوا على بنى هلال مثل الصقور وأحاطوا بهم من البين واليسار وقال الراوى فالتقطهم بنو هلال كالجبال وتقاتلوا أشد قتال حتى جرى الدم وسال وعظمت الاهوال ومازالوا على تلك الحال إلى وقت الزوال فمئذ ذلك دفعت طبول الانفصال فرجعت العساكر عن ساحة المجال أما الفرغند فانه بات مع غول الببال وفى قلبه نيران الاشتعال على ما فقد منه من الرجال ولا سيما قتل

عمرود ابن أخيه فإنه كان عنده أعر من مهبته فما صدق أن يطالع الصباح حتى رزالي
 ساحة الكفاح كأنه ليش البطاح ثم صالو جمال في ساحة المجال وقال لا يبرز لي من الأبطال
 فهو أبو زيد فاتم كلامه حتى صار أبو زيد قد ادمه وانطبق عليه بقلب أشد من الحديد
 وأخذ معه في الحرب والجلاد بدون جواب وانقادا لفتح الفرمند بقلب كالجمال
 وأخذ معه في الحرب والقتال وهان عليه الأحوال وبلوغ الآمال فقاتل قتال من استقبل
 فثبت أبو زيد لقتاله وفعل كفعاله وما زال في الحرب والعصام مدة عشرة أيام وفي اليوم
 الحادي عشر ظفر به أبو زيد واستظهر فجمع عليه حجمة جبار وضربه على عنقه بالسيف
 البتار وإذا برأسه قد انار فوقع على الأرض قتيلاً وفي دمه جديلاً فلما رأى المصريون
 تلك الأحوال خابت منهم الآمال وأيقنت الهلاك والربال واجتهدت أن تخلص جثة
 ملكها فاقدرت وقد أعاها ما رأت رأبصرت وأعملت عزائمها وتأخرت واشتد
 عليها الحصر وخاب أمالها من النصر فرجعت وطالت مصروهي على أسوأ حال لا تعرف
 العيين من الشمال فتيههم بنو هلال على الأقدام وفي مقدمتهم أبو زيد ودياب وزيدان
 شيخ الشباب وحكوا فيهم ضرب السيف الفرمضاب على الأجسام والرقاب حتى دخلوا
 القلدهم في حالة الذل والنكد فلما رأت أكابر المدينة والاعيان ما جرى وكيف أن
 الفرمند شرب كأس الهوان وما خرجوا إلى عند السلطان حسن بن مرخان وطلب منه
 العفو والأمان فأجابهم إلى ذلك الشأن وأوصى الأبطال والفرسان لا ينهبوا من أمتعة
 المدينة لأرخبصة ولا تبنية بل يكونوا في هدوء واحشام إلى كرام المزارات الأولياء
 وعقاقات العلماء والعظماء وكان الفرمند ولهم مقتدر اسمه الأمير منذر فأحضر إليه قبلة بين
 عينيه ثم ولده مكان أبيه بحضور أكابر البلديات والشوات والحمد بعد أن أوصاه أن ينصرف
 بحسن السلوك ويتخلق أخلاق الملوك ثم قامت الأفراح وزالت الهموم والأتراح
 وكان السلطان حسن قد استحسن مصر كل الاستحسان لسكبرها وما فيها من الأبنية
 الحسان فصمم أن يبني له فيها على اسمه جامعاً ليكون ذكرى له على طول الزمان فأمر
 البنائين والمهندسين ببناء الجامع المذكور في ظرف ستة شهور فأجابوه إلى ذلك المرام
 وبعد أن تم بنى أمر أن يفرشوه بتفيس الفرش وينقش حيطانه بأحسن النقش
 فقامت أمرة في الحال كما قال فكان جامعاً عظيم المنال يزوره كالملا لول كان مكتوب

على بابه بالذهب هذا جامع الأمير حسن الهلالى سيد العرب وبعد ذلك بثمانية أيام أمر الأمير حسن بهدم المضارب والخيام فهبت في الحال وركبت الأبطال ظهور الخيل والجمال وسارت العمارات بالنساء والعيال أمام الفرسان والأبطال وجد في القرحاب قاصدين بلاد الغرب وما مضى ابن مقرب وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى مكان يقال له المحاضنة (قال الراوى) وبالأمر المقدر أن الماء في ذلك المكان المسمى المحاضنة كان في ذلك الوقت عند السهول والبساتين والحقول وكان الأمير زيدان والنساء والعيال سائرين أمام الفرسان والأبطال وكان أبو زيد خلف جميع بني خلال فعند وصولهم إلى هذا المكان تضرعت أحوال الرجال والنساء والأطفال والشبان لأن الماء كان جارياً في تلك السهول كالظلمة فان فوضعت الأحمال عن ظهورها والجمال وصاحت النساء والعيال وصرخت الأطفال خوفاً من الغريق ولم يموهوا يعرفون الطريق وقدموا السعادة والتوفيق فلما شاهد الأمير حسن تلك الحال خاف على الحریم والعيال وتضرعت منه الحال وأيقن بالهلاك والوبال فقال لبعض القوم أين أبو زيد بنى هذا اليوم فقال هو مع عمه حسن الجمعير في آخر العطن مع حريمه وعياله فأرسل واستدعاه إليه فقال له الأمير حسن قد اشتدت علينا المحن وأنا خائف الآن على الحریم والعيال من الغرق وأنشد يقول :

قال الفتي حسن الهلالى أبو هل	تفكرت في الدنيا وكل حوالها
رحلنا من نجد العديّة بلادنا	نريد بلاد الغرب لبعثى وصولها
أبو زيد الهلالى هل الماء نزاحت	كثير من الغربان عرفت جمالها
هل هو حلال يا أبو خنجر أنه	تفرق لإنساناً مع جميع أطفالنا
تري إن كان لك حاجة تريد نوالها	خذ لك ثلاث حاجات منى بدلها
وإن كان صابك يا أمير مصيبة	بعلم القلم يا أمير هندی زوالها
وإن كنت خائف إن عليا تفارة	لك فاجعلها قدام وامشى قبلها
قول الفتي حسن الهلالى أبو هل	ویران قلبی زایدات شعاعها
ظلمنا فرغ حسن من شعره ونظامه وفهم أبو زيد لحوى كلامه صار يقول :	
يقول أبو زيد الهلالى سلامه	فكم جهد قلبي ما يقاسى غباين

من قال لكم يا أمير تمشوا بالعرب
أما فخرت مع طعن عمي الجمري
تقول يا أمير يأتي مكدر
فأقف قليلا حتى أتيك بسرعة
وأجيب عمي فيمشى بقربنا
مقالات أبو زيد اللال سلمه
وممشون وسط الماء وأنتم طمانين
حسين أبو عليا وبعض الطمانين
علامك يا ابن سرحان كائن
وأتى بعليا مع باقي الطمانين
هذا غريب الدار يا أمير حارن
من حزون قلبي صرت حارن

فلما انتهى أبو زيد من شعره ونظامه وفهم الحاضرون معنى كلامه قالوا عن فرد لسان
قطع أبو زيد العربان للكر الحسان وبين لهم طريق الأمان لأنه كان لا يعرف المكان
قبل ذلك إلا وإن جعلت توارد العزل وقد استأمنت من العطب وكأول من غير
الجازية وعليها زوجه الأمير أبو زيد الغضنفر فاتفق إن هجنتا نزاحت بعضها ببعض حتى
كاد يقع على الأرض فتشأتما بالكلام وتخاصما أشد خصام وكانت الجازية ازدت
عليها وتكلمت معها كلاما لا يرضيها فاغتاضت عليها من الكلام ورجعت إلى الوراء
وأعلنت أيها غانم بما جرى وأشارت تقول :

قالت عليا ولار قاي تسرا
ولقد جرى لي يا أبي مشاجرة
عند الخاصة مودجى زاحم لها
نادت وقالت يا عشيقه عبدا
رديت المودج لأجل كلامها
ارجع أبي من هلال لأرضنا
لا تحمل المعابر يا أمير الملا
عليها تقول وليس قولي كاذب
اسمع كلامي يا أبي وقبصرا
من بنت سرحان كلاما منكرا
وتعلمت أطرافه فتكسرا
ردى لمودجك بغير تغيرا
والدمع من عيني شدا يتفجرا
ولا تروح من المغارب تخسرا
القلب مني أو الفؤاد تسعرا
ما عاد لي جسد به أنصيرا

(قال الراوى) فلما فرغت عليا من شعرها وفهم أبوها معنى كلامها اغتاضت
الغيط الشديد الذى ما عليه من مزيد وعلم أن هذا كان من الجازية عدوان وافتري
وأمر عربيه فى الحال ترد الطعن وترجع إلى الوراء فامتلأ أمره فى الحال ورجعت
العربان بالنزوق والجمال فى عاجل الحال فلما رأى أبو زيد الطعن راجعة وهى ورام

بعضها متتابعة اندهش وتعجب وسأل عن السبب فقالوا اعلم يا نور العين هذه طعن
عمك حسن وهو قاصد أن يرجع الاعلال بالحریم والعیال فلما سمع أبو زيد
هذا الكلام صار الضیاء فی عینه ظلام ثم وكب فرسه الحرا وقصده حتى التقي
به فی الصحراء وقال له يا مالك ارجع إلى الورا فبكي عمه وأشد يقول :

قال الأمير الجعبري بما جرى	العرض من هناك بين الملا
اسمع كلامي يا أمير سلامه	النار في قلبي تهب وتشعلا
عند المحاجة اجتمعت لساكم	وبنائكم فوق الموادج تنجلا
فتزاحت عليها وجاهزية بالموادج	عند المحاجة والمياه يتجدلا
شتمت عايا المجازية بكلامها	وعلت عليها المصائب والبلا
قالت لها طيا ما هذا البلا	منك أيا بنت سرحان العلا
أنا زوجة أبو زيد الفتى	هو ابن عمك في الرجال بجلا
قالت فروحي يا عشيقه هبنا	سأقطع رأسك ما أخاف من الملا
زادت/ هل علي كلام يغيظها	كسرت لحرمتها أتنى ترفلا
فبككت وشكت وقالت ارجع	فرديت طعني يا سلامة عاجلا
وحياة رأسك ما بقينا نرجع	للغرب وحياة النقي المرلا

فلما فرغ حسين الجعبري من كلامه وفهم أبو زيد خوى شعره ونظامه وكان ذلك
عليه أقوى من ضرب السيف وأشد ولكنّه أخفى الكد وأظهر الصبر والجفا وقال له
اعلم أيها العم المحترم أنه ليس على كل النساء ارتباط وانفت إلى زوجته وقال اعلميني
يا بنت الكرام بما جرى بينك وبين العجازية من النفور والخصام فأعلمته بواقعة
الحال وأرففته على جملة الأحوال وكيف أنها قابلتها بوجه الغضب وشتمتها بدون
سبب وجعلتها عبر بين نساء العرب فقال أخري هناك الشيطان وقومى بنا حتى نرجع
الآن قالت إذا رجع ابني رجعت أنا لجمل يتلطف بخاطر عمه ويطلب منه الرجوع فقال
أن كلامك على العين والرأس إلا في هذا الأمر فإنه غير مقبول ومسموح إلا بشرط أن
تقطع رأس العجازية وتعددها الحياة فعند ذلك أرجع وأكون قد بلغت ما أتمناه فقال

أبشر بما طلبت يا عماء فمئذ ذلك رجع أبو زيد على الأثر والسيف بيده مشتهر حتى دخل على الأمير حسن وهو في الصبوان وحواله الأمرام وأكابر الأعيان فسلم عليه وهو عابس فقال له السلطان حسن علامك يا زين الفوارس فأتى أولئك عابس غضبان فاعلمه بما جرى وكان وقال له في آخر الكلام أن مرادى أقتل الجازية بحد الحسام واسقيها كأس الحمام على ما بدا وحدث من كلام الدم والافتراء وحدثه بما فعلت من الأول إلى الآخر فقال السلطان دع هنك كلام النسوان ولا تختاظ من هذا الشأن وقم بنا الآن حتى نستمتع بخاطر عك ونعود ولا نجعل لشماعة العدو الحسود فأجابته إلى ذلك المرام وركب هو وإياه وعدو صولهما المضارب والخيام استقبلهما حسين الحميري بالزحاب والإكرام فأخذ حسن يستمتع بخاطره بالكلام ويقول له أرجع يا ابن السكرام ودع عنك كلام النسوان ولا تشمت بنا الأعداء في هذا المكان لأننا هرباء الاوطان ولا يجوز أن نختلف في المسكان فقال وحق الواحد الأحد إنى لا أراجع إلا برأس الجازية فقال أبشر بما طلبت وأرجع بالعجل فأتى ببلغك القصد والأمل فمئذ ذلك أجاب وامتثل ورجع معهما في الحال بمن معه من العيال ولما بلغ الجازية هذا الخبر أخذها القلق والعجز وخافت من الخطر فسارت إلى عند القاضي بدير وسامت عليه وتراعت على قدميه وقالت أنا في جيرةك وقد وقعت على حضرةك لأنك كهف الانام ومن يلجئ إليك فلا يضام فقال لها أبشري بالسلامة والخير فقد صرت في جوار القاضي بدير ثم انه أخذها إلى عند الحرير وزادها في التكرير والتعظيم لأنها من أشرف نساء العربان ولا سيما أنها أخت الأمير حسن عظيم الشأن ثم رجع وهو ينسحب من ذلك الشأن وحوادث الزمان وبينما هو كذلك إذ أقبل الأمير حسن وأبو زيد فارس المعارك فالتقاهم بالبشاشة والترحاب وأخذ معهما في الحديث والخطاب وقال لهما ما لكما متكدران فاعلماه ذلك الشأن وإن مرادهما قتل الجازية دون باقي النسوان فقال نفسي فداها فكيف يمكنني أن أسلمكم إياها وقد دخلت إلى دارى وصارت في زمامى فهذا لا يصير ولو شربت كأس حماسي فقال أبو زيد لا بد من قتلها هل وقاحتها وفعلها فتقدم حسن إلى القاضي بدير سرا وقال أخاف من رجوع أبو زيد إلى نجد إذا ما بلغنا غاية

للقصد ويقع في هذه الديار ويحل في الهلاك والدمار فقال القاضي من الصواب
أيها الاحباب أن تحشر عليا والجازية للمحاكمة والاستطاق فإني تكون مدينة
منهما تستوجب القتل والاستحقاق ولا يعود يلومنا أحد من الناس لأن هذا الأمر
خارج عن حد القياس فلما انتهى القاضي من هذا الخطاب رآه عين الصواب
وهكذا استقر الحال ورجع أبو زيد إلى عند عمه فأعلمه بوقعة الحال وأرجعه
مع ابنته عليا إلى الديوان وكذلك حضرت الجازية المرافعة في ذلك الشأن فجعلت
خاف السناخ خوفا أن يقتلها أبو زيد بالسيف البتار فعند ذلك سأها القاضي عن
سبب إهانتها لعلها وما هو الداعي الموجب لذلك المقال الذي يورث القيل والقال
فأسكت أمام الحاضرين بانها ما قالت لها كلاما يغيظ ولا يهين بل كان كلاما على
سبيل العتاب وهو عادة الاحباب فانفتحت إلى عليا وقال يظهر من هذا المقال بأن
الجازية لم تتكلم في حقك شي يورث القيل والقال بأن كان معك شهودا فاحضريهم لكي
يشهدوا عليها فذهبت البنات اللواتي كن في ذلك الوقت حوا اليها واعلنن بما جرى
وكان وطلبت منهن يحضرن معها للديوان فقلن نحن لا نذهب معك ولا نترك الجازية
وننبهك فعاتدت على الأثر واعلمت القاضي بذلك الحبر فقال هي بريئة ليس عليها
أدنى حق وقد تكلمت بكلام الصدق ثم دخلت لعند الحرير ووجعت عليها العند
أبيها وهي في غم عظيم فلما رآها أبو زيد راجعة تنهد من فؤاد قريح وقلب جريح
عظمت عليه المصيبة وقال لو لم تكن معي عليا في هذه التخرية ما كنا ملكنا بيع
ولا ظفرنا باحد ولو كنا أضعاف هذا العدد لآني كنت إذا نظرتا وهي في الميدان
يمتد مني الحان ولا أعود أشبع من الطعام ثم تنهد بعد ذلك وأشد يقول :
يقول أبو زيد الهلالي سلامة إلى الترب قد سارت جميع الفوارس
أنا نالك الاثنين ارجدت سيرهم ورابعهم وان حوجت كنت خامس
أنا مزعج الفرسان في حومة الوغا واني قوى العزم صعب المراس
وبدم أبونا الملوك وجمهروا وقد أسروا الزينات ثم النواعس
وقالت عليا يا أبو زيد عيشنا أيا أمير لا نخشى حديث المجالس
ثمانين بنتاً من هلال أسارى بنات أمارا لابسين الاطالس

وقلنا إلينا يا هلال أنجدونا
أبو زيد أنجدنا واسترنا صيوبنا
فلما سمعت القول صاحبت ضبايري
فشجعت نفسي فركبت لي العدا
ولما رأت عليا هجرى على العدا
ناديت أيا زغي فأنجد سلامة
أتاني الفتى الزغي دياب بن غانم
فخمسة منا طاردوا خمسة
فأولنا كان الخفاجي عامر
وقال لنا الهلال أبو علي
مقال أبو زيد الهلال سلامة
أنا راجع إلى نجد دون الفوارس
فديننا سبايا مع الوجوه العوايس
فتلك من يصلح الحرب الفوارس
وقد ثار مني ما ساري هادس
ومكنت ضربتي لدروع الوايس
فخافت أن أكون عالا أرض ناكس
أحاطت به الفرسان مثل الأفارس
يطارد الأعداء كالبيت هابس
وفيهم أماند ثم فيهم فوارس
وثابتنا القاضي يكيد الفوارس
ورابنا الزغي وما كنت خامس
مقال أبو زيد الهلال سلامة
أنا راجع إلى نجد دون الفوارس

فلما فرغ أبو زيد من هذا الانذار كذب ظهر الجواد وقال واقعة لقد ملئت من
الحرب وليس لي بعد حاجة في بلاد الغرب ثم رآته الأمراء والفرسان قد رجع إلى
الوراء وازدادوا غما وكدا واستظلموا الحال وعلوموا أنهم بدونه لا يتفهمون في
القتال فعند ذلك تقدم الأمير زيدان وقال للسادات نحن واقعة بدون أبو زيد لا نقدر
على عمل الحيلة ولولا ما كنا قطعنا كل هذه المسافة الطويلة ثم أشار يقول :

يقول الفتى زيدان عما جرى له أرى أبو زيد الهلال راح
أذراخ أبو زيد الهلال مشرق ما عاد لكم بين الأمان نجاح
أبو زيد ما له بالمغارب حاجة حتى يسمي له ينجد رواح
وإن رجعتهم يهلكوا أولادكم ويقولوا على وجه الأراضى طراح
ولنجد ما تقدر تعود بطمننا يوجد لنا أعداء بكل بطاح
أبو زيد إن عاد يذهب بينهم في حيلة منه وحرب صفاح
قوموا إليه وادركوه بالعجل بكباركم وصغاركم مللاح

فلما فرغ زيدان من هذا الشعر والنظام وسمعه الأمير حسن وباقي الأمراء
السكرام قالوا لقد تكلمت بالصواب وأشرت بأمر لا يعاب لأن أبا زيد سيفنا

الصقيل ورعنا الطويل وقال الأمير حسن مرادى أذهب إليه وألحق الكلام عليه
عساه أن يسمع ويرجع وإلا بدونه فلا تصالح ولا تنفع ثم دكب في الحال وأخذ معه
جماعة من الأبطال وسار إلى عند حسن الجمعيرى وقد علم أن أبو زيد يحق في رجوعه
وغير مفترى فالتقاء بالنعظيم والاحترام وأكرمه كل الأكرام وبعد ذلك قال له
الأمير حسن إن كل غاية مرادك أن ترجع إلى أرضك وبلادك فدفن أبو زيد
يوصلنا إلى بلاد الغرب ولا تشقت شملنا ثم أشار يقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على ولى قلب بين الجوائح طار
أيا أمير قد جيتناك نرجو لمعتك أيا لست أطول الأعمار
فأولادنا بالقهروان وقابس وهابن وهم فى قلعة وحصار
تريد ترد أبو زيد ياملك يد لنا القهروان جهار
فادخل عليه لا بد يعمل عن يمينك يا برمكى يا مكرم الخطار
حتى تروح إلى البلاد نعيمهم وتجهل بلاد القهروان دمار
فقلبى على مرعى قد ذاب وانسكوى وشبت بقلبى والضماير نار
لأن سلامة خاضعا لأوامرك وأنت معى أرجع وتندار
وخلى كلام المازبة أم محمد فلا بد أتركها تروح دنار
فلشان مرعى هنت خالى وجيتكم وانرك هلال كبارهم وصغار

فلما فرغ الأمير حسن من شعره ونظامه فهم حسين الجمعيرى فحوى كلامه قال أنا
لا بد لي من الرجوع إلى ديارى وتلك الروح ثم أنه انفتحت إلى أبو زيد قال بحياتى أن
ترجع إلى قومك بنى هلال وتذهب معهم إلى بلاد الغرب وتلك الاطلال فقال سمعا
وطاعة ثم ودع زوجته وعنه ورجع من ساعته وكان قد تأمر على فراق عليها لأنها
كانت أمه عليه من نساء الدنيا فيكى بدمع مرهاق من ألم الفراق فلما اشتد عليه الحزن
اجتمعت الأمراء والأعيان ودخلوا على الأمير حسن فى العيوان وقالوا ما هو رأيك
أيها السيد المحترم فإن أبو زيد كثير الغلق والغم فقال هرندس ودياب وجماعة من
أكابر الجهال والشعاب أنه من الصواب أن يتزوج فتزول عنه الشدة ويحصل على الفرح

فصار كل واحد منهم يقول أنا أزوجه ابنتي وأشارك في مالي ونعمتي ثم جمعوا بنات
 أمراء القبيلة وزينهم بأحسن الشباب الجميلة وكان من جملتهم ثمانين بنت من بنات
 الأمازة وهم بنت الأمير دياب بنت الغاب وبنت الأمير حسن وبنت الرابعي وبنت
 هرندس الأسد المفرس وأسد الليث السكندى والقاضى بدر والجازية أم محمد التي
 بسببها حصل النزاع والنكدوا حضروهم أمام أبوزيد وأعرضوه عن عليه وأوقفوه من
 بين يديه وقالوا له اختار لك واحدة من هذه البنات زوجة لك عوض عليا فإن كل
 واحدة منهن أجمل منها وأحلى وأنت أحق من وأولى فلم يرضى ولم يقبل أحد منهم
 ثم تقدمت الجازية إلى بين يديه وعرضت نفسها عليه وكانت كما تقدم عنها الخمر
 جميلة المنظر ومحبوبة من جميع البشر فقال لها أرجعي أرجعي على مرتين ولا جعلت لك
 بسيفي قطعتين فاغتاظت من هذا الكلام وكانت تظن أن يتزوجها وتبلغ المراد ثم
 خرجت هي والبنات إلى المضارب والأيام وفي اليوم الثاني عبرت بنو هلال نهر
 النيل وما زالوا يقطعون البراري والبيد حتى وصلوا إلى بلاد الصعيد وكان الحاكم
 عليها في تلك الأيام رجل صاحب قدر ومقام وفضل واحترام قد انصف بالحدود
 والكرم ومحاسن الشيم ومجوده كانت تضرب الأمثال في الشرق والغرب واسمه
 الماضي بن مقرب وكان صاحب حسب ونسب وأصله من بلاد العرب وكانت إقامته
 في بلاد نجد العديّة إلى أن تسلكها بنو هلال بالقوة الجبرية وقتل ملكها الحيد بن
 عطية واستوطنوا فيها وانتشروا في جميع نواحيها فاصطحب الماضي من الأمير
 حسن وسادات بني هلال غير أنه لكثرة الرجال وازدحام المراعى بالنوق والجمال
 أو حمل الماضي من تلك الأرض وسار بأهله وعياله وأوقه وجهاله ومن يلوذ به من
 رجاله وأتى إلى بلاد الصعيد وسكن في تلك البيد وكان ملكها رجل جبار صاحب
 بطش واقتماد وهيبة وقادر يقال له نصار فأنلف مع الماضي أشداً اتلاف وجعله
 نائبه في تلك البلاد كما تقدم التقام وشاركه في ماله ونعمته وبعد موت الملك نصار
 تسلطن الماضي على الديار وكان محبوباً من السكباد والصغار فلم يوصلت بنو هلال

إلى تلك البلاد كما تقدم التمام لماضى بالترحاب والاحترام وأظهر لهم مزيد الإكرام نظرا لما بينه وبينهم من الحب القديم والود وأنزلهم في بلاده مع رعاياه وأجناده وأخذ الأمير حسن ومن يلود بحضرته وأعوانه وأكابر عشيرته إلى سرايته وأجلسهم في أعز مقام وذبح لهم الطيور والأغنام فشكرته الأمراء على حسن اهتمامهم ثم أخدمهم إلى أبياته وأقام الأمير حسن في ضيافته مع أهله وسادات عشيرته عدة عشرة أيام في الاعزاز والإكرام وشرب مدام وأكل وطعام وبعد ذلك تفرقوا في بلاد الصعيد وانتشروا في البيد وهم في سرور وأفراح وبسطوا الشراخ فاتفق في بعض الأيام بيما كان الماضى جالسا على الطعام قال له أحد الاعوان أعلم يا مالك الزمان قد بلغنى من بعض النسوان أنه يوجد في بني هلال امرأة بديعة الجمال عندية المنال في الحسن والكمال والفد والاعتدال وفصاحة انقال لا يوجد مثلها بين الخلق لا في الغرب ولا في الشرق اسمها العجازية كأنها الشمس الصاحية إذا خطبتها منهم حصلت على السرور والأفراح لأن طلعتها تنعش الصدور والأرواح فقال الماضى يا قومنا ان طلبنا منهم يقولوا الماضى يريد حق صيانتة منا بنت من بناتنا فقال له الوزير يا مالك الزمان الزواج بين الناس ما هو عيب والذي يتقرب من الناس خير من الذي يبعد عنهم فقال بعض الحاضرين وكان من الوزراء المقيمين أقدم سمعت أنا أيضا بخبر هذه الصبية وما فيها من المحاسن البهية ولكن أعلم أنهم لا يزوجونها بأحد ولو كان من الملوك وأعظم العمد فإذا كان ولا بد لك أيها الملك من ذلك فاطلب أولا فرس دياب الخضر التي لا يوجد مثلها في جميع الملك وأنا أعلم أنه لا يعطيها لأن نفسه معلقة فيها وبهذه الحيلة يصير لك واسأله على أن تعطى العجازية وتزال المراد بعون رب العباد فلما سمع الماضى هذا الكلام تعاق قلبه بالعجازية وكان استحسن هذا ورآه عين الصواب فكتب إلى الأمير حسن يقول وعمر السامعين يعاول :

يقول الفتى الماضى بن مقرب و دمعى جرى من فوق خدى طيم
وغاديا منى على متن ضامر تسبق هبوب الريح ثم النسائم
إذا جئت إلى عند الأمير أبوعلى حسن بن سرسان وفي الزمايم

وقول له اسمع يا أمير مقاتي وافهم من الماضي معاني لوازم
فأقد بلغني يا أمير بأنه موجود في قومك خيول أكارم
إلا فارسلوا من خيار جيادكم أريد أنا خضرة دياب بن غانم
وإن كان تعطوني يا أمير نظيرها فابقوا عطيتك إلا يا أكارم
فقال الفتي الماضي على ما جرى له أنا مستحي منكم والله أعلم
فلما انتهى من هذا الخطاب سلمه نجايب وأمره أن يسير في الحال إلى بني
هلال ويسلم الكتاب إلى الأمير حسن فأخذه وسار حتى وصل إلى بني هلال فدخل
على الأمير حسن وسلم عليه وأعطاه الكتاب فلما فضله وقرأه وعرف حقيقة خواجه
احترار من هذا الطالب ثم أعطى أبو زيد للكتاب وقال له كيف عاد الرأي عندك
أنا أعلم أن دياب ما يطلع عن الخضرة ولو ذهبت بني هلال فلما سمع أبو زيد
هذا الكلام أشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	هذه أمور مشكلات صعب
احضر أكابرنا وكل شيوخنا	ونسير إل عند الأمير دياب
نطلب الخضرة منك يا ملك	وإن أبي لا تكون مرتاب
نرسل عوضها الجازية في هودج	نجزى بها الماضي يا أجباني
ونقول له رحلنا عند الزغي	من أجل خضرة الجميع ركباني
وأعطيه مال وأخيه سوابق	وأعطيه خدم وهود رقابني
قول الفتي المسمى الأمير سلامة	يا أبو علي هذا جميع جواني

فلما فرغ أبو زيد من كلامه والأمير حسن يسمع نظامه فقال أبو زيد إن الرأي
هندي أيها الملك المهاب أن أذهب أنا وأنت مع القاضى بدير إلى منازل الأمير دياب
وعلمه بما تم وجرى وطلب منه ينعم علينا بالخضرة وندفع له عوضها من
الأموال والخيول والجياد والإساعات أحوالنا واشغل بالناس فقال الأمير حسن دبر
يا أبو زيد برأيك الحسن فركبوا وساروا في الحال حتى أشرقوا على تلك الاطلال
فالتفاهم الأمير دياب بالأكرام والترحاب وأولم لهم الولائم وكان أهلا وسهلا بإسادات

ولا كآرم وبعد أن جلسوا قليلا التفت الأمير حسن إلى دياب بن غانم وقال له لى
هتلك حاجة أريد أن تعطينها وتبلغ أمنا هم أشار بمخاطبه بهذه الآيات أمام
الأمراء والسادات :

يقول النقي حسن الهلالي أبوعل	يا أمير زغبى افهم أعلامى
أنا من الماضى كتابا يقول به	سلاما ومن بعد السلام كلام
يقول أبو زيد حفرة دياب الغانم	أمير بنى زغبه غنام
الأدياب خذ خيولى جميعهم	وبوشى وما لى يافى وغنام
وخذ بنى يا أمير جلبه	واسترا يا ابن خير كرام
مقال المنى حسن الأمير أبوعل	أنى دخيلك يا أبو غانم

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير حسن من كلامه فهم دياب خوى قصده ومرامه وقال
بمحضور السادات يا أمير حسن كل شىء عندى فى قبضة يدك إلا الحضر أو ما فيها تفریط
لأن روى وروحها سوا فلما فرغ الأمير دياب من كلامه التفت إليه خاله القاضي
بديرو قال له هتكت الأمانة وكيف ييجوا إلى عندك وما تقضى فرضهم قال له يا خال إن
الحضر أعز على من البنين والبنات فخذ عوضها مهما تريد من الخيول لأنى لأعطيها
لأحد لو اجتمعت على كل الخلاق فافتاظ حسن من هذا المقال وعول على الرجوع
إلى بنى هلال فتمعه الأمير غانم عن الرجوع وأضافه عنده بمن معه من الجموع وذبح
لهم الأغنام وأكرمهم غاية الإكرام وفى ثمانى الأيام دخل على أبيه دياب وعاتبه
أشد عتاب وعافى عليه فى الخطاب وأمره أن يعطيه الحضر أو غنمته وجبر فأجاب به
لذلك المرام ولم يقدر يخالفه بالكلام ثم أنه سرج الحضر فى الحال وقادها الأمير
حسن وأشد يقول :

يقول النقي الزغبى دياب الغانم	أنا صاحب الهبات يوم طراد
يا أبو على است بخيل ولا أرى	ولا أنا بين الملا مرصاد
ولكن جيت يا أمير لنحونا	تريدوا إلى الحضر يا أحواد

وما طاق قلبي يا أمير فراقها
وقلت ما مهي عطية لأبو على
ولكن سيرسها لابن مقرب
وقدرك كبير عندنا يا أبو على
مدى المسال ثم الابل يا ملك
أنا تحت أمرك يا أمير أبو على
مقال الفتى دياب الغانم
(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه شكره الأمير حسن على حسن اهتمامه

وأشار يجيبه بهذه الايات على مسامح الأمراء والسادات :

يقول الهلالى أبو على
أجاد أبو وطفا دياب الغانم
غدوتك منى يا أمير قباليها
خذ لك ميتين بكرة عديلة
وخذلك ميتين حمل من الذهب
وخذلك ببقى يا أمير عطية
وأنت عمرك ما بخلت بحاجة
يألت عمرك ألف عام من المدا
مقال حسن الهلالى أبو على
فلما فرغ الأمير حسن من هذا المقال قال أبو زيد أكتب كتاب إلى القاضى

وارسل له الخضر فى الحال فكتب له يقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على
أيا ماضى الفتى حسن الهلالى أبو على
أرسلتها اليك بسرجهما
وما مثلها عند الملوك جميعها
خاشا لئلى أن يكون بخيل
أريد أنا خضره دياب عجيل
والدرع والدبوس بالتكميل
وليس لها عند الملوك مثيل

أيا ليلها يا عم مباركة فوكل عليها يا أمهر وكيل
 مقال حسن الهلالى أبو على تمنيت عمرك أن يسكون طويل
 فلما انتهى حسن من هذا الخطاب سلمه إلى النجباء وأمره أن يسير بالخضراء
 لعند الماضى ويعطيه الكتاب فبكى دياب على فراقها وتقدم إليها وعانقها فأخذها النجباء
 وجد في قطع الأراضى حتى وصل إلى عند الماضى فقدم له الفرس وأعطاه الكتاب
 فلما قرأه ورأى الخضراء تعجب من كرم الأمير دياب ثم أنه سلمها إلى اثنا عشر
 سايس ووكلها جماعة من الفوارس والنمى من حوله أكار قومهم وهنوه من نحو
 الخضراء ونظروا إليها فلما رأوه لما نظروا بين الخيل فقالوا له يا أمير ماضى هنينا لك
 بهذه الفرس الله يجعلها مباركة ، فبينما هم بالكلام وإذا بنجباء مقبل من صدر البر
 وقد كان قاصد الماضى ولا يزال إلى أن وصل إلى باب صيوائه فحول على باب
 الصيوان وسلمه كتابا وتمثل ووقف بين يديه ففتحه الماضى وقرأه بين السادات
 والعمد وإذا به عند شكر الشريف بن هاشم زوج الجازية أم محمد يتضمن على سلام
 وافر وشوق متكاثر ومن عجب ما تضمنه وحواه هو تنازله عن الجازية وتقديمها
 له لتكون من جملة نساءه وكان السبب الذى وجب لهذا الأمر المستغرب
 الذى لم يسمع مثله فى الغرب والعجم هو أن بنى هلال عند وصولهم إلى مدينة
 الشام وحروبها مع شبيب التميمى كما سبق الكلام كانت الجازية أرسلت إلى بعلمها
 المشار إليه كتابا تسلم عليه وتعلمهم عن مسيرهم إلى بلاد الغرب وأنهم سيجتازون
 في طريقهم على الأمير الماضى بين المغرب وأنه بالكاد أن يرجع إليه وتراه فلما اطلع
 زوجها على هذا التبرير وقرأه وعرف حقيقة خياله أوجبه الحال أن يكتب
 الماضى ذلك المقال لأنه كان محبة ونود قربه فتنازل عن زوجته نظرا لفرط
 مودته وأرسل له أيضا صورة الكتاب على سبيل العهد والميثاق وهذه صورته :
 قال الفتى شكر الشريف بن هاشم لى قلب من وسط الحشا موجود
 وعين لا تاتم ولا تألف الكرى جرى دمعها فوق الحدود أبوع
 ونخص بحور العاشقين جميعها وانحط لى فى وسطين قلوب

وهذه مقاديف المراكب في يدي
 مليح صبا قلبي وروحى مهجتي
 نعم أيها الغادى على متن ضامر
 إذا جئت إلى الماضى بن مقرب
 أمير الملا سلطان كل بلاده
 أيما ماضى جاك العرب فمن بلادنا
 حرب إن احتاجوا إليك نخاضه
 فبهم فتاة الجازية أم محمد
 إذا خيط الخياط وصنف موبها
 أرسلت لك يا ابن مقرب طياتي
 يا زخرة المحتاج إن قل ماله
 أهدتها لك نخذها زوجة
 فبده تكون منى لك عطية
 فان عصوا فلم عليهم يأمر جموعك
 نعم هكذا قال الشريف بن هاشم

وابكى على فقد الحبيب دموع
 وأصبح قلبي والحشا يتضوع
 يحد السرى في سهلها وربوع
 فأعطيه مكتوبى وكون خدوع
 ومقرى اليتامى أفى سنن الجوع
 وأنت تروى سائر من أجوع
 -واو إذا استغنوا ما ينفعك نفوع
 طيبا ثياب القليلسان لموع
 تقول يا خياط زيد وسوع
 صاحب الصيوان العالمى المرفوع
 يا حاكما على بلدائه وجموع
 وأدخل عليها لا تكون جروع
 فبى تحت تصرفى بلا عنوع
 وجرى عليهم فى كشور جموع
 سلامى عليكم ثم كل جموع

فلما فرغ القاضى من قراءة الكتاب وفهم الحاضرون ما حواه من الخطاب اعترام
 المحجب وأخذهم العجب وقالوا وحق علام الغيوب لقد جاء هذا الكتاب طبق
 المرغوب لأنهم لم يخطر قط على بال أحد بأن شكر الشريف يتنازل عن الجازية أم محمد فاتفق
 رأى الجمهور وجه الإجماع على أن الماضى يرسل النضرا إلى بنى هلال ويعلمهم
 بواقعة الحال ويطلب منهم الجازية بدون ائمال فاستصوب الماضى هذا القرار
 وأيقن ببلوغ الاوطار وكتب إلى الأمير حسن بهذا الصدد وأرسل النضرا وطلب
 منه الجازية أم محمد وهذه صورة الكتاب وما تضمنه من الخطاب :

يقول الفتى الماضى بن مقرب
 ياربى عمرك ألف عام على المدا
 بدمع جرى فوق الخدر وبداد
 تنال الهنا والخير والاسعاد

أرسلت لك خضرا دياب بن غانم
وسامح به من أراد منك جراتها
تورث العداوة يا أمير وبعضه
إذا نصرت الشر والحلف بينكم
ونحن نعرف يا أمير مكارمك
وأنت نعم الطالب على الحساب
أريد فتاة الجازية أم محمد
تخدمني ميتين فتاة الجازية أم محمد
وميت يمى حرير صنعة اليمن
وميت عبد يا أمير وعبد
وميتين ملوك من الترك أصلهم
والفين حربة صنعة أبو جبارة
وميتين درع يا أمير وخوذة
وخذ لك ثمانين من الدراهم
مقال الفتى الماضى بن مقرب

وأبذل فيها أموال ثم جبار
ولكن قلبه فيه كثير حقاد
ونحو أمور هائلات شداد
وأطقت ناراً موقدة بوقاد
وكفك سخي طول المدامداد
أريد منك النفس بلا موماد
وهى بنت عمى بغيتى ومرادى
وميت حصان ادوجى شداد
وميت حل من عمل بغداد
وميتين مرية من الأجهاد
والفين سيف صنعة النهاد
مركبة يا أمير على أحماد
والفين دبوس من البولاد
ذهب مصرى يعب لنقاد
وأنت لنا يا أبو على إسناد

تمت هذه القصة ويليها قصة الزمانى خليفة

قصة الزناتي خليفة

ساحم بلاد الغرب ونزول بني هلال وما حصل لهم من
الحروب والأهوال التي تشيب الأطفال وتدهش العقول
وتغير الأفكار

(قال الراوى) لهذه السيرة أن الماضى كتب كتاب تقدم فى الجزء السادس
بعد قراءته على مسامع وزرائه وكبار دولته أرجده مناسب وبعد ذلك سلمه إلى
النجاب وسلمه الخضر افرس دياب وأمره أن يسير إلى عند الأمير حسن ويأتية
بالجواب فامثل وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل إلى عند بنى هلال قبل الزاويل
فدخل على الأمير حسن وسلمه وطالب منه الجواب واتفق بالامر المفد أن الأمير
دياب كان حاضراً فى ذلك المحضر فلما فتح الكتاب وقرأه وقال الحمد لله فقد زال العنا
والكرب وقد حصلنا على بلوغ الأرب ثم التفت إلى الأمير دياب وقال له أمام الامراء
والاعيان هافر سلك قد رجعت إليك فقم وخذها بأمان واشكر الإله الرحمن على
هذا الجليل والاحسان فقال دياب إننى ما ذهبت قط فى حياتى وعدت استرجعها إلى
أبيائى فابقها لك واجعلها من جملة خيولك فقال هذا لا يكون كثر الله خيرك فأنت
صاحب المعروف وأحق بها من غيرك فعند ذلك أخذها دياب وسار وهو فى غاية
الفرح والاستبشار وبعد ذهاب الأمير دياب استدعى السلطان حسن بأخته الجارية
فأتت ودخلت عليه وقبلت رأسه وبين عينيه وقالت له ما ذا تريد أيها الملك السعيد
فأخبرها كيف أرسل الماضى يطلبها ومراده يتزوج بها ولما سمعت هذا الخطاب تكذرت
وقالت كيف يتم هذا الامر وبلى وهو شكر الشريف وأبو اولادى محمد وعمر
وأشدت نقول :

تقول فتاة الحلى الجارية أم محمد	بدمع جرى فوق الحدود بداد
أنا بلى شكر الشريف بن هاشم	سلطان مكة من أب وجداد
ورافقت أولادى بغير إرادى	وطاوعتك ما كان لى برادى
وما فرقة الأولاد إلا مصيبة	فما يدخل هينى قط سهاد
وما شفت عمرى من شكر نسكة	كلما مغلظا ثم زود عناني

وما طلتني أبعد بدله وصار يتلى لحبيب ووفاد
فواقه لسبب الشريف رابدة ولكن ترى لي عنده أولاد
مقال فتاة الحى المجازية أم محمد ومسلما حكم ربى على عاد
(قال الراوى) فلذا فرغت المجازية من كلامها والامير حسن يسمع نظامها كتب
الامير حسن هذا المكتوب يتمتد للماضى عن تقديم المطلوب .

(قال الراوى) فلما انتهى حسن من هذا الخطاب سلمه إلى نجاب ليأخذه إلى الماضى
وبأنه بالرد فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل إلى الماضى فأعطاه اليه فلما
قرأه وعرف معناه كتب إلى حسن بذلك المصدق وكيف ان شكر الشريف قد تنازل
عن المجازية أم محمد ثم أرسل ذلك الشريف مع الرسول الذى حضر من عند شكر
الشريف فلما وصل اليه وسلم عليه وكان جالسا في الدويان وعنده جماعة من الامراء
والاهيان وكانت المجازية من جملة الحاضرين في ذلك المكان فلما فتح حسن
الكتاب وقرأه وعرف رموزه ومعناه تعجب وانتهز من ذلك الخبر الذى لم يخطر
على فكر بشر ثم التفت إلى النجاب القادم وقال له كيف أحوال شكر الشريف بن
هاشم فقال الحمد لله بخير وعافية وهو يهديكم جليل الاشواق الوافية فمنذ ذلك
أخبر الحاضرين بذلك التعريف وما كتبه إلى الماضى شكر الشريف فلما أطاعت المجازية
على هذا الحال اعترأها الاندھاش وقالت هذه لا يكون أبدا ولو شربت كأس الردى
فقال أبو زيد أنه من الصواب يا بنت الكرام أن نوسلك إلى الماضى بكل إكرام
لأن له علينا جميل واحسان ولا سيما ان زوجك قد رخص له هذا الشأن ففى صرت
عنده حاوليه بأمر الزواج وأن أخلصك من هذه القضية وتذهبين معنا إلى الغرب
بالسوية وهكذا انقضت الاشغال وتمت الاحوال واغتسلت المجازية بالأطياب
ولبست أحسن الملابس وكانت كما تقدم الخبر بديعة المنظر تزهو كالقمر فازداد
حسنا عن الاول لما تزييت بأغفر الحلال ولبست الجواهر تذهل البصائر ثم ركب
في هودجها بجماعة من النسوان وركب معها أيضا الامير حسن وعدة من الفرسان
وجدوا في قطع الاراضى طالعين الماضى وأرسلوا علماءهم بقدم المجازية والامير
حسن عليه فأخذ الكتاب وسار وجد في قطع القفار حتى وصل إلى عند الماضى

فأعطاه إياه فلما قرأه زادت أغراضه وكثر انشراحه وأيقن بلقاء الحبيب في وقته قريب وأمر أحد وزراءه العمدة أن يركب الصاكر والعدد ويلحق الأمير حسن والجازية بر البلد فركب في الحال بثلاث آلاف من الفرسان وسار يقطع للقفار بالأغاني وسار معه جماعة من النسوان الذين لهم قدر وشأن فكانت النساء تدق بالدفوف والمزامير والفرسان تلعب بالرماح والسيوف المموتر إلى أن التفتوا بعضهم إلى بعض في تلك الأرض فزادت بينهم الأفراح وهدوا في قطع البطاح حتى دخلوا نصف النهار وكان يوم يستحق الاعتبار ولم يسمع مثله في سالف الأعصار وكان الماضى قد زين القصر بأشواق الحرير والقماش الفاخر وعند وصولهم استقبلهم أحسن استقبال وأجلس حسن في صدر المقام وجلست حواله الأمراء الفخام ونزلت المروس عند الحريم وهى في تعظيم ثم دارت الحلويات وكاسات الشربات على مائدة الأمراء والسادات وبعد ذلك حضرت سفرة الطعام وفيها من جميع اللحومات كالضأن والدجاج وبعد أن أكلوا وشربوا ولدوا وقصت النساء والبنات وغفت المغنيات بأشواق الاصوات فكانت لم يسمع بمثله ولم يفعل أحد كصنعها واستمر الحال على هذا المنوال والقوم في فرح وسرور وغبطة وجور مدة ثلاثة أيام على تمام وانفق في اليوم الرابع استأذن الأمير حسن من الماضى بالسفر لبلاد الغرب فقال الماضى أيها الملك تقوم عندى في هذه الاطلال فبلادى واسعة كثيرة المراعى والأوقى نبقى معاً .

فلما فرغ الماضى من كلامه شكره حسن على اهتمامه وقال لا بد من المسير فعرضه الماضى بأن لا يذهب بالتوفيق وبلوغ الوطن ولما سمعت بنى هلال على الذهاب والرحيل جماعت الجازية تبكى بدمع غدير لأنه لم يكن لها صبر ولا سلوان على فراقهم ساعة من الزمان فلما زاد عليها الحال كثرت من التحيب والأحوال ازعج الماضى من تلك القضية وسمح لها بالذهاب معهم إلى الغربية ففرح بذلك الأمير حسن وحالا أمر الفرسان بالركوب فركبت الفرسان ظهور الخيول وساروا قاصدين بلاد الغرب وتلك الديار فعند ذلك وغب الماضى بالفرسان وساروا بصحبته مسافة أيام ثم حالف حسن عليه بالرجوع فترجلت حينئذ الفرسان وودعوا بعضهم بعض فدهى ماضى

بالتوفيق والانتصار وصارت بنو هلال لبلاد تونس لحسلاص مرعى ويحيى ويونس . قال الراوى وما زالت بنى هلال تقطع السهول والوادي من بعد رحيلهم من هند الماضى حتى وصلوا لبلاد الغرب ودخلوها ونزلوا فى وادى اسمه وادى الرشاش وكان ذلك الوادى بين جيلين فلما نزلوا بنى هلال فيه مدوه جبل الى جبل وكانت الوحوش يحفل منهم وكان الزناتى له ابن أخت يقال له العلام بن غضبية فالتفت الزناتى للعلام وقال له أخرج الصيد وآنبا تصيده فأجابه سمعاً وطاعة فقام وركب وأخذ جماتهم ومعهم الكلاب والصقارة وطلع الى الصيد فامضوا الى اقلايلا وإذا بالوحوش من كل جنس بين أرجلهم فاصطادوا حتى حملوا خيلهم ورجع هو ومن معه فلما دخل العلام هو ومن معه وألقوا الصيد أمام الزناتى قال له يا علام ما هذا أنا أرى غير لأن ما جاب هذا الصيد الا العجايب فقال له العلام وأنا أقول إن ذلك العبد الذى حمست رفاقه راح وأنى لنا بقومه .

فلما فرغ العلام من كلامه والزناتى يسمع عاذى الحساب وأمر صعاب ثم أنه فك للديوان وكل من طلب عمله والأوطان والزناتى نام فرأى فى منامه ولذيد أحلامه ان أخته عربان مثل الجمان ولحم سلطان كبير الشأن ومعهم العبد الذى أتى إلى عنده وراح وخلق رفاقته وشاف فارس اشقر مثل السبع الغضفر على اسم الديب وقضى العرب فى حكمه وملكوه بلادهم وقتل اجناده فقام من مقامه طائش العقول رادى وذ من الشيطان وراح من باله هذا المنام واستدعى بان عمه العلام وقال له رأيت منام فقال العلام ما يكون فاستحضر الرمل وحطه قدومه وحرز الاشكال على شرع البال وولد البنات من بطون الامهات فبات عنده أهوال وضربهم مال ونصال من عرب كالرمل فيهم كل أمير يكثر جيش الجراد الكثير فقال :

يقول الفتى العلام ولد غضبية لقد بان عندى يا أمير حزوف
فهذا عربان الهلال أبو على عليهم الذهب وهم قاعدون دحوف
هذا ملكهم ابن سرحان يا ملك أمير ابن أمير سيد المعروف

فلما فرغ من كلامه والزناتى يسمع نظامه فماد الزناتى فى هم ويكد وإفا بالهيص قد قبل وأخواته بصحبته فقدم الزناتى ومن فى المقام للاقائه واستقبله

وانزله في امر المقام ثم جلسوا على الطعام وأخذوا يتقارضون بالكلام فقال
 الهيصم يا اخوان مالي اراكم مغيرين الاحوال فأخبره الزناني بما حله من
 الأحوال فقال وأنا حلت بمثل هذا وأشار يقول :

متاماً حلت بآخر الليل راعى بنارين من حول تزيّد لطيب
 وقد حرقت ذيل وهبت بأرضنا وصار يحرق كل أرض خصيب
 وقد أحرقت شجرة النخل وغده وحاد لها بالفسيان ديب
 ومن بعدها قد راعى ديب أبيه من فم مثله بين السكوان ديب
 وبعدها قد شفت فارس أحر تحاربك أنا وإياه حرب صعب
 شربني رمان عالوطا يا زناني وراح جوادى من وراء جنب ديب

فلما فرغ الهيصم من كلامه والزناني خليفة يسمع نظامه وكان حاضر أوجل
 اسمه سليمان خبير في طرق وأراضي تلك البلدان. فقال يا سليمان اذهب واكوف لنا
 هؤلاء العرب وآتينا بالخبر عن حقيقة أمرهم وإن فعلت يكون لك جريل الإحسان
 وردقة الشأن فأجابهم سمعاً وطاعة وركب جواده وخرج من تلك الساعة وما زال
 يقطع في الفياض والأودية والمسامع والأقفار حتى وصل إلى وادي الرشت فوجدهم
 قد أكسوا تلك الأرض فتخيل لهم يوم العرض راياتهم تحفّ في بين الوقوف ويوتهم
 كالبحر الزاخر ولا ينظر لها أول من آخر فسأل من بيت أمير العربان فأرشده
 فدخل على الصيوان فرآه مثل زهرة البستان وصاحبه الأمير حسن يترحب بكل من
 جاء ويودع من ذهب وأدهشه كرم ابن سرحان وما رأى في بيت القاضي من الأحوال
 فماد إلى أن وصل أهله فدخل على الزناني وسلم عليه وتمثل بين يديه فقال الزناني
 يا سليمان اسمنا عما خرجت إليه أناشد يقول :

يقول الفتى سليمان عما جرى له أرى الهول يا جواد منذ التقابل
 ألا فاسمعوا لي يا مارك بما جرى أنا جيتكم يا عزوتي بالزعابل
 حضرت لوادي الرشاش وأرضها نظرت لقوم كأنهم بحر جابل
 يقولون معهم ميت ألف مدرع وميتين ألف فالقن الزوايل
 وميتين ألف بالصوارم والفنا هليهم من الحمة لبس السكامل

فقالوا أولادنا عند خليفة بالحس أولاد الملوك الأصايل
ونحن قد جئنا نخاض أولادنا من تونس جئنا اليها نوازل
وقد طالب سلطان مصر أموالهم فقاموا اليه بالقتال والقبائل
ومنهم قانع أبو زيد الف قلعة وخلق دما الأبطال على الأرض سايل
ونزلوا المضي بن مقرب قدم لهم خيرات عادت جزايل
وروا من أرض الصعيد لأجلنا وهذا خير تحقيق ما فيه زلايل
فلما فرغ سليمان من كلامه والزناقي وأخوه يسمعون نظامه فصاروا في حساب
وأدكار صواب وتغيت من الزناقي ألوان وعاد في بلاد واعمان من هؤلاء العربان
فقال لهم صبر علامك يا أخى تغير لونك وارتعبت كونك وأنت سلطان هذه
البلاد تحكم على الفوارس والاجناد وتحب يدك أربعة وعشرون أمهر وكل أمير يحكم
على مائة ألف عنان فقال الزناقي أكتب يا أخى إلى بلادنا فاستدعى الهيصم بقلم
وقرطاس وأشار يكتب إلى ملوك بلاده يقول :

يقول الفقى الهيصم قام لحربى	والنصر بالله والسيوف الحدب
يا حاضرين اسمعوا لهم انهضوا	قوموا وسهروا لبلاد الغرب
وأنت يا علام روح بالاندلس	إياك تهكى أو تنادى تسكبي
وأنت يا منصور روح لفارس	هات لهم أبدال من صبي
وأنت يا زيتون روح لقاغه	قول لهم أتوك ركبي
وأنت يا حضرون روح لثاثة	حتى يقفوا كأنهم بالضرب
وأنت يا ضرغام روح لمغة	أيضا بلاد السكرم قوم النجب
وأنت يا مقداد روح المنذرة	وأرض زبلالى ينجونا بقربي
وأنت يا شمعون روح لاكره	وقول لهم القوم عادت قربي
وأنت يا ظلمبان روح الباجة	وقول لهم القوم عادت قربي
وأنت يا عماد روح لاغمداس	ولجليل ولد يروم ابن المتغبي
وأنت يا جفال روح لسكرة	مثل الهبوب وقل لهم يا غضبي
وأنت يا رداح روح لسنراة	للبيد وسليمان المغربى

وأنت يا فراج روح وانقض ونادى لكرمكم هم بلاد العنقب
وأنت يا صجاج روح لتغريب لأرض مراکش ثم لأرض السلب.
وأنت يا بلهيص روح لتورس إلى أرض ثم أرض القصب
وأنت يا حماد روح ونادر لأرض مكناس وبلاد الذهب
وأنت يا بولاد روح لحرية ودور كل دايه المنهسي.
وأنت يا شداد روح لقابس دعهم يقيموا عند باب الدرب.
وأنت يا عبود روح عن يحيى ونادى بأعلى الصوت حاكم كربى.
وأنت يا حماد روح مقصد واركب جوادك لبلاد الهدى
وأنت يا سليمان أظهر الخبير في قـيـروان وقابس الغربى
وأظهر الأخبار بأعلى صوتك في أجهر العلا تغني
فلما فرغ المصيص من كلامه والزنانى يسمع نظامه فبعث الزنانى إلى جميع الأمراء
وأعلمهم في هؤلاء العرب الذى مثل الجواد ويرجع الكلام إلى المصيص فركب هو
والعلام وجردوا قوم ثلثمائة ألف وقال إلى أخيه أبق مكانك وأنا أريح أفكارك وكل
ما جاءك ورقة ازسها حتى ما تخلى العرب تدخل جدارنا وسار المصيص في القوم وبعد
أيام قليلة وصلوا إلى وادى الرشاش فقال المصيص إلى ابن عمه العلام روح قدما
بألف فارس واكشف لنا العرب أين نازلين فأخذ العلام ألف فارس وسار قليلا
وإذا مقبل عليهم فرسان مثل الجراد الوحاف وكان الأمير أبو زيد ومعه من الأمازيغ
الخماجي عامر وزيد بن غام فلما نظر الأمير أبو زيد إلى قدم العلام قال إلى
رفاقه احتسروا من هؤلاء الأبطال هذا هم قوم العلام بن الزنانى فوصل بعضهم
ورفعت العين على العين وتزل العلام الميدان وغاص وبان وسقط إليه أبو زيد مثل
سبع الجردان فقال له العلام من تكون من المرسان جئت إلى تلك الاوطان أنت
عبد الخمايس المردان قال نعم يا جبان فقال له أين الرجال وقال أبو زيد أنا مع
الف والباقرن خطف رأنا أبو زيد اللهم فلما سمع العلام هذا الكلام صار الضياء في وجهه
ظلام والتفوا البطالين كأنهم جبلين وحان عليهم الحيز وزعق فوق رؤوسهم غراب
البين فاحتلفت بينهم ضربتين قاتلتين وكان السابق في الضربة الأمير أبو زيد في

ذلك الحام فأخذ العلام في ترس البولاد فسقطت على رقبة الجواد فأمرتهما كايدي السكاكين
 القلم فوق العلام على الأرض فأدركوه قومه فأخذوه من قدام أبو زيد قام أبو
 زيد من الحسين والشمال وأملك الأبطال فولوا هاربين وللنجاة طالبين وقروا فيهم
 بني هلال حتى أدخلوهم في الجبال وبقيت حالهم أسوأ حال فرجعت عنهم بني هلال كاسيين
 الخيل والأموال ولما أقبل العلام وقومه على الهبيص وهم على تلك الحال فصاح فيهم
 وقال أعلموني بما جرى من هؤلاء العربان فأخبروه فظلع الهبيص ومن معه بالليل مثل
 السيل إذا سال والبحر إذا جال حتى أقبلوا إلى بني هلال فنظر أبو زيد وإذا بغبار
 قد حجب الأبصار فقال إلى قومه كثرت عليكم القوم يا شجعان فقالوا نحن فذاك وتأتي
 أعداك ونزل إلى الأرض وكرم أبو حزم خيلهم وجمالوا في الطول والعرض وشنوا
 على الأعداء غارة وعاسوا في القوم والأماردة وارموهم في الذل والحسرة والغبار
 ملا الأنظار والموذج كالآثار والعماريات تنحى الفرسان على قتل الدشيان وأول
 ما أدرك أبو زيد الأمير دباب ورامه أقبلت جميع العربان فلما نظر الهبيص وقومه
 أعطوه كسرة وأرادوا الحرب فلما تكاملت العربان إلا أبو زيد كسرهم في آخر النهار
 ورد الخيل الفاردة والعدد المبددة وعاد الهبيص إلى موضعه وكن الليل وركب
 هو وقومه وكتب بني هلال وأقاموا فيهم الرعية فقامت من العرب الصبيان وعلت
 الضججات من كل الجهات وأدخلوا بني هلال الأبيات وأخذوا يوم الهبيص خيلهم
 والبينات والذوق وطابت المغاربة الزواج فكان أبو زيد حالا جمع أربع كرات
 وركبت معه الهاريات وسبق القوم ومسكهم العارقي وإذا قد أقبلت عليهم الأعداء
 فتلافوا الفرسان على الجازية أو تلك البينات فرد عليهم الأمير دباب فتلقاه الهبيص
 مثل الرخ العقاب وضربه بدبوس على الطلبة فحرك خصرته وولى من الهبيص هارب
 وإلى النجاة طالب ولحقه قومه بني زغبة فر على البينات فنظروا فنادته بفتته وطفه
 حلامك يا أبي هارب فارادو خلاها وإذا بالقاضي يدبرهم يوم هو وقومه فنادته
 الجازية لاتروح وتخليتنا فقالوا الأخوك وإذا قومه هاربين فنادته الجازية لاتروح
 وتخليتنا فقال لها الهبيص يخلفكم من الأمر فإذا أبو زيد أتى عليهم فلما نظروه
 حضروا عليه وقالوا له ما نظرنا فلما رأى أبو زيد عادت لهاته مهلات ورجع هو

وقومه واطلق العنان وخشم الفرسان على انقاء لاعدام وحث ظهر الشجعان فالتقاء
 الهبيص في الميدان فوقع فيما بينهم ضرب شديد يفتك الزناد الحديد فقام الزناني
 في عز الركاب وضرب الهبيص بالرخ فشك في درعه بتره ورماه على الأرض
 رخاء فهجمت قومه وخلصوه وصار طعن يفتك زرد الحديد والبنات تنادوه
 وتبخرى قوم أبو زيد وتزغرط لهم وأبو زيد أولهم فولوا قوم الهبيص شريد
 وأخذوا منهم بني هلال خباياهم وأموالهم وعادوا إلى أهلهم فلاقتهم الأولاد والبنات
 بالدفوف والضججات وراحوا قوم الهبيص شتات وأما بني هلال فاجتمعوا في
 صيوان الأمير حسن صارت الجارية تشتم وتوبخ من هرب وتمدح من ثبت فقال
 لهم أبو زيد يا حاريد هلال لا تحسبوا أن الهبيص قد انكسر وراح فلما بهضكم
 واعطوا بالكم إلى حالكم والذي وراءه ماله هدر فاجعلوا حرس يحرص في
 الليل وأما أبو زيد كان تعب من الكون وعرق وبرد في الليل وهو دابر في الحرص
 فاهترأه وجع في جوفه وما عاد يقدر يجلس على ظهر الجواد فوقف الخفافى عامر
 موضع أبو زيد وبقي أبو زيد سبعة أيام ضعيف هذا ما جرى لبني هلال وأما ما كان
 من الهبيص أخو الزناني فجمع قومه وقال لهم والله أنا أريد عمل لهم حيلة تسووه
 قبيلة وأرعى الأسمر يديهم حتى تنال مرادنا منهم ولويدي أن أبو زيد نائم لغاؤهم
 بالنهار جهرا ثم قال لقومه اركبوا والحقوني وأنى إلى ناحية بني هلال من ناحية
 الشرق وأرسل إلى الأمير حسن يخبره أن الزناني هدونا ونحن جايين نهدمه معكم
 وسعروا روحه الأمير مقلد وأشار يقول :

يقول الفتى المسمى الأمير مقلد	من أرض كرج بالكبار جميع
أتينا بيدى يا حسن مع قومك	أمانة هلال كل قوم شجيع
أريد أسلفكم جميلا طيبا	ومن سلف الأجواد لوس يضيع
لما سمعنا بسيفكم جيفا لكم	وتكسب غايمهم وكل بخت رفيع
فلا تحملوم الزناني خليفة	أنا لكم عوناً سريع مطيع
ولا بد نملك أرض تونس بلام	وندهى خليفة في المجال يضيع
هذا كلامي يا أمانة افهموا	أنا مقلد بالطراد ولهم

(قال الراوى) فلما فرغ مقلد من كلامه طوى الكتاب وغتمه في ختمه وأرسله إلى الأمير حسن فقراه وحرف معناه وكان أبوزيد له ثلاثة أيام مريض وكان حاضر دياب وبنى هلال جميعهم فقرأ عليهم حسن الكتاب وأعلم بنى هلال ما فيه فقال دياب أنونا في وقتهم وأشار حسن يكتب إلى مقلد ويقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على	وأخبرنا فى كل أمر تشيع
فيا مرحبا فيا أنانا جميعهم	لكم فضة الدنيا وكل ربيع
فيا مقلد أقبل اليوم عاجلا	واركب معانا هم أنا سريع
لأن الفتى الهيصص يأمر هنا	بحرب شديد يأمر سريع
كسبنا بجمع الليل اربع قلوبنا	وذقنا مرار الهول والنفيع
فاجابه سلامه والفتى بالفا	والروح فى سوق المجال تضعيع
وضربه أبوزيد ورماه على الوطا	فن كان معه أذكره جميع
فوصل مخوفا فى جدوعه هارب	من حرب أبوزيد الأمير شجاع
ولكن سلامة انعقد يا مقلد	وقد عاد من فوق الفراش وجميع
والحمد لله جيت الينا عاجل	وصرت لنا أخا ربيع تبيع
وان ملكك الغرب أعدتك نصفها	وتصير عتدى فى مكان ربيع
هذا ما قال الهلالى أبو على	يا مرحبا فى من أنانا وضعيع

(قال الراوى) وركب الأمير حسن ودياب والقاضى بدير وأكابر بنى هلال نحو ألف فارس يلاقوهم من غير عدد سوى الموارين لأن البدوى مراح رجع كنهه فلما قارب الهيصص ركب ولا قام ودق طبله ونشر الاعلام وشهر الخيام وهم على بنى هلال مثل السبع الغضبىان وتفرقت قومه من كل مكان وغاروا على البيوت ونهبوا الأموال ومالوا يمين وشمال وأخذوا الخيل والجمل وما تهبنت فايقات الجبال وأخذ البيوت من أهلها وساروا نحو قومه فترحانين كاسين وقال الهيصص أنا ما نظرت الأسمر ولا سمعت صوته لعله يكون قد قتل اليوم أما أبوزيد فكان تأيم من الضعف فسمع الضجة فقام من نومه وقال ما الخير بهذه العرقة فخره فى حيلة الهيصص وما فعل فى بنى هلال وكيف نهب البوش والمال ونهب النساء والعيال وكيف هربت الرجال وماله

عليهم في الحال فصاح من قلب جريح وفؤاد قريح ونهض من ساعته ونهب حموية
ودق طبله وعدل راية فاجتمع عنده بنى هلال اثني عشر فارس والباقي كانوا امارين على
رؤوس الجبال وأخذوا الحاضرين وساروا إلى القوم وربطوا لهم الطريق وصاح فيهم
قومكم فررفت النساء على أبو زيد مثل ردف الحمام وقالت اليينا يا اصوور الحريم فقالوا
أبشروا يا بيض وقرم بأيده عامود الحديد فصاح في القوم وقال خلوا الحريم والمال
هجم عليهم بالحسام فدعاهم وقام وكانت ساعة تحير الإنس والجان وغار على الفرسان
كوفرخ الحمام وهو يميل على الميامن والميامر فأنى الهصيص إلى ناحية أبو زيد مبادر
وهو كاسبع الكاسر وتقابل مع أبو زيد راحطت الجيوش ووقعت العين على العين
وقال الهصيص أنت باقى حى وفي كل موضع أراك قال أبو زيد في هذا الوقت أريك
أفعالي وأشار أبو زيد يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة لي همه العدد أنا يحيتها
أيا ابن رزق الخيل قرم رفاقك صور العذارى في الوغى سامها
هصيص اسمع كلامي وافهم أنا خصمك جئت لأرميها
بالذل يا بوق بقت بقومنا لازم اعلامك ياردى أخفيها
تريد تأخذ مالنا ورجالنا من هو الذى لا حريمها
واليوم يا هصيص لازم أقتلك بين الحوافر جئتكم القبيها
ولا بد من قتلك وأخذ جوادك لي حربه باسم أنا ساقها
لاهلك ياردى من بعدك من حد سيفي ما حد يحميها
قال أبو زيد الهلالي سلامة واليوم أفنى عصبتك وأردتها
فلما فرغ أبو زيد من كلامه أشار الملك الهصيص يقول :

قال الفتى الهصيص قول صادق فني همتي نيران هبت فيها
أنا لي زمان أريد حريك والصدام لي همه لأجلك أنا غنيها
أنت أبو زيد الذى قد جئتنا رواد جئت لرفقتك تسميها
وحبستهم حتى جئت فكأكم ومدامك من أجلهم تخفيها
سقتكم بكم سمدا أو كنت غاربه من أجل مرعى كاويها

عرجت يا أبو زيد نحو بلادكم وجيت قومك والنذل غاشبها
وجيت وأميتم في وسط الفضا شورك علم في البلاد مالها
لا بد عنكم يا هلال أمفكم وحريمكم لا بد ما أسفوها
ما في المغارب ياقى سقوطى أبطال قومي يشهدوا لي فيها
دومك يا أبو زيد سوق مخالها روحك بسيفي في الرضا اشتريها
قال الفتى الهيصص فيا قد جرى سوق المجال متعوا حميها

(قال الراوى) فعندما التقى البطلين كانهم جبلين وطار من تحتهم الغبار وقد
خفت حوافر الخيل نار هذا الفريق تنظر إلى نحوهم وحريم بنى هلال كوعظ على
أبو زيد من وراءه لكي يخلصهم من أعدائهم فعند ما صرخ الهيصص صوت دوت
له الجبال وقام باعه في المزارق وطوحه إلى أبو زيد فأخذه بالسيف أبراه كما يرى
الافلام وأبو زيد ضايق الهيصص ولا صقه وسد عليه طريقه وطرايقه وهو بيده
عرد الزان حتى دق السككب إلى السنان وطعنه من بين بزيه طلع من بين لوحيه
ثم أنى عليه بالسيف فطير رأسه ولما نظر راجعائه ما صاروا إلا ديار وتبعهم قوم
الأخبار وقتلوا مقتلة عظيمة وما بق لهم قيمة وعاد أبو زيد وجاعته إلى الخيل الفارقة
والعدو المجدود وإذا بالأمير دياب والأمير حسن والقاضي وقومهم كانوا قد سمعوا
أن أبو زيد لحق الهيصص رجال قليلة فتلصصوا واحقهوه وكان السابق إلى عنده الأمير
دياب فقال أين أصجل يا أبو زيد فقلنا لا اكتفيت بعون الله تعالى فدوسكم خيل أعدائكم
فقال دياب يا أبو زيد أنت طول عمرك تفرج عن بنى هلال غنما فقال كونوا على حذر
لأن الذين حاربناهم نقطة في بحر لأن قوم الزناتى أربعة عشر من سلطان وكل أحد يحكم
على كره عاقبة الف وانا في هذه البلاد أخير منكم ولكن البوش يخاف عليه من العدا لثلا
ياخذه ومرادنا بميت معه أمير فقال ابروح مع بوش ورامام محمد لأن كانت لها ثلث
الشورى فان أرميت السلام فردوا عليها السلام وأجلسوها في أمز مقام ثم بعد ما دارت
القهوة وكاسات الشراب التفت الأمير حسن نحو الحاجزية وقال لها قد أرسلنا وراك
لكي تشاورك في أمر البوش لأنه لنا مخرج لبوشنا في هذه البلاد فإذ انارسله لغير موضع
فشمورى علينا من بروج مع البوش أبو زيد لما لنا بعد تدبير وأن أكون أنا لا يصلح

لأبي أمير ويخاف أن تطمع بنا الاعادى ويقولون أميرهم راعى والقاضى يدبر أصابعه
مقطعة ولا يصالح إلا دياب لأنه يحميه من الاعادى فأخبرنا ما هو فقات له هذه
رأس الشور فإشار السلطان ينجيته ويقول :

قال الأمير حسن والقلب فى حرقه	من أجل بوش لنا خيرين بسبب
نحن نخاف الزناقى عدا إشغلنا	ويصده ما بيننا طعن وتخريب
والبوش نأتيه أبطال مسرلة	ياخذوا البوش هذا وينهب نهب
دياب يا أمير زهى اليوم هم بشا	وارح لنا المال واحميه من الديب
وأدى الغبار والغبارين أقصدوه عدا	فى ست آلاف عوج كالمواقب
وامكنوا فيه شهرين متتابعة	حتى تبرد لتونس وبلاذ المغارب
نملك مداينها ونقتل فوارسها	أما الزناقى فتركه إلى الديب
واسقيه كأس الموت من فعايلنا	ندعى قصور العهد نعدى محارب
والقرب العالية لا بد نكسبها	وكل من جاء الينا راح تفصيبه
مرعى ويحبى ويونس نخلصهم	نجيب فتورينا مريد
تنظر لنا مال أيها مع خراينه	والبس أيضاً وأهوال المغارب
يصير مرعى إل سعدا لها بفلام	قولا أكيد من غير تكذيب
دياب من بطل يحمل الفلا غيرك	اليوم يوم الحشمة كن الديب
السيف ما ينظر إلى لحزنه	يوم الكريمة نظر الاعاجيب
يا ليت عمرك طويل زايد الافراح	أما عدوك يرى عكسا وتكيب

فلما فرغ الأمير حسن من كلامه ودياب يسمح نظامه عرف أنها مكيدة والجارية
أخفى السكند وأظهر الجلد وأشار بطيب خاطر حسن ويقول :

أنا دياب بن غانم يا حسن طيب	ولا تخافوا على لوسمى الديب
طيبا لقلبك على بوشك يا ملك	ولا تخافوا على فى المخارب
المال مال ما يدنو عليه أحد	لانى مجرب بإذن الله تجريب
أنا ابن غانم وكل الناس تعرفنى	فعل شهودى وتعرفه الاقارب
وأتم كونا واحداى نحو أنفسكم	وحافظوا على حريمى والمراكب

ثم احضروا الزناني حين يطلبكم
 انتم هلال ماحد يقهركم حكمت الارض شرقا وغربا
 كم من ملك عدا عار ملكه قهرا ودعيت قومه شرقا وغربا
 الهند والسند ثم السريب والين كل الملوك بقوا مهاريب
 قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه فشكروه
 وقالوا له من علينا صاحب العفارة وترد عنا القوم في كل غارة وأشار يقول :

قال أبو زيد المسمى . كلام أكيد من جدى خذ البوش وروح ادعاه . وسهر الى
 قصي الحردى تسلل المال ملك هلال . كذا صعبان مع العبدى ومثلك من يحمى ذا
 البوش . مرام مثلك ما احده . ان كان توفى هالبوش . يا امير انالك كالعبد تسود علينا
 يا عوننا . ويبقى لك ثغر المجدى . احفظ بنفسك والريان من ابطال ومن يرد اخاف .
 عليك من الغارات نحوكم ليلا بالبرد اياك بالليل تنام اياك تخطى النوم مع الرقدى .
 وأكرم من جالك قاصد اياك بقولك ترتدى ومن يثبت منكم معانيال الخير والقصدي
 خدا خليفة بقاناوا كون له المجدى . تخاف يروح مال هلال ويأتى اليهم مع النكد .
 أبو سعد يا قوم مجرب وهديتة مثل الرعد هذا الزناني وضربته ترتدى باكره يوح باقانا
 أفى البود وفى الزرد ومعه جيش بانبا على خال ضم كالجراودا انا يا واد احضركم
 بو زيد انا السند اغنمكم منهم مكاسب لا تمعدى وتروح مرادجنا يفوح المسك
 مع الندى انا اوصيكم بافرسان كونوا عصبية مشتدى عدا أبو سعد اتينا لا يخشى
 ضربة حدى لا ترعل يا امير دهاب فتكون بوزمك مشتدى خذ البوش واشرع فيه
 بألف غلام تمعدى الذين فارس خيالة وثلاثين ألف جدى اضرب على الأحوال
 وتاتونا على العبد اسمع يا ابوطفا ودياب يا ابن غانم اجتهد لولاك هلال ما سكنه .
 دياب الغرب ولا تجد المال تسكفل فيه وزغى حوائك كالاسد .

كم وقعت اشقيت هلال انك ياركى المجدى
 (قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه قال حسن يا امير انك تنبىر ودياب مشه
 كالاسد انكم دم لها اليوم وأما المعوم كالعبد وقام الحرب بيوم السكر وطعن
 وضرب اهل جهدى وخيل يحوّل ودم يسول وكم مقتول وعدى أبو زيد هوش

علم جيوش بوجه بشوش بلاجردي وأخاف محول بليل دهل لا جميع ملكهم جلدی
 إن قام حراب إياب ونهاب . واسمع لدياب لما يبدى : وإن جاك صديق كن شفيق
 وأنت وثيق وكم بعدى فاسمع لدياب سبع الغاب أنت مهاب أنت السند وفي ركب
 دياب في قوم زغبة تسمين ألف فارس وكل ألف راية بيضاء وسار أبو زيد بدله
 هلى وادى الغباين وساقوا البرش والرعيان وكانوا ست آلاف راعى وسار
 الجميع إلى أن وصلوا إلى وادى الغباين فلاقوا فيه الزهور فأنهت المياه سابعة
 فنزلهم أبو زيد في الوادى وأوصاهم من الأعداء وعاد لبنى هلال والأمير دياب
 غضب صيوانه في الرادى وأوقف رقباء على الجبال أربعة آلاف خوفا من العدا
 ويرجع السلام إلى أمير بلاد الغرب فنظر ذلك أبو زيد وكان في ألم شديد فنظر في
 الزناني وقال له من أنت حتى تنزل للسلطان أما أنت عبد المحابيس قال نعم فقال
 الزناني أين المال فقال معى والوقى خلف قال أنت رحت تجيب المال أو رجال
 مفرد الجواب وبيده السيف :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	ألا ياناقى أنت في الأحلام
لا كرنانى حافك الشر والبلا	اظنك بنومك قد رأيت منام
افيا يا بخت تعتقنا ما كنت جيتكم	رلا كنيت جيت القوم بالاحسام
فلو كنت تزور يوم أتينا بلادكم	ونحن ببستان لكم ومقام
فناديت للجلاد حالا فقادنا	لنحت المشائق في حبال برام
لولا الصغير كانت راحت روحنا	ومالك علينا عفة وزمام
فكنى جيت أوريك فعلى	أروى قومك في البلاد هواتم
وأرديك حربا من يمين سلامه	وطعن يפק الزرع والالحام
وأنتم تروحوا مثل هاراج غيركم	بعد الصوارم ما ترون سلام
وتونس ترى فيها تحت الأمير حسن	هلال لكن عليك حرام
أنا أبو زيد الهلالي سلامة	أنا ما حق الأبطال والحصام

فلما فرغ أبو زيد من كلامه والزناني يسمع نظامه التقوا البطالين كأنهم جبالين
 وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤسهم غراب البين فاختلف بينهم ضربتين قاطعتين

فكان السابق في الضربة أبو يزيد فأخذها الزناني بطارقة البولاد فشحطت على رقبته الجواد فبرتها كبرى القلم فوقع الزناني على الأرض فركضت القومين على بعضهم البعض وأقاموا الزناني وخلصوه وانتقوا الحديد والتمم القريين وقاسوا الأهوال وبطل القيل والقال حتى أقبل الزوال ودقت طبول الانفصال وقعدوا القومين إلى الصباح فأعدوا بنى هلال ونزلوا طلبوا الكفاح ونزل الزناني مع قومه للميدان فجمعت الجمعان وظهر الفصيح وولى الجبان وطارت الرموس عن الأبدان وحجم أبو زيد وقحم حتى خلى القوم عديم وبقوا على هذا الحال إلى وقت الزوال فدقوا طبول الانفصال وكل منهم طلب الأهل والأوطان فلما عادت بنو هلال جلسوا في صيوان الأمير حسن بن سرحان فقال الأمير حسن لماذا يا أبو زيد تقاتل القوم أنت بنفسك وما تعطيني خبر أنت والله ماعدت تركب معنا وأمر في قيده وقل يا أبو زيد إن كنت طامع الله يا أمير فمخ وجليك في هذا القيد قال أبو زيد سمأ وطاعة وأنا أتبع كلامك في كل ساعة وحط القيد في رجليه وقعد في بيت الأمير حسن فلما أصبح أصبح الصباح دنت بنو هلال وطولم ونزلوا إلى الميدان فنزل الزناني فلما رأى أبو زيد ليس معهم قطع فيهم وغار عليهم مثل أسد بالهائم وقتل منهم كل جبان وعق الفرسان ودخل فيهم في باب من أبواب الجنان وشتم بين الروابي والآكام ونزل موضعهم وقام وأسدل عليهم وكسهم حتى رحلهم سبعة مراحل وفي آخر مرحلة حمل عليهم وقام الرعب فيهم وقتل الرجال وأخذ الخويل والجمال والحريم والأطفال فراحوا بنى هلال إلى عند أبو زيد وهو مقيد فقالوا متى يا أبو زيد قم فك القيد من رجلك فأشار يقول قال أبو زيد اسمعوا يا من ألقني رجعوا القوم منكم يشفع اليوم يوم الحربي حسن دق طبولكم ثم شد خيولكم قوم الزناني جولوكم فرسان قوم الغوري يا عبده أت الحراوا قلم طوامي السمرامات بنت الحرافي سرجها وركاب وسيف الجاني عند من عهد أني وجدى مدووظ دائما هتدى لأجل الوضى والحربي هلال يا شجمان يا عنبة الاعيان عدوكم يا سيها نعيم فيه الرعي وقوموا بنا لنقام بسيفنا نصحاهم ونفوز بكسب غناهم يا هنادوا للثرب وشوفوا الزناني حاكم يريد سفك دماكم هذا العدو أتاكم قيموا عليه الحرب حظين

في العبد وما كان رأيك جيدي مثل أميري وسهدي وأنا حاكم في السر فلما فرغ أبو زيد من كلامه والأمرأة يسمعون نظامه شكروه وقالوا له يامن بعدك ثم استمد للحرب ودق طبوله ونزل في الميدان فسمع الزناتى طبول بنى هلال فتزل هو وقومه إلى ساحة الميدان فقال الزناتى لا ينزلنى إلا أبو زيد فما أتم كلامه إلا وأبو زيد صار قدماه فقال له أين كنت متجنى يا أبو زيد صاحب المسكر والكيد فقال له كنت غائب واليوم جيتك محارب فالتقى البطالين كأنهم أسدين درغامين وغنى فوق رؤسهم غراب البين حتى تعب منهم الساعدين وكلت من مخمهم الجوادين ودأبوا في قتال وجدال إلى قرب الزوال ودقت طبول الافصال كل فرقة وطالب حية والاحلال وباتوا يتحدثون إلى أن أصبح الصباح فركب القومين واصطف الجيشين ووقعت المني على العين وصار قتال وأهوال قرب الزوال وبقوا على ذلك سبعة أيام حتى كانت منهم الزنود وذابت الكبود وفي آخر النهار ولى هارب إلى النجاة طالب فغار عليهم أبو زيد بقومه وبقي غاير حتى أربعة عشر مرحلة إلى الوراء وأدخلهم البلد فلما دخل الزناتى إلى المدينة دخل أبواب تونس وسكوها وراه وقال أنا ما بقيت أقاتل أبو زيد ثم استدعى بقلم وقرطاس ودواة من الذهب وأشار يكتب إلى الأمير حسن ويقول :

قال الزناتى طاره يا معشر الخطاره من أجل قوم جو ناخلو البلاد دماره الزناتى هدى أبطال ما نعدى الحرب عكم عندى يشبه ابيب النار يا بو على القانى في حومة الميدان لأريك طعن الزان يا ما قتلت أماره يا حسن في بالك أن الدهر يصفلك لا بد ما تشوف حالك وتشوف شىء صار وارحل بطعنك عادى في عزوك وبو ادى هذه البلاد بلادى لا لغيره داره إياك من أبو سعده يحبك مثل الرعدة نجهه خدمه نجهك عليه غباره جاك الزناتى غاير من فرق آدم طايير يده حسام شاهران صاب وأسك طاره والله أنا سافنيكم وبنانيكم تمنعكم قصاب لاعل فيكم واعمل لكم نجراره كم فارس مقتول من ظننا المازولى وأبطال تأنى حولى بالعرلى نركاره بالعرى والناموس ثوب الفخر ملبوس ما يوم يخطى قوسى دايم كسيه ناره يا حسن على قائم الحرب لا تغير هند القا فتغير في طعن مثل النار .

فلما فرغ الزناني من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأرسله إلى الأمير حسن فأخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه أشار يرد عليه بهذه القصيدة :

مقال الفتى حسن المسمى	كريم الجود من فروع أصيل
نحن ما أتينا إليك عمدا	ولا جزنا بلادك من قليل
فخلوا حبست يحيى ويونس	ومرعى ذلك إلى روى عديل
فخلوا طلقتم تلك الغنائم	ونكسب ياملك منا الجليل
ولا كنا أتينا إلى بلادك	ولا لقرب أبو زيد الدليل
وكم جبار من حربى قتل	وكم أمير من سيفى قتيل
خلفى لك باكر لا ثوابى	غدا ما بيننا يوم طويل
ولسقى الشاربين وهم عكارى	وأرواح الملوك وهم نزيل
أنا وإياك يابحجر المسكارم	بميدان الحروب لنا هويل
أنا أمير وسيد آل عامر	معز الجلد حامى للزريل
وكم أمير أخربنا دياره	وكم صنديد خضع لى ذليل
ملوك الأرض خافت من لقانا	بلاد الهند مع أرض الخيل
خوف الملا قد صار حكيما	ولولا أبو زيد ما بعثنا دليل
ولا نخينا مطايا بأرضك	ولا البسر العوالى لك يميل
حبست أولادنا وقد عبت فينا	وتهد علينا يا هسريل
أما تأخذونا يا زناني	أما نحن فيكم قد تميل
غدا ينصب بيننا سوق المنايا	ويبقى النصر من رب جليل
ونحكم أرضكم ونشيخ فيها	ونحكم بعمدكم دهرنا طويل
مقال الفتى حسن الدويدى	ونيران القلوب لها شعيل

فلما فرغ من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأرسله إلى الزناني فلما وصل إليه قرأه وعرف رموزه ومعناه قطع الكتاب ورماه وصاح على من عنده من الفرسان وأمر بدق الطبول والركوب على الخيول وأما الأمير حسن فبعدها أرسل

رد الجواب دق طبول الكفاح وطلب النصر من الله الفتح ونزل هو وقومه
الميدان فنزل الزناتي وضاح وبان وقال لا ينزل لي ردى ولا جبان ولا يبدل
إلا أمير العربان فلما انتهى من كلامه صار حسن قدماه فقال الزناتي أنت مثل
وأنا مثلك فعندها التقى البطلين كأنهم جبابين وحان عليهم الحين وزعق فرق رؤسهم
غراب البين وداموا في قتال حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال وعاد كل إلى
مكانه ولما أصبح الصباح نزل أبو زيد إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل
إليه الزناتي وقال له من أمرك تفزل لحربي أنا طالب حتى أذيقه طعنى وضربى
فقال أنا أبو زيد أنا خصمك جيتك فمعد ذلك التقوا البطلين كأنهم أسدين أو
جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤسهم غراب البين حتى كلت منهم الساعدين
وتعنت منهم الزندين وبقوا على هذا الحال إلى وقت الزوال وفى ثمانى الأيام نزلوا
إلى الحرب والكفاح فأما أبو زيد أراد الحرب على الزناتي خليفة واسكن الزناتي
مالقى أرب فدار رأس جواده وولى هارب وللنجاة طاب فانسكر قومه
فداركه أبو زيد حتى وصل إلى مدينة تونس ففتح البواب للزناتي حتى دخل
وغلاق الباب فى وجهه أبو زيد فقام أبو زيد من عزم الركاب وضرب الرمح فى
الباب وعاد إلى قومه والأصحاب من بعد فرق خلفه وقتل منهم كل قوم طاق إلى
أن وصلت بنى هلال إلى بيت الأمير حسن ردار فيما بينهم من الكلام وشكروا
أبو زيد المهام ومن بعد ذلك مد لهم الطعام حتى أكتفى الخاص والعام وبعد ذلك
أشار أبو زيد يقول :

قال أبو زيد المسمى بقلب قاسى ليس يلين أبو مرعى اسمع قول وافهم قول لقول
أبو زيد سباح الضمن غفير البيض حى المسكين كم أمه أهلك وجيت لحيلة
عدى حين ملكك الشرق بعد السيف وعدنا فيها حاكين ما كننا نهد بعد السيف
وهذه حصون البنائين سبع قبائل شتتنا ولو امنها فرعانين ملكنا بهزم ذهاب أمه
زغى المغضومين أما حصن فيها سلطان حاكم فيها بالتمكين وسيفه طالى الأبطال
ولم أهوال قسامين وطاب العيش وراق البال وقصاصين بنات هلال جمال ظراف

كالغزلان العطشائين لما طلب السعد وراح جاتا الخيل ودام سنين خمس أعوام علينا
 دام متوالين جاني مرعى مثل السبع ويحي ويونس كالثعبان ثلاث شبان كالعقبان
 قالوا اتولس مشتاقين بسرعة السرية وقاضيت دموع البكاكين قطعنا جبال بجمع الليل
 سلكتنا أرض الرواضين ثلاث شهور نمشى ليونس جيتنا عيائين نزلنا في بستان
 قبلنا عبيد غضبايين وبعطونا وقد ساقونا عدا منهم فرحانين لاجابونا لعند الأمير
 الأمير نهرني وقال يا مسكين كيف جيتونا يا مكارأ ألم جيتهم جاسسين قلت له اسمع
 يا أمير تونس جئتنا طالين سمعنا في ذكرك يا جيد إنك تكرم على المسكين غضيب
 ودعا الجلاذ وجاء شيخ الجلاذين ضربنا مثل النار وأشتى فينا الحسادين وقال أشتقمهم
 يا جلاذ ودار غمر الفلزين شفعت فينا بنته سمعه وهاد الاعادي حيرانين وقال
 يا سعدة خديهم بمن السجائين راحت أخذتنا سعدة بقيتنا فرحانين قالت هري
 عيوي حبيبي دون الحبايين ركبت هجين أنا وسربت الهجانين وجيت لاجدي هذا
 الوقت لقيت هلال متعنا يقين قال حسن هربت الطعن وحفظ لضعفك ضعائين ملوك
 الأرض دهكتناها بالضرب وطعن الطعائين دخلنا الغرب وقام الحرب وحيت
 النار الشعائين وقام تسوق أبو سعدة ونادت أين الشربين وحسن يبرز إلى اللقاء
 حسن سلطان بلا بوهين برزت الحرب يابن العم تقول سباع وغضبايين بهندك لاجيت
 للميدان لقيت البنايين قلعت لنا أبو زيد اليك التعنائين على حمرا جيتك الحرب
 أشجع من صبح كعبين وهاج الحرب وقال القرب وأصله نار الوقادين وجاني عايذ مثل
 الغول ومثل فهد الفهدين طعنته في عزمي وطعنته طعن القتالين ثابته طعنة بالعرفان
 قطعت له اندرع المتين وثالث طعنة يا فرسان بشباب نار الشعلايين وثابعتنا في
 الأرواح تجار الحرب البعايين شربنا ما بعنا منه دليل البيع السرايين وغدا مرعوب
 أبو سعدة وحاله دون البوابين غلق أبواب خلفه وكانوا أربع بوابين ضربت الباب
 يعود صلب يسمى عود الثلاثين حديد قديم يقم سنين وكم حداد يحيى إليها تعود
 عينيه متقسمين فراح الباب ثمان كتاب وهيك دون العنارين

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه والامارة تسمع نظامه فقالوا يا ويلنا
 من بعدك يا أبو شيان ويا حاكم الاطعان لم يرجع الكلام إلى الزناقي لما تعرب من ضربة
 (١٥ - تغرية)

أبو زيد جاءت وقومه إلى عنده وقالوا له من الضربة التي ضربها أبو زيد خربت الباب
ثمانية كعاب فعاد الزناتي في حساب وأمر صعاب وجمع قومه وقال لهم كيف
الرأى ثم باتوا في بلادهم أما أبو زيد ثامى يوم دق طبله واستعد للقتال وطلب اللقاء
فدخل البواب إلى عند سيده الزناتي وقال له من ينزل إلى الميدان فقال الزناتي احضر
الأرباب من ينزل إلى عزرائيل قباض الأرواح ثم كتب إلى الأمير أبو زيد كتابا
وأرسله مع الوزير فلما وصل إليه أخذه وتوجه نحو صيوان الأمير حسن وأعطاه الكتاب
فقال بحيث أن الزناتي خليفة ذل من حربنا بعث له أن يعتق أولادنا من الحبس ويرسل
لنا إيام فراح أبو زيد يكتب إلى الزناتي ويقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	ولى قلب أقوى من حجر صوان
ولى عزم بالهيجا إذا قام سوقها	ولى طعن ماكن يكسر السندان
وكم من مثلك كان مجرب	يطعن يهد العزم راح مهان
من الشرق إلى الغرب راحت ملو	كهاوكم ذل لسيف أمير مع سلطان
خليفة تبعك الكلام تقول لى	هذا كلامك زور مع بهتان
لن كان ماقلته صدق مؤكد	اطلق لنا أولادنا من الآن
هذا مرادنا يكون منك ياملك	ونا منكم من ضرب هود الزان
فلو تزرع الحوادث يا ولد صالح	حصدت بداله أربع وثمان

(قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه طوى الكتاب ونشتمه وأعطاه إلى
المرسل فصار إلى أن وصل لعند الزناتي أعطاه الكتاب فحمد الله الذى رضى عنك
الأولاد فبعث الزناتي إلى بنته سعدة وقال لها اطلقي الحمايس حتى ترسلهم إلى أمهم فلما
وصل الخبر أنى سعدة إلى عند أيوها وقالت يا حيف يا أبى أنت صدقت كلام
العرب هؤلاء العرب ما بقوا يفارقوا هذه البلاد فقال لها والله لقد صدقتى لو عدنا
للجياة ما عدنا نرسلهم وكان تلك الساعة مرضى عندنا :

تقول سعدة بنت أمير تونس	وجرح الهوى قد عاقنى حبايله
جرحنى الهوى في قلب أماني	وشمال نار الجدد أشعل فتايله
أنا ما ضناني غير مرضى وذاني	فيارب تجمع شملنا وأواصله

طوله يشابه للرديف إذا متى متى تسمح الايام وانظر حمايله
 أنا خائفة يطلقكم وترحلوا لأن سلامة كل يوم يرعاه
 فان كان يرسلكم توخوا لاهلكم وينظر لكم حسن ويعنى بحمايله
 أنا خائفة يا بطل حربنا مع قومكم يفرح بمرعى حين ينظر حمايله
 ما قالت سعدة الهوى قد صابني على حب مرعى في فؤادي حمايله
 (قال الراوى) فلما فرغت سعدة من كلامها قالت لمرعى يحاربها ويقول :
 يقول الفتي مرعى بعين وجبة لها بين نور الهاجعين دراف
 لأن حبك يامليحة ذابني وجاني هواك والغرام صداف
 ولكن أبوك يامليحة أهاني بالحبس صرنا موجوعين ضعاف
 وان كان يطلقنا فلا يمنعنا حتى تروح لاهلنا وسلاف
 وأخبر حسن بما فلتني معنا أبوك بين الملا هراف
 ويوصل إلينا أبوك نخطبك منه وأعطيك خيلامع أموال ظراف
 هذا مرادى يا مليحة ومنيتي نريد الحلال وما نريد خلاف
 وأما نحنا فليس فيه تطابق لأنى أنا من نسل قوم شراف
 ولا بد نملك أوصكم وبلادكم وأخذك حقا بغير خلاف
 فلا نحمل إلا عرا وغاية المنا يداركنا الرحمن بغير خلاف
 فلما فرغ مرعى من كلامه وسعدا تسمع نظامه فبقوا على ما كانوا عليه أرفاق
 فلما نزل إلى الحبس وفي الليل نجيمه إلى عندها وتنام وإياه أما ما كان من بنى
 حلال لقوا أولادهم ما طلعوا إلى الحبس نام أبو زيد ودق طبلوه ونزل إلى الميدان
 فلما أحد جاء إليه فعار في جواده ودق باب تونس فرد عليه البواب وقال من تكون قال
 أبو زيد أريد سيدك حتى آخذ روحه من جسده فراح البواب امتد سنده وأشار يقول :
 قال خضر اسمع يا مملك قلبي احترق من الأمور بنار
 جهانا سلامه كأنه سبيع كاسر من فوق حمرة مثل طير طار
 وقال لي حارس لا كسر واسلك امرح الى سيدك وهات أخبار

قوم المحذر اليه وكون صارم واسقيه كأساً حنظلاً مرار
ولئن كنت ماترثل اليه أنا له أحبيب لك رأسه مع الأخبار
هات لي خورثاً ودرباً مانعاً وهات لي شيف يكون بناو
إن عانني ربي لأقطع رأسه وأقيم أنا من فوق راسي طار
قال خضر في كلامه صادق في وسط قلبي اليوم هبت نار
فلما فرغ خضر من كلامه والزواني يسمع نظامه فأعطاه دوع وسيف وخوذة
وقال له يا خضر إن كنت تقتل أبوزيد أعطيك مدينة معاف وأعطيك سعدة فقال
ياسيدي أنا أكفيك شرفه فبرز إلى أبوزيد فقال له من تكون من الفرسان حتى تنزل الميدان
قال له أنا خضر بن موسى فضحك أبوزيد ووقف يشوف ماذا يريد فأشار خضر يقول

يقول خضر بن موسى الذي شكا
تري خليفة ما عاد ينزل لمثلك
أوعدني إذا جيت له رأسك
وجيت اليك اليوم لكى أقاتلك
الأيام كلها أما تجي معك سعادة
والإبطال يا أبوزيد كلها سوى
أنت أبوزيد وأنى خضر باكر
رد أبو زيد الهلالي يقول له
حرق الزواني من فعاليه
نزلت الميدان للزواني أقاتله
يا أيها الرجل الذي جاء لحربنا
إن كنت فارس من خيل بني حر
إن ما يلتقي إلا خليفة أميركم
تكاونت أنا وإياه في حومة
قد أرسلك لأريد إلا هلا

أنا للزواني يافتي بواب
ولا يلتقيك يافتي بحراب
يعطيني ستحق بغير عقابه
ولا بد مني ما تدور عذاب
يوم به خير ويوم تكاب
هذا فارس وهذا صعب مراب
لا شك في أنك قلت صواب
احترقت بناو القلوب احراق
وكان علينا باغيا مراق
لا بد مني ما يروح حقا
حرق في بحر ماله وفاق
بك لأنك أنيت إلى الحرب مشتاق
لأن الزواني فارس سباق
لو غالروا ما دخل قصره وراح عاق
كك تضحي قتيلا تحت تل طباق

(قال الراوى) فاطموا على بعضهم فقام أبو زيد وحرك الجواد ولاطف إلى أن حصره وطسه أماره تحت الحصان فقال الخضر أنا نجيرك يا ابن الأجاويد فقال أبو زيد قم اشلح عدة الحرب ما تستاهل القتل لأن ما عليك مقدور فقام البواب وعاد وهو يبكي حتى وصل إلى عند الزناتى فقال كيف حالك مع أبو زيد فقال يا مالك الزمان كانى رايت مقام أحسب الحرب مثل فتح الباب وغلقه وواح يخبر الزناتى فاستدعى بقلم وقرطاس وأشار يقول :

قال أبو سعده الزناتى خليفه	ازدادت ممومى اليوم ثم النكايد
جفتنا إهالى العز صارت رزبه	ولا عاد تأيننا لىالى السعايد
أنازل عنيد فى حرب بلادنا	من وقت ما جانا أبو زيد رايد
ففتقه عنوا وحالا فقد غدا	وجابت ألوانا من قروم حفايد
حسرتى سلامة حسرة وهى حسرة	ولا لى على حرب الهلالى جلايد
أيا غاديا منى على متن ضامر	تجد الثرى فى قربها والبعايد
إذا جيت الهلالى سلامه	فاخبره عنى أكيد النفايد
وقل يا هوز قيس وعامر	يا من على الأجاود فى الجود زاييد
سألتك بحق يا أمه حيرتى	لديك إذا ما كنت للدين رايد
لأنك تعفو عن قتال وترجع	يشالك طرى من طيبسات
وأنا عتيقك يا أمير سلامة	وكسب الثنا والجود هو لك هائد

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى من كلامه طوى الكتاب وأوصله مع عبده إلى أبو زيد فأخذه وصار إلى أن وصل فركع وباس يدا أبو زيد وأعطاه الكتاب وأخذه أبو زيد وقراه وحرف زموزه ومعناه وأخذه لعنه الأدهر حسن فقراه أيضا ثم فى الحديث إلا وعبد من عند السلطان حسن اسمه غازى كان راح ودار بلاد المغرب الجوامى من يوم دخل بلاد الزناتى لأن بلاد المغرب الجوامى تسمى الشقور وفيها سبعة ملوك كل ملك يركب جماعة ألف خيال وأرجع وأبند أبخه الأسياذ يقول :

عنا قال التنى غازى يا ملك جيشكم عساكر مثل بحر طافح

جونا ملوك المغارب كلها من فوق خيلا صافات قوادح
قد وحلت بلاد الغرب ورأيتهم فانها كما رف الجواد السامع
أرسل أبو سعده جابههم أتوه نجدات من بعد المطارح
من لم يقاتل عند غرضه يقتل الجند لا يرضى فعل القبايح
(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والامارة يسمعون نظامه قال أبو زيد
ارتحوا على جميعهم وحدى ثم أنه به فرسانه وراح إلى صيوانه فقام السلطان
حسن وراح لعنده وقال يا أبو زيد أنت ذاهب وأنا خائف من الزناتى يجيئنا ويأخذ
حق الله منها قال أبو زيد أحط لىكم راية حرام على باب تونس فلا يطلع اليكم
ما دام الهوى يلوح بها وتمشى بالليل وتندق طبل حتى تلاقى وترمى فيهم الرمح
فعاد الأمير وأما من أبو زيد صبر إلى الليل وركب هو وقومه بنى زحلا ومضوا
نحو ذلك العدوان مقدار سبعة أيام حتى وصلوا إلى موضع فيه ربيع ومياه فقال
أبو زيد حولوا الخولوا وفرشوا الحرام فنعس أبو زيد ونام وتوقع أن ذلك على
وكر تعبان فطلع وضرب أبو زيد في فخذيه وانقلب وأرمى سبه ففاق أبو زيد من
ضربة الثعبان وقال بصوت من صميم الفؤاد يا جواد فر كضع على اخوانه فبحشوا
على الثعبان قتلوه وإذا هو عشرة وعاد في قلب أبو زيد لهيب النار وعاد القوم
في أكرهم خلوا وعادوا به إلى البيت فقامت عياله بالبكاء والنواح على هذا
الأسد المسموم وصار النكاب في بنى هلال فعرف السلطان حسن وخاف من
الزناتى وأما منه لما عرف أن أبو زيد مسموم ودياب غائب قوى عزمه وفرح
وبات مستعد على حرب بنى هلال وأشار يكتب إلى السلطان حسن يقول :
يقول أبو سعده الزناتى خليفه وقلبى عليكم يا هلال حقوم
قتلت رجال فى المجال غصيبة وعاد دمام فى البلاد يدوم
قتلت أخى البهيمى غد وبوقه وهو كان ضد الظالمين عنود
ولى طار سائف من هود قديمة طارء عندكم من زمان حدود
واقه لا جرد عليكم صاكر واحشد عليكم الانام حدود

وأسر حلالكم وأخذ أموالكم . وأبدل لطيب عيشكم بنكد
أنا أبو سعد أنا قاهر العدا . ولئ في تعالى يا كرام شهود
شهودي تهودي والقائم صارمي . بيض الدماري راحيات جود
يا أبو على قوم التقي بلا بطلا . وتروح من سبى طعام اللدود
خمسائة ألف مائة جموعنا . عليهم من الزرد للتين بنود
يا أبو على ارحل بصفتك من أرضنا . وفوز بنفسك تبلغ المقصود
ها لك عندي إلا الطعن والقنا . وضرب يشيب هامة المولود
فان عاني ربي سرياً أهلكتك . واعقد عليكم كل يوم حقوق
أنا أبو سعد الرئائي خليفة . هنيئاً لمن خالي عنا وحقوق
(قال الراوي) فلما فرغ الرئائي من قوله طوى الكتاب وأرسله إلى السلطان
حسن فلما وصل إليه كتب له الجواب فأشدد يقول :

يقول الفتي حسن الهلال أبو على . مثل العمرنا بشدة ونكد
مضى عمرنا بالظن والضرب . والفتن — ازمان مضى ما عاد ظن يعود
من عهد إلى تونس قهرنا ملوكها . وكم جيش سلطان غدا مطرود
ما عاد غمك يا زباني مصادم . كم واحد غدا بمدود
غدا والله ينصف ما بيني وبينك . أجيك بدرع من عمل داود
وجرد لسيفي والقنا صارمي . وحوله شباب يهيجون عهود
جاءه وغازي يابن مدكور فيهم . على خيل ضمير بالطراد تجود
أنا حسن المسمى بن صرحان أبو على . أنا للأهادي حنظلا مهود
أنا سمكة أنا لوحة البلا . يوم يهجر الرين منه حسود
وأنا ما أسيبك يا زباني خليفة . ولا عن قتلك عاجز مطرود
ما قام انتظر الريشات فعل أبو على . له في صدور المدرعين قيود
غدل الفتي حسن الهلال أبو على . يا سعد من لا شاف يوم نكد
(قال الراوي) فلما فرغ السلطان حسن من قوله طوى الكتاب وأعطاه إلى

الضباب فأخذه إلى مولاه وأعطاه إياه وقرأه وعرفه وعوزوه وهفناه ولما أصبح الصباح
 دق طبله وركب وأطلق الفأرة على بني خلل فركبته بنو خلل خيولهم ودقت الطبول
 لهم فالتقى الفريقين وانحطت العين فبرز الزناتى إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان
 فبرز إليه السلطان حسن والتقوا البطلين كأنهم جهلين وطار من تحتهم الغبار حتى
 سد منافذ الأقطار وقد حرك حوافر الخيل نار وانكسرت بينهم الرماح والطبول
 والسيوف الثقيل وكلت منهم الرنود وزعقت منهم الجهود وبقوا على هذا الحال
 حتى دق الانفصال فافترقا على سلامة وباتوا إلى الصباح يتحدثون فلما أصبح الصباح
 وضأ بنوره ولاح وطلمت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح فبرز الزناتى إلى الميدان
 وبحال ضرب الطعان فأراد السلطان يبرز إليه فنعه قومه الأماره وقالوا نخاف
 عليك من الزناتى وأبو زيد ملسوع ودياب غايب وإن صار لك حادث تروح بنى
 خلل سراً في الجبال فقام الخفاجى عامر وطلب الزناتى فنعه حسن وقال أنت نزيل
 هندنا والنزيل ليس له حرب فقام الخفاجى وأقسم يمين عظيم أن لم ينزل الزناتى
 يرحل بقومه عن بنى خلل فتركة وثنائى يوم دق الزناتى طبله إلى الميدان فبرز إليه
 الخفاجى عامر فالتقوا البطلين كأنهم جهلين وزعق فوق رؤسهم غراب البين وفي
 اليوم الثالث كل الزناتى وولى هارب من قدام الخفاجى وكان عند الزناتى خطيب
 يسمى مطاوع فقال الزناتى يا كرا نزل إليه وأما مستخبي بين الزود وإن انكسرت
 قدامه فيلحقك حتى يفوتنى فأجبله من وراه وأطعنه من قفاه وأعدمه الحياة وأما
 من الخفاجى فانه رأى مناما أن قدام بيته شجرة طويلة جاهها نجار قطعها وحفر
 شلوשהا فقام من منامه مزعوباً واستدهى دواية وامرأته قال لهم عن منامه :
 يقول الخفاجى والخفاجى عامر رأيت منام منه عقى طار
 رأيت شجرة ثابتة في وسط دارنا قطعها سرىما يوسف النجار
 وقدم منشكه وحفر شلوשהا وقطعها بالاقادوم والمنشار
 وأمس أرسل الزناتى يقول لى كلاما أكيدا وضع الأسرار
 يقول لى يا أمير اترك قتالنا وبطل عنا جملة الأضداد
 وعدنى بالمال والملك والمطاوع غنى فى معسدين واهجار

غما ودت في هذه العطايا دوايه وارمت في قلبي لبيب النار
 يخاف أنهم حسبوا احسابي جميعهم ولحوم الزناني كلهم مكار
 لان منامي يا دوايه راغبي وارمى في قلبي لبيب النار
 ولكن مهما يفعل الله جاوراً الله تعالى واحد قهار
 قال المسمى الخفاجي عامر من ذا المنام بقيت كالخنثار
 ردت دوايه بكت عامر تقوله اترك خلية لا تزيدن اثراو
 أنا خائفة ذا المنام بعيبتنا ويرمى لنا بالهم والاضراو
 تخاف عليك من الزناني خليفه لانه امه بالملا غداو
 لم سطوة بالحرب ما شفت مثلها يشبه لسبع الفلا غداو
 ما شفت قوم هلال ليما جرى خلى دماغم على الوطا فواد
 فاهجم ولا تمنع واقعد وامتد يا مصعب الفرقة وبعد القاد
 ما قالت دوايه والبكا حيلها يا حسرتي ان راح عن الدار
 (قال الراوي) فلما فرغت دوايه من كلامها وابوها يسمع نظامها قال يا بنتي
 اذا ركبوا بني هلال فاذا يكون الجواب وأنا خائف عمن اني احارب الزناني عشرة
 أيام فقالت له عمل ضعيف بمذكرك بني هلال دقوا طبولهم وركبوا خيولهم
 وفقدوا الخفاجي عامر فما وجدوه بينهم فسألوا عنه حسن فقالت الجازية أنا أروح
 اليه فراحت تلاقى دوايه قائمة تبكي فسألها عنها قالت أصبح مريضاً فرجعت أخبرتهم
 فقال حسن الخفاجي أسمي عمن أنه يحارب الزناني عشرة أيام وحاربه ثلاثة أيام
 بقي عليه سبعة أيام فكان حاضر أمير اسمه ظريف محب في الخفاجي فقال أنا أروح
 اليه أنظر معانيه فراح إلى عند الخفاجي فلما وصل كان نائم جلس على حفيظة وقال
 له حول يا خفاجي حول عن جواده فسأله عن حاله فاشار الخفاجي يقول :
 قال الخفاجي وله ديرغام عامر يا ظريف حول تعالى أضيف
 وحيل ارتضى مني يا أمهروا نقطع وهاد جسمي يا أمه تليف
 مرهوب مما نظرت في منامي وقد عدت من هذا المنام رهيف

وأيت شجرة طالعة وسط دارنا أنا كل هرس نائف وظيف
جانا يجرى وقطع غصونها وأحرقها بمشواره تحريف
وشفت الزناتى راح منى هزيمة وكنت عليه بالطراد جنيف
خايف يكون دبر علينا حيلة ومهما تشوره ما به تخليف
فرد المسمى ظريف وقال له ألا يا خفاجى لا تسكن غيف
شد واركب الزناتى وصادمه وأخاف تصيح بين الانام غيف
يا أمير إن العمر من واقع السماء مكن علينا ليس منه غيف
ما دام لك أجل ما قط تقتل ولو كنت نازل وسط بحر مطيف
حياة الفتى موته بظهر جواده يوم يكون الريق فيه لثيف
يقتل يكسب الحد والثنا يبيض امرضه وثناه نظيف
انهض ولا تخشى المايا جميعها وإلا غشيننا بالذل والتخوف
(قال الراوى) فلما فرغ ظريف من كلامه والخفاجى يسمع نظامه وبك كالأسد
وشد على جواده وتقلد بالحرب والجلاد وسار مع ظريف فعندها زغردت البينات
ودقت الماريات وحين شافه الزناتى أنشد يقول :

يقول الزناتى من فؤادى معمر نيران قلبى زایدات وفودها
أما الخليفة بالحروب مجرب لى سيفاً بالخيل أنا راددها
ألقى ألوف الخيل مائى خايف أبطال تعرفنى بيوم طرادها
أجول حربى وحين طرادى وتريد فى حربى ترى انسكادها
ابشر بقصر العمر جالك وأكد لا بد ما تسكن عقيق طرادها
رد الفتى المسمى خفاجى وقال له نار الحرب أنت قائم بشرادها
أرسلت لك مکتوب كون صديقى وتمطينى تولى وكل جدادها
ما أرد اخون العيش يا أبو سعيد أخاف ترخص عندنا أسعارها
أولا أكون الخفاجى عامر فى جاء صغارها وكبارها
أصبح هزيل فى هلال مسخ ويكشفون هروضها وصخورها

لكن اليوم جهنت إلى حربك لا بد أسقيك كأس مرارها
فلما فرغ من كلامه التقوا الفارسين في حرب وصدام وساروا في حرب شديدة
يفتك زرد الحديد فافتك هزم الزناني من شدة حربه فولى هارب والنجاة طالب
وحكم ضربه نحو جناب الورد وكان الخطيب كان من بين السجاي وهاك الريح
بيده وإذا بالزناني والخنفاجي لاحقاً فطلع الخطيب طعن الخنفاجي بين كتفيه خرج
يلدع من لوجه فرماه قتيل وفي دمه جدل فغار الفريقيين والنجموا الطائفتين وصاح
على رؤسهم غراب البين وأما ظريف صديق الخنفاجي فقد شوش عليه فاحق الخطيب
وطعته بالريح أصاب الجواد ورماه على الأرض فرد الزناني إليه وخلصه من بين
يديه وركب الجواد ولا زال بينهم القتال حتى ولي النصارى فافصلوا عن القتال وامتلأت
الأرض من القتلى وأخذ الظريف خنفاجي عامر إلى بيته ومدده فأشار يقول :

قالت دراية دموع من مآقيا	ليران قلبي من يقدر يطفئها
جاءت طليبا سليما من نواتها	وأستقت لعامر شربة من أرائها
فأبكت دواية دموعها لأنجل والد	هابنت الخنفاجي من يقدر تيكها
يا حيف رحنا ما شفتنا منازلها	يا حيف يا بدار العز نخلها
أنا دراية أبو عامر الماحد	أشد المسكارم وقد شيد مجاهدا
قد كان ملك في أرض العراق	له كم كربة من موم الدهر يجليها
يارمي البين شتبه بمومنا	حول الليالي تجهزنا لياليها
حاله مطاوع على شبه مبرشة	نضبه لريم الملا السرج عليها
طعنه بحربه طول الليل يسقيها	راح عامر طريح الفراش سالها
جاءه ظريف سريع من فوق سابقه	ضرب مطاوع ضربه جامدة فيها
واضحى والدى بالعري منظرها	أطن عدنا الأرض والشرق تغنيها
من ذا الذي يوصل الأخبار لآما	فما وعلام عامر ترى من عاديهمها
ما قالت دواية ونار القلب مشتملة	على أنوما وعربها وتاليا

فلما فرغت من كلامها أفاق أبوها من غدرته وأشار يقول :

بدمع جرى لا أظن مثله مدامع
 يهب لها جوا خلوصي لدابع
 من المحل جابته بروق اللوامع
 وخلي في وكره فروخ الجوازع
 يمنع حتى ما ترى الوفد جامع
 وراح على ذكره مديد آل سابع
 امال عن الأجواد إن كنت ضايع
 بلاد العديب حولها السم ناقع
 على كل طافح برعب الخيل قارع
 بالروح ما هو بالمسهمات القوائع
 أيضا طيور قد تمجينا تواجع
 تمجني وتأتيني بفعل رواجع
 فأوصي ظريفا يجعل القبر واسع
 عسى الخمر منهم يحبيكم مسارع
 بلادى بعيدة سهلها والبقائع
 ينتظروا رجوعي ولست براجع
 دعوم بعدى يسكبون المدامع
 ولذك عامر عكده به مطارح
 دول يتامى مالم من مدافع
 يعطيك ربك عاليات المواضع
 تسما إلى الدهر الذي بك مطالع
 ونهيض بأرض العراق المواضع
 يرضوا علينا في صلاة الجوامع
 فهو واحد وماله من ينافع

يقول الخفاجي بن درغام عامر
 نيران قلبي كلما أقول تنطلق
 كأماثل صقر زاييا تحت عشه
 نحس وكره لما طلع من بلاده
 ييات ويمر طالب الصيد العلا
 وإن كان هذا الطير ضييع وكره
 إذا جفاك الدهر يوم بقربه
 ولا تنزل إلا في بلاد رتيبه
 وشبانها تنقل السيف مع القنا
 وشيوخها ترمي ألعدا في المهالك
 تقولوا للطير الذي في بلاده
 ما جاك يكسب الخد والنشا
 ياد رواية إن كانت دنت منقبي
 حرمدموق ابعثوا الكتب لاهلنا
 ولا أظن خبر يأتيك من بلادى
 أبى وأمى كيف ترى حالهم
 ولا ولد من بعد منى بقى لهم
 وقولوا لهم عظم الله أجركم
 أوصيك يا حسن يا هلالى
 أنت شفق على اليتامى وعسن
 يا أيها الطير الذى طار بالفلا
 فأكل ربيع بأرض مصر وزرعها
 سيلم على أبى وأمى وقل لهم
 جواشهد أن الله لا رب غيره

وإن محمداً عبده ورسوله نبى أنى برحمته عاد شافع
أودعتكم الله وبى وخالى ولانى قريت مالها مبالغ
وهذا مقالات الخفاجى عامر والروح من رب الخلاق ودائع
فلما فرغ من قوله شق شقة واحدة سلم الروح لله وكان حسن سامع كلامه
فقام عليه الصياح والتفت عليه العربان من كل ناحية حتى أملاوا الروايب والبطاح
وكسروا عليه السيوف والرماح وغسلوه وكفنوه وواروه بالتراب يرجع قولنا
إلى الزناتى فإنه دق الطيلة ونزل الميدان وطلب مبارزة الفرسان فأبرز اليه أحد
فقام حسن وقال علامكم يا بنى هلال ما أحديبرز للزناتى فاحدودله جواب فقال
القاضى مرادى أكتب أوراق توضعهم فى جواب والذي تطلع ورقته ينزل غضب
عن رقبته فقال هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب فكتبوا الأوراق ووضعهم
فى الجراب ومد القاضى يده وشالها فقال ورقتى فقالوا انزل اليه فقال حضروا إلى
قبر الخفاجى لأن أجلى قد دنا وحل أو تحالى عن هذه الدنيا ولكن أمر الله مأمته
مهرب فقالوا له إذا لزم الأمر ما لنا من زيد ولا عمرو فقام اشتدوا عند وأمرى العامة
عن راسه ونزل الميدان فقال له الزناتى من تكون من الفرسان قال أنا قاضى العربان
قال له قاضى وتعرف الحق من الباطل وتجهل حربى وتزول فاشا ويهدده ويقول :
بهذا الجزء قتل الخفاجى عامر يا خيانة والخندرو ما حصل له من رجال الزناتى

تمت هذه القصة ويلها قصة القاضى بدير

قصة القاضي بدير

ابن فايد وحرب مفضل مع الزناتى خليفة وقتله بالغدر
والخيانة وشفاء الأمير أبو زيد من لسعة الثعبان على يد
سعد بن الزناتى خليفة وحضره الأمير دياب وحربه
مع مكحول وأبو خزيمة إخوة الزناتى خليفة وشجاعة
بني هلال أمام رجال الزناتى خليفة

(قال الراوى) لهذه السيرة أن الأمير حسن بعد قتل الخفاجى حاصر وجد أن
قومه ملوا من القتال فعمل قرعة وأمر القاضي أن يخرج ورقة فأول ورقة كانت
باسم القاضي فأخذها ونزل إلى الميدان فلما رآه الزناتى وبخه على ذلك وأشار
يقول وعمر السامعين يطول :

قال الزناتى من فؤاد الكرى	سيفي قمى فى رقاب الظالمين
كل الفوارس حنتها يوم الرغى	جميع قوم هلال منى خائفين
خافوا جميع هلال من طعناتى	من رعى يفسح الصخر المتين
جروا هلال يملكون بلادنا	أيضاً وقد كانوا منى مستهزئين
لاقيتهم بسرعة بجيش عرمم	ودعيتهم بأقصى البلاد تامين
وهفت منهم كل قرم غششم	عادوا الامارى من حسامى هالكين
ألا يا بدير أنت رجل قاضى	كيف تتبع الرجال الجاهلين
أنت قاضى الشرخ ما بين العرب	تقرأ كلام الله والعلم المبين
كيف حال قتالنا فى شرعكم	عن أنتم يأمره مسلمين
قال الزناتى ما بقى لك مسلك	وقعت فى حربى وما جادك معين
رد القاضى بدير وقال له	يا خايفة كن فى قولك وزير
نحن بشرح الله نصحكم دائماً	نهدي جميع الخاق للحق المبين
لما جاءنا الحبل زاد بلادنا	وقد غشانا الحبل فى هوجد الستين
ساعة سنين ما جاءنا قطره	ولا زرنا برق ولا وعد مبین

فما بعثنا الأمير سلامة رفاقه ثلاث شباب مجريين
صاروا يرووا في البلاد جميعها كل البلاد أتوا إليها راكدين
ما أحد يعارضهم في كل الطريق إلا أنت حبستهم يامتنين
فأرسلت تطلب من أبو زيد هلا بهم جمال ورام مع ذهب ثمنين
ما وخيلنا الذل ترسل لك أموال جينا لأرضك يا زناقي واحلين
وأنت تخوفنا بحربك والنزال أين فابعد قد غدا مني طعين
قال الفتى المسمى بدير العابد لا بد أدهيكم جميعا مجندين

(قال الراوي) فلما فرغ القاضي من قوله والزناقي يسمع نظامه وقع فيما بينهم حرب
شديد وضرب يقطع الزود التضيق مقدار نصف ساعة فقام الزناقي في عزم الركاب
وضرب القاضي بدير على كتفه الأيمن شقعه نصفين إلى الخاصرة فوق القاضي قتيل في
دمه جديل فلما رأوا بني هلال قاضيه قتل التفت الرجال بالرجال حتى جرى الدم وسال
وقاضى الروابي والتلال ومازوا على تلك الحال إلى أن ولي النهار وأقبل بالانسداد
ودفع طبول الانفصال فانفصلوا العاقتين عن القتال وحملوه إلى بيته وقاموا عليه
الصباح وكثر النواح وصارت عراء كأنه يوم القيامة ووقعت الحسرة والندامة
فقال حسن ما ينفع الميت هذا العديد لكونه شيء لا يفيد ففسلوه وكنزوه وفي
التراب ودوه وعاد بنو هلال في حضرة على القاضي وثاني يوم دق الزناقي طبله وبرز
للميدان وطلب مبارزة الفرسان فقال حسن هاتوا الجراب لحابوه تقدم مفضل
أخو القاضي بدير ومد يده طلعت ورقته ليس آلة حربه وبرز إلى الزناقي اتعالموا
الفارسين في حومة الميدان وبدأ فيما بينهم الحرب والطعان ومازوا في كر وفر حتى
صار عليهم النهار وسدت منافس الأنظار وقد حصد حوافر الخيل نار وقد داموا في
الحرب والصدام مدة أربعة عشر يوما حتى انذهل الزناقي من حوب مفضل فضرب
حيوان وقال لشومه من منكم يقتل الأمير مفضل يا فرسان وأشار يقول :

يقول ابن الهران الزناقي خليفة ويا ما قطرت عيوننا من نكادها
والسعد قد ولي وراحت أرواحنا وقد راح من طيب الليالي وقادما
ليسأل قطعناها بخس ونعمة حكمت المغارب مع بلادها

ولكن رد السودى بالرأى ضررى
وجانا أبو زيد كان مجرد
واضحى يطاردنى بميدان حرب
وبعدى قتل قوم هفيتها
أنا كل ما جاني أمى بداه
يا قوم أعجبنى مفضل بحربه
كنت أول مثل أبو زيد بينهم
ان كان فيكم يا قوم من يحاربه يذ
يؤزل إلى الميدان يقهر مفضل
أعطيه منى ما يريد ويشتمى
ما قال الزناتى خليفه
(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى خليفه من كلامه والخطيب معارح يسمع لظامه
قال أنا أول إليه وما يتفضل إلا الخطيب ولما أصبح الصباح لبس الخطيب آلة
الحرب والقتال وبرز إلى الميدان فنزل إليه مفضل وقال له أين الزناتى فقال أنا
جيت بالنياية عنه
فلما التحم هو والخطيب ووقع بينهم الحرب والظعن والضرب وقد تقطعت
في أيديهم الرمح واختلف بينهم ضربات شديدة قتله فكان السابق الخطيب ضرب
مفضل بالحمام على هامه حط رأسه قدامه فلما رأت بنو هلال قاضيه قتل التحم
المجيشين وزحف فوق رؤوسهم غراب البين وأما بنو هلال فأخذوا مفضل قتيلا
من بعد ما راح منهم خلق كثير وأما الزناتى فعاد في غاية الأفراح وزالت عنه
المحوم والاتراح اسكن بنفقه سعد ما هان عليها بقتل مفضل وكان عند أبوها حكيم
اسمه فتوح فاستدعته لعندها وقالت له أريد منك دوا يبرى السقم من لسع الثعبان
لأنى عندى جارية انقرصت فحبب لها دوا يقطع آثار السم فاستدعت عبدا من عبيدها
وقالت له خذ هذا الخنجر وأعطيه إلى أبو زيد ولما كان نخل أحديدرى فيه وائه
منى كل ما تريد فاخذه العبد وأعطاه إلى أبو زيد ورجع فشرى أبو زيد دوى قليل

منه فبصر لوقت وساعة الحال دقت الطبول وزحفت الزمور وذهب إلى بني
 هلال الحموم والكدر فسمع الزناني وعرف أبو زيد اليثاني من يبرز مشكك فقال
 الخطيب أنا له وألف من أمثاله فبرز الخطيب إلى الميدان وعرض وبيان وطلب
 الفرسان فبرز إليه أبو زيد ثم التقى البطالين كأنهما جبليان وحن عليهم الحيز وزهق
 على رؤوسهم غراب البين مقدار ساعتين فقام أبو زيد في عزم الركاب وضرب
 الخطيب بالسيف على هامه حط رأسه قدماه فلما رأت قوم الزناني مطاوع قتل
 وفي دمه جديل ولوا هاريين وإلى النجاة طالبين فاحتمهم أبو صبره وبني هلال
 ودعوا منهم القتل تلوا وجابوا خيلهم وعددهم وعادت بنو هلال لعند حريمهم
 بالمر والاقبال وأما أهل الغرب فوقع فيها الدل فعند ذلك أرسل خليفة الأخبار
 إلى ملوك الشقور وكانوا سبعة ملوك وكل ملك يملك ألف عنان وأرسل يقول
 لهم أنه قد أتانا عساكر وعربان ومعهم مكاسب لا يمكن يصفها إلا بآداب
 الآن لنا خلد في حد السيف والسنان فلما وصل الخبر إليهم جاءوا عساكرهم بالحال
 فحشوا من يومهم فتواردت أخبارهم إلى بني هلال فقال أبو زيد على فيهم وحدي
 يعون الواحد القهار وأشار بهذه القصيدة يقول :

قال أبو زيد الحجازي سلامه	اصغوا لقولي يا جميع هلال
طمعوا بنا الأعداء جميعا واعتدوا	وجاهدنا فيهم بحرب طال
قتلوا جنود الدريدى وهامو	فرسانا واحوا بمحد اتصال
أنا كنت ملسو حاما من الحرب قاصر	أدنى وجع في العسر والانسكال
لما الفرج قد جانا من رب السما	ذهبت عنى الأوجاع والأهوال
نزلت الميدان الزناني أصادم	من الصبح ناكرا طالب الأبطال
أسرع وبارز الخطيب مطاوع	فغدا مطوح فوق تل رسال
وجهه فرسه خلف منه جنبه	والدمع فيها على فراقه سال
يا قوم هموا ثم قوموا واركبوا	متين ألف ثابتة في الحال
اقصد ملوك الشكور ثم ليبدم	قبل أن يضيقوا على هلال بحال
لا بد ما أضر جميع ملوكهم	ونقم جميع جهالهم وأموال

وأنت يا حسن الهلال أبو علي هذا الزناتي حار في الأموال
 قوم غيبه فاحذر حربنا ولا تولوا من القتال ذلال
 وإن زحمتكم أرسلوا إلى بلاد بطا أحمى وادعى القتل دلال
 ما قال أبو زيد الهلالى سلامه لى قلب يشبه صخرها ورجبال
 (قال الراوى) فلما فرغ أبو زيد من كلامه دعوه له بنى هلال بطول العمر والبقاء
 وركب فى قومه بنى زحلان وأخذ أولاده معه غنجر وشيبان وأخذ معه من بنى
 زغبة الفين هنان وساروا إلى ملتقى الملوك ثلاثة أيام وثلاثة ليال حتى وصلوا إلى
 وادى النصور وكنوا القوم فى الليل ولما أصبح الصباح أقبلت عليهم الجيوش مثل
 القمام فعندها التقى الفرسان وركب أبو زيد فى أولهم والتقى القومين فعندها صاح
 أبو زيد بصوت ومال فيهم على الميمنة وشيبان وباقى القوم على الميسرة حتى خلوا القتلى
 قتلوا والدم نهور وقتلوا السبع ملوك وجيوشهم وكسبوا خيولهم وأساحتهم والجمعوا
 فيهم أساءهم فعندها علم أبو زيد عسكره ونزلوا وربطوا فى الوادى خوفا من غيرهم
 فهذا ما كان من أبو زيد ورفقاءه وما جرى لهم فیرجع الكلام إلى الزناتى فلما
 بلغه الخبر دق طبله وجرز إلى الميدان فیرز إليه زيدان بن هاشم شيخ القصاب فقال الزناتى
 من أنت وإلى من تنسب من الفرسان فقال الأمير زيدان بن هاشم .
 فلما فرغ خليفة من كلامه وقع بينهم الحرب الشدیدة ذاقوا الجهاد إلى آخر النهار
 حتى دقت طبول الانفصال وثانى يوم وثالث يوم كذلك فجاء الأمير زيدان بالطرد
 فول خليفة هارب وزيدان وراه إلى باب المدينة فقفوا الأبواب فى وجه زيدان
 وكانت خطيبة زيدان معه وهى بنت عمه واسمها ضيا فلما تراحت القوم من جفل
 هودجها وراه فأخذوه قوم الزناتى ولما رجعوا من القتال أمر الزناتى أن يحضر
 ضيا إلى عنده وأمر سمعه أن تبقى ضيا عندها وتحفظها وأشار يقول وعمر
 السامعين يطول :

يقول ابن مهران الزناتى بلاخفا أما فى المدام فرح العين لونها
 حل ماجرى بينى وبين أهل عامر فرسانها لو قاتلوا فى جنوبها
 كل يوم أذل أمير وأكیده وأقول ما عدا أحد يصونها

يصبح يكلونى أمير وثائق وازداد علينا وأكثر من ألوانها
جاء فى القتي زيدان من أصبح باكر ضربناه بالدرع أروت سنونها
زيدان يده به أبو زيد بالوفا وطعناته تلك التى تعرفونها
ولا نظارت مثله فى ملال وعامر يشابه لقرخ الباز عند شبنونها
تلقاه ببحر السرج يقاب الرطا يبقى يشابه الذى يحسبونها
ترجع ببحر السرج كأه حامة مبرقة ما بان منها عيونها
ولى ثلاث أيام أقامى حربه عن الصبح حتى الشمس يصفر لونها
ضربنى ضربة من يمين صبيدع قطع زرد درعى بطعن سالونها
(قال الراوى) فلما فرغ خليفة من كلامه وبنته سعدته تسمع خالا أو ساعدتها لان
همها أو صاحتها اندأه لها أو ما خليفة قتال لقومه كيف رأيتم يا فرسان من منكم بلغنى
طرد زيدان وكان لخليفة ابن أخت يسمى مطاوع فقال يا خال أنا له فقال خليفة أنت
أنت من رجاله ولا تقدر تلقاه فى محاله فقال صدقت يا خال لستك دعنى اعمل ما بىد الى
فاخذ مطاوع رجال وحفر له حفرو غطاها من الغد فى خليفة طيله وخرج الى الميدان
فخرج اليه زيدان فالتظم الاثني كما هما أسدان كاسران وحان عليهم الحين وصاح فوق
رؤوسهم غراب البين فأراد زيدان يضرب خليفة بالرمح فولى خليفة وهرب الى نحو
الحفار فجرو ورواه زيدان فوقع فى الحفرة هو والحصان فرجع له مطاوع وضربه على
حامه طبت رأسه فداعه وأرسل رأسه مع رؤوس الأمارة على شور تونس فاشتبك
الفرسين وأطبقوا على بعضهم الفريقين حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال فرجع
الفريقين وابتوا الى الصباح وثائق يوم رز الزناتى للميدان وطلب مبارزة الفرسان
فبرز اليه بدر بن غانم فالتحموا فى الحرب التحام وصار بينهما ضرب شديد يقطع
الزود الضيد الى نصف النهار فوقع بينهما ضربتين قاطعتين وكان السابق فى الضرب
الأمير بدر ضرب الزناتى بالرمح فخلامته وثنى عليه بالسيف فأخذها بدرقة الولاد
وثلث عليه بالدبوس فخلاعه ببراهته وكثرة شطارتها فاعتدل الزناتى على ظهر الحصان
وضرب بدر بالسيف فقطع رأسه وأرسله الى تونس فوضعوه مع رأس أخوه زيدان
وكان لبدر ولدين واحد اسمه عقل والثانى نصر وكانوا أفراس أهل وقتهم وأجل

أهل مصرم فقال عقل لا بد أن أقاتل الزناني في غد وكانت والدته الأولى داخلة الساطن
حسن تسمى هولا فسمعت عقل يقول ذلك الكلام فعزت الديان وجهها وخافت
عليه من الزناني لأنه بطل مغوار وأما متى غلب يدبر حيلة في قتل من نازله
فأشارت هولا تنهى عقل من حرب الزناني تقول :

تقول فتاة الحى هولا الحزينة	ودمعي جرى من مقلتي حنين
جسمي أنضى من لوعة اليأس ولى	قلب من جور الزمان حزين
يا عقل أرجع من مقالك واهندي	واصغى إلى قولي وكن فطين
أنت صغير السن ما ذقت لوعة	ولوا في خليفة في الحروب متين
ما أنت يا ولدي أراك قبالة	بينك وبينه يا فتى خمسين
أما أبوك يا فتى غدا وراح يومه	أنا خائفة يا فتى أفقد اثنين
يا الله عليك يا عقل رد كلامك	قلبي صار من ذا الكلام حزين
ما قالت فتاة الحى هولا الحزينة	قلبي انقطع من هلة وعنين
رد الفتى عقل الذي حاج ما به	قلب من فقد الزمان طعين
طعين من أبو سعد الزناني	قتل والذي وزيدان عنه دفين
يا أمي أنا بالحرب باكر أكره	بسرقة المنايا ما جد لي معين
مها قضى الله على العبد صابه	وعمر الفتى يا أماء حصن متين
وشورك أنا يا أمي ما أريده	شور المذلة للرجال يهين
فلا بد من قتل الزناني خليفة	بقول حقيق واكد يقين

قلبا فرغت عرفت هولا بأن قولها لا يقيد فراخت عند الأمير حسن زهر فنه
أمرها فركب وأتى لعنه عقل وصار يهيه عن قسده فلم يرجع عن عزمه .
فلما علم حسن أنه ماله خلاص قال له الله ينصرك عليه فلما أصبح الصباح ليس عقل
ابن هولا آلة الحرب الحرب والكفاح وصار عقل في الميدان وعرض ريان وطلب مبارزة
الفرسان فبرز الزناني خليفة وقبل من أنت فقال الزناني أبو ذب الله من الفيضان الرجيم
نقتل كبارهم بجوئى صغارهم فالتطمروا الاثنين كأنهم جبلين أو أسدين زافرين وحمل
عليهم الرد فمرف الزناني أن عقل فارس لا يعطى وأمر من العاقم ومن صغرسه خبير

بطن السفان وضرب النيان وصاروا الزينات يتخروا الوحى يبحامى الزينات وهقل
قد زاد حربه وأشبع الزناتى من ضربه وحى الميدان بهعله ولا زالوا فى قتال
وجهدال طين الشمس حتى الزوال فدقوا طبول الانفصال ولما أصبح الصباح ركب
القودين والتحموا الفريقين فمزوا إلى الميدان وصاح على رؤسهم غراب البين
وأما أبو سعدة كل وذل وضف قرأه وأهل فألوى عنان جواده وولى هارب
وللى النجاة طالب فتبعه هقل وأطلق له من بحر راق وقلب مشتاق ولحقته العلمته
للجواد أرمى الزناتى على الأرض فأدركوه قومه وخاصوه فأيحذف عليهم هقل
وبنى ملال دظم الحرب والضرب ولم يزالوا بالقتال حتى ولى النهار بالزوال
وأقبل الليل بالاسدال فدأت طبول الانفصال فجاد مرهوج وعقد مرهوق
وصار يوحى فرسان قومه على قتل هقل يقول وعمر السامعين يطول :

يقول أبو سعدة الزناتى خابذة ونهر از قلبي زایدات ضرام
سرب الاعادى طال على ما جاله ركل نهار طال فيه فقام
أياحبتى وأهل المشيمة فاسمعوا وكونوا يا كرام فهام
وأعاليه سعدة أن تكون حائلة ويكون عندنا فى أعز مقام
ويشتفى منى الفؤاد بقتله بالمشيمة يادوك يا كرام
هله مقال الزناتى خليفة حربى من كيد العدا بجام

(قال الراوى) فلما فرغ خليفة من كلامه وقومه يسمعون نظامه فقام أن أخته
مطاروح وقال يا عاأل أنا له إن كانا قتلتنى حومة الرضى أجيب سابقه فيحرم على
نقل الروح مادمت مسالم ويحرم على الفرح والعز والهناء ويحرم على أن ترفوق راوى
أعلام فقال خليفة الله يمينك عليهم ولا أصبح الصباح ركب مطاروح جواده واعتدل
على عدته وجلاده ودق طبول بنى ملال وركب الخيول الاصال وركب هقل أولهم
وهو ينادى اليوم لائل اليوم فلما شافوه الزناتى ولوا هاربين والنهاة طابزين وفى
أولهم مطاروح فقال له خليفة لماذا انهرت يا ابن أخى فقال انهرت قومه منار ما حصل أحد
فلما هقل وصل عند باب تونس فطالت بنت الزناتى الشامية وكان اسمها بسما فنظرت
إلى هقل وقع وراءه فى قلبها ومملك فؤادها واشتدت تقول :

تقول فتاة الحى بسما الذى شكت
وحبك بقل عقل منى حالى
خليفة لم أولاد ذكور كلهم
وقال لهم يا غزوة الجود والسخا
فمن منكم يبرز الى عقل بالوفا
فتنض مطارح وقال يا خال أنا له
وقتوا على هذا الشورى يا ابن مولا
وأنا علمتك يا عقل شفقة عليك
وأنا أرى يا فتى رد لأهلك
وهذا الخبير يا عقل اصحى وافتمم
قالت فتاة الحى بنت خليفة
فلما فرغت الست بسما من كلامها فأشار الأمير عقل يقول :

يقول الفتى عقل ابن مولا المقيم
جرحت الهوى يا بسما هل ضيا
وقد عدت يا بسما من الوجد هايم
وأنا ما أحب إلا الهوى كل كاعبه
أحب طراد الخيول وحرب القفا
أخوض غبار الخيل دارى عقيدتها
أيا بسما قول كلامك واقصرى
لا تحسبى أنى أخاف من العدا
شأىلى عنى يا مليحة قرورك
أبوك غدا مهزوماً منى فاخشى
وراح ومجى ابن أخت مطارح
فلو جاد لى بما ألف مطارح
وهذا كلامى يا مليحة فاسمعى

جرح الهوى خلا الفؤاد نحيل
ولا يلتفت لى بالانرام نحيل
رقت الهوى عسفاً بغوى دليل
بنات الأمانة للعقول تزىل
إذا أصلت زار الحرب شعيل
يرمق نحو كل طرف كحيل
أنا عقل حانى بالعقاب هزىل
ولا أنا من حروب الرجال حويل
بنسبوك معى والقروم يميل
وقد ذاق من حربى بلا تكويل
ويريد قتلى بالطراد عجيل
فاليوم يوم الحرب والتشكيل
ولا تفكرى لى المقاتل ثم القيل

(قال الراوى) فلما فرغ عقل من كلامه وبسما تسمع نظامه عاد مطاوع لعند
 العماريات وبرز إلى الميدان فاستقبله عقل وسحبوا الحسام وانعقد غبار حتى سد
 منافس الاقطار وهم في حرب وصدام واقتراق والتحام وتجميع الزوام قدحهم
 حوافر خيلهم نار وطار من سلاحهم الشرار فيا لهم من أسدين درغامين ومحررين
 متلاطمين أما مطاوع فرأى قدامه فارس كرا وأسد مغوار وشاف من عقل حرب
 حير عقول الاطفال فعول على الهرب والفرار فاشتاق عليه الزناتى خليفة فغار على
 عقل والثانى واح إلى مطاوع والثالث قدامه وحطوا عقل ابن هولاء واسطة فالتفت
 عقل وضرب واحد منهم أرماء وغار على الذى قدامه فلازالوا الجميع من قدامه
 هاربين فنزل عقل على جواده وعقل فوق العماريات وغار على قوم الزناتى وكل
 فارس وقع أمامه زوروه المقابر فنزل إليه مطاوع والغلام وعلام بن حمدة الثنين من
 قدام والثنين من وراءه وغدوه مطاوع ثم طعنه وأرماء فقال الزناتى خنوه
 فتزاحف عليه الرجال فراح عقل تحت نعال الخيل ما بان له أثر وانكسرت بنى
 هلال ودقت طبول الانفصال فرجع القومين إلى الاطلاق وكان إلى عقل أخ
 يسمى نصر فقال غدا أنزل إلى الميدان آخذ ثاوى من هؤلاء الغدادين فلما
 سمعت أمه هولاء بكى بكاء شديدا وتحسرت على عقل وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى هولاء حزينه	وفى القلب نهران تزيد لهاب
وحزن عقل الخيل أضنى لحالى	فتى من جميع العالمين ثم لهاب
فتى خليفة الاجواد قوم مجرب	له فعل بالهيجا كسبج الغاب
غدوه مطاوع والزناتى خليفة	وخلى دموى جاريات سكاب
فيا نصر انظر أخوك ابن والدك	هفوة المدا تحت نعال ثواب
فراح المسمى قيل مطاوع	أتى مزود من مس فينا طاب
أريد له يا ناصر تاخذ يناره	وتزيل عنى الغار يا أحباب
أريد يا ناصر تقبل مطاوع	وتدعى دمه على الوطا سكاب
فلما فرغت هولاء من كلامها وردها نصر بسمع نظامها أشار يقول :	
يقول الفتى الذى فتح الحزن قلبه	يا أم لا بدرى على عتاب

فلا تحسب أنى خائف من العدا أنا نصر يسمى قاهر الطلاب
 فان كان أخى قد راح بيومه وليس الأجل بعيد ولا بعتاب
 وموت الفتى يمزه مثل عرسه إذا قام سوق الصافنات للطلاب
 إذا كنت لم آخذ بنار ابن والدى أكون ردى الأصل والانصاب
 غدا تنظري شبهة مطاوع جنوبي ودماه من فوق الثراب سكاب
 ولا بد من قتل الزناني خلقه بنار شيخ أبطاها وشباب
 أنا نصر الزغب ما فى عيا أبو على خالى وعى دياب
 قال الراوى فلما فرغ من كلامه قد طيب خاطر أمه وثانى الأيام برز نصر إلى
 الميدان ونادى فى أعلى الصوت وقال ابرز الأبطال فبرز إليه الزناني وظن أنه عقل
 ما كان يعرف أحدهما من الآخر فصدمه الأمير نصر صدمة جبار لا يهاب فالنقاء
 يقطب أفرى من الصوان والتطموا البطالين كأنهم جبالين واختلفت بينهم ضربتهن
 فاطمتين كان السابق نصر الزناني بالسيف فالتقاء بالدقة فنزل السيف على رقبة الجواد
 براها كبرى القلم فوقع الزناني على الأرض فأدركوه قومه فى جواد وأركبوه
 ومالت المواكب وهاجت الكتائب وعاهد يعرف العدو من الصاحب وكان يوم
 مذكور كأنه يوم النصر المنظور وبقي السيف القرصاب يعمل على الرقاب حتى ولت
 الشمس إلى الغياب فدقوا طبول الانفصال وباتوا الفريقتين يتحادثون إلى الصباح
 فركب نصر وبرز إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز إليه مطاوع وانطهقوا
 بالحرب الشديد حتى حى الزرد للضيء فاختلف بينهم ضربتهن كان السابق نصر أوقع
 رمحاً صدر مطاوع فطلع السنان بلمع من ظهره فوقع قتيل وفى دمه جديل فعندها
 غارت قوم الزناني رحلت أيضاً بنى هلال وزادت المصائب والأهوال والنحوا
 الفريقتين فى المجال وصار الزناني وفرسانه يهاوروا نصر وأمر الزناني فى أناس تقايل
 وأناس تحفر حفائر وما زال الحرب حتى وقع نصر فى الحفير فغار عليه الزناني وضربه
 بالسيف على هامه حطراً سه قدامه فأخذه وأمر أن يخطوه على صور تولس جنب
 وأس عقل فغارت القومين وتزاحم الفريقتين وزهق على رؤوسهم غراب البين ولم
 يزالوا فى القتال حتى ولى النهار وأقبل الليل بالإنسدال وجمعوا عن الحرب والصدام

واخذوا نصر يدفنونه في جانب أباه ولحق بهمه وأخيه وأما أمه وأخته فقصوا
شعورهم وقاموا أحزانهم وأشارت أمه تقول :

تقول فتاة الحى هولا الحزينة	بدمع جرى فوق الحدود بنار
على ما جرى فينا وقد أصابنا	والفكر والعقل من طار
على عقل عقل راح مستقرة	ويا نصر ما لي بعدكم أنصار
ونزل دموعي كالأنهار والجارية	وجاني البلا فاصد الأفسار
يا دمع جودي واجر صبا به	على أخوين كانوا كالأنهار
فلو أن نهر النيل بالقلب يجري	وسيعون مع جيعون الأبحار
ونهر الفرات ودجلة والنط كلها	وماضى وحمل كل نهر دار
على نار قلبي ليس يطفى لهيها	وتزيد فيه حرقه وشرار
يا بنتي قومي اندي طول عمرك	على اخوتك كانوا حماة الدار
فيا طول حزني كلما ذمت بالحيا	إن جاء دياب الحى وسط الدار

قلما فرغ من شعرها أشارت بنتها فتنة تقول :

قالت فتنة بدمع جرى سحاج	يجرى على الحد شبه السيل طفاح
كننا بنحبه وحر قبل فرقتهم	وفارحين غد مم أفرح *
ودوم عقل إلى الخطار يكرمهم	السيف والضيف موقف دوم دباح
ونصر مثله ولا غيب يخالطهم	هم غضايف عدة الحرب وكفاح

فلما فرغت فتنة من كلامها أقاموها الناس في وأما من على القبور وقال غام
أنا من بعد أولادي لا أريد حياة ومرادى أنزل الزناقي وأحاربه إما أقتله وأخذ
منه الثار وإما أن يقتلني واستريح من الإخوان فبرز إلى الميدان وطلب مبارزة
الفرسان فبرز أولا الزناقي قدامه وأشار يقول :

قال الزناقي بن مهران صادق	ول قلب أقوى من حجر صوان
* أتم علينا يا أمي اعتديتم	زتم بلادكم وخربتم البلدان
قلت أولادك واحوا بذاتكم	بدل الفتي المسمى أخوزيدان
وأولادكم جوزوا يريدوا قتالنا	عقل وأخوه زينة الشبان

فألقاهم راحوا بفامض الثرى وصفك راس الكل على الحيطان
كسعين أمير صارت رؤسهم عندي ورميت من بعدهم ثرى النسوان
ما عاد إلا أنت يا أمير جتنا فأنشد شايب بالسكر وزمان
فروح يا مسكين لا تقل عقلك ما يلتقى حربى سوى المردان
فارجع روح صلبى واعبد ربك واختم لهم فى سورة الرحمن
أنا لا أفتلك وجهه حطك برقبتي قتلك تراه أضد وعدوان

فلما فرغ من كلامه التفتوا البطاطية كأنهم جباين ولم يزالوا فى قتال وجدال حتى
ان الشمس ولت بالارتمال فدفقت طربوا الانفصال فرجوه وعن الحرب والكفاح ولم
يزالوا على ذلك مدة أشهر على الكمال وبعد ذلك ما عاد غائم ينزل إلى حربه ولا أحد
غده فغضب الزناتى ديوان وقال لقومه ما رأيكم فتقدم ابن عمه العلام وأشار يقولت

يقول الفتى العلام ولد غضبه - أوصيك وأنت عارف ثم فاهم
أوصيك لأنأمن من زمانك لو صفا وافعل فعال الخيم ما دمت قادر
ولأنأمن الدنيا الغرور ولو صفت ورجل يعاندها نعليه قام
أيانار قلبي يزيد - لحيها يزيد شعيلها فى فؤادى ضرايم
على أيام أبوسعده الزناتى خليفة زمن اجتماع الشمل كذا ملايم
فلأنعرف الشدة ولا نعرف لرخا وكنا فى نعمة الخيم داييم
ولا البالي قد سمعت فراقنا وطه الدنيا فوق الديار حاييم
بيوم أضن للهلى أبو على بأربع كرات ألوف بلغوا الغنايم
تسعين ألف اخلالى سلامة وتسعين لبدرد بن فايد
وتسعين ابدر بن فايد وتسعين ابدر بن فايد
بدل بهم أبوزيد فى أرض تونس وتسعين ابدر بن فايد
بهم كل قرم ينطح ألف واحد وتسعين ابدر بن فايد
صبرنا لهم قلنا يقوموا يرحلوا وتسعين ابدر بن فايد
وزحفوا علينا كالجراد إذا زحف وتسعين ابدر بن فايد

أول نهار لا علينا ولا لنا
 وثلاث نهار لعمس ما بان ضوءها
 والثالث احمرت الأرض فالدما
 ومابع نهار عند طهنا غبارها
 وثامن نهار خاضت الخيل بالدماء
 وقالت عزيزة يا زناى خليفة
 وأيت مناما يا أبى قد رأيت
 رأيت طيور الشرق أتوا البلادنا
 وفيهم طير مثل طير برج مشهر
 دخل قرار البيت وارمى عموه
 فذاك العمود أنت بلا خفا
 فقم يا زناى شد واركب
 قالت بنات هلال بن سلامه
 قل يدبه من القيد مدوح
 كثرنا سبعة ثم سبعة فظفرها
 ولا يمتنى إلا بكل محروب
 أبو زيد مسك أرضها مع يميها
 ومن يضربه زهدان ما يعود ينثنى
 وعقل ابن هولاء يروح الخيل لودح
 ميتين طعنة لابن هولاء حسبتها
 ينادى ابن عشرة لا يموت ابن سبعة
 يعزل وراثة حتى نخش قصورها
 فيلبس حصانه عند باب تونس
 سياج العذارى لو يقع خيارنا
 وطلبك بسما بنت سلطان تونس

وثانى نهاركم تقطع جماجم
 وعاد السود شبه أول الظلام
 تدوس الخيل الجشت والجحاجم
 وما غاضه إلا قوى العزائم
 وعاد عجاج الخيل وقت الظلام
 أنا حلت حلاً ما حلم به نائم
 سهرت وغوى خالى البال نائم
 طهروا طيور الغرب ولوا هزائم
 ومن فوقه قوى العزائم
 قمت ضربت الرمل بأن منه علام
 والطر خضره دياب بن غانم
 على سابق أشقر من العيب سالم
 ينادون أبو زيد كل الحرايم
 على ظهر حرام مثل برق الظلام
 وعاد علينا مثل سبع يراحم
 ومن يضربه يوق على الأرض نائم
 وزيدان على اليسر يسوى العظام
 يعود على أعلى الدرجات حاتم
 من تحت يعرف جميع المايم
 ولا طعنة إلا ترمى الجحاجم
 ولا بد ما يقضى جميع القوازم
 وتلقى الباب وكل المخارم
 من الصبح لثانى يوم وقت الظلام
 فيدهوا له بالنصر يرتد سالم
 تنظر إلى عقل الشجعان الخاصم

وأنا أخبرك بما كان يا ابن الأكارم
وأظهر لهم خبرك وكل العلام
يا أهل المروعة يا كبار الحشام
أعطيه نصف الحكم ما دمت سالم
وأعطيه سبعة بنت قاضى القوايم
وأعطيه يا ناس كل الغيام
يا خال أنا أفـيك بعلى على القوازم
يحرم على دلعات الوشائم
يحرم على الزواج بين العوالم
أما أجيب حصان على عقل النخاصم
يلاطم كراديس المنايا يلاطم
مالك وما الحيل فيه تخاصم
وعاد مجاج الخيل للجو قائم
أنا مطاوع مشيد برج النعام
وصاح لحاله ابن يا خال هازم
دعاه مكبوبا على الأرض نايم
تنفرج عليه دابلات الوشائم
لو كان تغلى بالمواضى لسائم
وتزومت خيل الجياد الصوارم
وخيل تفرقع فى جديد النعام
وما بان من جسمه رسول للعلام
وصار لها مثل التلؤلؤ الجماعم
وناد الظلام يشبه ليالى الظلام
وقلنا بعد ما عاد فارس يخاصم
طالب لئان اتنى عقل هائم

وقالت له يا عقل اتنى نصحتك
خليفه جمع أولاد مذكور كلهم
وقال لهم يا عزوة الجود والسخا
من منكم يقتل عقل ويحبب سابقه
وأعطيه بصرة بم رقائم فونس
وأوليه أسواق المدينة كلها
تنبه مطاوع للزناى وقال
ان كان ما قتل عقل وأجيب سابقه
يحرم على السرج والعز والهناء
ما يقافى ويأخذ سابقى
وصورت الزناى يرغب الخيل الوغى
نادى عقل فى الميدان وقال له
فتلاطموا الاثنين فى جومة الوغا
فعاد الزناى والفتى عقل راح
ضرب بطعنة من قفاه رماه
رد الزناى لعقل وطعنه
حلقوا الهلاجات ما تخلى قتيافا
حلقوا الزينات ما تأخذوا
بتنا طول الليل والحرب بيننا
إلى تانى الأيام رافنا يوقع الغفا
وراح ابن هولا بالحوافر واختنى
يوم ابن هولا خاضت الخيل بالهنا
وتلاطموا عقده وطبل مجاجهم
قال الزناى سلطنا من ابن هولا
وجانا تانى يوم نصر ابن والده

طلعت هولا من الموادج وزغرطت
 قالت يا نصر الموت خير من الحياة
 أنت وأخيك اثنين جيتم جملة
 لا أنا ولا أبوك ولا حد هانكم
 ولا شافت الجهران بهجة وجوهكم
 وخيلكم يا نصر ما في مثله
 حصان عقل أحمر من خيل والدك
 لما سمع نصر قوامها ميل نحوها
 مرة اشارات الفقى عقل ينتخى
 فأتى إل مطاوع والطراد وصده
 ضرب نصر المطاوع برمح محكم
 وراحت منه شبة مطاوع جنبيه
 عمامة وأبوه وأجواد كاسبه النخا
 قتل مطاوع زادنا عليه حسرة
 أنا أقول إن الدهر فينا قد لوى
 وقوم هلال فعلمهم دوام زائد
 قوم اغلاين ما فيهم غيا
 أنا أخاف يبنوا الشور بينهم
 وقد صار لهم هتدك ديون كثرة
 وهو الفارس ما في البوادي مثاله
 ايا خليفة إن سلمات منه
 فهذا حسابى والذى دوم حسابه
 ما قال الفقى اللام ولد عسديه
 فقال الزناني ما قتل دياب مع الذين قتلناهم قال العلام دياب ما هو حاضر
 وهو في وادي العباين مع بوش بنى هلال قال الزناني مرادنا رسله من يقتله ويحبيب

حين شافت نصر على الخيل فاحم
 وعمره ما جلت حتى الماهيم
 في بطن واحدة قد جتمت توام
 بمدة خمسة عشر سنة في الحفام
 حتى وكتبوا الخيل وصرتهم عظام
 سلايل من خيل شداد الدوام
 وأبو خضره دياب بن غانم
 يشابه عقاب الجوفى الصيد حانم
 ومرة لبن وابلات الوشائم
 وصار عليهم عظم البلا والقتايم
 وما تحت السراج عالأرض نايم
 واخذ لثا وعقل وافى الزمايم
 نعم هم قوم من نسل الأكارم
 وبعد مطاوع ما دلنا غايم
 وبعد مطاوع يشنع أدوم نايم
 أجاويد طلابه الحرب دايم
 ملاهين طرايين للسر دايم
 يودوا يجيبوا لك دياب بن غانم
 يريدوا ترفاه ما يرد لك غنايم
 قد بان لي عنه بالسكتب علايم
 فهان عليك العصب يا أبو الهائم
 سهران من كيد العدا است نايم
 ويا نار قلبي زائدات الضرايم

البوش منه والتفت إلى واحد من إخوته وكان يسمى أبو خريبة وهو فارس صديد
فأمره الزناني في الركوب إلى وادي الغباين ويحجب البوش منه فقال سمعا وطاعة
فركب من ساعته وأخذ معه عشرين ألف فارس قروم عوابس ولم يزلوا سائرين
حتى وصلوا إلى وادي الغباين وغادروا على قوم بني هلال وعلقوا ضرب السيف فيهم
فقامت الرعيان بالامياط والعراخ فلما سمع دياب ركب جواده وطلعت فرسانه وراه
فلما انعم الحرب بينهم بطن يقصف الأعمار وصار بينهم ضرب مثل النار فعندما
قام دياب في عزم الركب وضرب خريبة بالسيف على هامه حط رأسه قد انه فوقع
على الأرض بدماء يختبط طول وعرض ولما شافوا قومه أمهرهم قتيل ولوا هاربين
وإلى النجاة طالعين فلحق قوم بني زغبة ومدرا السيف في أعناقهم وأعدموهم أحباهم
وأصحابهم حتى وصلوا إلى عند الزناني وأخبروه عن قتل أخيه فاستدعى أخاه الثاني
وكان اسمه مكحول وقال له خذ قومك وامض إلى دياب بن غام خذ فأرك منه
وانهب بوش بني هلال ومهما جبت من هؤلاء يكونوا راية مني إليك فركب بسائر
هسكته مقدار خمسين ألف حمام وغار حتى وصل إلى الوادي وكان دياب وقومه
في الصيد وما بقي من البوش إلا مقدار ألف فارس فنارت عليهم الحيل مكحول
أرسلهم وساقوا البوش جميعه فراح الصوت إلى دياب وأعلموه في الخبر فعندما صار
حتى وصل إلى القوم وبرز إلى مكحول والتطموا في الخصام ونجر عواشرب كامر الخمام
فغضب مكحول دياب في الرمح فقام دياب رجلاه من الركاب وأخذها من تحت ثلذه
في هزم الركاب وطعن مكحول في الرمح فأراد أن يخل منها مثل دياب فجاء الرمح في
صدره طلع يلمع من ظهره فوقع قتيل وفي دمه جديل فأخذ درعه وجواده
وغار على قومه وبدأ يذبح فيهم حتى مقدار عشرة آلاف فارس وهزوا الباقي
حتى وصلوا لعند الزناني وأعلموه بقتل أخيه فغضب غضباً شديداً ثم في ثاني
الأيام برز إلى الميبدان وعرض وبان وطلب مبارزة الفرسان ما حد رد عليه .
(قال الراوي) فلما فرغ حسن من قوله وإذا بغيار علا وطار حتى سد منافق
الاقطار وبان من تحته فرسان على خيول عزلان وإذا هو الرشي مقرح الذي كان مع
أبوزيد في غزو ملوك السفور وخول وسلم عليهم فسألوه عما جرى له فصار يخبرهم روي أول

الكلام وإذا به يارق حرق طلعت رأوزيد بأول الخيل فلاقاه الأمير حسن وشو هلال
ومنهوه في السلامة وفرحوا في لقاءه وطلعت النساء والأولاد وأهالي القتل الذين قتلهم
الزناشي وقعدوا على القفار لابسين السواد ما تنكهن المستور باقيات نائمات ووصلت
الخيول التي أتت بها أبو زيد من الأعداء والمكاسب والغنائم وأخبر الأمير أبو زيد بما
فعل فيهم الزناشي وكما أباد الفرسان فلما سمع أبو زيد قول حسن صار الضيق في وجهه
كالظلام وحزن حزناً شديداً على من قتل من الفرسان وعندما قام ومن على المقابر
وشاهد النساء والبناات فلما شافوا أبو زيد وفعلوا أصواتهم في البكاء وصاروا
إليه بما أصابهم فطبيب خواطرهم وقال لهم إن أراد الله تأخذ لكم بالنار وترك
ديار الزناشي خراب فعند ذلك لعند عليا وبات لثاني الأيام واسم القسام والأموال
وأعطى حسن حزمة وشال إلى دباب قسم فاني يوم برز أبو زيد إلى الميدان وطلب
جباوزة الفرسان وتعرض تحت أبواب تونس وناذى الزناشي يبرز إلى الحرب
والطمان وأين رجال الحرب أصحاب الطعن والضرب فما أحد رد عليه فوقف
تحت زغلة الباب والأبواب مسكوك لا أحد يخرج ولا يطلع سوى النسوان التي
غوى الأسوار يتخرجون فعندها صاح في البواب افتح وأرسل مولاك فساد البواب
لعند الزناشي قال له قم كلم أبو زيد واقف بالباب يواجهك فقال الزناشي يا بواب
من يقدر يشوف حررا فيلحق بقبض روحه قال البواب افتح له لكي يواجهك
هبر مالك لحالك يا مقصوف العمر وهات المفاتيح التي معك فعند ذلك أخذ
عفان يفتح أبواب تونس وضربها عنده وخباها له وقال اقعد خلف الباب ولا تفتح
لأحد وإذا أحد سأل عن سيدك فقول له ما يطلع فعاد البواب وأهمل الأمير أبو زيد
الكلام يرجع الكلام إلى الأمير حسن انفتحت إلى أبو زيد وقال له مادمت جيت
هابق الزناشي يفتح الباب ولا يطلب قتيل وفي غيبته كما ما يعمل بدائع ثم إن الأمير
أبو زيد قال لهم قصدي أعمل حيلة تسوي قبيلة فقال له الأمير ستكون فقال أبو زيد
اندهوا للجارية ثم انهم ندهوا إلى الحضرت بين أيديهم فالتفت إليها الأمير أبو زيد
وقال لها مرادي تجمعي مائة بنت من أحسن بنات العرب واحضرين في الليل فن
ساعتها أحضرت مائة بنت إلى الأمير أبو زيد فقام وليس لياب يبيض مثل النسوان

وليس درعه وانحرهم بسيفه وصار هو والبنات والجارية وكان نصف الليل إلى أن وصلوا بوابة تونس فقال أبو زيد أفرع الباب فنأدى البواب من يفرع أبواب تونس في هذا الليل فتألت الجارية نحن من بنات العرب جاين معنا بضائع لكي نبيع ولشترى من عندك على قدر احتياجنا فقال لها البواب وروحوا ما افتح لكم الباب في الليل ثم أنها تدخلت على البواب فافتح وإندراج إلى عند الزناني وأخبره الذي صار على الباب فقال روح إياك تفتح لهم أنا قرأت كتبهم قبل أن حض. وإلى هذه البلاد لأن هذه الحيلة من حبل أبو زيد ثم أن البواب رجع إلى عند البنات وأخبرهم بما قال الزناني ثم أن الجارية ابتدأت هي والبواب وأشارت تقول :

يا بواب صار . افتح للمداره . حنام عندك إلى حد السورة . وروحي باظريفة . شاورى لنا خليفة . له جرية رخيصة . تقسم الحجارة . يا بواب منصور افتح باب السور . تدخل بدستور . ونبيع المطارة . للفنّاح ما هو يدي افتح كون طابع جهنك بضائع . ومحف بدائع . تصلح للإمارة لا أفتح ولا تفتح . ولا عقل بلائى . وإن كنت عطاشى . روحوا للبيارة . يا بواب افتح على الباب مصفح الزينات تصفح وتظفر للمدارى . قال عندى يا . ثم عندى . نجلنا ثم سعدنا . تصلحوا إليهم حوار افتح لي شويه . وشوف الحسن فيه . نجيدك رزبه . قد شك حماره . روحى باملحه أنا أخشى الفضيحة . وأنى تبقى مستريحة . وأنا أقع بناره افتح لا تنال . ما معنى جهنالك على وحزه للمهارة . فإن روح القهرى عنك ما أخصى افتح الباب وعي مالى يا بواب افتح يا حبيبى . وجودك لا تغيبى . ارحم الغربى كلما بكارة السلطان حكاكى وقال لا تفتح ولال . دول بنى هلال من قوم مكاره . افتح خاب ظنك خالى المخرج هنك قبداره وصاره قال أخاف افتح يمينار جمال طالبين يحجوا طابرين على ظهر المهارة افتح يا مغترولا الكبار تعبر مائة بنت تحضر أمامك جهاره لا كون غالب والامير غايب ومن طلب المسكاسب يقع فى الحساسة افتح يا ابن عمى . متى يزول غمى حزامى فوق قمى . ثاره فوق ثاره . روحى باحامى . لا تزيد فى الكلام . خايف من سلامه خيلانه كفاره . افتح يا أغانى . لا يزيدوا اللغات جملتنا بنانى . ما فينا ذكره سلامه معاكم سابع لغائى . هو واقف حدا لم مع بنات الإمارة .

(قال الراوى) فلما فرغت الجارية هى والبواب من المناهات والبنات يسمعون كلامهم أخذهم الأمير أبو زيد ورجع إلى بعة يرجع الكلام إلى مرعى وسعد وحماد مرعى قالت له سعدة لا أبكا الله لك هين فقال لها يا سعدة إلى متى الانتظار وقد طال علينا المطال وأبوك لا يطلع إلى محاربة أبو زيد ولا يفتح الباب فضحك سعدة وقالت أنا أفض هذا المشكل لأن مرعى ما يقتل أبى إلا الأمير دياب لأن بان عندي في الكتب ولسكن سأروح الليلة عند أبوك وأدعيه يحجب دياب فلما دخل الليل استعدت سعدة على أربعين بنت من بنات الأمارة مثل الأقار فلما حضروا أقبلوا ولادتهم وقالوا ما تريد فقال لهم أريد أخذكم معى تنفجوا على بنات ملال والامه حسن أبو الحبابس الذى عندنا ونرجع في هذا الليل فقالوا اسمعوا ألف طاعة ثم أمرت لهم بأربعين خلة من خاص الحرير والديباغ الملون وأمرت بأربعين جواد من خهم الجمياد فصاروا يأخذوا المعقول وركبت سعدة أقمامهم مثل البدر المنير لأنه ما كان يوجد في عصرها أحلى منها وتقلدت البنات بأفخر السلاح وساروا حتى وصلوا إلى باب البلد وقالت للبواب افتح الباب إليك تنكلم قدام أحدا عذمك الحياة فقال لها يا سقى ما في تعب من فتح الباب إن أردت تروحي أو تعدى ولكن المفا تبيع مع أبوك أخذهم منى فقال أنالوا احتاج إليهم وتقدمت الباب وضربتة انفج من وقته وخرجت هى والبنات وأمرت عبيدها الطواشي يقعد على الباب لحيز رجوعهم ففعل الباب وقعد ينتظرهم إلى الرجوع فعند ذلك ساوت سعدة هى والبنات حتى وصلوا عند الحارس فقال العبد ما هذه الخيل في هذا الليل فقالت له سعدة ضيوف فقال مرحباً بالضيوف فقالت أيزملوك الأمير حسن فقال لها نايم فقالت له ادخل عابه وقال له سعدة بانها الزواني تريد توجهمك وترجع بالليل فقال لها انظري وراء السناد دخل عند الجارية اسمها مباركة وقال لها اعلمى أن بنت سلطان تونس حضرت عندنا ودخلت واعلمت مولانا حسن فتعجب حسن من حضروها بالليل فخرج وقال لاسماء ألك فأشد سالم بقولى يا أمير جانا نرية خطارة ملوك منتظرين قطارة يا أمير جانا من بلاد بعيد وأنا بأمرى يا ملك عتارة اوتاح قلبى من نظرم يا ملك شيهتم يا أه شملة نار (١٧ - تغرية)

ما داعي إلا الخيول ولبسهم وكلمهم يا أبو على طالمارة
ولبسهم ديباج بلون واحد من الذهب فوق الصدور زراة
(قال الراوى) فلما فرغ العبد من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فرح فرحاً
شديد ما عليه من مريد وقال للعبد اعزمهم فراح العبد عزهم ونزلهم عن خيولهم
وربطهم ومشى قدمهم فسلبت سعدة على السلطان وعرفته بنفسها وبرفتها فسلوا عليه
وسلم على سعدة ومن معها من الحرم وأما أم مرعى لاقتها وختها إلى صدرها وقالت
لها دخلك مرعى كيف حاله وقياتها بين هينها وسلمت عليهم سلام الاحباب وأما
حسن سلم على سعدة وصار يبكي ويقول :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على	وفى قلبى نادر يزيد ضرايم
هل ما جرى فينا وما قد أصابنا	من المحل سرنا فى أمور عظام
أرسلت أولادى وأبو زيد أسد	كم يدور لنا أرضاً بها الخلد دايماً
مسكهم أبوك يا مليحة وهاتهم	واجنف عليهم كان بالحكم ظالم
وجانى أبو زيد وجاب لى خيرهم	فعدت أنا بالبول جنح الظلام
يا سعدة بالله كيف أحوالهم	مرعى عدل الروح والرب عالم
وأبو زيد حكاى عن أحوالهم	وأخبرنا عن أفعالك والظلام
وأنت شفوق يا صفة عليهم	وخلاصتهم من جميع الوهام
مقال الفتى حسن الهلالى أبو على	على فقد مرعى عيني شحائم

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه وسعدة تسمع نظامه قامت يا أبو على لا يكون
هتدكم افتكار لنحو مرعى ورفقاء لانهم في أعز مكان وإنما الراى عندي أرسلوا لدياب
ابن غانم ففكرها الامير حسن وأتى عليها وأرسل إلى أبو زيد حالاً حضرت عنده
سعدة وسلمت عليه وشرحت الكلام اليه ودعت حسن وأبو زيد وخرجت عليهم
رسلاً ورأها دياب وذهبت هي والبنات معها حتى وصلوا القصرها هذا ما كان من سعدة
يرجع الكلام لحسن وأبو زيد بعدما ذهبت سعدة قال حسن كيف يكون الراى
يا أبو زيد فقال كلامها صدق ولكن أنا إن أهلكت بنى هلال وأرسلت وراء دياب
قال حسن وأنا كذلك لم أرسل وراءها ولا أريد عيني أن تراها فقال أبو زيد أحضر

البنات وأمرهن أن يكتبوا إلى دياب ويستدعوه إلى أخيه النار فأول ما تقدم دراية
بليت الخفافى عامر كتبت مكتوب وقصت شعرها ووضعته فيه وحطته قدام غانم
أبو دياب ثم تقدمت بعدها وطفأ كتبت مكتوب وقصت شعرها ووضعته قدام
جدها غانم قال اكتب مكتوب إلى والدك لكي يفرج هنأ لأنه خلاصنا من المسية فالشد
غانم يكتب إلى والده ويقول :

يقول الغنى غانم على ما جرى له	بدمع جرى فوق الحدود مكيب
وزيران قلبي كلما أقول تنلني	يهب لها جوى الضلوع اهيب
على ما جرى فينا وما قد أصابنا	وأمر جرى فينا تراب عجيب
يا من يودنى إلى دياب وسالتي	إلى الأمير بالوفا غريب
وقوله فارس النار كلها	ويا عز من نزل القنا وقصيب
أنت النداء ابن النداء حابك النداء	فيك النداء ومجرب نهميب
وأنا كبرتى ما بقى لى حيلة	وعرمى غدا منى وراح ذهب
وعملك مسلم عم الشيب رأسه	ما عاد له عزم ولا ترتيب
عمك عوندى فارس الخيل والوفا	وأبوكا نحنى ما عاد فيه نصيب
وبدر وزيدان أمير بنى أخوتك	قتلهم الخليفة أمس وقت المغيب
حقل ونصر أولاد أخوك قتلوا	وقد دعاهم فوق الوطا مكيب
وأخوب أبو سعدة جميع مساكننا	وما عاد لنا سامع ومجيب
حاضر كما الدرداب وولد غانم	ينادى دياب من لقانا هريب
قد طارته ثلاثة أيام ثم أربعة	شمس العصى بعد الدموع تغيب
قتلت جواده طالب الشمس باكرا	جاء من قدمته سريع عجيب
إلا يا دياب الخيل أسرع نهورنا	واقتل خليفة يا أمه غصيب
قتل خليفة ابن عمك زامل	وأخوك عند ما عاد فيه نصيب
وخالك مفضل بن عمن	وكان مفضل فى الحرب ودبيب
ثلاثة عشر يوم والحرب بينهم	وراح الزناقي من لقاء هريب
يوم الرابع عشر أرسل خليفة	خليب لقد كان قوم نهميب

ضرب مفضل ضربة اباده
 ياما جرى لبنت الامير مفضل
 ثمانين امرا من هلال وطامر
 لا السقي إلا وعلى بدر مهجتي
 قطهم أبو سعدة الزناتي خليفة
 وانزل معقل الزناتي وحده
 تبحر على جمع الزناتي خليفة
 وثالث نهارى الكون بينهم
 ورابع نهار طار رأس معقل
 ظله الزناتي بعد ما كان غاليه
 ضربه معقل ضربة عامرية
 ونادوا على الاندال أين أمهم
 نزل لهم يا أمهم خالك بلا بطل
 ضربه الزناتي ضربة شال رأسه
 وجثنا سعدة آخر الليل بالدهجى
 وهم لابسين بزى مردان كلهم
 ونزلت بصيوان الامير أبو على
 وقالت لهم أن الزناتي خليفة
 ولا يقتله إلا دياب بن غانم
 إلينا إلينا يا دياب بن غانم
 فأنت عود البيت ونحن طنابه
 وجثنا لسام والبنات جميعهم
 جاني حسن البيت على نقا
 دعوك الامارة يا دياب جميعهم
 ورهنت لساني البنات بلا خفا

وراح على وجه التراب يجيبه
 لها كل ما حال الظلام نجيبه
 دعام أبو سعدة برح كعيبه
 وزيدان راحوا يا دياب غضيبه
 ادعى دعام على الوطاسكيب
 وقلنا معقل بالطرد لبيب
 تلقى أبو سعدة كنار لبيب
 من الصبح لما طيب المغيب
 ومن رجفته راح محرق كعيب
 معقل سمعة والزناتي ديب
 القاهما على الوطاس قاهما وقليب
 وما عاد فيكم يا هلال محجب
 بدير بن فايد عاجلا وقريب
 غدت خوذته والدرع منه سكيب
 ومعهما بنات أربعين نجيب
 خلوا عقول الصالحين تغيب
 ونادت على أبو زيد جاها محجب
 على مجموعكم يا أسير عطيب
 وهذا كلامى ما به تسكيب
 وإلا أنت يا دياب غريب
 وما جثنا ملاح وقت مشيب
 والع فرارح والدموع سكيب
 أبو زيد جاني صاحب الزتيب
 دعوك الامارة يا دياب أهيب
 بنات لهم يبنات وتخريب

يآ آل الرضى انجد هلال وصونهم تنال العلا والفخر والترتيب
ولن لم تفرج هموما بعد كربنا تقول بك الزينات وقول مصيب
قال الفتي غائم على ما جرى له معه ولى قلب طارل الليل بالاعتذيب
(قال الراوى) فلما فرغ غائم من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه ووضعه
فى مكانب البنات وقال لعبيده خذ هذه المكاتب الى مولاك دياب ولا تجبني الا هو
معك وإن رجعت بلاه أهدمك الحياة فعندها أخذ المكاتب وسار طالب وادى
الغبان فوصل وجد مولاة وقبل أياديه ووضعت المكاتب بين يديه قال له ياسعد
رفعوا الطعام فدخل على مولاة دياب على الطعام والعرب حوله من كل جانب فصر حتى
أرى وجهك أصفر ما عندك من الاخبار وأشار بسأل العبد ويقول :

يقول الفتي الرضى دياب بن غائم الأيام ماترى فى أحد من حذارها
هلامك ياسعد الدهى مغير كان المنايا ساقيتك كاس مرارها
أسألك عقل ونصر كيف أحوالهم فا بعد لحقوا للوقائع فرارها
وتدور أخى زيدان كيف أحوالهم بخير وإلا المنايا مزارها
أياسعد أنا بعقل وفكرى وخاطرى بأن تووسنا قد غاب منها قارها
أعرف إن قام حرب مع العدا ما يعطيها خيرم عند نارها
لأنهم جهال لا يفرقوا القا وكم جاهل جهله وماء بشارها
فان كانوا راحوا أخوانى ذات يومهم وإن عشت أنا ياسعد آخذ بشارها

(قال الراوى) فلما فرغ دياب وبدأ ينظر الى كاتب واحد بعد واحد حتى انتهى
فقال انى أرى مكانيب البنات ومكتوب والذى فأن مكاتب الأمير حسن أبو زيد
فقال يا مولاي هذه ثمانين مكتوب جميعها حتى يرسل لك حسن وأبو زيد فقال دياب
جيت هذا المكان برأيهم ما جيت بشور البنات فكيف أروح على كلام البنات
حتى يقول لى حسن وأبو زيد الى أين جيت ومن أرسل وراك وحساب حسن
وأبو زيد قربته ومحبتة من زمان فقال العبد إن البنات ما كتبوا إلا بأمر حسن
وأبو زيد بمضورم فقال له أنا ان رحى على كلام البنات وقتلت الزناى لا يبيدوها
الى وان تكلمت يقول لى من بعث وراك فاذا يكون جوابى لهم وهذه آخر

الواقعات یعنی و بین الزناتی وما هو قلیل و مرادی املکم الغرب کا ملکتم
الشرق و بعد ان اکون سیدھا طبول فی عرسھا فان مقصد بنی ہلال حضور
ہات لی مکتوبین و حجتین من حسن و ابو زید حتی ارواح و اصنع نار و احرق
مکاتب البنات قال العبد انا ان رحمت و انت ایس معی یقتلونی البنات انا
ما بقیق اقمہ هنا غف العبد و قال له اکتب لی الجواب فاشار دیاب یقول :

یقول ابو وطفاء دیاب الماجد	والدمع من عینی علی الخد سہول
ان جیت یا عبد لی غائم والدی	اعطیہ هذا الخط من قبل النزول
وقل له یا امیر غائم استمع	من ابو وطفاء وما یندی یقول
یا ابی مالک عقل اترك النسا	وتزید کلامک یا غائم والفضول
کتب النسا یا ابی جہول حقیق	و کتاب وطفاء منک وصول
والله لو قتلوا ہلال جمیعہم	ما رحمت الیہم ولا أرجع أقول
لو ان العامر عنی یرسل لی کتاب	كنت اسمع لکلامہ جہول
و کنت اربک خضرتی بالسریع	أترك خلیفہ وجمہ یغدوا قتل
یا ابی قد خضرتی حزن اخوتی	دمعی لاجل فرانہم نازل مطول
و یشرؤ ذاک الفارس دیاب	یحوض فی العدا عرض و طول
قول الفتی دیاب الماجد	والنار فی قلبی تزید شعول

(قال الراوی) فلما فرغ دیاب من کلامه طوی الکتاب و ختمه بختمہ و اعطاه للعبد
فأخذہ و سار طالب بنی ہلال فوصل الی غائم و اعطاه الکتاب ففحصہ و قرأہ و عرفہ
رموزہ و معناه فاستدعی البنات و قرأ علیہم المکتوب و قال إنه لم یجی ان لم یرسل
حسن و ابو زید لہ مکاتب و اذا ما ارسلوا لہ ما یجی مولو فقطعوا بنی ہلال فرجعوا
البنات و دخلوا عند حسن باکین صار خین و قالوا لہ یا حسن ارسل لنا و راہ فی ہذہ
الساعۃ لکی یاخذ لنا بالثار و یکشف العار هنا و ان لم ترسل و راہ لروح کلنا
لعمدہ فعند ذلک استدعی ابو زید و قال انظر هؤلاء البنات و ما مرادہم و اکتب
لہم مثل ما یریدون و استرح منہم فقال ابو زید یا حسن انا ما اکتب ولا ارسل
و راہ لان ما احبہ ولا أطیق ذکرہ فقال حسن و انا کذلک فارسل و راہ ابو غائم

ونذره بروح وراه فعند ذلك أرسلوا وراه غانم فخر وحياهما بالسلام فقاموا له
على الأقدام فقال حسن يا غانم مرادنا منك تروح ورا إبنك دياب فحيه فقال
يا حسن ابني ما يحيى مالم تكتبوا له أمث وأبو زيد فلذا أصبح الصباح حول
والد دياب على السفر فاستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخالص وحرر
المكتوبين على اسان حسن وأبو زيد إلى دياب وحظهم معه وزكب هو وامرأته
وساروا طالين دياب إلى وادي الغياين وأرسل همد يعلم ابنته في قدومه إليه
هو ووالدته فلما وصل العبد إلى دياب أخبره بقدمه إليه بالاقائهم وتوجه إلى
أمه وأنزلها من المودج وقبل رأسها وقال من الذي جابك الينا فأشارت تقول:

تقول فتاة لوح البين قلبها	أرجع إلى قومك واصل الزمام
ونحن يا أمير جئنا لعندك	فهذا المرجو منك يا ابن الأكارم
ضيعت حق والدك	وسفقت قولي يا قلب الحشام
ولو كنت يا ابني حافظ مقامك	فلا كان العدا دعونا عرايم
ظلت غام يا أمير وغطتني	وطاد دمعى فوق الحدود سهام
ترى الزناتي قد قتل من رجائنا	قتل اخوتك واحوا رمايم
وخالك بدير مع الخفاجى وطامر	ومن غيهم كثرة أماره أكارم
فقم بنا نرجع إلى نجح أرضنا	نعيش بها من غير فضل بن غانم
ما قالت فتاة لوح البين قلبها	ونهران قلبى زایدات الضرايم

فلما فرغت الأم من كلامها أشار دياب يقول:

يقول الرغي دياب الغانم	فضبتم علينا يا وجوه الأكارم
أنا لأجلكم أقتل خليفة بشيق	وأدعى دماء فوق الأرض حريم
وأخذ لئار زيدان بساعدى	وأدهى خليفة عاثرى نايم
وأتيت يا أمى أفرحى وأبشرى	أنا جيتكم ما عاد فيها مزاييم
فلا بد أنصركم وأشفى قربكم	من فوق خضرا مثل طير الغمام
وأقتل أنا خليفة حقيق مؤكد	أنا سيد الفرسان عند المزاييم
وتعرفى الفرسان فى حومة الوغى	ى إذا جيت للميدان ولوا مزاييم

فلا بد أن آخذ بثارات إخوتي وثورات خالي والقروم الأكارم
فلما فرغ دياب من كلامه وأمه تسمع نظامه فطاب خاطرهما وتوجهت إلى
الحيام ولقي بعد ذلك أبوه فلما وصل إليه سلم عليه وقبل يديه وقال السلام
عليك يا أباي فقال له لا تكلمني أنا لا والله ولا أنت ابني وأنا برىء منك
لو كنت ابن كنت سمعت كلامي وأخذت لي ثاري من الزناني الذي قتل أخوك
وأولادي وأحرق فؤادي وأكبأدي وأشار يقول :

يقول الفتي غام على ما جرى له	بدمع جرى فوق الحدود سكب
يا ولدي هذا الزناني خايف	أهلك فوارسنا وكل نهيب
ثمانين أميراً من قومنا مضوا	ودعاهم طعام للرخم والديب
وجئت لسام يا أمير قوازع	بهم حسن إلى بلاد تكذيب
جاني أبو زيد الهلالي سلامة	أبو زيد هو لك يا أمير حبيب
وكيف يا أمير ما جيت بالاجل	وخليت هذا البوش دعه يعب
وأرسلت لك يا أمير تحضر لثأرهم	وما أظن من قصدك الملك يخيب
وغظيت فيك ظنا بلا خفا	وقلت أبشروا يا بنات قريب
ولما أتى سعد يا أمير غايبا	فقد زاد في الحى البسكا ونهيب
جاني الفتي حسن أبو علي	وجاني أبو زيد أمير مصيب
أتولى الأمانة يا أمير خواضع	وقالوا روح إلى دياب وجيب
ووطفاها مكتوب كتبه بخطها	تقول الوحاقيل الحريم ما تسب

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه وولده دياب يسمع نظامه فقال لأبيه إذا
كنت ما جيت ما أروح ولو ما فضل أحد من بني ملال فأعطاه المكاتب ففضها
وقراها وعرف معناها وهرم على الحضور من بعدما وأمر بذيخ الأغنام وعمل
الولائم والضيافة ثلاثة أيام فقامت أم دياب وابنها يمشى خارج الحيام فقالت
لولدها يا ابني أبوك خرف ما عاد له عقل وقد دهمه هلايا قدامي وما هان على وحلفت
أن أقول لك فقال يا أماء والدي بمنون ودعاه على ما في بأس لأنه من حرته على أولاده
وثانيها مهور من الزناني وثالثاً من فراقنا واسكن إن أراد الله تعالى أروح معكم وأطلب

وحناكم وما عدت أخافكم وأخذ لكم بالثار بعون العزيز الجبار والشديقول :

على ما قال أبو موسى دياب	شرينا الخمر في صافي القداحي
وكم نذل أتى وقت المعارك	يبقى هاربا يطلب رواحى
أسألك يا إلهي أكون طهرا	عقابا كي أخفق بالجناح
أظهر جهتي بدانزل سريعا	وأعدى بين مشيتك الرماحي
أأخذ الثأر من حالي بدير	وبدر وأخوه زيدان الرباحي
وما فعل الزناتي بالامارة	فطار العقل من لاييم وصاحي
أأى معذور يا أمي حقيقة	دعيه يقول في عرضي قباحي
غدا أرضيه في قتل الزناتي	وأبدل حرككم بالإشراح
قولي الهلال النصر جهم	نهار الأحد أعزم الراحي

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وأمه تسمع نظامه فرحته وقالت يا غانم
عمرادنا نسير لأن بنى هلال فى انتظار فقال تأهبوا حتى نسير ونعلم بنى هلال أن دياب
يحضر يوم الأحد لعندهم فركبوا وساروا حتى وصلوا إلى بنى هلال فطلعوا الجميع
للملاقاة ثم فكانت ضجة قوية فنظروا غانم وحرمته وحده فقالوا أين دياب فقال غانم
أبشروا بالغنيمة يا بنى هلال نهار الأحد يصل إلى همدكو أما دياب بعد ما راحوا والديه
من عنده أمر الرعيان بلم البوش من كل جانب ومكان وساروا الجميع قدماه وساروا باب
بنى هلال وفرساته الذين معه قلعوا الصوان وأمر العكام بسيقه وبمنصبه على أبواب
نواصي في نصف الميدان ودق طبلوه ونشر أعلامه وسار حتى بقى بينه وبين هلال يوم كامل
وكانوا جميعهم فى انتظاره وثانى يوم الأحد خرجوا الأربع تسعينات ألوف وتابعهم
حوالاقوه وما فضل من هلال لا كبير ولا صغير حتى طلع ملحق الا به دياب وخرجوا بالاطبول
والثوبات السلطانية وزالت عنهم الهموم والآثراح وبطلوا ما بالافراح بقدم دياب
وأدخلوه إلى الحى بثوبة سلطانية عظيمة وأما أهل القتل فأنهم اجتمعوا على التراب وهم فى
السواهو وأقواب الحماة لى يشكو إلى دياب ما فعل الزناتي بهم وأما حسن وأبو زيد
ظلوا فى الصيوان ما خرجوا إلى الحياهم وأما دياب لما رجع حسن وأبو زيد عرف
المعضمون وإنما أخذ السكند وأظهر الصبر والجلد ولم يزل سائر فى الموكب العظيم

حتى وصل إلى أبواب تونس فرجعت منه تلك الأرواح في طولها والارض وطامعت
الحريم على الأسوار القرمزية على الزينة وارتعدت من الزناح خائفة ومن عنده
القلوب وانحلت المفاصل وقال الله يعيننا على حربه وأما دياب رفع رأسه إلى سور
تونس فوجده رؤوس الأمايرة ثمانية وأربعين رأساً مشكوكين على الرماح فسأل من
يكونوا هؤلاء فقال له عجمه عرندس هؤلاء رؤوس بني هلال الذي قتلهم الزناح
وهم أولاد عمك فقال كل هذا جرى في غيبي وظل سائر إلى التربة فلاقوه أهل
القتل والبنات وشالوا البراقع وحذفوها إلى دياب فعليلاً خاطبهم وأنشد يقول :

قال أبو موسى دياب المفتخر فارس الهيجاء وخيال الوعر
سامي الزينات سور المحصنات مفرج السكرات في يوم العسر
منه الخطار في من الفلا مشيع الجيعان زاكى منتشر
زال عنكم همكم ياذا البنات والزناح حل في عمره قصر
وأخذ النار من أبو سمعة حقيقي وجميع قومه من حسامي البحر
وأخبروني يا بنات بما جرى وأعدوني بحقائق تسكر
مالكم على القبور جواسيس وشعوركن على السكتاف ينتشر
كم من أميرة شقت ثوب الحيا وقبل هذا اليوم كانت تنستر
لمن هذا القبر يا بنت الكرام من هذا الذي من تحتها الطاهر
هل أبو زيد والاهير حسن كم ربيع هدموه وصبح مندثر
ألا بدير العامر خائنا يا نحيف وجهه بعد نور ينفطر
فأبشروا بالنار أتم يا بنات في ما مضى لحدين بولاد اندكن
أنا عليهم مثل سبع كسر من هد اليوم يا هذاري انحدرك
وانظروا فعل دياب يا بنات بعون من أمرة علينا قد قدر
أفرحوا اليوم يا بنات وابشروا وخاطركم المكسور مني ينحدر
(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه تقدمت فتنة بنت خاله بدير تقول :

قالها فتاة الحى بشف الفاضل ومع عيني فوق خدي منحدرك
أصبحت حيرانه وعقل زابل والقلب مني يا جماعة انفطر

والبنات جمع حال مثلهم انظر في مينك فينا وافشكر
من فعل أبو سعده الزناني خليفة قتل الأبطال في سيفه مكر
وإن كان تأخذ ثارنا بسيفك يبقى ثنائك على العوالم مفتخر
(قال الراوى) فلما فرغت بنت الفاضى من كلامها طيب بخاطرهما وسامع
المركب حتى دخل البيوت فر على صيوان الامو حسن وأبو زيد فلقاما يتفرجوا
فلما وصل دياب إلى عند الصيوان دخل وسلم على حسن وأبو زيد فقاموا له على
الأقدام وحيوه بالسلام وأكرموه غاية الإكرام وبعدها قام دياب وركب إلى
بيته وتفرقوا كل واحد لعله فرجع بنت الامو حسن وصارت تحبوه وتقول:

قال فتنة بنت سلطان الملا	اسمع كلامى أنت يا سلطان العرب
طلعت بنات هلال وجميع النساء	الجازية طلعت وارخت لثقاب
بجنب وادى لقد وقفوا الجميع	ينظروا لدياب قوم مفتخر
لما طلع ضوء النهار وانجلي	أقبل دياب الخيل من حوله سرب
والخيل شهباء يابوى وأقبلت	وفوقها من كل فارس منتخب
أما الفتى الزغبى أمامهم	الفين طبل من إوراه تضرب
والجمال الخيولهم خاص الحرير	وكل من خلفه حصانه قد سحب
لما رآته بنات قيس يا أبى	قرعن كل العذارى على التراب
ورفوا ومسكوا وكابه يا فتى	انهد ان قد جاك قاصد للطلب
ان الزناني قد أباد قرومنا	ودمهم فوق الأراضى قد سكب
وزيد أخذ الثار يا أبو موسى	ونحن عندنا نبيحات كل العطب
قال لهم يا ببيض غدا فابشروا	والهم عنكم يا عذارى قد ذهب
لا بد عن قتل الزناني يا بنات	قد زال بيت المرحه وانخرب
أنا دياب الخيل طعان العدا	أنا مريع الخيل مفرج الكرب

فلما فرغت من كلامها وأبوما يسمع نظاما قال مرادنا من يروح لعد دياب لنا
يأتى بالخبر ويكشف كيف يقول فى حربه الزناني فقامت دابة الحرير وقالت أنا أكشف
لك عن ذلك وسارت الصيوان ووصلت إليه فوجدته نائم له بنت صفوة اسمها نهية وهو

يلاهبها ويقول أين أظعن الزناتى فقالت له في عينه فقال قواك مبارك وجباتك
ما أظعنه إلا في عينه فرجعت الداية إلى عند الأمير حسن وأخبرته عن مارات

هم افترق وأطرق رأسه إلى الأرض ساعته من الزمان وفاق وتنهى وأنشد يقول:

يقول الفتى حسن الهلال أبو على الأجواد تختبر ليوم النوايب

وما سندنا إلا دياب بن غانم لأنه صيدع من خيار القرايب

ونرجو من الرحمن يفرج معنا لأن العرب وقعوا معظم المصائب

صلى من الزغب يميننا غاية وبقتل خليفة بين جميع الكرايب

دياب أمير وابن أمير وأمه ولا مثله في شرقها والمقارب

قال الفتى حسن الهلال أبو على وقلبي فرح في ملتقى الحباب

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه وأمراته تسمع نظامه وكان اسمها نافلة

أخت دياب استلقت على حسن أنه دخل الحسد من أخوها فعند ذلك أشتدت تقول:

ما قالت التي قالت نالت رجالها ودمع عين فوق الحدود سجام

سعدنا في بنى زغبة دياب شبيه البحر موجه حايلاطم

فلما أقبلت غيبه علينا ففرحى البيض دقائق الوشام

طبول حوله يا أمير تضرب شبيه الرعد بوسط الرعد قايم

وخافوا أعادى حين شافوا بنى زغبه وهم نسل الأكارم

قال الزناتى لأهل تونس يصيروا أهلها لنا خدام

قالت التي قتل رجالها ما تعيب يا حسن في ابن غانم

(قال الراوى) فلما فرغ نافلة من كلامها والأمير حسن يسمع نظامها قال لها يا نافلة صدى

الأمير دياب يقتل الزناتى وتملك أرض تونس ونخلص أولادنا فها ما جرى للامير

حسن و نافلة فيرجع الكلام لذياب فانه التفت إلى القوم وأصرهم إلى المنام قال لهم

ياكر ارجعوا احضروا جميعكم قالوا اسمعوا وطاعة ولا أصبح الصباح نهض الأمير دياب

وطلب مبارزة الفرسان ولعب الخضر في أربعة أركان الميدان رجال وصال ولعب

بالرمح حتى حير عقول الشيوخ والهاب والابواب مستكرة لاحد يخرج ولا يدخل

فتقدم دياب إلى أبواب تونس ودق في عكاك الزخ فارمخ السور فقال البواب من الداخل

فرد دياب وقال له روح أعلم سيدك الزناتي يخرج لحربي لأجل أن يوفى الناس ديونهم
وان سألك عنى فقل له دياب قاتل اخوتك خويبة وهكمول وأبرز اليه وخذنا رم
فضى البواب واعلم سيده الزناتي فضاعت في وجهه الدنيا وما عاد يمس على حاله لأن
كل منية لها أسباب والزناتي منيته على يد دياب فأرسل أحضرا بنته سعدة وقال لها
يا باغية ما أحسب لنا البلا خلفك فلو كان من الأول تركتى أقتل المحابيس
وأبوزيد كنا أرمحننا من بنى هلال ولا نظرناهم وأنا لا أخاف إلا من دياب
فقاتل سعدة يا أبى لا تخاف منه أنا أروده هناك ثم مشيت على شراريف القصر لفوق
دياب فنظرت له يلاعب الحضر افنظر اليها وكف وجهه عنها الحسن صورتها وقال ما اسمك
وما تريدن فقال له وأنت من تكون وما تريد فأشار دياب يقول :

يقول الفتى الزغبى دياب رلى قلب يشبه بيضة البرلاد
وعرمى كسبح الغاب فى الميدان راسى بوزان شاعات بولاد
الا يا صباح الخير يا وجه البها أنت تشبهى دينا بالفلا شراد
اصغى لى واسمع نظم قصتى وردى جوايى بعد كل مراد
واليوم يكون السكون بينى وبينكم واليوم نار الحرب تزيد وقاد
دياب جاكم اليوم وعرف دياركم وقد كان برا قائم الاطراد
ولا خائفا منكم ولا من جمعكم بعون الميمى صاحب الآجاد
وقد جميع اليكم طالب شركم واليكم بعد البياض مسواد
الا يا صغيرة الدهى لا بوى وقولى دياب الخيل جاء وماد
قولى له ينزل لحربي بلا بطلا ويلبس الدرع المققع وزراد

تمت هذه القصة وبانها قصة قتل الزناتي خليفة

قصة قتل الزناتي خليفة

من هذا الأمير دياب بعد الحرب الشديد الذي يشيب رأس
الطفل الرضيع وفيه قصة الأمير صبره بن الأمير أبو زيد
وقتل الغلام وما حصل لهم من الحروب والأموال التي
تشيب الأطفال وتدمش العقول والأفكار

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه وشمره الذي تقدم في الجزء
الثامن عادت سعادته تماريه :

تقول سعادته بنت أمير تونس ألا يا دياب الخيل يا صنيدي
حسبنا حساباً قبل جميعتنا جتنا علامانك وانت كنت بعد
وتشهد لك الأبطال في ثوبها بأنك صديق فارس صنيدي
فأعني من الزناتي خليفة وخد ما تشتهي وتريد
وخد ملكتنا ثم الرزق كله بساتين تونس قريبها وبعيد
فيطل عنان السكون يا ابن غاتم فبلغ من الخيرات كل مزيد
ما قالت بنت أمير تونس الله يفعل ما يشاء ويريد
(قال الراوى) فلما فرغت سعادته من كلامها أشار دياب يقول :

قال الفتى الزغبى دياب بن غاتم ولى هزم يقطع الصخر والجلود
ولى همة تملو على كل ماجد بيوم الوقائع للقرور أصيد
أبوك قد أباد قرومنا فوارس أمارة بالطراد تزيد
فلا بد من حرب الزناتي خليفة لو أنه هوا الف حصن حديد
(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه قالت له سعادته قف عندك

حتى أرسل لك أبى وحدث لأبوها تحته على حربه فأشار يقول :

يقول أبو سعادته الزناتي خليفة ونيران قلبى زائدات وقيد
وعنى نبات عادته لذة السكرى لأن بها نيل الجديد حديد

أيا سعدة حربة دياب بن غانم سمعت بها بأقصى البلاد وهجد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم لها من يفلق الصفا الجميد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم تقى بها الفصراء نعم قصيد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم فما قط ينظر أحد ويهجد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم بها السم ناقع والفعال شديد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم بها تقتل الأبطال حقا وأكيد
 أيا سعدة حربة دياب بن غانم كم راح منها ابن سب وسيد
 فلما فرغ الزناتى من قوله ركب الجواد وبرز إلى الميدان صار على دياب يقول:

يقول ابن سرجان الزناتى خليفة لى قلب أقوى من رفيف صقال
 فاشت ما قد صار بتونس قتلت فوارس من قوارب هلال
 قتلت القاضى بن فايد وبدو مع زيدان والأبطال
 وقتلت أيضا الحفاجى عامر وعقيل ونصر والثنى سرجان
 تمائين أمهرا قد قتلت بصارمي دعيت دعام فى البوادرى سال
 أنا فارس الهيجا إذا قام سوقها أدخل البوادرى عارطا وتلال
 رد الفتى الرغبى دياب الغانم أنا ولد غانم أنا الدلال
 أنا تعرف الفرسان عزمى وسيمتى أنا فارس الهيجا بيوم قتال
 جاني أخوك غايبه قتله وأرميته مطروح فوق جهال
 من بعد مكحول جاني مطارع طعنته بحربة عن جواده مال
 اليوم يومك يا زناتى خليفة فلا بد من سبق تروح شلال

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير دياب من كلامه والزناتى يسمع نظامه فالتطموا
 البطالين كأنهم جبلين وتصادم عظام الأبطال وضربت في جروهم الأمثال وقاتل الزناتى
 من حرب دياب ورأى منه أبواب ما كانت تحطرق له بحساب رآه بحرمة لفرار وتبان
 حاله عيارا فاحتار الزناتى بأمره وغاب عن الشدة وماز الوافى الحرب والطعان والضرب
 وهم في أشد ضيق وقتال ونزال إلى نصف النهار فراد الأمير دياب على الزناتى
 بحربة وعاد يقتله وهو على الخضر المثل الصاعدة فخاف الزناتى وانحل عزمه وولى

من قدام دياب هارب وإلى النجاة طالب إلى أبواب تونس ودخل وهو وعسكره
 وفتحوا له الطريق ودياب لاحقه مثل الأسد السكار فجهم دياب وعسكره على
 الزناتى والتفت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال إلى الجبال وراح صاحب
 الحملات لعرب الحرب والكفاح فيها لها من وقعة تفسيب الاطفال وراح من الفريقين
 عدد كثير من الفرسان والشمعان وكان لتونس ثلاث أبواب أحدها خاف الآخر
 ففتحوا حتى دخل الزناتى الأبواب وسكروهم فضرب دياب الباب بالرمح ففرق أربعة
 أكعب فاطبقت قوم الزناتى على قوم دياب فالتفاهم بسيفه القرضاب وجندل منهم
 الشيوخ والصباب فبرزوا في رغبة وعظمت الأموال والقبل والقال إلى أن رأت
 الشمس لغياب ودقت طبول الانفصال فوات قوم الزناتى من خارج السور هاربين
 وإلى النجاة طالعين ورجع الأمير دياب وقومه إلى بني ملال فهنوه بالسلامة وأكلوا
 وشربوا وحضر الأمير حسن والأمير أبو زيد لعند دياب وعانقوه وهنوه بالسلامة
 وجلسوا معه في المنادمة والسلام وأمر دياب بالدبايح وعمل الولائم فسالوه عن
 حرب الزناتى فتبسم الأمير دياب من قولهم وقال أبو زيد هل خوفكم الزناتى وأرعب
 قلوبكم بعناية البارئ تعالى أنا أكفكم شره واقصر عمره فقامت الإمارة أجازك الله
 يا دياب غداً التي الزناتى واقتله وملكتنا الغرب كاملكنا الشرق فقال ان اراد الله تعالى
 ولكن يا حسن الذي يقتل الزناتى يكون ساعطان العرب فقال الأمير حسن نحن أولاد
 عم وبين الأهل لا يوجد فرق والرزق واحد والحكم واحد بعد ذلك انصرفوا إلى
 حالهم ولما أصبح الصباح برز دياب إلى الميدان فبرز الزناتى وانطبقوا على بعضهم
 انطبق الغمام وطال بينهم الطعن والصدام من شروق الشمس إلى زومت الظلام فدقت
 طبول الانفصال وانفصلوا للفريقين عن القتال كل منهم عاد إلى عاه والاطلال فلما
 أصبح الصباح طالع بني ملال من خيامها وكتب سواقةها وأما الزناتى أشاق أبواب
 تونس وما عاد يفتح ولا عاد له قاب للخروج إلى الميدان لخوفه من الأمير دياب
 وأما الأمير دياب قام من نومه وتقلد سلاسه وركب الحضرأ وبرز إلى الميدان
 حين نظره الزناتى تحركت في رأسه مروعة الرجال وهانت المنية عليه برز الزناتى
 لدياب وصدمه صدمة الجبار لا يهاب نزول الأخطار وهاش الزناتى كالجل وطلعت

زبده إلى أشداته لأنه تذكر رزقه وأملا كفها نث المنية عليه فتلقاه دياب بالسيف
وصده أو يقتل على الشيوخ والشباب لحملوا على بعضهم وطاؤفيا بينهم الغبار حتى
سد منافذ الأفطار وحجبت عنان السماء ولقوا الحرب والصدام إلى الظلام ودقت
طبول الانفصال واقترعوا على سلامة واستأموا على هذا الحال شهرين وفي آخر
الأيام برز الاثنين إلى الميدان فغضب دياب وزاد به الغضب فقام في عزم قال الجواد
على الأرض وبقى الزناني مطروح وقد أيقن بذهاب الروح فأدركوه قومه في جواه
من الخيل وأركبوه ومال عليهم دياب بالسيف القرضاب وزاد نار الحرب التهاب
وقطعت منهم الزنود والركاب وساقهم دياب سوق الغنم ودخلوا المدينة وسكوا أبوها
فطلع الزناني إلى قصره وأيقن بوال عمره فقام على فراشه غارق في الأفكار لنصف الليل فقام
مرعوب نادى ابنته سعدا فأتت ولما شاهدت حاله بكّت وبدمت وصارت تشجع والدعا
على حرب دياب وثاني الأيام نزل إلى الميدان فبرز إليه الأمير دياب فأشار الزناني يقول:

يقول ابن سمران الزناني خليفة	ولي قاب من جواز الزنان جريح
تسعين أمير من هلال وعامر	وكل أمير بالوفا رجيع
استقيم كأس الحمام بلا خفا	لسام عليهم بالظلام تصيح
سأقطع لرأسك يابن غام بهتي	وأشرح لحك والحشا تشريح
وأخذ الحضرأ ورأى جنبيه	وأسكر بدمك كالدم وأصيح
فاعملوا عشر المال والخيل والنسا	وتبقوا رعايانا على التوضيح
جرى بساط الصلح بيني وبينكم	ومن يطلب الصلح عاد مليح
رد الفتى الرغي دياب وقال له	ترى المرج بين العالمين قبيح
لي تار عندك يا زناني خليفة	وقد بان في قومي بكاء وتنوح
قتلت هلال والقروم جميعهم	وقتل منا كل قرم رجوع
تسعين أمير من هلال وعامر	عددا وتطلب أن أكون رجيع
وتطلب مني يا زناني أصالحك	أنا والنبي بين الرجال سميع
فن يعتق الحية يضرة سمها	ويضحي فؤاده بالسوم طويح
أين بدير العامري بن فايد	أين اخوتي زيدان وبدن طويح

(١٨ - تغريبة)

أين سليمان الحفاجي عامر قد كان يوم الطراد وجيح
وتحت خضرا يقطع العود عزمها متسربة في أماكن النوشيح
ما أظن يلحقها الطير بالسبا أنا بها بين القروم تطيح
وأنا لك منطاح يا زناتي خليفة على سرج خضرا ثم فيك أصبح
فلما انتهى الأمير دباب من كلامه والزناتي يسمع نظامه التقوا البطالين كأنهم
أسدين كاسرين وملوا في حرب وصدام إلى وقت الظلام فدفعت طبول الانفصال
وعلمى الأيام وزوا الاثنين إلى الميدان وأنشد الزناتي يقول :

يقول الزناتي يا دباب الغارة حالا الزناتي مثل شعلة نار
جاءك الزناتي فوق آدم حاصر لو كان فيه جناحين لطار
تسعين أمير أمن هلال قتلم صفت رموس الجبل على الاسوار
زبدان مع بدر الأمير قتلتم أيضاً وحالك كان حر الجار
واللوم لأزم أذبحك بمغدى وأسقيك يا دباب كأس مراد
إن طعنى انزل وبوس ركابي وأدخل إلى كي تكون حجار
وميت نفسك في حرب خليفة قصاب عامل فيكم حجار
ود الفتى الوغى وقال له ألا يا زناتي لا تكون فشار
من نجد حتى أرض تواس كلها وملوكها وأبطالها وأمارا
لى نار عندك يا زناتي خليفة أحرق قلب رجالنا بالنار
أنيت سحقي وسن قناتي لأن أمورك بالمالا تذكر
وأملك لفهرتك والبلاد جميعها وآخذ حريمك كلها جوار
فألك عافى يا زناتي هفر لا بد أضرم فيك لهيب النار

فلما فرغ الاثنين من الشعر والنظام ولم يزالوا في حرب وصدام حتى أتى
الظلام فدفعت طبول الانفصال وعلمى يوم برز البطالين وأنشد الزناتي يقول :

يوم أبوسعده الزناتي خليفة لي هزم في البيد كسبح الغاب
أنا القرم أنا الضرعام قاهره ما أنا ملك الأبطال يوم حراب
أنا البطل المسى الزناتي خليفة كم من ملك جأى وظنه خاب

حكمت على كل الملوك جميعهم
يادياب الخيل الظر متى
كم من ملك جيوشه قهرتها
أنا اليوم خصمك يا ابن غانم
حالهم غير الطعن في سمر القنا
ما قال أبو سعد الزناني خليفة
رد الفتى الزغبى دياب المساجد
وكم من ملوك قد قهرت بصارمي
فراح في حد السيوف مجندل
وراح منجد والبيدي ومفرج
وان كان ما أشقى غليل منك
قال أبو موسى دياب بن غانم
فلما فرغ دياب من كلامه والزناني يسمع نظامه أخذوا في حرب وصدام حتى
أقبل الظلام فندقت طبول الانفصال وزناني يرم برز دياب إلى الميدان وطلب
الفرسان فبرز إليه الزناني وصار يقول :

يقول الزناني أفرس الفرسان
بليت فيكم يا هلال بابه
قتلت منكم قوم ما لهم عدد
صاقف رؤوس رجالكم أنظروها
أنا خليفة يادياب مخدر
أزل عن الخضرا وبوس ركابي
إن طعنتي وخدعتي بتصاحه أء
وإن لم تطعنني أقتلك بسيفي
واوضع لراسك سور فوق بلادى
رد الفتى الزغبى وقال له
في القلب منك يا دياب نهران
وبى بكم دون الملا أبلابي
راحوا طمام الوحوش والفرسان
على السور مشورة كما الصوان
ياما قهرت أبطال مع شجعان
وتعيش بخدعتي تحت أن
عليك فوز وتكون عليها سلطان
وأسقيك كأساً طامخاً مليان
وأقول رأس دياب قد أكفاني
أقصر كلامك لا تكن رمان

أما دياب والدماء هو مشربى كأس شربه إل الفرسان
ل نأر هندك يا زنائى قاصد رعى وسبق فى الدماء غرقان
خالى بدير وأنخى الخفاجى عامر مع بدر أخى والفقى زيدان
أولاد هولاء يا زنائى ختمهم فى ماضى الحدين ضرب يمان
وأشقى غليلي مثلك يا أبو سعده حول من الزينات لا تنسان

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه التقوا البطلين فى الحرب والصدام
وهقوا البلاد والعدم حتى مل الزنائى وبعد عره ذل وعرف حاله مخ دياب أنه
فارس مغوار وبطل كرار لا يصطلى له بنار فيقروا فى قتال شديد حتى ولّى النهار
وأقبل الليل بالاعتكار دقت طبول الانفصال واقتروا من الجبال .

ورجع كل واحد منهم إلى قومه وقد ذل الزنائى بعد عز وبكى على أحواله وملكه
وبات تلك الليلة فى هم وأزاج إلى وقت الصباح فنهض من وقته وطلب دواية
وقرطاس وكتب كتاباً يطلب الصلح وأرسله إلى دياب وكان دياب قد برز إلى الميدان
وجميع أماره بنى هلال واكبة معه فلما وصل الرسول أعطاه الكتاب ففحصه وقرأه
وعرف رموزه فغعد ذلك لوى لجام الخضر أو توجه لعند السلطان حسن وعرض عليه
كتاب الزنائى فقرأه أبو زيد على رءوس الأماره فهتوا جميعاً مقدار ساعة فقال أبو زيد
يا أماره الزنائى طالب الصلح ماذا تقولوا فقالوا الرأى هند حسن وعندك يا أبو زيد
فقال أبو زيد رأيت أنكم تصالحوه ومن أبى عن الصلح يغلب الجازية فلما سمعت
هذا الكلام من الأماره التفت إليهم وقالت أذل الله الحاكم من بنى العربان
ذليتم عن حرب الزنائى ودياب أيضاً من قتل أخوته وأولاد عمه ذل معكم وهو
شاطر فى ركوب الخضر وتعريض الصدر وحالا نادى النسوان دونكم أركبوا
الحليل ونحن نقهر الزنائى ونأخذ ثأرنا منه والتفت إلى دياب وقالت له انزل
عن الخضر حتى أركبها وأقاتل الزنائى وقالت هذه الأبهات :

تقول فتاة الحى أم محمد وأنا على قتال الزنائى جهاد
أنا بنت مرحان الأمير بلا خفا أخى حسن سلطان ع القوم صايد
ألا يا بنات اسمعوا شرح قصتى ودقوا طبول القتال مثل الرعايد

خلت من قتال أمير تونس أجاريدكم راحوا ولوا شرايد
 تريدوا صلحاً بعد تسعين أميراً حريمهم عليها قايمن العدايد
 وفرحوا فيك يا ولد غانم وقالوا دياب الخيل يا أبو العدايد
 ما قالت فتاة الحى أم محمد فلا بد من حرب خليفه أكاد
 فلما فرغت الجازية من كلامها والأمانه يسمعون نظامها فعند ذلك تبادلت
 البنات إلى الخيل وكل واحدة مسكت لجام فرس وقالت لرا كها أنزل واركب
 هو ضعى فى المودج وأنا أركب جوادك وأما الجازية فعادت على دياب وقالت أنزل
 وأنا أركب موضعك وأحارب خليفه فغضب الأمير دياب وقال لالانقولى هذا الكلام
 فحكم مرة خطمتك من السبي ولو صالحوه كل بنى هلال ما أفوت نار أخواني وأولادى
 ولا صالحت خليفه قومى وارجمى هؤلاء البنات وصار يكتب للخليفه رد جوابه يقول
 يقول الفتى الزغبى ولد غانم ودم الفتى بعد الفعل حرام
 وحده الفتى بعد الفعل مذمة وحده الفتى بعد الفعل تمام
 أما دوم يمدوح بفعل الأكارم بخير وجود بالفلا خصام
 كم فارس أنا بقتانى قتلتى وادعيه داخل الحود ينام
 من نجد إلى تونس أبداً فروعها سلاطين ابنو للضيوف خيام
 وأخذنا إلى أموالهم وظعونهم وأنا مكاسبهم كل غانم
 وما عاقنا من نجد أن تونس عوابق ولا خيل بها مجام
 نسواك يا أمير من بنى هلال قتلتهم فشكتب فينا فى قنا وخسام
 تسعين أمير من بنى هلال قتلتهم وراحوا طسام الأوهام
 وباعت تصالحى من بعد هروقى فهذه أمور مبعديات عظام
 أيتها بلادك يا زعماتى خليفه أصبحت محاربتنا بغض لزام
 تسعين أمير أنت ناسى هدمم أريد ألوفاً منك بعد حسام
 ولا بد منك يا زعماتى خليفه ولو كان حواك مثل ألف غلام
 وإن طردت أو فرت ولا بد منك ولو كنت جوا ألف برج خام
 إذا اصطفت الخيلين واشتبك القنا وانصرت الاسلام بيوم زحام

فانزل إلى الميدان من غد يا كبر
 وخذ من يميني طعنة قوية
 ويظهر خبرها في البلاد جميعها
 أما فارس الشرقي والغرب واليمن
 فلا بد ما أمالك بلادك كلها
 ما قال الفتى الرغبى دياب بن غانم
 (قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وأرسله إلى الزناتى
 خليفة فلما وصل إليه فعنه وقراه وعرف رموزه وتمناه انخذلت أنفاسه وزاد
 وسواسه ولما أصبح الصباح وقت طهول بنى هلال الحرب والكفاح وبرز
 الإله دياب إلى الميدان فنظر الزناتى فأشار يكتب إلى دياب يقول
 يقول أبو سعدة الزناتى خليفة
 نادى دياب الخيل يا طيب الثنا
 فاصفح عن حربى وخذ ما تريد
 وأعطيك القيروان وقابس
 وبالخال أرسل للمغارب جميعاً
 واحكم أنت بلادنا وأرضها
 أقم عليك بجاه دى نجه
 وأصبر عبدك وعبد عبدك للأبد
 وبطل الحرب عنى ولا تلومنى
 ما قال أبو سعدة الزناتى خليفة
 (قال الراوى) فلما فرغ الخليفة من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وقدمه
 للإله دياب فلما قرأه مرة ومرة صرخ في الخادم صرخة أزعجته وقال لولا ما يكون
 قتل الرسول حرام لأدعيك على الثرى مقتول واسكن أرنجع لمولاك وقل له ما عنده
 جواب إلا السيف القرضاب فرجع النجاب وأعلم مولاه بذلك وأما دياب بات تلك
 الليلة إلى الصباح فهب من ثومه ونزل إلى الميدان وعرض وبان وطلب الأفرسان

فما أحد رد عليه جواب فعند ذلك عاد دياب إلى بوابة تونس لحكت طريقه على
خندق كبير فلما نظره حول عن الخضر وأقاس فطلع عمقه خمسة رماح ووسعه
ثلاثة فعرف أن الخضر انقذوه فعند ذلك على بظهر الخضر وأرجعه إلى الوراء
وصار يلعبها حتى صارت أربعتهما تتحط المسد ورأسه صوب الخندق حتى وصلت
إلى حافته وتحسها بالركاب فقفزت إلى الجانب الآخر وظل غابر إلى الباب لقي
البواب نائم فلكره بكعب الرمح ففاق البواب فوجد قار فوق رأسه قال له الأمير
دياب اليوم قفر الخضر فوق غد يقفها السور فراح البواب وأعلم مولا مود دياب
ورجع إلى قومه فعند ذلك نزلت ذموج الزناتي وصار يهكي على حاله وأرسل وراءه
سعدا ابنته لكي يودعها وكان قصده قتلها وليس إليها وصول وكانت سعدا ضربت
الرمح فماتت أن حنية أبيها قد قربت فأنت الشباك لها وقالت طب نفسا وقر عينا
الآن إن عندي بالرمح أنك متصور على دياب وفي ثاني الأيام دق طبله وبرز إلى الميدان
وفيه الأمير دياب والتمتوا البطالين كأهم جيلين وغنى فوق رؤوسهم غراب البين
فوقعت بينهما ضربتين قاطعتين كان السابق في الضربة لزناتي فمن دياب به الرماح فأخلى
منها فأصاب الخضر فوقعت على الأرض ووقع كأنه طود من الأطواد فطرح
الزناتي فيه وسحب السيف من غمده وهجم عليه ليعدمه الحياة فكانوا ابنو هلال
أدركوه وقدموا له جوادا من الخيل الجياد فعندها ركب وانتفر على الزناتي في قلب
السياب وما زال السيف بينهم إلى وقت الظلام فأنفصلوا على سلامة الحرب والقتال أما
دياب فإنه حزن على الخضر كثيرا وأمر أن يغسلونها ويكفونها بشفق الحرير ويدفنوها
وبني على قبرها قبلة عظيمة وذبح على قبرها ألف ناقة وقرقه على الفقراء ذكاة على سلايلها
وأولادها ونامى يوم نهض دياب وأعتد في عدة جلاد وركب على ابن الخضر وكان مهر
وباهى طوبى الهام وبرز إلى الميدان كأنه فرخ جان وطلب مباوذة الزناتي فبرز إليه لأنه
فرح بقتل الخضر وظن أنه يملك أربعة من دياب ويقتله كإفادات سعدو وأما حسن وبني هلال
تحقق عندهم أن دياب في هذه المباوذة يقتل الزناتي لأعمال الأجل لماو الخضر أفر كعب الأمير
حسن مع سائر بني هلال وكبير العماريات المودج واصطفى العساكر قبائل بعضها
البعض والزناتي ودياب في حرب شديدة يقطع الزرد والعنيد من الصباح إلى أن صارت

الشمس في قبلة الملك الأعلى فثارت في رأس دياب نفوة الرجال والحمة الكافية العلية ولأه
مولاه على الظفر على من عاداه فسحب الدبوس من تحت ثغذه ورمه في يده وضرب
الزنانى على رأسه فطيرت أضراسه ونفخ طلسه البولاد ونزل على حامه فدار رأس
جواده وعول على الفرار من عظيم الألم فاعاد يدرى كيف يتوجه فلاجل نفوذ
الاحكام فلما هرب الزنانى قام دياب من عظيم الركاب وأطلق به لريح لان الزنانى
كان حارباً فالتفت لى ينظر إلى دياب كان لاحقاً فأصاب الرمح عينه وعدت الحربة من
لفاء فتذكر الأمير دياب وقت قول ابنته تحية حين قالت له أنه طعنه بعينه قال أبو سعدة
عن الجواد وعول على الوقوع فسلب دياب من ثغذه سيف وضربه على حامه أرمى
رأسه قدماه فأخذ دياب الرأس على رأس السنان وعاده هو ورجال بني هلال على قوم
الزنانى فبدلوا أفراسهم بالسكند وقلبا شافوا الزنانى على الأرض مطروح كثر عظيم
للصائب والأحوال ما عاده ويعرفون الذين من الشال فولوا هاربين واما قرايب الزنانى
وقومهم فانهم دخلوا واما حوا الامان ودخلوا واقعين على دياب ورموا سلاحهم وسلبوا
أرواحهم وطلبوا الامان وأولهم كان العلام وطلبوا من دياب مكان يقيموا فيه
ويلاعنون حريمهم فأعطاهم مدينة الاندلس وما حولها ورم على ثقات الافوال ورحل
العلام وقومه الحريم والعيال وقطنوا بذلك المكان ورجع الأمير حسن والأمير أبو زيد
وبني هلال نحو تونس لينظر واكيف قتل أماد دياب ملك تونس وبالحال نادى عبده خليل
وأعطاه الرمح وأمره أن يوضعه فوق تونس وينادى أن الأمير دياب وكل من
لا يدخل تحته يقتل فعلم كما أمره مولاه وصار ينادى ينداه فسرت سعدة بقتل أبيها
ولبست أفخر ملبوس وصارت تتمختر كأنها العروس حتى أتت إلى عند الأمير سرى وهو
يشمى بجناين القصر عند العصور وهو لا يلبس الملابس الحرير وهو على رأسه طربوش
مغربى حسب عادات أهل الغرب ومنتظر الفرج والتيسير من هذا الأمر العسير ثم دخلت
عليه سعدة وقبلت يديه وقالت له أعلم أيها الأمير الخطير قد جاء الفرج بعد انتعاشه
وتعهدت وإياه أن لا يأخذ غيرها من النساء ووعده أيضاً أن لا تأخذ غيره من الرجال
ولو قطعت بالسيف الثقال وبعد ذلك ودعوا بعضهم البعض وكل واحد ذهب إلى حال
سبيله فانه يرجع الكلام إلى الأمير دياب بعد قتل الزنانى أمر بتعليق رأسه على رأس

الأسود وأمر بتزويل أمارة بني هلال أيد فتوهم وملك دياب تحت الزناني وحال الملك
والمال والنوال والخدم قدامه وأمر بإطلاق مرعي ويحيى ويونس وخلع عليهم وأرسلهم
للعند أهلهم وجلس دياب على تخت الزناني ولبس التاج وهذا التاج مصنوع من قديم الزمان
من أيام مهران خليفته ومرصع كله بالمارجان الأحمر والياقوت الأخضر ومنسوج
بإلدر والجلو والذهب الأصفر واجتمعت حوله بني زغبة صفوا واصفوا مشات وألوف
وأقوال الجميع جوا أيدته فلما سمعت بعده بخوس دياب هل كرمى أبوها خافت وأوتعدت
فراصها وخاب ظننها بمرعي وتعدت حيث لا يتفهمها التدم وتوجهت لعند الأمير دياب
وحبت يدها وترجته في دفن أبوها فقيل طلبها دياب أن يدفنها أبوها بين قبور أخوته
هدروزيديان وطبيب بخاطرهما وأدخلها بين حريمه فأكرموها غاية الإكرام هذا ما جرى
إلى دياب وأما ما جرى إلى حسن وأبوزيد وهم راجعين إلى تونس سبق منهم ناس
وشاهدوا رماح دياب والمنادى ينادى اسم دياب والعبد خليل حين رأى الأمير حسن
أو الأمير أبوزيد مقبلين ارتعد نداءه ورجع شاو ومولاه فقال له دياب ارجع ونادى كما
مرتك فرجع العبد وصار ينادى أن لا سلطان إلا دياب وكل من لا يدخل تحت رجمه
يعدمه الحياة فحين سمع حسن هذا الكلام قال كيف رأى يا أبوزيد تدخل أم لا فقال
أبوزيد هيئة يا حسن تدخل وإن ما شئت لم مع فكان عبد الأمير حسن وواه ضرب به بالرح
قطعه نصفين فضر به العبد خليل قطعه كما قطع الرمح وأما حسن فمهم على ديوان الزناني
فوجد دياب جالس على التخت وحوله أكابر بني زغبة والخدم والعبيد بين يديه والتاج
على رأسه فلما نظروا حسن مهم مثل الجمل المايج وقال ما هذه السعادة يا دياب أما كنت
مرقتي من تحت رحلك وتلبس التاج هل وأسلت وتريد تورثي وتورثي من منصبي
ورثة جدى وأبى ونحن من الذى قصر منا عن حرب الزناني لا بد عن قتلك بالخص بعد
هذا العمل والتخلف على دياب فوقف أبوزيد والرجال بوجه حسن وقبوا أياديه
وقالوا يا مولانا إن دياب غطى رومته المسامحة فهذا كله جرى ودياب جالس على
الكرسى ما هو مفكر فيه ولا فى كلامه فزاد حسن فى الأضرام وقال أتركوك حتى أقتل
هذا العايب فقال له دياب أنت بعد فيك هذه الشطارة فلما قتلت الزناني وملكك
حليتك ولاى سبب أرسلت تدخل على أنت وأبوزيد وكل بني هلال حتى قتلت الزناني

ومهدت لكم البلاد فقال حسن أنا والامير أبو زيد ما أرسلنا وراك ولا أحد من جميع
 بني هلال إلا البناات وأبوك غانم فقال دياب المكاتب عندي فقال حسن كذبت وحق.
 البيت والحجر والركن المطهر لا بد من قتلك وهم في هذا الكلام فتقدم أبو زيد وقال
 يقول أبو زيد الهلالي سلامة قالك يا حسن سرحان وهائش
 تريد تقتل دياب يا أبو علي هو حامى طعننا من كل هائش
 لأنه جعل رومحه على باب تونس فهذا ما هو ذنب يا أمير طائش
 حرمنا لمعشوا براقيهم لدياب ليدعى أبو سعد بدنه يشائش
 جانا على خضره جندل عدوانا وأخذ بشارنا في ماضيات الطرايش
 (قال الراوى) فلما فرغ من كلامه تقدم دياب وقال له يا ابن العم المين لا تغلوا عن الحاجب
 قوم حتى تركب حسن على الكرسي وتقسم البلاد فيند ذلك قام دياب مسلح حسن
 وأخذه أبو زيد بباطنه وأقاموه على النخس واجلسوه وتقدم الامير دياب وأشار يقول

يقول الفتى ارغى دياب بن غانم والنار من جوا الضلوع شجونها
 أيا أبو علي لولا دياب بن غانم عدا ظنكم حرب الرنائى رهوبها
 ولما قتلت الهيدى وأنت شاهد أبو زيد حاضرها كيف تشكرونها
 طعنته وميته ولفنا يجرع القنا بيض العذاره شاخصات جفونها
 وملكنم أرض العديه وأرضها وقفت بها العذاره يفتنونها
 تسكنافت أنا والزنائى خليفة وما تعلم الأرواح من هو زبونها
 وقد راحت الخضرا وشعلها لينا من طوى حمري العدا أصونها
 وجاؤبى بنى هلال وعامر وجاءوا إلى الخضرا يكفنونها
 حفرت لها في الأرض قامة ومثلها خايف وحوش البر ينهشونها
 ان مت والله ادفنواى جنبها في وسط روضة موضع ان دفنتونها
 صى لتلقى بيوم القيامة جميعنا وأقبل الخضرا وامسح عيونها

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه فاعتذره الامير حسن وقال يا امير دياب الخطأ
 يقع قلب دياب والخضرا أخذ عرضها مدينة تونس من غير حساب وأقسم لك ذلك
 الغرب الذى تريد هو أنا مثلك وأبو زيد مثل خضر واجميعهم الذين تقاسموا الجميع

بالأسوة من دون تونس للأمر دياب من غير حساب والمصر فوا على هذا الحال أمامه على
فانه اجتمع مع أبوه وسلم عليه وقامت الافراح وذبحت الاحران وعملوا الولائم
وذبحوا الأغنام إلى الخصاص والعام ونادوا بالأمان في جميع البلدان وسلطنوا العلام على
قنس ومكناس وتلك البلاد وبعد ذلك أمر حسن ببناء قبة عظيمة على قبر الزناتي وأمر
باحتضار الحفارين والتجارين والذهابين وجميع أرباب الصنائع ببنو المجهود في
تزيين تلك القبة على قبر الزناتي وأن يكتبوا عليها أسماء الله الحسنى فزينوها بالنقش
والذهب وحشروا له مشهدا ومروا على قبر الزناتي وتقباسوا البلدان حسن وأبو زيد
ودياب وولوا على قابيس ومكناس وهذا ما جرى من أمر بني هلال وأما ما كان من
قوم الزناتي هم والأمراء والراعي والمحودور والد وغيرهم من الحكام الذين يحكمون على سبعة
تخوت بلاد الغرب والاربعة عشر للقلعة لما سمعوا بتسلطن العلام وقتل الزناتي هاجوا
وماجوا واجتمعت القروم من جميع جزائر الغرب وأتوا إلى ملكهم ناصر وهو أخو
خليفة وكان حاكم الاربع عشرة قلعة وعلى سبعة تخوت بلاد الغرب فدخلوا عليه وقبلوا
الارض بين يديه وأخبروه عن بني هلال وعن قتل خليفة أخوه فهاج وماج وورغ
وصاح واسودت الدنيا في عينيه وحالا أمر في تجهيز الفساكر والابطال وأرسلهم اعنه
العلام ليتها إلى حرب المرابان فلما وصلوا اليه قبلوا الارض بين يديه وبكوا
على ملكهم خليفة وأظهر والله الحزن والحلم والكمد والغم وأنهم خسروا ملكهم
خليفة وقالوا يا ذلنا من بعده والله لناخذ بالثأر ونكف عن العار وترجع تونس
يا لميف البتار لانه أرسلنا إليك ناصر أخو خليفة حتى تنهي الحرب والقتال فكان
جواب العلام لقوم أنني كليص من الحروب والأهوال وليس لي حرم على ملاقات
الابطال والرجال فافعلوا ما بدا لكم وأنا أمدكم بالأموال وهكذا وأرسلوا
يسلموا ناصر أخو خليفة ولما بلغه الجواب أخذوا في تجهيز الفساكر في الحال من الغرب
وما مضت مدة من الزمان حتى تجهز عنده ستائة ألف مقاتل بين فارس وأرجل فنقض
بهذا العسكر الجرار الذي يهبط موج البحار وقصد بني هلال ولم يزل سائر حتى وصل
أطراف تونس هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر دياب فانه دخل
يوما على قصر خليفة فوجد سعدة تبكي وتنوح من فؤاد هروح على فقد أبيها وعلى

مفراق مرعى ويحيى ويرى لما كان عندها لهم من الحب والهيام ومن يد العوق والغرام
فلما نظرها الأمير دياب على هذا الحال حياها بالسلام قال اليها وزاد غرامه فيها
وأراد أن يأخذها زوجة له فقال طيب نفساً وقرى عيناً حيث أنك صرت في
ملكى ونمت حكى أريد أن آخذك لزوجتي مطيعة ولا وأمرى سماعة وأشار يقول:

يقول أبو موسى دياب بن غانم ولى عزم فى الهيعة كليت رهيس
لى عزم أمضى من الحسام إذا سطا مانى ردى الأصل ولا خيس
ألا فابشرى ثم ابشر يا ابن غانم أنا صرت حاكم فى دريد وقيس
ألا يا سعدة قومى وافرحى أنا صرت ملك دون كل قيس
عليك أمان الله مادمت سالم على ظهر شهباء قائمة البرجيس
فلا تحزنى من بعد خوفك وافر حتى أنا هو دياب لوقت عكيس
(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه وسعده تسمع نظامه اغتازت غيظاً شديداً

معاً عليه من مرید وأشارت تقول:

تقول سعدة بنت سلطان تونس سطا البين وتعدى علينا ومال
يا زمان الضنى واح وانتهى تمال اليها يا زمان تعمال
أيا من يرى سعدة وأبوها خليفة زمان اعتدال الدهر قبل ما مال
أنا كنت أميرة بنت أميرة رامير وقصرى على شرافتين طوال
ذنبى برقبتيك يا دياب الغانم قتلت والدى بالصارم النصال
نقتله وتريدنى لك حليصة فهذا منك يا دياب ضلال
فإن أخذتنى يا أمير نواظرى فالى أمجل لروحي بشتق حبال
ولا الناس يقولوا أخذت عدوها ولا أنسبك لى يا دياب رجال
ولا أريد الرغبى دياب بن غانم إلا مقطوع فوق رؤوس جبال

(قال الراوى) فلما فرغت سعدة من كلامها ودياب يسمع نظامها اسودت الدنيا
حتى حيتة كالظلام وقال لها تجاسرى على هذا الكلام يا بنت التمام وحينئذ أمر عبده
بعضها وأن يغسلوها بالاشغال الشاقة ويطحنوها الملح ويلبسوها الملابس الخشنة
وتركها ومضى ففعلوا كما أمرهم به وبقيت حل هذا الحال مدة عشرة أيام وفى اليوم

الحادى عشر دخلت عليها نافلة بنت دياب فلما رأته على هذا الحال سألتها عن حالها وما جرى لها فأخبرتها بسعده عن ظلم الامم دياب وكل ما جرى لها وأشارت بسعده تخبر نافلة بقول لها :

تقول سعد بن سلطان تونس	وتجرى دموعى فوق خدى بواير
ابكى ابويا الزناتى خليفة	وعلى قومنا راحوا بحد البواير
اصيب بحربة من يمين ابن خاتم	فحكمت له بين العيون والنواير
ولما قتل ولت اجاريد قومنا	وراحوا كما الطير فى الجو طائر
ودياب يريدنى ان اكون له حليلة	ويقتل أبوى فوق غيول ضوامر
فواقه ليس بخاطرى ان اقابله	ولست ان ارضاه والرب حاضر
بكيت على دهرى الذى خافنى	ومن حين ولوا لم جبرلى بخاطر
وياما جرى من بندق يا خليفة	طحننت الملح مساء وبياكر
ويا من يعزىنى على قتل والدى	ويوضع سعد فى الحود المقابر

(قال الراوى) فماتت سعد كلامها الاود دياب امامها وكان قد سمع منها الخطاب لانه كان واقف خلف الباب فأمر ظلمه ان يبدوا عليها الاشغال فعملوا كما أمر وبقيت على هذا الحال ١٥ يوم وهى تبكى وتنوح وكان أكثر بكاءها على مرعى لانه نسيها وما فكر فيها وكان عندها عبد تعرفه اسمه مرجان من عبيد أبيها فاستدعته اليه وقالت له مرادى ان تأتىنى بقلم وفرطاس وهداية من نحاس لان مرادى اكتب الى السلطان حسن كتاب فقال لها على العين والراس واقاها بما طلبت فأشارت تكتب وتقول :

تقول فناة الحمى التى خاب ظنها	سعد الذى خانت أبوما وواح
يا غاديا منى على متن حمار	إذا مشى يسبق محبوب رياح
لحين وصولك لبلالى قل له	يا كامل المعروف والاصلاح
سبيت الصغيرة يا هلالى أبو على	ومعكم ترى ما فعلت قباج
الا فاذكروا يوما اتونا اولادهم	الى الغرب وادوم برأى الفلاح
أراد الزناتى ان يعمل رؤوسهم	ويريد يخطف منهم الارواح
تشفعت فيهم لم راحوا نعمة	ولولاي كانوا غدا شواح

قد قال مرعى أخذك لى حلية
نهرهم أبوى كيف باد جوعكم
بجازيته بالقتل يا أمه لا حاكم
فأنا ملكتكم بأرض تونس
فقال دياب أخذك حلية
فأخذنى دياب وحطاني فى مذلة
وأحل على ظهري الحطب
واليوم اعظم حالي ابن ظالم
ومعنى يا ابن سرحان يا أبوى على
بسيوتى والنبي ما سيبتكم
مرادى أكون بغيركم يا على
تقول فتاة الحى سعدة التى شكت
(قال الراوى) فلما فرغت سعدة من الكتاب طوته وأعطته للنجاب فأخذه وسار
على حسن فقصه وقرأه حينئذ افتحا من دياب وأرسل وراءه أبو زيد ما تقدر وصوله
أعلمه بما حصل سعدة من الأول إلى الآخر فقال أبو زيد ما تقدر تعجب سعدة إلا
بواسطة قسمة البلاد وفى اليوم الثانى ركب الأمير حسن وأبو زيد مع جماعة من
الفرسان وتوجهوا نحو دياب ومازوا سائرين إلى أن وصلوا إليه فطيبوا خاطره
وعلموا عليه فالتقام بالزحاب والإكرام وأجلسهم بأعلى مقام وصار يرحب بهم ويقول:
يقول الزغبى دياب بن غانم أهلا وسهلا يا صاحب الدار
أهلا بمن قد شرفوا محلنا أبو زيد السلطان والأمار
أهلا بساطان الأعراب جميعهم مفرى اليتامى فى سنين عمار
(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه شكره الأمار على قوله وبقوا على ضيافته
ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال حسن لدياب مرادى تقسم بلاد الغرب فقال دياب
للأمر لا أبو زيد فقال أبو زيد مرادى تقسم بلاد الغرب له قدامكم مصاعب ومتاعب
كثيرة فانكم ما سكتم تونس وهى من جملة الممتلكات والباقي سبعة نخوت مجلس

عليها من غير محزون على أربعة عشر رقعة وبينناهم في السلام إذا قبل عليهم العهد مرجان
 ابن أبي القيسري يخضب بالدماء ومهشم الأعداء فسألوه ما الخبر فقال لهم إن الشباب
 قد حاسرت وقد نزلت عليهم قوم الأمير ناصر أخو الزناتي الذي من تحته يده
 سلاطين سبعة تخوت بلاد الغرب فإن لم تدركوهم بسرعة ذاقوا الويل فلما سمع
 حسن هذا الحديث صار الثور في عينيه ظلاماً وكذلك أبو زيد ودياب اغتاظوا
 الغيظ الشديد وفي الحال دقت طبول الحرب واجتمع عند الأمير حسن فرسان الطعن
 والضرب فأخبروهم هذه النخائن وأعلموهم بما أجزته المقادير فهاجت الأبطال
 واستعظمت تلك الأحوال وركبت جموع بني هلال الحرب والقتال وفي مقدمتهم
 العهد مرجان بن أبي القيسري وفي مقدمتهم الأمير دياب وبالإمير أبو زيد دليث الغاب وما
 زالوا سائرين يقطعون البراري والقفار فلما كان من شباب بني هلال وهم موسى
 ابن دياب وصبرة بن أبو زيد وأخوته شيبان وعجير فإنيهم كانوا خرجوا للصيد
 والقنص معهم عشرة من أولاد الإمارة وبقوا مدة ثلاثين يوماً يبحلون في البراري
 والقفار والسهول والأودية يقتنصون من الوحوش والطيور وبينما هم بالصيد إذ
 وصلوا إلى عين توز فزفروا عن الخيول لأنهم كانوا تعبوا من وجاسوا على شاطئ النهر
 فقام البعض منهم يوفد النيران والبعض يذبحون الغزلان وهم في أرغد عيش
 وأهنا بال الإقوم الأمير ناصر والعلام مقبلين عليهم وهم مثل الجراد المنتشر
 لا يعرف لهم أول من آخر وكان السبب بقدم ذلك المسكر الجراد هو أن الأمير
 ناصر والهاجلي بن مقرب أتوا ليأخذوا بقار الزناتي وأخذوا معهم للعلام بالحيلة
 لأنه كان مختبر تلك الأراضي وسبب المقادير صادف طريقهم عين توز فالتقوا
 بشباب بني هلال فأحاطوا بهم من اليمين والشمال فحين رأى الأمير صهرو وموسى
 ابن دياب تلك الأعداء أحاطت بهم من كل جانب صاحوا وفاقهم أركبوا ودرككم
 الخيل من أمام قبل ما تدركننا الأعداء فحينئذ وكبت الإمارة ظهورهم المارة وتقلدوا
 بالسيف والنصال وهجموا على تلك الفرسان وقابلوهم بالذل والهوان ونزلوا عليهم
 بضربات قاطعات تهدم الحبال الراسيات وفرقوا الميامن والمياسر حتى ما كان الواحد
 منهم يعرف الآخر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وبقوا على هذا الحال حين الزوال

فأفترقوا من بعضهم والامارة جمعوها اليهم في تلك الارض فوجدوا صبرة بمروج
وشيبان أخو صبرة مقتول ومرجاء بن أبي القمصان مفقود لأنه غير موجود
وبقوا يهرسون بعضهم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فلما نهض صبرة من
النوم وجد عساكر الأعداء حاطينهم من كل جهة وصاروا يجمعون بعضهم البعض
فركبوا ظهور الخيل وقتلوا بالرمح والنصال وجمعت عليهم قوم الأمير ناصر فالتقوا
الأبطال المتهود كأنهم الأسود ومازالوا في أخذ ورد وقرب وبعد وضرب شديد
يشيب رأس الطفل الوليد ومازالوا على هذا الحال عشرة أيام وفي اليوم الحادي
عشر جمعوا شبان بني هلال على جيش الجاهل من كل جهة ومكان وقابلوهم بالذل
والهوان ونزلوا عليهم في طعنات قاطعات وضربات والحرب الشديدة حتى أن الشباب
قتلت من عساكر الأمير ناصر مقدار خمسة آلاف فارس وفي اليوم الثاني كانت
الشباب قل عزمها واضمحلت قوتهم فأحاطتهم عساكر الأمير ناصر من كل مكان
ونزلوا عليهم بضرب شديد وكانت واقعة عظيمة لأن قوم الأمير ناصر تأتهم
المنجذات من العلام ومن السبع نخوت وقفل بتلك الواقعة ثمانية من شبان بني
هلال وقبضوا على الأمير صبرة وقيده به بالسلاسل والأغلال وأحضره قدام العلام
فلما رأى صبرة أمر بالطلاق لأنه كان مساعدا مع الأمير أبو زيد فلما لحظ الأمير الجاهل
فعل العلام قال يا علام لما ذا هذه المطاولة فأخذوا بشأرا زناقي لأنه ابن عمك وهو
لحمك ودمك وقد قتلوا منك أضعاف فسحب الجاهل الخنجر بيده وضرب صبرة
في صدره طلع يلمع من ظهره وقال للفرسان الذين حوليه دولسكم رفاقه الذين فيه
فوجد موسى بن الأمير دياب واقع في جملة من الفرسان ونازلين عليهم بضرب مثل
وخ المطر وهو يدافع عن نفسه من جلالة الروح ويقول يا أبو زيد يا حامى الميهران
لو تسكن حاضراً بين يديك يا أبو دياب لو رأي تخلفنى من هؤلاء لأنه قال وبينما هو
في ذلك الحال رايعين يقتلوه ولا يمان في بني هلال هطلت والسيوف لمعت والعساكر
تقدمت وفي أولهم الأمير دياب في بنى زغبة وخلفه الأمير أبو زيد في بنى حلان
وكان السبب في مجيهم بأن مرجان أبو القمصان أخبرهم بذلك الشأن وعند وصولهم
قد حلت تلك الأرض بالطول والعرض فرجع الأمير موسى ابن الأمير دياب بينا

على خيله الردى فلما نظر دياب هذا الحال صاح على الابطال وهجم على أعدائهم من
الميمنة وأبو زيد من الميسرة وبقية الرجال هجموا على الأعداء بقلوب قوية وهجم
عليه وتقدم الأمير سرور ابن القاضى نضل الأمير موسى من بين الأعداء وقبله بين
حينيه وهناه بالسلامة ثم أخبرهم بما حصل لهم من الأول إلى الآخر وعن قتل صبرة
وشيبان ثم أوتدوا على الفرسان بالسيف والسنان ما كنت ترى السيف غابرة والرؤوس
طائرة والدما طائرة والفرسان بأنفسهم حائرة ودارت على نفس الجبالى الدوائر وبقي
القوم عاقدة وإيليس جدد راقدة ولا تسمع إلا دقعة السلاح ورد الرماح وبقوا
على ذلك الحال إلى أن أقبل الزوال فبات بنو هلال فى الأرض يحرسوا بعضهم
إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح
فوجدوا الأعداء حاططينهم من جهة ومراهم أن يكسروهم لانه قد أتتهم نجات
من جزائر العرب وتلك الجهات وسقطوا على بنى هلال من اليمين والشمال وتزلوا
عليهم بطعنات قاضيات وضربات قاطعات وكثرت الأموال على بنى هلال وشتتوهم
فى تلك الروابي والجبال حتى انكسروا بنى هلال سبعة مراحل إلى الوراء ولما مضى
المساء فاجتمعت الفرسان عند الأمير دياب وقالوا له كيف رأى يا أمير دياب فقال
الرأى عند الأمير أبو زيد فحينئذ تفكر أبو زيد بقتل ابنه صبرة فاجت رأسه
ونخوة العرب الجاهلية وصاح على الفرسان إن شالله نزل اليهم بالسيف النبتا
ونلحقهم الدمار وناخذ منهم ثار الأمير صبرة وصار يحتمهم على قتل الابطال يقول:

يقول أبو زيد الحلال سلامة	بدمع جرى فوق الخدود سيال
الآن وقت الطعن فى سوق القنا	بضرب الشواكر وسيوف لصال
الا فارجعوا ردوا الأعداى بعز	مكم بعزم قوى يهلك الابطال
ولا قومهم بالسيف ويبدوا جميعهم	وخلوا دما الأعدا كسيل سال

فلما فرغ أبو زيد من كلامه ثارت فى رؤس الابطال نحوه الرجال وفى الصباح
اصطفت الخيول والفرسان وتلقى العسكرين ونصبوا سباق الجبال فامهد أبو زيد إلى ساحة
الميدان وطلب مبارزة الفرسان فسقط الأمير كأنه قلة من قلة أو قطعة فصلت
من جبل وصدم أبو زيد صدمة تزعج الجبال فأشار أبو زيد بتهدد الجبالى ويقول

ألا ما قال أبو زيد الهلال أنا ليث للهامع والجهال
 أنا ليث الحروب بكل واقع أفرجها إذا وقع القتال
 ألا يا جابلي اسمع لقول ورد علينا شعراً مع مقال
 أعلم أنني ليث قدِير دويس الخيل هرام الرجال
 فلي قلب كما للصوان ثابت أكيد الخصم حقاً لا أبال
 وحق الله خالق البرايا إله حكيم في الملك حال
 لا قطع حميم وأبى نسامهم ويل القوم يرى القتال
 وأقطع جنسهم بالحمير ولا أبى رجال ولا عيال
 وأخذ ثار شيبان وصبره وأجرى دمكم فوق الرمال
 فلما فرغ أبو زيد من كلامه انحدر عليه الجابلي من غير رد جواب وساروا
 يتحاذون في الحرب والصدام من الزمان حتى أراد الجابلي على أبو زيد في
 الحرب والصدام كما أراد كانون الشتاء في الرعد وكلما فتح أبو زيد باب من الحرب
 يسده الجابلي حتى قفل عليه اثنتان وسبعون باباً من أبواب الحرب وبقوا على هذا الحال
 إلى وقت العصر فصاح الجابلي على أبو زيد وضربه بالرمح راحت الضربة خائبة
 بعد ما كانت صائبة فثنى عليه بالسيف فأخذه بطارقة البولاد فانكسر السيف
 شقتين حينئذ تعدل أبو زيد على ظهر الحرا وقال له خذها من الأمير أبو زيد
 صاحب المكر والكيد فارس المعجم والترك والديلم وضربه بالرمح فقلب الجابلي تحت
 بطن الجواد فراح المضرب خائب فثنى عليه بالسيف القرضاب فحكم على حكم الرقاب
 فأخذ الرأس والخاصرة وسوى بأسقط السيف على الجواد فقطعه قطعتين فالتف الأبطال
 على الأبطال والفرسان على الفرسان من اليمين والشمال حتى ضعف رجال الجابلي لما رأوا
 ملكهم قتيلاً وفي دمه جديل خل بهم الدمار والمروية والفرار ولا زالت بنى هلال تضرب
 فيهم بالسيف البتار ولا حقهم في تلك البراري والقفار حتى كادت تمحى منهم
 الآثار إلى أن وصلوهم الدبار وكان قدولى النهار وأقبل الليل فباتوا الفريقين يحرسوا
 بعضهم البعض إلى وقت الصباح ونزول الحرب والسكفاح فنزل الأمير دياب إلى
 الميدان وعرض وبان بقلب أقوى من الصوان وطلب مبارزة الفرسان فأنحدر إليه

الأمير ناصر وأخذوا في الحرب والصدام إلى نصف النهار فغار الأمير دياب على الأمير ناصر وضربه بالسيف فخلعته فأتت على رأس الجواد فبرته كما يرى الكنايب القلم فوقه ناصر على الأرض فاتحد العلام أمام الأمير دياب لأنه كان معاهد هو وإياه في سنة الزيادة فصار يتجاول هو وإياه فغضب الأمير أبو زيد رأس العلام فأوقعه على الأرض فأتت قومه وأركبته جواد آخر وصار يتجاول هو وإياه إلى وقت الغياب وبقوا على هذا الحال عشرة أيام وكان كل يوم يقتل له فارس بمحربة آخر النهار حتى ضجرت العرب من قتالهما وحينما افترقا على القتال أتت الجازية إلى أماره بنى هلال والأمير أبو زيد وقالت له لماذا هذه المطاردة أيها الأمير وصبرة قد قتل بواسطة العلام وقد قتل منا تسعين أمير من أمارتنا وحينئذ التفنت الجازية نحو أماره بنى هلال وأنشدت تقول :

تقول فتاة الحلى الجازية أم محمد ألا فاسمعوا لي يا هلال الأكاير
أبو زيد العلام ينزل يحارب من الصبح لما الليل يودعا كر
فينزل يحارب ويقتل جواده ويترك العلام على الأرض حابر
لأنه حارب عمره لا يخسره ومعاهد وإياه والعهد ظاهر
ولا يحارب مدى العمر يا بطل ما يقتله أبدا ولا له بقاصر
ولو مات منا كل يوم قبيلة فما زال أبو علي على العهد ساير
وذني عامت القوم كابل ما جرى كأني أقول الحق والحق ظاهر
ورأيتم أبو زيد الهلالي يحاول فصيحوه على العلام وأعطوه شطائر
وأدعوه على الغبرا قتل مجند في نار صبره هو قيس الأكاير

فلما فرغت الجازية من كلامها والامارة يسمعون نظامها انتهوا إلى ما كانوا عنه غافلون حينئذ اجتمع عشرة من بنى هلال وضربوا الرأي مع بعضهم أنه في الغد إذا نزل أبو زيد للعلام فاجتمعوا العشرة وليضربوا العلام بعشرة رماح سوا حتى لا يقع اللوم من أبو زيد على أحد الامارة لأنه معاهد هو والعلام ففي ثلثي الايام برز إلى الميدان فبرز إليه الأمير أبو زيد بطارات الامارة من أبو زيد هذه الاحوال عجمت

على العلام من اليمن والشمال وضربوه بالمشرة رماح فوقع على الأرض فحزن الأمير أبو زيد عليه وتقدم إليه وقبله بين عينيه ورجعت القرسان وكان قد أقبل الظلام ودقت طبول الانفصال فأخذه إلى الخيام ورجع الأمير ناصر وقومه حزيناً حيرانين على فقد العلام وأما أبو زيد حمل العلام إلى الخيام حينئذ فاق من غشوته وأشد ديقه.

يقول الفتي العلام ولده عديده فهذا الذي قد كنت به موعود
وأخبرتك هنا ألا يا سلامة سنة الزيادة حين أنيت تروء
بضر ملاحم ناطق الشكل صابر ورخصت باحتكام العمل المعبود
عرفت أن ذا يجرى ألا يا سلامة وحق الذي قد لأن له الجلود
ألا يا سلامة العرب عادت منازلك أحكم بحكم الله ليس عنود
وأنا الذي خاين على العرب وحليت موافق بيننا وعهود
بجازان الإله بما حصل وأمسيت من فوق الشرى بمدود
فأني أوصيك وصية يا سلامة وحق من غسقى بماء ورود
وادرجنى بالقطن والطيب والسك فمن وأوريته بيدك عميق الحود
وأنا رحت ما عاهد الرجوع بخاطر ي وأمسيت من بعد الحياة فقود
وأشهد أن الله لا رب غيره الله تعالى واحد معبود

فلما فرغ من كلامه تنفس الصعداء وسلم الروح فحزن أبو زيد عليه وبعد ذلك دفنوه بالبرك كرام لأبو زيد فلما سمع ناصر بموت العلام حزن حزناً شديداً فولوا الأديار وركبوا إلى الفراغ فتيحهم بنو هلال مدة عشرة أيام حتى شقنهم في البراري والقفار وبعد ذلك اجتمع أبو زيد مع دياب وبقية الأماة وعملوا مشورة تلك الليلة فقال أبو زيد لدباب إننا صرنا في نصف بلاد الغرب وقد بعدنا عن حرمنا وأوطاننا وحولنا جزائر بلاد الغرب وقد كثرت أهدانا وما لنا معين إلا المغاربة لأن ليس لهم كثير من الديار ونخاف أن يعملوا علينا حيلة ويهلكونا لأننا وجدنا هذه الديار وأماننا أربعة عشر قلعة محصنين فإذا يكون هناك من التدبير فقال الرأي عندي أن نخبر الأمير حسن بهذا الشأن وتوصيه في المال والعيال لأن قد أماننا أربعة عشر قلعة وسبعة نخوت بلاد الغرب فقال أبو زيد

لا بأس بذلك أيها الأمير حينئذ أرسل أبو زيد كتاب يعلم الأمير حسن بقتل صبرة
ورفاقته ومن قتل الجايل وكيف أن العلام خان العهد والميثاق وكيف طعنناه الأمير
ناصر أخو الزناتي وعن الحروب التي حصلت لهم من الأول إلى الآخر وسلم ذلك
الكتاب للجناب فأخذه وسار حتى وصل إلى حسن وسلمه الكتاب فقراه وعرف
معناه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون واحضر قلم وقرطاس وجعل يقول :

يقول حسن الهلال أبو علي والتار في قلبي تهب وتشتعل
حركت هدى يا هلال مركبا واصبحت من هذا الكلام في وجل
فان احتجت لدياب بالامجل تلقيه بمجملك مثل قطعة من جبل
وان احتاج اليك فروح له في عسكر من فوق خيل بالمجل
وانتم مسيروا يا سلامة فاني داعي لكم طول الزمان لم أزل
ان شاء الله إله العرش ينصرم وينجيك بلطف وبلوغ الامل
الله يفعل ما يشاء بخلقه ويحبب دعا عبد فقير إذا قال
يا هل ترى عاد الزمان يلما ونعود لمة وشمل مشتمل

فلما فرغ الأمير حسن من تحرير الكتاب أرسله إلى أبو زيد فحين وصله قرأه
أبو زيد على رؤس الأماة والفرسان ثم قال لدياب أنت تتوجه نحو كويج وتلك
القلاع بشرط أن يكون علمكم معي وعلى معكم فان شاء الله وملكت أنا قابلا لأرحل
إلا أن أرسل عليك ويكون الاتفاق على هذه الحالة حتى تلك الأربعة عشرة قلعة حينئذ
تقرات الفواتح وأمر أبو زيد بدق الطبول ونفخ الزمور فركبت الفرسان الخيول
وتقلدت بالرمح والنصول فركب أبو زيد بتسعين ألف من زحلات توجه إلى قابس
وركب دياب في بني زغبة وساروا حتى وصلوا إلى كويج فنهضوا الخيما ورفعوا
الأعلام يستدعي دياب بقلم وقرطاس من الناس فأشار يكتب إلى ملك كويج
وكان اسمه والي يقول :

يقول الزغبى دياب بن غانم ولي عزم أمضى من سنان حراب
فكم من أمير ابن أمير وأميرة أسكنته بيدي هفسه تراب
سلاطين نجد أرديتهم بعد هرم وخليف منازلهم يكرهوا خراب

وقتلها أبو سعد الزناتي خليفه وخليت سعدة في بكاء ونحيب
 فان طحتوني تسلموا لي جميعكم وإلا تها لحرب الأمير دياب
 (قال الراوى) فلما فرغ دياب من تحرير ذلك الكتاب وطواه وأعطاه للنجباء
 وطلب منه رد الجواب فتوجه النجباء نحو الأمير وائل فلما وصل اليه تمثل بين يديه
 وأعطاه الكتاب فأخذه الأمير وائل وقرأه وعرف مضمونه ومعناه وأمكن
 اغتاط الغيظ الشديد واستحضر القلم وقرطاس ودواة من الذهب الخالص وكتب
 إلى الأمير دياب كتاباً وأعطاه إلى عبده تليس وقال انكئ بالجواب فتوجه العبد
 وسار وجد في قطع القفار حتى وصل لعند دياب فأعطاه الكتاب وطلب منه
 الرد ففتحاه وقرأه وعرف معونه ثم انفت نحو العبد وقال له أخبر سيدك أنه ليس
 عندنا جواب غير السيف القرضاب وغدا نلتقى في ميدان الحرب ففي الحال
 توجه العبد وأخبر سيده بما أجابه الأمير دياب فلما سمع وائل ذلك الكلام صار
 الضياء في عينيه كالظلام وفي الحال أمر بدق طبله وتحصين بلده بالمدافع والابطال
 ونشر رايته في الحال ولبس درعه المانع وتقلد بسيفه المقاطع وعلافوق ظهر الحصان
 كأنه فرخ جان أو عرفت من عفاريت سيدنا سليمان وكذلك ركبت الفرسان ظهر
 الخيل وتقلدت بالرماح والنواصل وتأهبوا لابطال الحرب والقتال وكل رفيقه صاحب
 كانه هورائيل قابض الأرواح وبعد ذلك انحدروا إلى الميدان وحققوا بان
 وطلب مهارزة الفرسان وهو يصول ويجول كانه الغزال فبرز اليه دياب فأشار
 الأمير وائل يقول :

يقول الفتى الوائل عن ما جرى له ويزان قلبى اشتعلت لهيبها
 أنا فارس الفرسان في حومة الوغا ييدى أمقى القوم كاس عطيبها
 أنتم تعديتهم وجهيت بلادنا لارض كويج فصدكم تملك كونها
 لجول فوادس بكل همهم تقول سباحا زائدة في عصيبها
 فارجع وإلا يا دياب قتلتكم طعنات وائل ثم ضرب حدادها
 (قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والأمير دياب يسمع نظامه اغتاط الغيظ

الشديد الذي ما عليه من مريد حتى صارت عيناه تقدر نار الويد وصار يهدده ويقول

يقول أبو موسى دياب بن غانم حماة الخيل في يوم الهوامل
فكم قوم أنت ترغب قتالي الأقيم بفرسان جحافل
واشدت شملهم وأنى عددم وأخذ ما لهم وخيلا وسلاسل
وأنت تهينني وتطلب وجوعي إلى تونس بفرسان سوايل
لا بد ما قتلك وأملك بلادك وأقطعكم بضربات النصايل

فلما انتهى الأمير دياب من كلامه انطبق عليه وائل كأنه فرخ جان وابتدأ وافي
الطعن والضرب وقتال يشيب رؤوس الاطفال حتى تناصف النهار فانهمز دياب
أشد هزيمة من أمام الأمير وائل وارقد إلى الوراء هو وقومه وتبعوهم قوم وائل
بطعن الرماح وضرب السيوف والصفايح والطبقات الجيوش على بعضها البعض
وانتشب القتال والطمان كل من جهة ومكان حتى جرى الدم وسال وسارت القتل
كالتلال فكانت واقعة مهولة لا يعرف الابن أباه والاخ أخاه ولكن لله در الأمير
وائل فانهم هجموا على قوم دياب وأبلوهم بأعظم مصاب وماز الوامنهمز وقوم
وائل لاحقيتهم بضرب السيوف حتى شتروهم في تلك الاوارع حتى ول النهار وأقول
الليل بالاعتكار وارتدت الفرسان عن بعضها البعض ونزلت قوم الأمير دياب
المنهمزين في جهة من الأرض وصاروا يجتمعون بعضهم البعض وقام دياب وجمع
أكابر قومه وكل من يعتمد عليهم وصار يحسمهم بهذا القصيد ويقول :

يقول أبو موسى دياب بن غانم أمير الخيل فتى ما يغبيا
وسلطانا حسن الملال أبو على تضرب له مثال ما يثني بها
ممانين قلعة قد حضرت فتوحها ولا قلعة إلا هدمت حصونها
ملكنا من نجد إلى قاع تونس بطعن يورث الاعداء عطيتها

فلما فرغ دياب من كلامه والامارة تسمع نظامه ما جت برأس الابطال نخوة
الرجال وكثر القيل والقال في ثانی الايام برزوا الطائفتين إلى الميدان وحل الضرب
والطمان وهجموا على بعضهم فكثرت الضججات وعلت الصيحات فكانت موقعة
عظيمة ما عادت تنظر إلا الرؤوس طائرة والدماء فائرة والفرسان غائرة ودارت على

قوم وامل الدائرة حتى قتل منهم عشرة آلاف ومن قوم دياب ١٠٠ وبقية قوم
واهل ولوا هاردين وإلى النجاة طالبيين فتبعهم قوم دياب وشتمهم في البراري
والقفار وأدخلهم البلد وهم في حال الذل والسكدر وذلك من سيف المهلب الأسد
الضرغام دياب وما زال القتال على هذا الحال إلى قرب الزوال فدقت طبول
الانفصال فدخل وامل المدينة حزيناً ليس معه معين خاصة لما رأى عساكره بجندله
وعلى الأرض مددة فتقدمت إليه الحجاب والوزراء وتقدم إليه الوزير الأكبر وقال له
إن شاء الله غداً أنزل إلى الميدان وأبائهم يطعن السنان وأكفيك شر هؤلاء العربان
يعون الله الواحد الديان وأما قوم دياب دخلوا عليه وسألوه عن خصمه فقال لهم
إله فارس شديد وقرم عنيد ولكن غداً إن شاء الله أنزل إليه وأخذ ووجهه من بين
جنيبه وفي ثلث أيام أصبح الصباح وأقبلت الجيوش بالرمح ونزلوا إلى محل السكفاح
فأحمد الوزير دهقان إلى ساحة الميدان كأنه فرخ جان وطلب مبارزة الفرسان فنزل
إليه أمير من أمارة بني هلال وكان اسمه المهاب فقال دهقان من أنت من الفرسان
وما اسمك فقال اسمي المهاب وصنعتي حذاف الرقاب حينئذ انطبقوا على بعضهم
كالأسود بقلب كالجلود وتجاولوا مدة من الزمان حتى كلت منهم الزود وطلعت منهم
ضربتان ماضيتان وكان السابق مهاب فضرب دهقان بالسيف أخذها بطارقة البولاد
فأنتس على رقبة الجواد فبرتها كما يرى السكاكب القلم فأناه دهقان على جواد آخر
وسقط عليه بالسيف وضربه على رأسه شقه إلى تسكة لباسه فنزل إليه فارس آخر
فقتله والثاني بجندله والثالث عقه وما زال يجندل فارساً بعد فارس حتى جندل
خمسین فارساً وأخيراً نزل إليه دياب وكان قبل الغروب فتجاولوا هو وإياه ساعة من
الزمان حتى عرف دياب قوته فلاصقه وضايقه بالسيف على هامه رمى رأسه قدماه
وحينئذ دقت طبول الانفصال ورجع الملك وامل في حالة الغم فقد أخيه دهقان
وحين وصوله إلى الديار سألوه عن قومه وخصمه فأجابهم يقول :

يقول الفتي وامل بعين مريرة	ونيران قلبي زابت لبيب
على ماجرى فينا وما قد أصابنا	ولكن تصاريف الزمان عجيب
سقانا الدهر خمر عتية مكروهة	سكرنا بها من بعد عز وطيب

أثينا فوارس ما عرفنا صفاتهم
 يسمى أبو موسى دياب بن غانم
 تلاقيت أنا وإياه في حومة الوعا
 تهمر علينا حمزة في حومة القا
 يخيب ضرباتى ويعطى نظيرها
 غدا أتتى وإياه في حومة القا
 ان قدر الرحمن أنخطف روحه
 وقادهم اسمه على اسم الديب
 فقه دره من ممام نجيب
 أناريه في يوم الطراد صيب
 كما سمع كاسر في القا صيب
 بطن يورث في فؤاد عطيب
 بطن يهد كل فكر لبب
 وأدعه من فوق الجواد قلب

فلما فرغ وائل من كلامه وقومه تسمع نظامه فوقع الوم في قومه من دياب
 وأما ما كان من دياب فإنه لما وجع الخيام فسألوه عن خصمه فقال لله دره من بطل
 شديد وقوم عنيد فقالوا له قومه هل يكون أشجع من الزناني فقال لهم الزناني
 ما وجد على الأرض فارس مثله ولكن الملك وائل أقدر وأخبرني موضع الطعن
 أشطر وأجسر وما زالوا في هذا الحديث إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح
 قدقت الطبول ونفخت الزمور وركبت الفرسان وانحدروا إلى ساحة الميدان
 طالين الحرب والطعان فلما وقعت العين على العين التقى دياب وائل فانطلقوا
 البطلين كأهم جبابين وحام عزرايل فوق رؤوس الفريقين فتكسرت بأيديهم الرماح
 وسحبوا السيوف لأصباح ولعبوا بهم ألعاباً حيرت الشيوخ والشباب إلى أن زهقت
 الأرواح فضربوا بعضهم الاثنين فارت من أيديهم السيوف فسحبوا الدبابيس
 فتكسرت بأيديهم من شدة الضرب وما زالوا الاثنين في صيحات مرعبات وضربات
 هائلات فبأيهما من بطلين ضربا ميم وأسدين كاسرين فتعلمت منهم الفرسان أبواب
 الحرب والطعان وبعد ذلك خرج من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق وائل
 ضرب دياب بالرمح فطعن تحت بطن الشهاب فراحته الضربة خابية حينئذ تعدل
 دياب وضرب وائل بالسيف على هامه حط رأسه قدماه فوقع وائل قتيل وفي دمه جديل
 (قال الراوى) فلما رأت قوم وائل ملكهم قتيل ولوا الأدهار وركنوا إلى
 البريمة والفرار فنبههم قوم دياب وجردوا فيهم السيف القرضاب إلى أن وصل
 دياب إلى البلد وجمع الأكابر والعمد وجلس على كرسى المملكة ونادى بالأمان
 في جميع المدن والبلدان بعد ذلك استدهى بقلم وقطاس وكتب إلى السلطان حسن

يعقوبه بما جرى وصار فلما وصل الخبر إلى السلطان حسن وقرأ كتاب دياب على رؤوس الأماة والسادات حينئذ فرحوا فرحاً شديداً وعلوا عزيمة لها قدر وقيمة إكراماً لدياب لأنه يملك تحت كريح إلى نائب السلطان حسن وتوجه من كريج وما زال سائر إلى أن وصل إلى ناحية برج الدمع فهناك أمر العسكر بالانزول وتصبح الخيام ورفع السناجق والأعلام وأحضر قلم ودواة من الذهب الخالص وأشار يهدد الأمير بكار ملك برج الدمع بهذا القصيد يقول :

يقول أبو موسى بن غانم	ونيران قلبي زائدات لهايب
نعم أيها الغادى على متن ضامر	إذا جيت إلى بكار على المراتب
فقول له الأمير دياب يقول لك	حامي المذارى من البلاد الكتاب
إذا كنت تريد النجاة فسلوا	ولا أباديكم بعظم المصائب
وأخرب مدينتكم كما صاب قبلكم	أدعي دعائكم على الأرض سكائب
فيما ما جرى في أرض كريج وقع	وقنتك وائل كان قوم محارب
فان طعمتموني نلتهم الخير والرضا	وتراخوا من شر حرب دياب

فلما فرغ دياب من نظامه طوى الكتاب وأرسله مع النجاب فهذا ما كان من دياب وأما ما كان من الأمير بكار سلطان برج الدمع أنه كان جاساً في الديوان وإذا بحملة من فرسان كريج الدين سلموا من القتل دخلوا عليه وقبلوا بديه فقام لهم بكار على الأقدام وسلم عليهم وأكرمهم وسألهم عن سبب قدومهم إليه فأجابوه أحدهم وكان يسمى فايد بما جرى :

يقول الفتى فايد على ما جرى له	ونيران الحشا زادت شعال
أمير بكار أنظري وافهم	واصغ لقصتي واسمع مقال
أنا قوم ما عصى عودهم	يهزوا في الرماح وفي العوال
وكبنا والتقينا جميعاً	باطمن يورث الاعداء خيال
كبير القوم يسمى ابن غانم	أمير دياب شيال الحال
قتل وائل والقاء جريحاً	وقد ردى الوزير بلا حال
فوليننا هرباً من لقام	ولا طقنا لهم أبداً قتال
فهذا ما جرى خبرت عنه	وهذي قصتي وآخر مقال

فلما فرغ قائد من كلامه والامير بكار يسمع نظامه حزن الحزن الشديد ما عليه
من مزيد خصوصاً على قتل الامير والراوى ابن عمه ومن لجه ودمه ولكن استغاث
بالله الجبار على قتل هذا الانسان الفجار وبينما هم بهال هذا الخطاب قد اقبل عليهم
نجم الامير دياب ويده الكتاب فدخل وسلم بأفصح لسان تكلم وسلم الكتاب للامير
بكار ففضه وقرأه وفهم جميع ما حواه فكثر عليه الحزن وازداد عليه نيران الغضب وأمر
القواد والمساكر ان يكونوا تحت الطلب وأمر بإحضار قلم وقرطاس ودواة وأشار بقول
يقول الملك بكار والنار في الحدا ونيران قلبه زايد الهيا
فيا ايها الغادى على من ضامر اذا جيت للزغى دياب الطالب
فقل له بكار أرسل يقول لك انا كتابك يا دياب المحارب
على ماجرى بارض كوينج وما وقع قتل وال كان عز الصحايب
فطار عني وارجع بعزوتك ولا يبادر بضرب النواصب

قال الراوى فلما فرغ الملك بكار من كتابه أرسله مع نجم دياب فلما وصل
النجم اليه سلمه الكتاب ففضه وقرأه واطلع على رموزه ومعناه فزاد به الحقد والغضب
وهند الصباح أمر بدق الطبول ونفخ الزمار وأمر الرجال بالتأهب للحرب والقتال
فحضرت الفرسان ركبو اظهور الخيول وساروا قاصدين الميدان وعمل الضرب والطعان
هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك بكار حضر جميع المساكر والقوادس واهجم
الى مخرج البلد لاجل المحافظة من الأعداء والدشمن وبينما هم على هذا الحال اذا قبلت
عساكر دياب فلما وقعت العين على العين نظروا الاعراض وبان الى حومة الميدان
الملك بكار اتصال وجمال على اركان الميدان ونادى بأعلى صوته هل من مازهل بن
مناجر لا يمرزى كسلان ولا حاجز فاتهم كلامه حتى صار الاله دياب قدماه
قال الراوى فلما فرغ دياب من كلامه وهجم على الملك بكار وصدده صدته جباراً فالتقاء
الملك واصطدما اصطدام الابطال وتطاعنا بالرمح انهرج جرح بليغ فوقع دياب على
الارض فجر د الملك بكار الحسام أراد ان يكمل عليه فضله الاله محمود بن دياب وجلس
به في ساحه المجالس بقى في معركة القتال الى قرب الزوال فرجع محمود الى عند اباه وسأله
عما جرى عليه فأجابته قد استعصرتنا الحسكيم الهندى وأعطاني شربة تمر هندى واليوم
الجرح خفيف بمون الإله الطيف فعند ذلك تولى الفريقين الى أن أصبح الصباح

ينفوره ولا حفر في زعمه والميدان فنزل إليه بكار وما زال هو واباءه في حرب من الصباح إلى
الزوال فرجعوا للخيام وفي ثاني الأيام نزلوا للحرب والصدام وبقوا على هذا مقدار
سبعة أيام وبعد ذلك اغتاض محمود وقال وحياء رأس أبي لازم أن أسيل دمه وأخذ أنفاسه
بهذه النهار وألحقه الجوار فلما دقت طبول الحرب نزل الأمير محمود والأمير بكار إلى ساحة
الميدان فتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالسيوف الصفاح حتى زهقت منهم الأرواح
وفاز الوفي أخذ ورد وقرب بعد وكسر ولصر لقرب المعصر فاشتبهوا الاثنين من
تحت الغبار فتطاولت لهم الأعناق وشخصت لهم الأحداق إلى أن راح من الاثنين ضربتين
قاطعتين فكان السابق بكار فغطس الأمير محمود تحت بطن الجواد فراحت ضربة خافية
بعد أن كانت صائبة فاعتدل الأمير محمود على الجواد وضرب الأمير بكار بالسيوف على
رأسه فشقه نصفين وألقاه على الأرض قطعتين فوقع قتيل وفي دمه جديل فصاح دياب
لا شئت يدك ولا شئت بك أعدك يا محمود ورجم بني زغبة على عساكر الأعداء من
كل ميل وأبلمهم بالذلول والويل ودخلوا البلد وجلس الأمير دياب على الكرسي واستلم
أمرال العامة (قال الراوي) فلما فرغ الأمير دياب من العساكر بدق الطبول وركب
الخيول فركب الفرسان وردعهم وساروا صبر نجيحة وتلك الاقطار فما زال ساروا
إلى أن وصل تحت نجيحة فنصب الخيام واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب
والنحاس وجعل يطالب عترة المال من الملك زايد بهذه الفصيصة ولقار يقول :

يقول الفتى الزغي دياب بن غام	بجاه العذارى من غنا وسقام
قرم محرب ماله من مناطق	يغلى الفوارس ناهبات دوام
سلاطين نجد قهرتهم من بعد عزم	أخربت منازلهم مع الأكارم
كسرت الخزاعي في حلب قومه	ورجيس مرمى فوق تل ردام
قتلنا شبيب بوسط قصره	وكان شديد العزم بيوم صدام
ولما جعلنا مصر اثنتا ملوكها	ومصر أغر من حلب والهمام
وردت عقيد القوم بن متوج	وكم قتلنا من ملوك عظام
ويوم تونس ياما قد جرى	وكم راح منا فارسا مقدام
بجاه أبو خريبة إلينا واعتدى	صاروا الذين لهم في القبور أهوام
الزناقي قتل ثمانين أمه محرب	خلا لسانا ناهبات دوام

نزل لي خليفة فوق خطره مهرشمة
بقينا عشرة أيام والخراب ينفثا
ضربته من فوق مهره محجلة
وبعد الزناني اسمعوا ما جرى
ملكها والى من قروم غشمشم
فقتلته ودعيت دمه على الرطا
ألا أيها دى بلغ بما جرى
يدع لنا عشر المال بلاخفا
ولأن كان لا يقبل جهز بالعجل
ونملك ملككم وكل براجها
ما قال أبو موسى دياب المسمى
(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه أوصله مع نجابه إلى للملك زايد فهذه
ما كان من أمره وأما ما كان من ملك بريجه بينا كان في بعض الليالي إذ رأى منام مرعج
فهض من الرقاد مرعوب خائف الفؤاد فاستدعى بالخارس وأمره بأحضار الرمال
مرو فذهب وأحضره فساءله الرمال ما الخبر أيها الملك السعيد فقال له إني قد نظرت
مناما مهولا وأشار يقول :

يقول الملك زايد بقول صادق
لنا مدة أرغد العيش والهناء
وأيت مقام أبدل الادة والهناء
حلبت أننى واسع البر والفلا
فوق دياب مثل سبع كاسر
ضربنى ضربة جهات على كأها
فرحت على الأرض منطرح و
فاضرب يا رمال وملك بالعجل
كلاماً يؤرخ في الكتب سطور
بركة خيول في تنفخ زمود
بغم وحرور دائماً وكدور
ماق طويها ودماى تقود
وبقيت معه في الخلا مأسود
مدفع خرج من وسط وصور
أضحى دماى على التراب بمجود
وخبر كلام الصدق يا مسرود

(تمت هذه القصة ويلها قصة السبع نخوت)

قصة السبع نخوت

وتملك بنى هلال الأربعة عشر قلعة وقصة معده بنت الزياتي
ووقوع الفتنة بين بنى هلال ومحبس الأمير دياب
وشق الزغابة

(قال الراوى) فلما فرغ الملك زايد من كلامه والرمال مسرور يسمع نظامه ففتح
كتب الرمل وقال اعطينى الامان ياملك قال طيبك الامان فأشار الرمال يقول:

يقول الرمال فيما قد جرى	وعبرات عيني على الحدود حدود
نفس منامك يا أمير فاغتمهم	وهذا المنام جدد على أمور
تقول إنك كنت في البر والخللا	وسمع كاسر قد أتناك يغور
فارس هرمرم يفرح الخيل بالقنا	يخلى الدما يجرى شبيه نهود
يسمى أبو موسى دياب بن غام	فارس صميدع في القنا مشهور
يحيينا بقرمه وينزلون بأرضنا	ونبقى معاهم في بلا وشور
تتكلون أنت وياه في حومة الوغا	وتنشى معه ياملك مأسور
ويظفر علينا ياملك برجاله	ويدهى الفوارس في عيق قبور
فهذا منامك يا أمير مؤكد	من يستطيع أن يدفع المقدور

فلما فرغ الرمال من كلامه والملك يسمع نظامه فتوجه إلى الديوان وجمع الأكابر
والأعيان وأخبرهم بالمتاعب وعن الأمير دياب وقال كيف العمل في هذا الفارس
القادح علينا والواصل إلينا فنهض أكبر وزرائه وكان فارس مشهور وبطل مذكور
يقال له الوزير ماجد وقد قال له ياملك الزمان أنا سمعت أن هذا الفارس دياب قد
قتل الأمير والملك تحت كويج وقتل الملك بكار حاكم برج الدمع وهو قاصد
إلينا الأوفى أن لاسم له المال والخيل والجمال ولا يبيد عساكرنا ويهلك أبطالنا
لأنه معه تسعين ألف فارس من بنى زغبة فلما سمع الملك زايد هذا الكلام قلبت
الدينا في وجهه ظلام وقال ويحك يا كسلان تخوفني من رجال وفرسان التي هي

عندى شبه النسران فوحي ذمة العرب وشهر رجب ما أترك أحد ينزل إلى حرمهم
وقتالهم بل أنزل إليهم وأخرب الأمير ما جد على ماله أخط رأسه أمامه ففكروه
على شجاعته وسطوته وفيما هم في الحديث وإذا هم بنجابه الأمير دياب دخل ومعه
كتاب رقبيل الأرض بن أبي أدي الملك وناوله الكتاب فلما فضه وقرأه وعرف رموزه
ومعناه اغتاض الغيظ الشديد وقال الرسول اذهب إلى مولاك قل له لم يوجد عهدي
جواب سوى السيف القرضاب ولو لم يكن عاد قتل النجابه لقطععت رأسه
فذهب الرسول وأخبرهم ولأه دياب فاغتاض الغيظ الشديد وأمر بدق الطبول فاستمدت
الفرسان للحرب والنزال وساروا قاصدين الميدان وأما الملك زايد بعدما أرسل
الكتاب إلى الأمير دياب تجهز إلى الحروب الطعان وسار إلى خارج البلد فبينما هم
في ذلك وإذا بفرسان الأمير دياب كأنها أسد الغاب فلما التقت العين بالعين نزل
الأمير زايد إلى الميدان فصال وجال وطلب براز الفرسان فانهدر الأمير دياب كأنه
أسد الغاب فقال الملك زايد من تكون من العرب يا أندل الفرسان فقال له لا تريد
في الخطاب فما قد امك إلا حداف الرقاب الأمير دياب فأشاوره بدده ويقول :

يقول الأمير زايد ونأري بالحشا والدمر وإفاني والسعد مقبل
اليوم جيتوا لناخذ ثأرنا ودعوا دماكم عا لأراضى سائل
وأخل سروج الخيل من ركابها وتبقى الأراضى تحتنا تنزل
أقيت لحربي يا دياب ومهتي لأجل رجائك من حمامي مجدل
وأبدي قوئك بالحسام جميعهم واسقيهم كأس القضا المنزل
فوز بننسك وارحل من بلادنا بقوئك وإلا هن قريب نقتل
فلما فرغ زايد من كلامه والأمير يسمع نظامه فقال دياب يا أبو زايد خصمك
لا يروعه كلام ولا يهزم من صدام فوحي الملك العلام لا بد ما أفنيكم هذا الحسام
وأدعكم مشتتين على رؤس الروابي والآكام وأشار برد عليه ويقول :

يقول الفتى الرغي دياب بن غانم أنا فارس من الفرسان يوم زحام
إن أردت أن تسلم من حربي والقنا وتغوز بنفسك ولا تنضم
تنزل وتأنق ليلا خاضعا وأعطيك اليوم مني حسن زمام

واكتب العشر من مال العرب وتكون مراتح مدى الايام
وان كان تغالفنى وتوفى نعيمى آتية قبلى والتقى لعمد
فانى سافى جوعكم من مهنى وادعى القوارى فى هنا وسقام
وتنظر الى عزمى وتعرف عمتى وتسكر يا أمهر بغير مدام
فلما فرغ الامير دياب من قوله لثبوا البطلين كأهم جيلين وحان عليهم الحين
وظنى على رؤوسهم غراب البين كأهم كفتين ميزان وهان تارة يتباعدا
وتارة يتقاربوا فما زالوا فى هزل وجد وأخذ ورد إلى وقت الظلام ودقت طبول
الانفصال وفى ثامى الايام نزل الامير دياب إلى الميدان فبرز اليه الامير زايد والتقى
البطلين كأهم جيلين وحان على رؤوسهم غراب البين وكان الملك زايد قد استظهر
على الامير دياب جرد الحسام فى يمينه حتى حك الركاب وضرب على ظهر الجواد
وأراد أن يضربه فتناقاه زايد بالعمد بيمينه واطلق عليه الضرب فغلى دياب من
الغضبة وأنت فى قصعة السرج من خلف طيرتها ووقع العمدة زايد وقال خذها
من يد الامير دياب حداف الرقاب واطلق عليه الضرب أنى على رأسه جميع اضراره
وأخذ أنفاسه واتقاء على الأرض قتيل وفى دمه جدل ثم انه صاح بقومه وهجموا
على قوم الأعداء فبينما هم فى قتال شديد يفتك الزرد النصيد إذ التقى الامير دياب
بوزير الملك زايد وكان اسمه نافع فتجاولا بساحة الميدان وتطاعنا باسنان إلى
أن الامير دياب ضايقه ولاصقه وسد عليه طريقه وضرب يده بجليات دوحه اقتلعه
من سرجه كأنه العصفور فى الباشق المسور وضربه بالأرض ادخل طوله بالعرض
واقعه قتيل وحل على بقية العساكر فلما نظرت قوم الملك زايد هذه الأحوال ولوا
الادبار فتبهم قوم الامير دياب بالنصال وفتكوا بهم فتك الديب بالاغنام
ودخل الامير إلى البلد واحضر الاكابر والعمد واستلم الاموال والذخائر وجلس
على كرسى المملكة فبعد جلوسه أشار يخبر الامير حسن بهذا :

يقول الفتى الرغبى دياب بن غانم وروحى كالبولاد طير شرها
الا اياها القادى بلغ رسالتى لحسن الهلالى من عز قوم هلاها
أخبرك يا أبو هل فيما جرى بأرض المغارب من عظم هوالها

أتينا بريجة ونهني أخذنا أتاري بها زايد كشملة ناورها
 أتانا إلى الميدان يا أمير على كما برج منى فوق سورها
 ضربي بيده يا أمير أم العمد لو جاء على قلعة مد حجارها
 ضيعتها وخليت عنها بهمتي فراح حده من يمينه وطارها
 فأخذت أنا العمد حالا وجيته وثنت علما بعينها وثمالها
 ضربته على رأسه راح مجدلا دعيت ملقى بأعلى جبالها
 ملكنا أموالهم وحصولهم وأخذنا قلعتها وكل عمارها
 إلى أخيرتك على ما قد جرى وأطلعك على جميع أسرارها
 فارسك نائب يجينا بلا مل وادعى لنا بالنصر يا مغوارها
 لكي نذهب ونقد خلاها وتطلب من المولى الكريم أنصارها

فلما فرغ الأمير دياب من كلامه طوى الكتاب وأعطاه إلى النجباء أخذه وراح
 حتى وصل إلى الأوطان فدخل على صيوان السلطان حسن وسلبه الكتاب ففضه
 وقرأ على رؤوس الأمانة والسادات فشكروا فعل دياب ودعوا له بالنصر وأما
 الأمير حسن استدعى الأمير رضوان وأخضع عليه وفلده وظيفة قائم مقام على قلعة
 بريجة فعند ذلك أخاه الأمير رضوان مائة أمير من عشقته المسير بصحبته ولما
 أصبح الصباح ودع الأمير حسن وقبل يديه وطلب منه الرضا وقال مرادى أرسل
 إلى دياب كتاب وأخذ يكتب إليه بهذه القصيدة وأنشد يقول :

نعم أيها الغادى على متن ضامر كفرخ حمام في البرارى فريدها
 سلم على الزغبى دياب وقول له يا فارس الفرسان يوم حاربدها
 ونبوذة منها وتطلب خلافا بضرب السورم ثم بطن حديددها
 والله ينصرك دوما على العدا بحربة نبي خير البرايا وسيددها

فلما فرغ الأمير حسن من كلامه طوى الكتاب وأعطاه الأمير رضوان فعند
 ذلك ركب وتوجه إلى ناحية بريجة وما أن سار إلى أن وصل إليها فدخل على الأمير
 دياب فاستقبله وأكرمه غاية الأكرام وأجلسه على كرسي المملوك وأمر للمنادى
 أن ينادى في البلد باسم الأمير رضوان ويكون حاكم عليها فأمر بدق طبل الرحيل
 (٢٠ — تغرية)

وودع أهالي البلد وتوجه إلى أن وصل إلى ناحية قلعة فحضر هناك الحيام وركز
الاعلام واستدعى بقلم وقرطاس ودواة من النحاس وأشار يكتب إلى الملك
حموده يطلب منه عشر المال ويقول :

ما قال أبو موسى دياب بن غام	كثير التوم قيدوم النواجع
ألا يا غاديا من فوق ضامر	يجد السير في وسط البلاجع
أوصل كناني للمسمى	الفتى محمود قيدوم الربائع
وقول له زيد العشر منك	فقدم لنا ما نريد وكون خاضع
فأردن عشر مالك والغنائم	وعشر الخيل مع عشر المضايع
وإن خالفتي فأمرز لحرق	وألق الطعن في يوم الهيازع
وأجرد في عند يمانى	وأجى راكب على أدارع
وافتيكم على بكرة أبيكم	وأخلى دماكم مثل القواطع

فلما فرغ دياب من شعره طوى الكتاب رخته بختمه وأعطاه إلى النهاب فأخذه
وسار يحدق في قطع التفار حتى وصل لعند الملك محمود فقبل الأرض بين يديه وسلمه
الكتاب فأخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه فقبلت الدنيا في عبيدة ظلام والفتن
إلى الرسول قال له اذهب لعند مولاك وقل له إن ماله جواب إلا السيف القرصاب
ورمى الرقاب فسار الرسول حتى وصل لعند مولاة الأمير دياب وأخبره بما قاله
محمود فاغتناظ من هذا الجواب ولما أصبح الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح
من الفريقين ولما وقعت العين بالعين حملت على بعضها الطائفتين فقام الحرب على
ساق وقدم وشابت الدم وجار ملك الموت وحكم وجرى الدم وانعجم وصار وقود
للقوم عدم وجرى للقوم واقعة عظيمة تشيب الأطفال وتقصّر الأعمار العلوال
وما زالوا على هذا الحال ١٥ صباح وكان قد هلك من الفريقين عساكر عابها عدد
حتى دارت على قوم محمود الدائرة فدخلوا البلد وسكوا الأبواب والأمير دياب
وقومه حاصروهم من خارج السور وعند المساء جمع الملك محمود أكابر الديوان
وقال لهم كيف العمل مع هؤلاء العربان الذين كأنهم مرددة الجان فأمر أدي أطلب
منهم الأمان فقالوا له الرأي وأراك نحن طامعين لأمرنا فحالا استدعى بقلم

وهرطاس يكتب إلى الأمير دياب ويطلب منه الصلح ويقول :

يقول حمودة من قلب وجمع لهبات قلبي زيدات نهران
اسمع كلامي يا ابن غاتم وافهم يا عز قيس وجملة العربان
إني أتيت طايماً يا سيدي فاقبل خطوعي واعطني الأمان
ونبقى عندك يا أمهر إلى المدي ونعيش بظلك بكل أمان
فأعفوا هنا يا دياب وسامع فإني أتيتك طامعاً منهان
حم إن الملك حمودة أرسله للأمير دياب فلما قرأه عرف وموز ومعناه أمر بالأمان
واجتمعت إليه الأكابر والعمدوسم حموده لدياب الخزان والقصور وبعدما استلم
دياب الخزان والقصور ولى حمودة على نخعت بشرط أن يدفع له الجزية في كل عام
وأرسل دياب جواباً أعلم حسن بن سرحان بما حصل فرد عليه حسن وقال له افعل
ما تريد فحينئذ ودع باب الملك حمودة وسار قاصد قلعة طنجة وما زال أن اقترب
إلى قلعة طنجة فأمر بتصب الخيام وجلسوا للراحة وأرسل دياب من يكشف له
خبرها إلى طنجة وقعد في أكل وشرب مدة ثلاثة أيام إلى أن وجع الجاسوس فقال
دياب ما معك من الأخبار فقال له أعلم أن ملك طنجة يقال له نايل وهو فارس
شجاع وأما أسوار المدينة فهي عالية وعساكره لا تعد ولا تحصى وقد علم بوصولنا
من الرديان وقد جمر عساكره لقتال والحرب والنزال فلما سمع دياب هذا الكلام
بدق الطبول وركبت الفرسان إلى ساحة الميدان ونظر الملك نايل قوم الأهر دياب
أمر بدق طابوله فاجتمع في الحال عنده ثلاثة مئآت الف من الأبطال فخرج بالعساكر
إلى خارج السور إلى أن التقت المئين هل العين فنزل الأمير درغام وطلب براز الفرسان
فما أتم ألامه حتى صار الملك نايل أمامه وقال له من تسكون من الفرسان قال له
أنا الأهر درغام ابن الأمير يدان وأنت من تسكون من الفرسان فقال له أنا فارس
من القبائل ومهلك الجحافل حاكم مدينة طنجة الملك نايل ثم التقى البطلان كأنهم أسدين
وقام الحرب ووزاد الضرب إلى تناسف النهار فرجع نايل على خصمه فلاحقه وضايقه
وسد عليه طوقه وضرب يده لجلبيات ورعه أقتلعه من مخرج ممرجه وحده إلى الوراء
فأخذه قوم نايل أسره وقيدوه بالأغلال والخنازير فبرز الأمير زيدان فقتله الملك

وأخذوا في ضرب الصفاح وطمع الرماح حتى ذهبت الأرواح فضر به بمقيت الرمح
 قتلته وسله لقومه أسير وأخذوه ذليل حقير فذله آخر أذاه ومانى أعداه الحياة .
 وثالث بدد أمهات ورايع غرقه بدماءه وما زال يقتل حتى قتل عشرين وأسر ثلاثين حتى
 قبيل الظلام ودقت طبول الانفصال ورجع الأمير دياب وهو غائب عن الصواب من
 هظم ما جرى عليه من فرسانه وعلى من قتل منهم ثم شجع الفرسان على الحرب والطمان .
 وتخلص الاسرى من الذل والهوان فلما أصبح الصباح ضربوا طبول الحرب والكفاح
 فبرز الأمير نايل إلى ساحة الميدان ونادى هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز للميدان
 لا كسلان ولا حاجز فما أتم كلامه حتى صار الأمير دياب بن غانم قدماه وقال له
 بالهلاك فقد أتاك الأمير دياب فقتلتموا بالسكلام ودار في أيادهم الحسام وانطلقوا
 انطلاق الغمام فراح بينهم ضربتين قاطعتين وكان السابق الأمير دياب فوقعت الضربة
 في صدر الأمير نايل أرماءه قتل وفي دماءه جديل فولت قومه هاربين وإلى النجاة .
 طالبين قد دخل الأمير دياب البلد وقد خلص الاسرى وجلس تحت طنجة وأمر أن
 ينادى في البلد الأمان وجمع الأكابر واستلم الأموال والذخائر واستولى على الملك
 واستدعى الأمير عقيل وأجلسه نائباً على البلد وخرج قاصداً طنجة وما زال سائراً إلى
 أن وصل إلى سهل واسع الجنابات فمرحوا الأغنام ونصبوا الاعلام عدة أيام .
 (قال الراوى) هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من الملك مزيد ملك قاعة
 طنجة فإنه قد تواردت عليه الأخبار بما فعل الأمير دياب من الحروب والأهوال
 فاستدعى وزيره الأكبر وكان اسمه عمر وكان هذا الوزير عاقلاً خبيراً وصاحب رأى
 وتدبير فقص عليه ما فعل الأمير دياب بكوج وبرز البربريعة واجده طنجة فلما
 سمع الوزير هذا الأمر صار قلبه مثل لبيب البحر وقال الملك الأوفى أن تغل لهم
 البلاد ونحجب دماء العباد وترأخ من هؤلاء الأوغاد فقال الملك: أيك ليس صواب
 وأنت خائف من هؤلاء الاندال في الغد إن شاء الله أترك قتلاهم كالنلال وفي الحال
 أمر بدق طبول القتال فخطرت العساكر هنده والفرسان فلما كان اليوم الثالث للند
 للصباح وبرزت الطائفتين للحرب والكفاح واصطفى الصفوف وإذا الملك مزيد
 وهو مضيق اللثام كأنه قطعة من غمام وراكب على جواد أشقر فبرز إلى ساحة الميدان .

حارطلب ميارزة الفرسان فبرز اليه دياب وهو راكب على الشهباء قال له من تكون
أيها الفارس فأجابته دونك بحومة الميدان أنا الملك مزيد فارس عميرته وحامي
قبيلته وأنت من تكون من الفرسان يا نذل العربان .

عند ذلك حملوا البطلين كأنهم جبالين وغنى عليهم غراب البين مدة سبعة أيام
وفي اليوم الثامن إذ دياب على خصمه الدرهم قنطار وجذب الحسام وضربه على
رأسه فهوى السيف إلى بطن الجواد فألقاه على الأرض أربعة أقسام وحمل على
العساكر ومن وراءه بنى زغبة ورباح وفتكوا بهم فتك الديب بالغنم ودخلوا البلد
وجلس دياب على الكرسي وضبط الأموال وجمع الغلال ووضع عليها أمير يسمى
خليل وقال له أنت تكون نائب على مدينة طنجة وتقوم مقامنا بالاحكام
وترسل لنا الجزية في كل عام وحينئذ أمر دياب بدق طبل الرحيل وجد السير إلى
اللقعة الخاتمة وكان الملك عليها اسمه سليمان فعند ما علم بقدم دياب أمر حالاً بتجهيز
العساكر فيبيناهم في الانتظار وإذا بجيش دياب بن غانم فلما وقعت العين بالعين
ونظرت بعضها الطائفتين فهجمت الفرسان واسطعها الفريقان وتضاربا السيوف
وتطاعنا بالسنان لمدة عشرة أيام وفي الحادى عشر برز إلى الميدان فبرز اليه الملك
سليمان وكل واحد طبق على وبقية مقدار ساعتين من الزمان فطلع من الاثنين
ضربتين قاطعتين وكان السابق الأمير دياب فأخذ الرمح وطعن الملك سليمان في صدره
فقطع يلع من ظهره فوق إلى الأرض فتيل فلما نظرت عساكر الملك سليمان إلى
ملكها فقيمها أبطال بنى زغبة حتى شقنوم ورجعت عساكر الأمير دياب إلى البلد
وجلس على كرسي المملكة واستلم زمامها وأموالها فعند ذلك ولّى عبد الجليل
الوباجى نائب من قبله وأوصاه بأحكام البلاد وراحة الناس وبعد ذلك حضرت عند
الأمير دياب جميع بنى زغبة وذبحوا الذبائح وحملوا الولائم والأفراح من الحروب
والكفاح فكان من أمر الأمير دياب في تلك السبعة القلاع وبلاد الغرب قسمته :

(هذه حرب الامه أبو زيد مع أهالى الغرب)

(وأخذ السبعة قلاع)

واسمع ما جرى للامه أبو زيد بعدما غادر الأمير دياب حينما قرأوا الفوائح

وتوجه كل واحد لأهله يملك قسمته أبو زيد من هناك قاصدا بلاد حبش عند النيل
ونصب خيامه وأحاط كل البلد من جميع الجهات فلما أصبح الصباح قامت أهال
البلد ونظرت بنى زحمان كأنهن مرده الجان فارتموهن هذا الأمير وأخبروا
الملك ففاض وكان شديد أبأس قوى الراس فلما سمع منهم هذا الخبر هدد ورجع
وصاح على الفرسان وأمرهم بالخروج إلى القتال فركبوا الخيل وتقدموا للقتال
وركب الملك فياض بمقدمتهم وخبروا خارج البلد رسد على الدشمان ونزلوا
عليهم كالسبع النيران فلما رأى الأمير أبو زيد وقدمه الزحمان والعساكر أقبلت
فقدروا على ظهور الخيل وساروا يمدوا العسكر بالعرض والطول ويبنون في قتال
مغير يهله القلاع الحصينة التي الأمير أبو زيد بالأمير فياض فقتلوا بالقول
ودفع بينهم القتال والقتلوا الفرسان وأخذوا في القتال واستكن الله درهما من بطان
ضربهم وأسدين كاسرين فشنحت لهم الاحداق وقطرات إليهم الاعناق وتعلمت
منهم الفرسان بيان القتال والطعان فانتصفت النهار حتى صار الدم جاري كأنهار
هذا والأمير أبو زيد وفياض يتضاربان بالسيف لبتار فقام الأمير فياض أبوه ضربه
الأمير أبو زيد فغلى منها فراحته الضربة خائبة بعدما كانت صائبة واعتدل الأمير
وزيد هل ظهر الحصان كأنه فرخ جان وضرب الأمير فياض على هامه حط
رأسه قدمه وهم هو وقومه على الدشمان وارتدى كأنه ساعة زادت من السماء وكل
مباصر الاعداء بالدماء وماولى الفجار حتى صكر الملك فياض رولات الادبار وارتكض
إلى الفرار فنبعوم قوم الأمير أبو زيد حتى دخلوا البلد ومالك الأمير أبو زيد إلى
الديوان واستلم ذخائرهما وأموالهما وطاعت لهم جميع سكانها وطلع الأمير أبو زيد
إلى الديوان وجلس على كرسى السلطنة وأحضرا من بنى زحمان اسمه الأمير
حمزة وولاه قائم على تحت قابس ثم ودعه وسار قاصدا قاصد ركان الحاكم ملك
عظيم الشأن ذر جند وأعوان يقال له البهلوان وكان قد وصفت له الأخبار بما جرى
للملك فياض من يد الأمير أبو زيد فارس بنى هلان فجمع العساكر والابطال
ونصب خيامه خارج البلد وهو منتظر قدوم أبو زيد .

(قال الراوى) وما مضت ثلاث أيام حتى الغيا خبر خبرت والخيل أقبلت والطبول

حربت والزمور تفخض والرايات انتشرت والأعلام رفعت والابطال زعمت وقوم
الامير أبو زيد على الأهواء حلت والرجال زحفت والرماح الممدود خرقت
والسيوف والرماح قطعوا والدماء دفقت وضربات أبو زيد للفرسان تحفقت وصرخاته
الجبال زلزلت ومنه الفريقين برب الخلق تعوذت من أهلك الأبطال بطلناه
وأفناهم بضرباته وأبهرهم بصرخاته وشتتهم بحملاته فبينما هو يصول ويحول
صرخوا صرختان ارتجت من عظم صرخاته الوديان وصاح أبو زيد على خصمه
وقاهما وضربه بحسامه فبند أمعاء وأعدمه الحياة رجعل القبر مأوا فلما نظرت
عساكره هذا الحال وأن ملكها بمدد على الرمال ولوا الادبار واركنوا إلى
الفرار فتبعهم أبو زيد للبلد وملك أبراجها وأسوارها وولى عليها أمير يقال
له الأمير عمران واجلسه على كرسي المملكة وأرسل أخيراً الأخير حسن بما جرى
ورحل من هناك طالب قلعة مغوار هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر المنهزمين
من قوم الأمير الهمدان فانهم مازالوا سائرين حتى وصلوا مغوار فدخلوا على ملكها
وأخبروه بما جرى له مع الأمير أبو زيد وكيف قتل ملكهم وملك قلعتهم وأخبروه
أن هؤلاء العربان هم الذين قتلوا الزناتى وملكوا البلاد وسبوا العباد فلما سمع الملك منهم
هذا الكلام قال لهم يا قوم الراى عندى أن أترك لهم البلد ونذهب إلى مدينة القهروان
لعمد الملك زهير لأن أراضينا لأحمد بها العساكر وذلك من كثرة الخوف والفرع
فذهبوا وتركوا البلد وقصدوا مدينة القهروان فلما صاروا إليها دخلوا على ملكها
الأمير زهير وأخبروه بواقعة الحال وما جرى لهم من الأحوال فقال لهم إن هذه
الأرض لا تكفيننا فالأوفق أن نذهب إلى الاندلس لأنها واسعة حصينة وبها قلعة
متينة فاستصوبوا رايه وساءت الرجال والأعمال إلى الاندلس لعمد الأمير حماد
وأخبروه بواقعة الحال وما جرى لهم فالتفاهم بالاكرام وأنزاهم بأحسن مقام وأمر
بتحصين البلد وتعمير الخيام إلى الخارج وجاسوا بانتظار الأمير أبو زيد هذا ما كان
من أمرهم وأما ما كان من أمر الأمير أبو زيد فانه مازال في وقاهم سائراً إلى أن وصل
إلى قلعة مغوار فخرجوا أهالي البلد وهم رابطين عارم الامان في رقابهم فسأ لهم عن
ملكهم فقالوا له أنه لما سمع بتقدمك هربوا العساكر من البلد وهربوا إلى مدينة قير وان

لعند الملك زهير وحينئذ أعطاهم الامان ودخل البلد وضبط الاموال وزولى الامير مروان على تخف القلعة ودخل طالب مدينة القيروان ومازال ساعرا الى أن وصل اليها فاستقبلوه الاهالى وفي رقابهم الحجارم فسألهم عن ملكهم فقالوا انه ذهب الى الاندلس فحينئذ أعطاهم الامان وضبط الاموال والقلعة وولى عليها الامير مسعود وأوصاه بالاحكام ورحل طالب قلعة الاندلس ومازال ساعرا الى أن وصل الى البلد فظفر العساكر كأنهم قطع الغمام فأمر بنصب الخيام وكان أقبل للظلام فباتوا الفريقين يتحاذون تحت شهيئة الرحمن إلى أن أصبح الصباح فضربوا طبول الحرب والصفائح وركبوا الجواد القداح وتقدموا بما يلزمهم من السلاح واعتقلوا بالسيوف والرماح فيبرز الامير حماد إلى ساحة الميدان ولعب بالسيوف والسمان حتى حير عقول الفريقان ثم طلب راز الفرسان فيبرز اليه الامير أبو زيد فالتقوا البعالمين كأنهم جبلين وصاح الامير أبو زيد على خصمه وفاجأه بضرب الحسام وأناه حتى حرك الركاب بالركاب فلاح الحسام بيمينه وراح الضرب على الملك حماد فأنت الضربة على رأسه فقلته قفلا وأاقرم الملك حماد ملكهم قتيلا ولوا إلى الهرب ورجعوا قاصدين إلى البلد وجمع الامير أبو زيد وهجمت من وراءه بنى زحلان الشجعان وتبعوا الدشمان يضرب السنان حتى دخلوا البلد فقتلوا عليهم بضرب العمود وجردوا فيهم السيف للقتار حتى صار الدم في المدينة كالانهار وبعد ذلك رجعت عنده الفرسان وجلس أبو زيد على كرسى المملكة وحينئذ طلبت منهم الاهالى الامان فأعطوهم الامان وطابت لهم مكان الاندلس والقيروان وحينئذ الامير أبو زيد ولى وطوى ابن مالك قديما تلك القلعة ووصاه بالاحكام وصاروا قاصدين مدينة مراكش فلما وصلوا اليها ونصبوا الخيام من حوالها وكروا الاعلام فيها بلغ مالك قدوم العربان جمع اكابر دولته وسألهم عن سبب قدومهم فقال أحدهم انهم من قوم بنى هلال الذين قتلوا الزناتى خليفه والعلام وملكوا جميع البلاد وهم وفقات الذين تملكوا السبعة فلاح ناحية الشرق وقد اتوا يملكوا أرضنا وبيناهم في الحدود واذ برسول مقبل فدخل وقبل الارض بين أيادى الملك وقال له ان سيدى الامير أبو زيد يقرئك جزيل السلام وهو يقول لك ان تسلم البلد والا يهل بك كاحل بنحوك من ملوك البلاد فلما

سمع الملك من الرسول هذا الكلام خاف الخوف الشديد والتفت إلى أكابر البلدان وقال ما عندكم من الرأي فقالوا له الزأى عندهما أن نصالحهم ونسلمهم البلد فالتفت الملك إلى العبيد وقال لهم خذ الرسول إلى بيت الضيافة وجعلوا حالهم وخرجوا إلى ملتي الأمير أبو زيد الأمراد والوزراء ووضروا طبول الملاقات فلما رأت بني هلال مقباين بدون سلاح عرفوا أنهم سلموا البلد فلا قوم بني هلال أحسن ملاقاتهم وصلوا على بعضهم البعض وضافوهم قوم مالك وقاموا أجدهم أحسن قيام مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع طلب أبو زيد البلد حالا قدموا له الدفاتر والأموال فاستلمهم أبو زيد واجلس مالك على كرسيه بشرهم أن يدفع الجزية في كل عام وبعد ذلك ودعاهم وصاروا وما زالوا سائرين أول يوم والثاني والثالث بعد الصباح وصلوا إلى مدينة حمصينة بالحيرات سكنه فيها أبراج وأبراج وأطيار تسبح الملك الغفار ونظروا خارج خيام منصوبة ورايات مرفوعة سراقق مضروبة وأسمعا قلعة زوارة وكان يحكم عليها ملك عظيم الشأن وجند وعربان يدعى الأمير كامل وكانت قوم ملك المنهزمين قد أقبلوا عليه في عشرة وعشرين وأخبروه بما جرى عليهم من الحروب من الأول إلى الآخر وأخبروهم بأنهم قاصدين إليه في الحال أمر بتجهيز العساكر والمهمات والذخائر وأن يحضروا الأبطال إلى ملاقات الحرب والقتال واستدعى يقيم قرطاس ودواية من الذهب الخالص وأشار يتهدد بني هلال ويقول : يقول الغنى كامل على ما جرى له في نيران قلبه شاعلات الضرايم فيا أيها الغادى توصل رسالتى إلى حسن سلطان قيس الأكارم وقول له الملك كامل يقول لك بأى سبب لأرضنا جيت قادم فان كنت تطلب السلامة ارجع وهذا ختامك ثم ارتد سالم مرادكم قلعة زوارة وملحكتها فيها قروم لمساوي اغشوا الصواري نهارك اختبارك الحرب في الوغى آجى كما سجع الصيد حاييم فلما فرغ كامل من نظامه أرسل الكتاب فلما وصل الشهاب لعنه الأمير أبو زيد قطعه وقرأه وعرف ما حواه فأمر بدق طبول الحرب ونزلت الفرسان محل الطعن والضرب فلما سمع كامل صوت الطبول أمر بدق طبله وتحضرت فرسانه

إلى ساحة الميدان فلما التفتض العاتقتين ووقعت العين على العين برز كامل إلى الميدان كأنه الأسد الغضبان وكأنه فارس الفرسان وبطل درغام وأشجع الشجعان فبرز إليه أبو زيد فتقاتلوا حتى كلت منهم الزنود وقدمت لهم الأعيان وتعلمت منهم الفرسان أبواب الحرب والعلوم وماز الوافي حرب شديد بك الزود النضيد ويشيب الطفل الوليد مدة عشرة أيام حتى ضجرت الأبطال من هذا الحرب والقتال وفي اليوم العاشر برز أبو زيد إلى الميدان فصال وجمال وطالب براز الأبطال فبرز إليه كامل كأنه النصاص المجادل فالتقوا البطلين كأنهم قاعدتين حصينتين وأبقدره بضرب السيوف وطعن مرعوب بكل قلب هاموف حتى تحيرت من قتالهم الفرسان وتعلمت منهم الحرب والطمأن وما زالوا على هذا الحال إلى قرب الزوال فطلع من الاثنين ضربتين قاعدتين وكان السابق كامل فضرب بها أبو زيد فراحته خاية بواسطة الحبل والرى لقام أبو زيد بعزم الركب وضربه بالسيف على هامه حط رأسه قدماه وحينئذ هجم وجمعت من وراءه الفرسان وغاروا على الأعداء من كل مكان ومالوا عليهم بطعن يشيب الأطفال وضرب يكسر الصوان إلى أن أدخلوهم البلد فبالحال أبو زيد يجلس على كرسي المملكة وضبط الأموال واستلم جميع الأحوال وأحضر الأمير مادي ووضعها كم على قلعة زوارة وأمر بإشهاد المنادي وهو الحاكم عليها بكل حفظ وأمان وبعد ذلك جهز أبو زيد الأموال وحملهم على الجمال وأمر بدق طبل الرحيل وساروا الجيوش والمواكب والفرسان والكتائب ومعهم الأغنام والمكاسب ومازوا سائر ين يملوفوا الغيا في القفار حتى وصلوا إلى عين توز وهي بنصف الطريق فجلس لأجل أخذ الراحة وأمر ببيع الأغنام وشرب المدام وبينما هم على هذا الحال إذ طلعت عساكر دباب من ناحية الغرب الجنوبي فلما التقى أبو زيد بالأمير دباب هتوا بعضهم بالسلامة وأخبروا بعضهم بما قاسوا من الحرب والأموال وجلسوا ثلاثة أيام وقاموا وجدوا المسير حتى وصلوا إلى تونس فلما علم حسن بقدرتهم خرج لالتقاهم بالنساء والرجال وجميع الذين كانوا بالأحلال وعند ملتقاهم هتاهم بالسلامة ودخلوا بموكب عظيم ودارت البشائر في مجموع بني هلال وفرحت في قدومهم النساء والرجال وبعدما استراحوا سألهم

الأمير حسن عن الأحوال التي جرت لهم غيروه من الأول إلى الآخر بما قاموا
من المحروب والأحوال في تملك سبعة تحفوت بلاد الغرب وحينئذ أمر حسن بعمل
ولعة كجدة وبلديح الاغنام وتروق اللدام ودعى إليها الخاص والعام وبعد مدة
من الزمان قسموا بلاد الغرب بينهم بالصوية بين أبو زيد وحسن ودياب كل
واحد الثلث وأما تونس لدياب من غه حساب عرض الحضرا رجع حسن إلى
القيروان وجعلها حاصته وأبو زيد جعل الالندلس حاصته حينئذ جلس كل واحد
فملكته بكل أمان (قال الرازي) تقدم الكلام في قصة الزناني بأن بني هلال تملكوا
تحفوت بلاد الغرب الأربعة عشر قلعة لرجع الآن الكلام إلى سعدته بنت الزناني
فإنها كانت باقية بقصر أبيها عند حريم دياب تقاسى الدل والعذاب كاذكرنا الكلام
لما رأيت حسن نسبا وما عاد يفكر فيها ولا أبو زيد فجعلت تكتب للأمير حسن
وذكرته بخلصها من دياب وأنها مظلومة عنده للغاية وقد سامت السكتاب محبة
تجانب فلما وصل إلى حسن أعطاه السكتاب فقصه وقرأه وعرفه وزه ومعهناه
فتغيرت منه الأحوال ولعب به للغضب بالحال وحينئذ أرسل عبده جور إلى أبو زيد
وأخبروه بالقضية خالا أبو زيد ومعه خمسة آلاف فارس من بني زحلان كأنهم من
الجهان فلاقاه حسن وسلم عليه وبعده ذرتاح أبو زيد قال للأمير حسن حتى أرسلت
لي فحينئذ أعطاه كتاب سعدته فلما قرأه أمر بإحضار النجاش فلما حضر بين يديه قال
له أخبرني الست سعدته أنا بعد ثلاثة أيام تكون عندها فسار العبد وأخبرها بأنهم
آتين ليأخذوها ففرحت وقامت تنتظر قدومهم وأما حسن وأبو زيد وكهوا في ثاني
الأيام وساروا حتى دخلوا إلى تونس الغرب فلما نظروهم دياب نزل ولا قامهم بالترحيب
والإكرام وأدخلهم القصر وذبح الدبائح وأقاموا بعثياته ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع
قال لهم دياب لقد شرفتمونا بمغازلكم وكان الواجب أن أرسل أنا الأول إليكم وأقدم
الواجب على فقال حسن نحن ما أتينا إلا لأمر مهم ثم أشار يقول :

يقول حسن الهلالي أبو علي	ولي قلب من جور الزمان كواه
ولي عين طول الليل لا تألف السكر	ودمعي فوق خدي سجاها
يا دياب الخيل اسمع مقالتي	واصغى لقولي وافهم معناه

نقلت الزناني كان هذا مقدور
من عند ربى من أعالى سماه
ووجبت رحك فوق باب تونس
وقصدت تدخلها بغير جاه
ومن بعدها قد كنت حاكم مكانه
وكل هذا الفعل سابعناه
فان عطيتنا لك الغرب رمهما تريد
انت أخذت تونس بدل خضرة أصيلة
نأخذت تونس بدل خضرة أصيلة
وسعدته بقت عنده وديعة لينا
طلبك منها أن تكون حايثك
وجعلنا عند الجوار لخدمتك
عيب ترى هذه الفعال جميعها
سعدته مرادى أخذها لضعونا
وهى يقيمة يا دياب بن غانم
ما قال حسن الحلال أبو على
فلى تحمل جور ثم اسماء

فلما فرغ حسن من كلامه ودياب يسمع نظامه اغتاط دياب الغيظ الشديد من
ذلك ولكنه اخفى الكمد وقال ان سعدته باقية كما هى وأما قولك انى طلبت أن
أتزوجها فهذا كذب فقال حسن هذا كتاب سعدته اقرأ فقرأ دياب واغتاض أكثر
من الأزل وقال يا حسن هذه سعدته بواقعة وحالته قال انى تخون أبوها لا يكون فيها
خير لأحد قالوا لاجب اذلالها فقال هذه خطيبة أخويها مرعى فاطلب أن تعلمنى إياها
ولا يقع بيننا أسباب ما هى فى حساب فعندها ألقى دياب يقول :

يقول الزغبى دياب بن غانم
ولى همة فى الحرب ان قام سوقها
يا بوى على اسمع كلامى وقصتى
لما دخلنا الغرب يا أمير أبو على
فقلتم دياب الخيل يرعى جمالنا
ففتحتم مبادئ الرضا مع خليفة
وجعتم علمتم الزغابة حيلة
ولى عزم أمضى من حسام شقاء
أدهى دم الأبطال شبه قناه
اصغى إلى قولى وانهم معناه
نسيتم فعالى واخترقتم علاه
ونحن نكون للزناني بلاه
نعم أبو سعدته شديد لقاه
دعاهم أبو سعدته بسيفه هفاه

قتل يدين الخيل عالى وإخوتى
 تسعين أمير من قرأى قتلتم
 قتل عقل سلطان القوارس كلها
 فواته أرض الشرق والغرب كلها
 مضى عقل وانصر وانا كنت غالبا
 ولما عجزتم عن خليفة وحربه
 بعثتم برافع شعور بناتكم
 منك ومن أبو زيد فهم تقولوا
 وجينكم من فوق خطرا كريمة
 لقانى أبو سمعه الزنابق خليفة
 ٣ شعور السكون عاقبت بيننا
 قتل خضرتى تسوى المداين كلها
 طمخته بحربة مثل نار تنطق
 وراح أبو سمعه قتيلا على الرعى
 تقول عظموتى انتك ملكك
 وتوختنى من أجل بنت خليفة
 طمحتها للملح هذا جـراها
 تقول تأخذها لعندك يا حسن
 أنا قلى السكوى وأنت خالبا
 ملكتكم الشرق والغرب كلها
 فهذا أبو زيد حاكم يفتنا
 ما قال الفتى دياب ولد قائم
 زيدان مع بدر الاله سواه
 وأبو زيد ناظر لا يريد طفياء
 فيالبنى يا عقل روح مفاء
 فيالبنى يا عقل روح مفاء
 هو ايس لسوق الخيل وقت لقاء
 وقتم ماغير أبو موسى يلقاه
 وما جيت الى بجهنين سواه
 يا لوسى يا أمير زفى تعاله
 فالجرى يسبق برقا والمعا
 من فوق أشهب مثل طير بلاه
 وياها جرى بيننا ودعاه
 وقت على الخضرا أكبر بكاه
 فى وسط عينه نفدت من قفاه
 وراح الخضرا حبيبى معاه
 أخذته بضرب السيف والتناه
 إذا كنت أرضاها فبعض لساه
 وهذا جزاء من يخون أباه
 وهذا ترى ما لا يصير والله
 والجرى تحرق فى مكان رماه
 وما بان لى معكم جميل تراه
 وائى لحكه يا حسن أرضاه
 ومن يعاندنى الحسام دواه

ثم أرادوا أن يجمعوا على بعض فتعهم أبوليد وقال ما هذا فقالوا لا نأكل
 بنى عندي رأى حسن فقال الأمير دياب ما هو نحن نوضع فى مكان بعيد فى آخر
 الميدان ونقف راكبين خيولنا بأول الميدان ونطلق الاعنة فالذى يوصل الى سمعه

قبل الآخر تكون ملكه ويأخذها وقصد الأسمر أن يأخذها عنده وقال في نفسه
 عن خضرة دياب ماتت لابنتها صغيرة ما هي مثل خيلنا وأخذتها أعطيتها الحسن وبخضم
 الشر لأننا ضيوف عند دياب ولا يليق أن نأخذها بغيره. وشاهد فقال حسن وضيت
 ودياب رضى أيضاً ثم انفقوا على ذلك وفي اليوم الثاني أحضر واسعه إلى الميدان
 ووقفوها في آخره ووقفهم في أوله وأعطوا بعضهم إشارة فخرجوا كأنهم لشاب
 وكان دياب راكب الشهباء ابنة الخضر وكانت أحسن من أمها فراجحت أمام الجميع
 ومن خلفه الأسمر الآخر على الحصان وكانت المسافة مقدار ساعة فلما وصل إليها
 قالت له سعد أنا أختك يا دياب وكان الأسمر عليها أن تقول ذلك فلما سمع كلامها
 هرب المضمون فشر حسامه فجرحها بجرحاً بليغاً فصار به حسن وقال ماذا عملت
 هكذا يا دياب قال أنتم قتلتم أن الذى يسبق إليها تكون ملكه وهى صارت ملكي
 فلما تصرف كيف أشاء وبما أنها خائنة لا أريد أن أبقيا عندي ثم نزلوا إلى سعدة
 فوجدوا فيها روح فخلوها وساروا حتى دخلوا القبر وان راجعت البسات والنسوان
 لما عرفوا بقتل سعد وكذلك مرعى فانه مرققاً به وتنف شعره وسار كالجنون
 وأما سعد فاتها ففتح عينها من حلاوة الروح وأشارت تودع الدنيا بكلام
 يفتنه الأكباد حيث تقول :

أنا كنت أسعد الناس كلها	شبه القمر إن بان تحت غمام
مولعة بالعز والغنى والصبا	أنا وأنى في لذة وأنعام
فلما أنى أبو زيد للعرب ردها	ومعه أمانة خيرين كرام
علمت بهم من قبل أن يأتوا بلادنا	ضربت تحت الرمل والافهام
جهادوا إلى سلطان قابس الضحى	وأبو زيد من سهر الليالي نام
أنوهم هيد السود وقفوا حولهم	وهم ساحبين خناجر وحمام
وشدوا أياهم كئافاً إلى ورا	وأخذوا صوارمهم مع الاغنام
وقد عرضوهم للزنانى خليفة	ملك ملوك الارض كالنضرغام
نهرهم وقال جيتم تزوروا بلادنا	فقالوا نحن شمار نقصد الاكرام
فقال شلحوهم يا هيد ثيابهم	وامضوا بهم إلى المشتقات قوام

وبنادي عليهم في شوارع تونس
 فظلمت من شباك قصرى أشوفهم
 تعالقت في مرعى لمسا نظرت
 ولدت أصلت نار الغرام بضامرى
 نهضت أنا من منزل نحو والدى
 فلما ذنب شعرا أمرت بقتلهم
 فقال جاء را يزوروا بلادنا
 أشرت على أبويا شور أطاعنى
 لبيت من الصندوق ثوبا مذهبا
 وفى وسط قصرى يا أمير وضعتهم
 وقالت لهم لا تمهلوهم والذى
 وجبت لهم من كل ما يشتهونه
 إذا لف مرعى الشاش من فوق
 أشوف وجهه كالللال إذا بدا
 مضى وما مضى زلزالا بوزيد عاتدا
 وعدم تسعين ألف ومثلها
 زرعوا أرض تونس والبساتين كلها
 غنلتهم أبويا ثم أخذتوا بلادنا
 تملكتم تونس وقابس أرضنا
 وما كنت من مرعى منأى وبغيت
 يارب من كان السبب بفراقنا
 قد أحرمتنى لذة العيش والهنأ
 فلا تلومونى الصغيرة إذا بكى
 زرعتم جميلا قابلونى بضده
 أيا أبوعلى قد كان منى تحاكم

ودلوا حبالا ما كانت يرام
 وأنا مثل بدر مستل تمام
 سلب مهجى والقلب منه هام
 وقد حاج بليل وزاد غرام
 وفلت يا أبى لا تكن ظلام
 مساكين فقراء كلهم أيتام
 لى يملكوها فى قنا وحسام
 ومن يأن الأنى بروح عدام
 وأرخيت من فوقه رفيع أكام
 وأبو زيد قد راح يجيب أغنام
 عليكم منى ألف ألف سلام
 من اللبس والشاشات والهندام
 راحة فيقطع جبل ما أطبق قيام
 وجهته تعزى كبدر تمام
 ومعه جموع مثل فيض غمام
 وتسعين فى تسعين ألف همام
 وابشوا بيوتا عالية وخيام
 قتله القى الزقى أبو غمام
 ولا تحفظوا لى يا كرام مقام
 نسيتى ولم يرعى إلى زمام
 يقتل وفوق الأرض دمه يعوم
 وشلى تفرق ما بقى له لوم
 أبكى على أهل وكل عموم
 وكيف عن زرع الجليل يضام
 ولستكم حشرى نخت تمام

فما د إلا الموت يا أمير أبو علي سأرحل عن الدنيا بغير مرام
يا أبو علي هات لي مرعى أشوفه وأودعه قبل أن أذوق حمام
يا ليت أبقي لمرعى خديمة وأكس لرجليه بوقت مقام
يا أمير جازي دياب بفعله ولا تتركه يرتاح يا مصمام
مديح لأولاده على صحن صدره وهن بعدها يعنى بلا مقام
يارب جازي من سبب موتي وأنا بمر عمرى ما بلغت مرام
تقول الصغيرة بنت سلطان تونس عليكم منى ألف ألف سلام

فأفرغت سعدة من كلامها حتى شقت شقة واحدة وماتت فقما واعليها الصياح
والنواح ثم غلوا ودفنوها وصار حسن في قلبه من دياب ناراً لا تنهاى وأما دياب
فانه طفى في الحكم لأنه ملك في آخر عمره وكان يفيض على أهل العرب وهم كلهم
يغضونه وما عرف كيف يعصرون بالملك فأفسد عليه أهل بني زغبة وصاروا يوشون لهم
حتى صاروا أكثرهم يغضونه ولكن ما حد منهم قدر أن يحكي كلمة لا لهم يخافون من
بأسه وسطوته وداهت الاحقاد بين دياب وحسن وأبوزيدوا كن في الظاهر كانوا
يظهرون المحبة والمودة ويخفون ما في قلوبهم .

(قال الراوى) هذا ما كان من دياب وبني هلال واسمع ما جرى إلى زعيمة
سعد الغرب أخى الزناتى فانها لما علمت بأنه وقعت البغضة في بني هلال قصدت
أن تسمى الفتنة بين الأمير دياب والأمير حسن وفي الحال جمعت عشيرتها وأخو
والعلام وقال لهم يا قوم لقد فقدنا أخى الزناتى والعلام والجايلين مقرباً وفتحوا
بني هلال الفتوحات وملكوا السبعة تخوت بلاد الغرب وما خلوا ملجأً لسكن فيه
قد حزننى موت سعدة ابنة أخى وكسرت ظهري وكانت كل أملى فيها أن تعزى لنا
وتكون ملجأنا فالآن مرادى أتوجه إلى بلاد بني هلال وأرمى فيهم الفتن فقال
لها أخو العلام يا ست زعيمة تخاف عليك من أبوزيد لأنه حيال مكار ومكره غلب
مكر المغارب فقال لا تخاف على من هذا القبيل وحملت وودعت قومها وسارت
إلى عند بني هلال بصفة شاعر لف ترمى الفتنة بينهم وما زالت سائرة حتى وصلت
إلى تونس الحاضرة فدخلت على الأمير دياب فهاست يديه وسلمت عليه وقالت له

يا أمير قد شرفني سلامتك وفرحت بقتل الزناتي لأنه أكثر أمماني قتل
أهل و يتم أولادي وأخذ مالي وعدت حريّة غريبة في أقصى البلاد فلما علمت
أنه مات ركبته نفاقي وقصدت منازلكم العامة وأنا عندي هذه الأرض
والبلاد بين سلوان و غبط الهرجان وأنا خاطري أقسم لك هذه البلاد ويكون لك
الغيظ من قسمتك فإنه يكون لنظام حظك عين سلوان فقال لها ما يكون هذا
الغيظ وفي أي بلاد فقالت له غذا صباحاً تتوجه وأريك إياه ويقوا يتحدثان
عن الغيظ إلى أن أصبح الصباح فركب الأمير دياب في جماعة والمعجوز
وجدوا بقطع القفار إلى أن وصلوا إلى ذلك الغيظ فابسط الأمير دياب والنشر
لما نظروا تلك الغدران التي تدهش البصر وتلك القصور العامة والأشجار الفاخرة
وصار الأمير دياب في غيظ الهرجان وعين سلوان يحسب الأثمار ويقطف الأزهار
وأما المعجوز قالت إلى الأمير دياب أرجو أن تسمح لي أن أذهب إلى عند أولادي
وأخذ لهم حل من الفواكه فقال لها إفعل ما بدالك ولكن لا تطولي علينا غيابة
يا أماء لم يفتأ أخذت من العرب من أغرأ ثمار الغيظ وذهبت إلى عند الأمير حسن
والأمير أبو زيد ووجدت في المسير حتى وصلت إليهم وسلمت عليهم وقبلت يديهم
وقدمت لهم الهدايا وأشارت ترمي وتصف لهم الغيظ والهرجان .

(قال الراوى) فلما فرغت من كلامها والأمير حسن والأمير أبو زيد
يسمعوا شعرها ونظامها وقع الحسد في قلوبهم من الأمير دياب ثم انصموا على
المعجوز وأصرقوها في حال سبيلها وقال الأمير حسن والله يا أمير أبو زيد إن
الأمير دياب حاز أغر ملك العرب وعزادنا أن ترتب في الإبطال نقصد في عاجل الحال
وننظر هذا الروض وصار حسن يخبر أمرام الغرب على الفتك بدياب وفي ثانی الايام
جمعوا الفرسان والإبطال وركب هو والأمير أبو زيد ومازالوا سائرين إلى أن
وصلوا عند الأمير ودخلوا غيظ الهرجان وعين سلوان ولما نظر الأمير حسن وأبو زيد
هذا المنظر وعلو القصر وجميع ما ذكرت عنه المعجوز تعجبوا غاية التعجب ولما علم
الأمير دياب بحضورهم لا قام وقال لهم الأمير أبو زيد يا أمير دياب نحن ماسكين البقرة
من ذنبها وأنت نجها فقال الأمير دياب يا ذن الله أعطى من يمنة وإذا منع من يسرى
(٢١ - تغريبة)

فقال الآخر أبو زيد فان شئت يا أمير دياب تعطى هذا الغيط إلى الأمير حسن فاقال
دياب بذلك فأتى أبو زيد من دياب وشاف الجمال وهجم على بعض فهدموا الاسوار
وردموا الايوار وكسروا الاشجار ولما نظر دياب هذه الافعال غضب في الحال وجمع
بني زغبة وفي نصف الليل حضر ثلاثمائة ثعلب وذهبنهم بالزفة والكبريت وشعلتهم في
أذنانهم وأطلقهم بين زرع بني هلال وكان أيام الحصاد فاشتعل الزرع وأعب في بعده
البعض فوصل الخبر إلى الأمير حسن فخرج رقومه ليطفوا الحريق ولكن كان
احترق أكثره وما بقي إلا القليل فغضب حسن وعرف أن هذا الفعل فعل دياب فجمع
قومه وراح يستشيرهم على حرب دياب وقال الجميع الأحسن أن ترسل وراءه فان
أطاع السلطان يهرم قتله وإن أبى تركب إليه جميعاً في عاجل الحال أرسل نجاب لكم
استدعى دياب فلما وصل النجاب أبى ولم يحضر وأشار يكتب إلى الأمير حسن يقول:

يقول أبو موسى دياب بن غانم	صحيح كلامك يا أمير دياب
لستك قلبت حظي وقيمتي	وأصبحت في قلة وقول وواب
تعت لي راعي الجمال يبحني	كأن عقلك من دماغك غاب
إذا لم تحمي ألفين وألفين مثلاً	مشاة وركابها مع الركاب
ما جئت لك ولو كنت من ما نكن	لا والله ما لك إلا وطلب

فلما فرغ دياب من الكتاب أعطاه النجاب وقال له أعطيه إلى الأمير حسن
فأخذه وسار حتى وصل إليه فقراه على رؤوس الامارة فقالوا له الجميع أفل
ما تريد فعمد ذلك أشار يحثهم على حرب دياب وقتله يقول:

يقول الفتى حسن الحلال أبو علي	ولي قلب من جور الزمان ملائ
فأقول لكم يا قوم في ولد غانم	دعانا بلا قدر كالفسوان
قتل أبو سعده وخان عهدنا	فلا خير للصحاب في سخوان
فقوموا ودقوا طبول حروبنا	نأخذ بتارات لنسا بستان

فلما فرغ حسن من كلامه وبقيت الامارة يسمعون نظامه قالوا كلهم الحق
على دياب غدار وما علاج الغدار إلا ضرب البتار كل هذا وأبو زيد ساكت
فقال له حسن لماذا يا أبو زيد أنت ساكت فقال أبو زيد أنا لا أرى من الموافق

فقاتلوا دياب لأنه متوافيقا ولا أحب نفق بعضنا ونحن طول عمرنا هابطين سوا
 ودائما أنا وهو متعاون على الخير والشر فإذا حاربه فاما أن أقتله وأما أن يقتلني
 ومن قتل منا تخميره بنى هلال وأنا الراى عندى أن تصلح بينكم ويذهب كل شيء
 إلى سبيله فقال حسن أنا لا بد من قتاله لأنه ملكفاه خارج عن طاعتي ووضع
 معه فوق توس ليرقنا من تحته لأنه استخف بنا جدا وقتل سعد خشيبة مرعى
 أمامى وهى صارت من حريمنا وقد طمع فينا وأراد أن يأخذها فقال أبو زيد
 أنا أروح معكم واسكن لأقاتل بل أصلح ثم إنهم جمعوا قومهم وذهبوا إلى قتال دياب
 فلما وصلوا إليه وعلم بهم خرج بقومه لقتالهم فلما التقوا الجيشين وبرز حسن إلى
 الميدان فبرز إليه دياب فالتقوا البطلين كأنهما جبلين وحان عليهما الحين وغنا على
 دؤوسهم غراب البين وسار الغبار وسد منافذ الأقطار وقد حثت حوافر الخيل نار
 وكلت منهم الزود وذهقت منهم الكبد وأطلقوا الأعنة وقوموا الاستن وعدت
 لهم ضربات مثل مطرقات الحدايد مقدار ساعة من الزمان طلعت من الاثنين
 ضربتين قاطعتين كان السابق بالضربة الأمير دياب وقعت ضربة على فرس حسن
 نزلت على جواده كاعدم فأدركه أبو زيد وخلصه وأما مرعى فانه لما نظر السلطان
 قد وقع على الأرض أراد أن يهجم على دياب ضربه بالحربة جت على لبة فخلده
 فأرماه إلى الأرض ثم أن دياب بعد ذلك لوى عنان جواده ووجع قاصد بلاده
 وما حد تبعه ثم اجتمع بقومه وقال لهم عرفتم ما قد صار بيننا وبين حسن فما
 الراى عندكم قالوا الراى عندنا أن ترجع وتغيب لك مدة من الزمان حتى تصلح
 الأحوال ويروق البال لأنك تعديت على حسن وعلى أخيه مرعى وربما حشرت
 الأمير أبو زيد فتوقع الحروب وأحوال ونفنى بعضنا وتشمت الأعداى فينا فقال
 لهم الأمير دياب لا أرحل من هذه البلاد ما لم أقتل حسن وما قدره الله يصير فهذا
 ما كان منه وأما حسن قام من وقته وجدا به مجروح خله مع قومه وأخلوه
 إلى القيروان وصار الأمير أبو زيد يلوم حسن ويقول له أنت تعديت على دياب وكان
 مرادك قتله وهذا أخونا من الموافق أن تصغوا لقولى وترفعوا الحقد بينكم
 ثم إن أبا زيد أصلح بين حسن ودياب ولكن بقيت البهضة كائنة في قلوبهم إلى

يوم من الايام جمع حسن قومه وسادات همدان وقال مرادى ازف ابني مرعى
على عطر بذات ابر زيد فتادوا في جميع العرايا مدد العرس شهر تمام لا احدياً كل
ولا يشرب الا من عند حسن فذبح حسن الدبايح وعمل الولائم ثم استدهى في
عشرين فارس من اولاد عمه وقال مرادى اولسكم الى تونس اتعزوا دياب وكتب
له كتابا يمرقه فيه بالحضور وسله الى امير من اولاد عمه وقال لهم لا ترجعوا الا
ودياب معكم فاخذ المسكنوب وحاروا يقطعون الروابي والمصناب فاصدين دياب
واما دياب في تلك المدة حل حلاً هالكا فاستدهى ابن عمه مسلم فلما حضر بين يديه
سأله عن الخبر فاشار يعلمه بهذا القصيد :

يقول ابو موسى دياب بن غانم	الايام ما تبدى بيوم سعيد
ورأيت مناماً يا امير مسلم	اسكد علينا غاية التأكيد
ورأيت خلخالاً على الساق فضة	يدور على الرجاين بالتوكيد
ورأيت جماعة من الرجال هدمتهم	وما شفت بالعين يا صديق
ورأيت افي وسط قاعة مربعة	ومصفحة ابوابها بحديد
فسر لي منامى يا امير مسلم	واشرح منامى يا امير وكيد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه التفت زيان الى عمه دياب وقال له
لا تفكر يا عمى لان هذه اضغاث احلام ما هو الا من ثقل الطعام وبعد مدة من الزمان
اقبلوا عليه عشرون امير من عند حسن قد دخلوا وسلموا عليه واعلموه عزيمته حسن
واعطوه الكتاب فلما قرأه وعرف رموزه ومعناه السر وانشرح جدا وسألهم عن
صحة الامير حسن وابوزيد وعن اخته نافلة وعن بقية نجع بنى هلال فقالوا
الجميع بخير يهدوك السلام والتحية وكان قد سمع بهذا الخبر فلا ظن بسوء فقال لهم
انى بعد ثلاثة ايام ان شاء الله اكون هناك فسلموا على الامير حسن واهدوه
منى جزيل السلام ولما ناكدوا مجيئه رجعوا واخبروا الامير حسن فذبح حسن
الدبايح وأولم الولائم واجتمعت القبائل عنده وهم في بسطوا المشرائح الى ان كان اليوم
الثالث نظروا الغبار من جهة تونس فارس من بنى زغبة الانجاب فخرج حسن
التفاهم ولما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم البعض وكان دياب شيخ جليل

لابس حبة من الحرير الأخضر وشال على كتفه برنس أحمر على رأسه عمامة من
البرفيل والارجوان ثم دخلوا على الأمير حسن فرحب فيهم غاية الترحيب وجلس
دياب على كرسى من العاج كأنه الذهب الوهاج وقمره من حواله ثم أمر الأمير
حسن باحضار القهوة والكسكس والشراب واحضر مائدة من الطعام مصحوبة
بألف فارس ضرغام أجلسوا على المائدة وجدوا المناسف مغطاة فرفع الأمير
دياب الغطاء عن المنسف وجده فارغ من الطعام وفيه قيود من الحديد فقال الأمير
دياب ما هذا يا حسن فقالوا الواجب أن تتقيدوا إلى السلطان بالاطاعة ولو ساعة
فعندها وضع الأمير القيد برجله وفعلت باقي الامارة كفعله وبينما هم كذلك إلا
اندفعت فرسان دويد لداخل المكان ويدهم الخناجر والسيوف ومن جرى من
ذلك فصار دياب كالملوف فعندها أمر الأمير حسن بنصب المشاقق والحبال وقال
اشتق جميع هؤلاء الرجال فذهبوا مستين أمير غانم ودياب والبقية أمر بشنقهم أما
الأمير غانم ودياب كاد تقفز مراراتهم من كثرة الحزن ولكن ما طلع أيدهم شيء
بهيبت أنهم مأسورين وخاليين السلاح وبينما هم في تلك الأحوال دخل القاضي سرور
إلى الديوان فلما رآته اخته بذلا فسلمت عليه وأشارت تقول :

تقول بذلا عند ماشهط النبا	أيا أمه عروى ثم سعدى راح
أبات طول الليل فلقى حوريتة	ودمعى يجرى مثل الصباح
فأول حزنى فقدت بدو بن غانم	غدر خليفة الفارس المحجاج
وياما فعل فيكم الزناني خليفة	وعابه عليه الواحد الفتاح
طعنته يا دياب فى وسط عينه	وعاد فيك بعد التعب مرتاح
وملككم حين الخطوة تونس	وقاس وعفارة وكل بطاح
فمر أمارتكم وفرحت جيا دكم	قد زاد فيكم الاس والأفراح
وكله سعد الأمير بن غانم	قدوم زغبة كلها ودباخ
يهازيه حسن بالغيب يا ابن فاهد	يعشق أمارة خيم ملاح
وهؤلاء أولاد معلفين على بكر	وحبل القضايب تغلب به الأرياح
شنى الفتى زيان ومدار باطل	اشنع لنا بنزولهم يا صاح

داريم يا بالهود يا ابن فايد واجرك على كريم فتاح
فلما سمع سرور كلام عمته اغتاظ ودخل لعند الامير حسن فاستاذن بتزويل
القتلى فأمر حسن بتزويل المشنوقين فأزولهم وأخذوهم بنى زغبيا وأودوهم الزراب
وبعد ذلك صاح حسن على أبي الفردوس اشتق دياب فقال له القاضى الشفاعة في
دياب فقال السلطان حسن ما في شفاعة اليوم لانه حرق الزرع وقتل سمعة ورضى
ولطمح الطرقات ومضى في أمور ما شافها أحد قال القاضى لدياب أنت قتلت إخوته
وحرق الزرع وقتلت سمعة ابنة الرئائى خليفة ونصبت الرمح فقال دياب نعم
قال القاضى رضى أن يلقىك يا هياب أنا ما قلت لا تغير على أحد فقال دياب أنا
مالي ثمان دهورات وأشار يقول :

يقول الفتى الرغى دياب بن غانم	ول عزم أمضى من حسام البواتر
أمر النحر ليهم مد عزم	وأدعيتهم تحت الأراضى دوائر
وكان يحى لك يا هلال كتانهم	نحت الجربل وأنت مغلوب صابر
بيدى قتلت الميبدى بن زائدة	وكان عليهم باغوا عم ظافر
دهوتك ستة أنا لى ثمانية	شرحت واحدة من الضماير
وعانى دعوة قتلت العقيل حنضل	ووليت منه يا حسن وأنت جابر
وفى حلب الشهباء نصبت خيامكم	وجاءكم خراعى عريبد ضامر
وأردى أبو زيد بن رزق ملامه	وخلصته خراعى والسود حاكم
ها ثالث دهورات يا أمير أبو على	والله عالم فى جميع السرائر
ويوم مضى رحيت قيس جميعهم	وتشهدوا سائر هلال وهاجر
فى يوم قتيل خمسة وخسين فارس	وأفنى فوارسكم بضرب الدواكر
ورابع دعوة يا أمير أبو على	قتلت الفتى الفرمد والحق ظاهر
وخامس دعوة يا أمير أبو على	سلبتونى البوش برسم الدفاتر
أنى أبو خروبة معتدى يا أمير أبو	لى فارحيت لما أفنى على البوش فاير
وكان سباع البر يا أمير أبو على	ومن مالكم ما غاب فرد قاطر
ومئذ سد دعوة ذلكم مع خلية	وأنت معك كالغنى فى المحاور

وكبت وجهه فوق خضرة مبرمة وجاني على أشهب أقلب الخوافر
 ضربته بحربة سلم الله مقاتل من حربتي قد صار أعمى النواظر
 وسابع دحوة قلت قيمتي وحظي وغازت على مالي دريد وعامر
 وغانم دعوة يا ابن سرخان هنئي أخدتم غيطي كان نامي وثامر
 فهذا مقدر يا أمير أبو علي ومن لا يموت اليوم يموت بأكر
 فلما فرغ الأمير من كلامه والامارة يسمعون نظامه فقالوا إلى القاضي بماذا
 أصدر الحكم على دياب فقال الشريعة تحكم على دياب بمحرم سنة كاملة فلما سمع حسن
 ذلك الكلام استدعى ابن حراح سجان وقال له خذ دياب إلى السجن فأخذه إلى السجن
 ووضع قيود الحديد في رجليه وعنقه (قال الراوي) ولما وصل الخبر إلى أبو زيد
 أتى من الأندلس إلى حسن فسلم عليه ورحب به غاية الترحيب ثم سأله أبو زيد ما فعل
 فقال له الأمير حسن ما علمت مع دياب إلا سجنه فإن كنت قتلت أولادهم وأخواته
 فإنه قتل أخى وخطيبة مرضى وجرح مرضى وجرح قلى علمها فقا بلته بمنزل ما قابلي
 وجرح قلبه عليهم ثم إن الأمير حسن بعث ألف فارس إلى تونس وأمرهم أن يحضروا
 له خزانة تونس وسلاح دياب وأثاث بيته وكل ما في قصر الزناتي يحضروه خالاً
 ذهبوا وأحضروا ما أمرهم به الأمير حسن وقد أترك دياب الجميع وما عاد يتفكر
 فيه لأشريف ولا وضيع غير أهله والخلان أبو غانم ليك الميدان هذا ما كان من
 هؤلاء واسمع ماجرى للأمير أبو زيد وحسن فقد طابت لهم الأحكام وراق
 لديهم الزمان وانصحبهم صروف الحداث .

(قال الراوي) ففي ذات يوم كانوا مجتمعين حسن وأبو زيد في الديوان ومن حولهم
 السادات والأعيان وأماهم الفرسان فدخل عليهم نجاب وسأل عن الأمير أبو زيد
 فأمدوه عليه فتقدم وتمثل بين يديه فسأله أبو زيد من أين ياروجه العرب
 قال من نجد عند الست عليا بنت حسن الجمعيرى أم شيان وهى تهديك التحية
 والإكرام وقت فراقك هى تعطيها السادات والفرسان والآن تهديك مرسها على
 الأمير نوفل فارس الميدان وقد قامت الزينات من الحى فى كل مكان وعليها غير
 راضية بهذا الشأن غير أن نوفل كتب كتاب عن لسانك ما عاد لك بعلياً مأرب وما

حدث ترجع من أرض المغارب فتزوجها لمن تريد وعندما بلغ عليها هذا الخبر اسود
عينيها ثم أخرج الكتاب وبأسه وأعطاه إلى أبوزيد ففرضه وقرأه ولما وقف على
معناه غرغرت عيناه بالدموع فلما نظر حسن وبقية السادات وما جوا وما جوا قالوا
ما جرى عليك يا أبوزيد وما هذا الكتاب فإننا صرنا بأنذهال عظيم فباته عليك
تظلمنا على فحواؤك ما تتمناه لحيث نذنازل الكتاب إلى ابن أخته عزيز القوم لأنه كان
مجانبه فأخذ يقرأ كتاب عليا على رؤوس السادات فلما فرغ عزيز القوم وسمعت
الأمراء والسادات فقال حسن والله يا أبوزيد الحق مع عليا لأنك قطعت عنها
المغائبات وقد حرمت من رؤية أولادها وأنت ما عدت ذكرتتها من اليوم الذي
تخلصت هي والمجازبة ورجعت من مصر مع أبيها حسن المجعري إلى نجد وليس
هذه أفعال الأمراء الكرام فأجابته أبو زيد هذا هو الحق والصواب فأخذوا
العبد وساروا يضيفوه ثلاثين يوما فعندها تحرك حج العرب للزيارة فنهض
العبد إلى أبوزيد وأخبروه بالمسير إلى بلاد نجد صحبة الحاج فأعطاه أبو زيد
عطية ثمانية دينار واستدعى بقلم وقرطاس وأشار بغير عليا يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامة	طير الينا حكم بقلي غاليه
من البعد والفرقة ياما أصابنا	وكيف حال المرء فارقه حبابيه
أيا غاديا من على متن ضامر	نجد السير في البر تجرى ركابيه
إذا جيت نجد العاديه وأرضها	فسلم على عليا وباقي قرايبه
وقول له مائنيه القلب والحشا	شخصك مصور في فؤادي مشابيه
ولا بد من قاضي بشرع الحكم بيننا	وبان للمغلوب من غاليه
تعذبيق بالبعد والبعد خيمه	إذا نال عمر المرء تكثر متاعيه
فقال أبو زيد الهلالي سلامة وأ	ناعبد من يحفظ على العبد صاحبه

فلما فرغ أبوزيد من انشاده طوى الكتاب وختمه بختمه وأيضاً شيان وأخوته
كتبوا مكانب لأهلهم ووالدتهم وأعطوهم للنجاب وساروا معه سفري يومين حتى وصل
من الحج للقدس الشريف ومن هناك إلى مكة والبيت الحرام وبعد ذلك رجعوا
وصار العبد يقطع البراري والقفار حتى وصل لنجد ودخل على عليا فترحب به

وسأله عن أبوزيد وعن أولادهما فأجابها بكل خير وأمرها الكتاب فلما رأت
كتب أولادهما نزلت دموعها وطلبت من الرحمن أن يفرج همومها هذا ما كان من
هؤلاء وأما ما كان من أبوزيد من بعد ذهاب العبد ذات بلايله وأشواقه لمصاحبة
عليها ودام على هذا الحال شهر كامل وفي اليوم الحادي والثلاثون طلب البعوض من
جفوده وأصحابه ليرافقوه لبلادهم فأتوا وقالوا نحن ما صدقنا وصلنا الغرب واسترحنا
من الطعن والضرب فاعتنا أبو زيد وطار من عينيه الشر وخيئته قام الأمر هزين
للقوم فارس وحامي الميدان الذي شهد له الأقران بالحرب في بطائق الجولان وهو
ابن خالد بن شيحة أخت أبوزيد وأبوه قتل في مصر بتغرية بني هلال بوافعة الملك
فرمى وربى عند أمه بينما في حمى أبو زيد حتى اشتدت أرضه وراقى أحواله
غصا وقارسا عظيما هابته الأفرسان في الحرب والطمان وكان ابن سبعة عشر سنة أمره
لا نبات بعارضيه وكان يضع برقع على وجهه خوفا من النساء تطرح من حسنه
فتقدم إلى أبوزيد وقال له يا خال أنا وفيكك اتجد وكذلك يونس قال أنا معك
يا عم لتجد ففرح أبوزيد واستبشر وأيقن ببلوغ الوطن وفي ثاني الأيام ودعوا
أهلهم وجدوا في قطع الروابي والآكام مسافة تسعون يوم وفي اليوم الحادي
والثلاثون وصل الصحراء وأرض فرة خالية من الماء جردتهم الظماء من شدة الحر
في ذلك البر في اليوم الثاني نظروا من بعد بئر ماء له علامة بذلك البئر فقصده يونس
ووجد دلو وجبل على جنب البئر وأراد صعوده فانتقطع وسط البئر فهم هزين
للقوم بالنزول فتمعه أبوزيد وقال له هذا يرميكم من الحشرات المؤذية فدعونا
السير إلى أن يفرجها الله تعالى فقال يونس وحيات رأسك لا بد من النزول إلى البحر
لأنى صرت هل تلفت من كثرة العطش فقال أبو زيد إن الروح ما هي جهش
حتى يتلف موضعها والحشرات المؤذية لا يعرفون لا أمه ولا سلطان فقال يونس
دعك من هذا الكلام ما حد يقول إلا أنا ولو أشرب كأس الخا فقال له أبو زيد
افعل مرادك فحينئذ أخذ الحبل ونزل إلى البئر فلأجل نفوذ القضاء والقدر راح
الدلو وم بالصدود فخرج عليه من جانب البئر شعبان أزرق اللون شليح المنظر
بوضعية بفخذه فلما استحسن يونس بطرية الشعبان قاب من الوجود وذهق بصوت

أرجع منه ذلك المسكن فغاب الثعبان عن حيوته كان أبو زيد واقف على جانب
البحر فقال مالك يا يونس وما جرى عليك فقال له لدغني ثعبان في هذا المسكن
فحيثما نهضت خارج البحر وحس أن قلبه قد احترق بنار السمير وشكا حاله لأبوزيد
وعزير فنزلت دموعهم حرقه عليه وحيثما أشار إلى أبوزيد يقول :

يقول الفتى يونس على ما جرى له	بدمع جرى من مقلة العين عايم
بكيت على عري وجاهي وهيتي	تذكر أيام مضوا من قدام
وكيف وجدنا السير على عجل	لنجد العديّة طالبين العلام
وكان سيدنا يا أمير تسعين ليلة	إلى أن وصلنا لنجد وقت الظلام
وصلنا إلى بير عتيق عتم	كبير وفيه الماء زايد وهام
إلى عوز ينزل البعير هاجل	منعه أبو زيد كثر الفحام
خلفت أن أنزل البحر قال لي	أبوزيد ارجع أو تقع في الندام
معنى وأنا خالفتي في كلامه	ما رأيت بعمل والجرا إلا ملام
نزلت وأنا ظمآن والحرقادني	شربت ورويت الحشا والولاهم
مليت الدلو وأنا سليم النيا	وهبيت أن أطلع لعند الزايم
والا بشبان أقاتي هل عجل	ضربني بنابه ثم أرمي السبايم
ضربني بفخذى ثم أرمي مفاصلى	وغاب متى عقل والذهن عايم
أيام هذا اليوم آخر كلامنا	آخر عهدى يا ابن الأكارم
ترى الموت كاساً لاغنى عن شرابه	ولو عاش مهما عاش ذاق الحوام
ولو عاش عمر النسر يا هم بالافلا	الفنين عام والله عالم
يا عم خالفتك وجرى ما جرى	وقد كنت لنفسى يا أمير ظالم
يا أمير الجدورا أنت متيق	وأنا عدت ضيقك يا وفي الزمام
يا هم احطرق لقمى ووسمه	لعله يبق فاضى الخارم

(قال الراوى) فلما فرغ من كلامه والامارة يسمعون نظامه بكوا عليه بكاء
هديداً فنظر كالودع رسالت من عينه الدموع وشق شوقه فأسلم الروح فشقت الامارة
فيهم وزاد بكام وغلوه وكفوه وصلوا عليه وقبروه وحرقوا ناقة على قبره

ثم ساروا حتى وصلوا لنجد عند المساء ودخلوا إلى الأمير حسن الحميري فوجدوا فيه نفخ الزمور ودق طبول والحمى هوج وهوج مثل أيام يا هوج وما هوج فلبثوا متعجبين وإلا مرت من أمامهم عجوز شطاة لابسة حلة بيضاء خياها أبو زيد بالسلام فردت عليه السلام وبالفن في إكرامه فقال لها هل للنام يا غنمة العرب الكرام فقالت أهلا وسهلا بكم يا شعراء العرب وسارت إلى منزلها وبعد أن جلسوا قال أبو زيد مالي أرى الحمى في فرح وسرور وبهجة وجود فقالت له أعلم يا أوجه العرب أن هذا عرس كريم وهو عرس الأمير نوفل فارس الجعفل على السعد عليها ابنة الأمير حسن الحميري المشهور وكانت سابقاً زوجة الأمير أبو زيد زحلان دويدي وكان ولدي داعي لإبله والآن متحرقين له أهديه من حين أنه نهد وسكن بلاد العرب ولا عادله بعليا مأرب لو يصل خبر زفاف عليها لسكان يحضر ويقتل نوفل فقال لها هل لك السر موضع قالت في بئر عميق ماله قرار فقال لها أبو زيد ادع إليها بعلي الخبير فلما سمعت ذلك الكلام قالت له أهلا وسهلا بمننا وحامينا ولكن كم يحق بعلياً من الفرح والسرور لو بلغها خبر قدومك بالسلامة فقال لها أبو زيد وكيف نقدر بالوصول إليها وهي بين تلك الجوع الغفيرة فأجابته عند المساء نلبس عريز هدوم ابنتي لابسة وتأخذوها لعند عليا وعندما يفرز المنزل من الجميع يلبس عريز ملبوس ونجلسه عروس مكانه واحضرائنا وعلياً لها ولا يعلم بنا أحد فاستصوب أبو زيد هذا الرأي وعندما أظلم قامت وفعلت ذلك وعند انصراف الجميع تقدمت العجوز إلى عليا وبشرتها بقدوم أبو زيد وهذا عريز القوم فلما نظرت عريز وحقق الخبر تقدمت وسلت عليه وحببت يديه فقالت لها الآن ليس وقت سلام بل المراد منك تنزعى ثيابك وتلبسهم لعريز القوم لأنه انظر بالحسن والجمال وهو يقوم مقامك ثم تذهب أنا وأنت اعند الأمير أبو زيد ففعلت وسار فلما الاسر لقاهم مقباين ورأى عليا لم يملك من السرور فخرج للملاقاتهم وقبلاها ما بين الأعيان وشكر الله على التلاقى هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من عريز فانهم بعد ذهابهم أخذ يستنظر قدوم المريس وبينما هو يفكر بهذه الأفكار إذ دخل عليه الأمير نوفل ولقاه وأخذ يكلمه وجلس بجانبه ومديده إليها فنغرت منه وقالت لوست هذه أفعال العرب يا قلبل

الأدب فقال ما هذا السبب حتى تبادرني بهذا الكلام يا نخبة العرب الكرام فقالت له اهل
 إن العروس لما على العريس تقوطوا نا اليوم الذي أخذني أبو زيد أعطاني ألف دينار
 وأنت تسكون أمير وابن أمير يا حيف أبخل من تنجير فلما سمع منها ذلك صار الضياء في
 وجهه كالظلام وقفز واقف على الأقدام وأراد أن يضربها بالحسام فقامت العروس
 ومسكت العرينن ورفعتة على زندها وضربت به الأرض كادت تدخل طوله بالأرض
 وأرقتة بالحبال وربطته بأعمود فتقتضى الربال وهو يدوق للعذاب الأليم إلى أن أصبح
 الصباح العلم فأطلقت سبيله ودام على هذه الحال إلى أن الظلام طمعا بالوصول ولا طلع
 أحد على أمره إلى اليوم الرابع بينما هو خارج من الدار فالتقى نعمة الحداد وكان رجلا
 اختيار عليه شيمة الوفا ر لحياه بالسلام فرد عليه سلامه وبالغ في إكرامه وقال مبارك
 يا هريس إن شاء الله تسكون تلك مبتغاك وقهرت مبهضك وأعداك فتمتدو فل من فؤاد
 حزين وصاح يا أجواد يا أكرام فصاح به همه وقال قول من أبأبك ومن يسره دهاك
 فقال له اعلم يا عم ومن كاشف الهم أن كل يوم أذهب إلى العروس بنت الحرام طمعا ببلوغ
 الحرام فتوقفت بالحبال والقيود وتربط على العمود وها قد أطلعت سري عليك
 وكشف أمرى إليك فأجابه الشيخ هل من يقدر عليك بالقوة فقال السيد الجميل
 أنه لا يوجد أحد أن يقدر يكفي إلا عزير القوة وهو الآن في المغارب فهل يمكن أن يأتي في
 هذه الأجانب ولا سيما يقاسون الأهوال والمتاعب فأجابه الشيخ أيها الأمير إن أردت
 فكشف عنك هذا الغم وتزيل عنك هذا الهم اصنع لك شيئين أحدهما من دم الأحرار
 من سم قبينا تذهب وتطلب منها الوصال تريد أن تكشف الخيال فاضرب بها بعيش الهم
 فان كانت أثى تدل وتنفر وأن كان ذكر يهوش ويتقدم فإذا رأيتها بأدرك اليك
 اضربها بعيش السم فيبذل ويقع بالندم فاربطه بالعمود وقيد به بالسلاسل والقيود
 فشكره على ذلك وذهب البهت ومعه الشيئين فلما نظرت العروس قالت له أحضرت
 الفهرس قال لها ما عندنا يا ابنة الأندال وعندنا تقدمت إليه انكتفه فاضربها بعيش
 الهم فما جت فلما نظرها هذا الحال ألم عليه ألقى عليه بالثامى حينئذ تقدمت إليه وربطته
 من حلالة الروح وحينئذ غير عزيز عليه وتركه بماله وذهب لعند أبو زيد
 وابعدى يعرفه ويقول :

يقول النقي عزيز ما جرى
 ويران قلبي كلما أقول تنطق
 من الغرب قد جئنا حقيقاً بلا غفأ
 فقدنا النقي يونس وكان رفيقنا
 وأتينا إلى نجد العديّة وأرضها
 وقالوا عرساً دايراً في بلادنا
 فقلنا من هي العروس واسمها
 لما سمع أبو زيد القول أضرب
 لبست مثل عليا وذهبت لعمري
 فلما عرفتي بمرعة قد أمت
 ولست ملبوسها بلا خفا
 أناي نوقل عند مغرب الضحى
 وبطنه على العامود وحدي حتى
 وفي ثاني الأيام أناي بلا خفا
 وفي رابع الأيام أناي على ثقا
 ضربني فيا ليت أنا ضربه
 جرح القديم يا خال ضامني ج
 وقد أخبرتك يا هلال سلامه

له ودموع حبي زادات سكائب
 يزيد لها حورا العذولع لهايب
 لتجد العديّة طالبين المسكائب
 من بعده ما أظن تبلغ مأرب
 وجدنا بها الأفراح من كل جانب
 عروس الأمير نوقل من القرايب
 قالوا عليا راخيات الدوايب
 وعادت في قلبه يزيد لهايب
 وغرقها بحالي كل الطلائب
 لعند الأسمر شيخ العرايب
 وتراينت بزينات أم المصائب
 يريد وصالي كالنسا يا هرايب
 وذهبت الصبح يقضي العذائب
 فادهيت على الأرض مرمي غايب
 ضربني بشيش الدم يا ابن الحسايب
 ثنى على بعش من السم دائب
 رح الجديد يشد عليك المصائب
 هيا بنا نرجع لأرض المغاوب

تمت هذه القصة وبانها قصة ديوان الأيتام وفيه قتل الساطان حسن
 ورجوع الأمير دياب من عند الملك جوهر الحبشي

قصة ديوان الأيتام

(قال الراوى) فلما فرغ عزيز القوم من كلامه والامير أبوزيد وعليهما يسمعون نظامه فوقع مغشياً عليه لأن عليه السم لعب في بدنه فخرن أبوزيد وتكدر وطارد من هيبته الشرر وشوا عليه الماء حتى فاق من غشوته وصارت عليهما ترق القمصان الحريز وتربط الجروحات فالتفت أبوزيد إلى عليا وقال لها إذا مات عزيز لا أقدر أن آخذك معي لأن الطريق خطرة والمسافة بعيدة فقلت لا بد لي من الذهاب معك وإن ماتت أموت ولا أدع أعداءك لثمت بك فافكر أبوزيد مدة من الزمن ثم حول على أخذ عليا معه لكي يتطلى خبرهم ولا أحد من القوم يقتنى أثرهم ثم بدأت عليا تدهن الجروحات بالمرهم وعند نصف الليل قام عزيز من منامه وجد عليا والاسمر أمامه فعند ذلك رآه أحواله وسكن الله وقال لهم قم بنا يا خال لسهر قبل الصباح لئلا نعدم التوفيق والنجاح والحمد لله راقنا أحوالنا وقاموا وركبوا معطايهم وودعوا المعجوز وأعطى عليا عدة من الجوهر يسوى ملك بن الأصفر وجدا في قطع الروابي والقفار يسهروا بالليل ويكمنوا بالنهار مقدار تسعين يوم قطعوا حرد ونجد إلى أن وصلوا لحدود غزة وتلك البلدان الأراضى خالية من السكان وفرغ منهم الماء واشتد عليهم الظلماء فآثروا في أسرهم في تلك البعيد فقال عزيز يا خال أنا معاهد بشر في هذه الاطلال وهو قريب من تلك التلال فذهب أبو زيد اليه ومعه القربة ولما نزل إلى البئر وجد هيتنا يتخبط بذلك المكان وله صرخ كصرينح الجمان فارتد راجعاً إليهم وعرفهم أن البئر جاف من عهد القدماء فتهيجوا من ذلك غاية العجب وقال يا خال إني أعاهد ذلك لا يخلو من الماء لاصيف ولا شتاء ثم أخذ الرمح بيده وتوجه إلى البئر فوجد شيئاً يتخبط فضربه بالرمح ونهض على الستار وإذا هو جدى ما عز غرقان فشرب وملا القربة وذهب لعند خاله وقال لها هو ذا الماء فشربو واذبحوا الحمدى وأكلوا وكان يومياً أبوزيد يغني جروحات عزيز القوم عند المساء وفي ذلك اليوم بينما كان يغني جروحاته ظلل الرباط حتى أنه يموت بأغلب الاوقات لأنه خجل من عليا ففكر في نفسه وقال متى وصلنا لتونس تلك الاطلال خبر عزيز فصق لي كامل

الرجال فينحط قدرى عندهم ولما انقصف النهار أحس عزيز قلبه اخترق بالنار وحقق
أن السم وصل لقلبه ولا فائدة في طلبه فنقم أبو زيد وتحسر من فعل هذا وقال
عزيز القوم سلامتك يا خال فقال ما بها سلامة ثم سألت عيناها بالدموع وأحضر
عدواية وصار يكتب إلى أمه شيحه ويوصي خاله ويقول :

يقول عزيز القوم والنار بالحشا	دموع عيني زایدات سكايب
اسمع كلامي يا أمير سلامة يا	فارس الفرسان مذرى السكايب
فإن أتيت لأرض المغارب وشفتها	سلم على الإخوان يم العجايب
وسلم على الدريد أبو حل	وقبل أياديه وحب الركائب
وسلم على أولاد خالي جميعهم	وسلم ع القاضى سرور العجايب
وسلم على زيدان الأمير وأمه	وسلم على الزغبى دياب المحارب
وسلم على أمى الحرينه وقل لها	تبكى على بالدموع السكايب
وإن سألوك يا خالي قول لهم	غدا رهين الموت تحت التراب
هلموا ترى يا خال آخر كلامنا	والله يحاسبنى وقع الحساب

فلما فرغ عزيز القوم من كلامه وأبو زيد وعليها يسمعون نظامه فبكوا عليه
بدموع سحاج ثم أن عزيز شوق شقة واحدة وسألت عيناها بالدموع ونظر إلى
أبو زيد كالوداع وأسلم الروح لله فقاموا عليه بالبكاء والنواح حتى أوتجت من
صرعهم الروابي والبطاح ثم غسلوه وذبحوا ناقة على قبره ودام أبو زيد وعليها
يندبون عليه مدة من الزمن ثم رحلوا طالبين الديار يقطعون البرارى والقفار
وقضوا في طريقهم التعب من إغرة الطرقات حتى أشرفوا على بلاد الغرب فذهب
الرهيان وأخبر حسن وبقية السادات بمجيء أبو زيد فركبوا جميعهم ورجال الحى
فلما وقفت العين على العين ترجل حسن وباقي السادات وسدوا على أبو زيد وعليها
وكان فرح شيبان وأخوته بملاقة عليا أمهم أما حسن فسأل أبو زيد على الإمارة
بولس وعزير فعندما نزلت الدموع من عين أبو زيد وأخذ يقص عليهم ما كان
من أمرهم وما جرى فلما فرغ أبو زيد من كلامه وهم يسمعون فوق وقع عندهم الصياح
والبكاء والنواح وكسر السيوف والرماح رجزت شعور النساء والبناات وعاد

أبو زيد لمخلوه وتبعوه الرجال والنساء وصاروا يعمروه في أولاد الأماره ويهتفونه
بمردته بالسلامه ودامت الناس تتقاطر على أبو زيد مدة من الزمان .

هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر دياب بعد ذهاب أبو زيد إلى نجد
ليحضر حايا كتب إلى الاماره كتابا ليشفعوا به عند حسن فكان تبعه وقلدهم في السجن .

ثلاث سنين يقاسى العذاب المميين وفي السنة الرابعة كتب إلى حسن يقول :

يقول أبو موسى دياب بن غانم	ولى مجلس بين الرجال شديد
أيا غاها منى على من ضامر	تسلم على حسن الفتى صديد
وقل له يا حر قهس وعامر	أيا من بسيفه ذل كل عنيد
أنا قتلته منعه ما هى عداوة	وأنت فى كل الأمور شهيد
ضربته فى الميدان والسوق منتصب	وقد كان فى ذاك النهار عنيد
مشيتنا بالصلح بالفين ناقة	والفين تبعها خدم وهبيد
من بعد هذا توفلة بنت غانم	شبه الثريا فى النهار نقيد
بعثوا لكم زياد منكم وسافروا	وكان أبو سعد له رصيد
جرو الفتى يحيى ومرهى ويونس	وأبو زيد قد وافاه التأكيد
وقال اوجسوا ما هادم نجد عيشة	ولا عاد فيها يا هلال مقيد
رجل نجعتنا من أرض تونس كالدور	تقول بحارا طامية وتريد
ومرنا مليحا الأرض من كل جانب	وأبو زيد قدوم لنا وقليد
وطالب لنا من نجد إلى قاع تونس	حتى أتينا إلى بلاد حديد
وجاء أبو خريبة لما لنا	وقد كان حتى بالطراد عنيد
وجاء أبو خريبة ينهب لما لنا	وخطيته نحت الثراب لحيد
لجاني سعيد العبد فى الحال قاله لى	أهزتنا فى إغوانا يا سيد
ركبت على ظهر الجواد كالأنى	أحاكى سكران بغير شراب
وجئت إلى حرب الزناتى خليفة	وجئت قنوع ودما يوزيد
مبتين عدوا يا هلال سلامة	ولا واحد إلا قال قصيد
يقول الزناتى اليوم أحنى لقومنا	دعانا لا خلا فى كعديد

وأنتم إن أخلت النار يا موسى
ونعطيك أخت الهلال أبو علي
وتدخل الكل تحت طاعتك
فقلت لهم ابشروا زال همكم
وجاني أبو سعد الزناني خليفة
ضربته بحربة سنها يحرق الحصى
وملككم على البلاد بصادمي
جازيني بالحبس يا أمير الملا
شنت إخواني وأولاد عمي وخفنة
شكيتك لله يا حسن من يوم ما شنت
فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وأرسله إلى حسن فلما قرأه وهرف
ما حواه صار يرد جوابه ويقول :

يقول الفتى حسن الهلال أبو علي
إذا جيت إلى الزغي دياب فقل له
فاصبر على حلو الليالي ومرها
وحيات رأيي يا دياب بن غانم
لا بد ما أفنى جميع رجالكم
فلما فرغ حسن من الكتاب وأرسله إلى فسلم أن نعيمه مع حسن بالخال ولا يلهث
منتظر الفرج القريب حتى مضت عليه السنة الخامسة فاستدعى فلم يرد طاس وصار
يكتب إلى شبل الدريدي ويرجوه أن يتشفع فيه عند حسن ويقول :

يقول أبو موسى دياب ولد غانم
فيما يشهد في سرور وفي هنا
لجينا إلى أرض الزناني خليفة
وتحاربنا أنا وباه في حومة الوضا
بجازاني حسن الهلال أبو علي
بد مع جرى فوق الحدود حدود
تجينا الفواكه من جميع زهور
وقتل منكم كل قرم جصور
وأدعته مرمرى بوسط قبور
في حوس مظلم والزمان فهو
(٢٢ - تقريبه)

فبأية يا زحواخ بلغ رسالتى لسيد ابن فارسا وغيور
لعله يقبل يا أمير شفاعتك ويطلعنى وتسال أنت أجور
رحلت عن الناس يا أمير كلم ولا عاد يأتينى خايل يرور
وقد أرسل حسن بنقل قيودى ولا يسلم أن الزمان غرور
مضى ترجع الأيام نرجع لأهلنا ويحدث عن بعد الأمور أمور
وأفضل حسن الهلالى أبو على ويمسى فى الوادى طعام طيور

فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب أرسله مع الزحواخ إلى الأمير شبل فلما وصل
الكتاب إليه قرأه وفهم ما حواه توجه لعند الأمير حسن وصار يتشفع بالأمير
دياب ويقول :

يقول شبل الدريدى بما جرى ألوم نفسى ومالى أحد لائم
رجبتك يا حسن وأقبل حديثى أيام ممام يا ابن الأكارم
ألا يا ابن سرحان أنت ذخرى فتمن من الأقارب والزائم
فسامح عن دياب وفك قيده وسامح ذاته واحمى الحرائم
إن دياب فى الحبس با أمير قل حيله وحالاته تقابه حال غادم
ووطفا وأخته تلقى حزينته ينحو حوارها لحم فى الحى راحم
وأمه ضرها سهر الليالى وأبوه صار هذا اليوم لادم
هى من شاف من نجد العديّة زمان الدول وراح هازم
فلا تأمن صروف الدهر يا من غدا بالجود للعربان حاكم
أنا جيتك دخيل اسمع كلامى وفك قيود أبو موسى بن غانم
لأنك بالسنا والجود كامل فاسمع عن ذنوبه والجرائم

فلما فرغ من كلامه وحسن يسمع نظامه قال له أنا ما نسيته قتل أخى مناع وحرقت
الهدائق وما فعل مع سعدا خطيبة ولدى مرعى وحرقت الزرع فى تونس وروض
البرجان وقطع الطرق عن العرب وصار يخبر شبل بهذه القصيدة :

يقول الفتى حسن الهلالى أبو على والله ما بين الضلوع شديد
أيا شبل جيت تشفع فى ابن غانم يا أمير ترك دياب عاد بعيد

وقتلته أخى مناع أنا ما سيتها وهو كان فارسنا ففى صنديد
وحرق حدائق البورجان وغيره وغل جميعهم بالتكيد
وأخذ سعدا من قصرها ليعزها لجارها بالضرب والتشديد
يهبنا بالمعروف عن حرم فعله عصا وانفرد هنا وعاش فريد
يمكن نوى يملك الغرب كله ويبقى على أمره هلال يسيد
فان هانى وبى قتلت ابن ظانم وترك أهله فى بكاء شديد
فلما فرغ حسن رجوع شبل وفخر الزحراح بما قام حسن فرجع الزحراح وأخبر
دياب بالذى صار فحينئذ قال دياب لا حول ولا قوة إلا بالله ودام بهذا الحال
حتى مضت عليه السنة السادسة فاستدعى بقلم وقرطاس وأشار يكتب إلى سعد
الرباحى ويترجاه أن يتشفع به أمام حسن ليطلعه يقول :

يقول دياب من قلب مومج ويران الحشى متوقدات
بليت بالدل من بعد المعزة وعدت أسير من حبس الزمانى
وابن سرحان ما يرفق بحالى وقد أمر بضربى بالعصاة
واقول دياب قد أسمى حقيرا ففك قيوده يا أبو الصفاة
أما تذكرون فى سوق المنايا هل الحضر فى يد قنصائى
أو قد سلونى البوش كله ليرى فى البرارى المعيشائى
وسار الطمن من وادى لوادى نصبوا خيلكم بأرض الزناقى
قتل يوم الوغا تسعين قوما وسكنهم قهور مظلمات
وهدتم ترسلوا بحوى الرسائل برفسج الدعاء مخضبات
لى حلت رجيت أنا من فوق شهباء عليها قتلت أبو سعدا الزمانى
قتلته والحدارى يشهدونى وأولاده ينوحوا مع البنات
يجازينى بحبسى باهالى وإن الدهر هوما فانيات
وأجازى إلى حسن من سوء فعله وأذوقه كما ذاق الزمانى
وعلى عياله من بعده حيارى ويندب النساء مع البنات
فمن جانى يبشرنى السلامة كسوته من ثياب المتمنائى
فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب أرسله بحبة النجاء فلما وصل إلى سعد الرباحى

وقراه وهرف ما حواه فحيثئذ توكل على صاحب العز والجاه وصار طالب حسن
فلما وصل اليه صار عليه وقبل يديه وأشار يتوسل اليه بخلاص دياب يقول :

يقول الفتى سعد الرباحي بما جرى وایوان قلبی زایدات قدیح
كننا بنجد في سرور وفي هنا بنعم واحسان ونسب ومزاج
رحلنا من نجد في سرور وفي هنا وقلنا من الشدة عسى نرتاح
ولما اتينا القديوان وقابس اتوا الزناتي جاذبين سلاح

وحاكم أبو سعدة الزناتي خليفة على ظهر أشهب مثل طير راح

قتل منك يا قوم تسمين فارس ونخل العذارى في بكا ونواح

وأرسلتم إلى دياب الهراقع اخذتم سعد على الهجين وراح

أنا دياب الخيل من فوق خطرا وقل للزناتي ذاك مات وراح

وملككم ذاك البلاد جميعها وأربعة عشرة قلعة يا حجاج

جازيته بجهنم يا أمير أبو علي فما كان واجب حبسه يا صاح

فاقبل حديثي في دياب بن غانم ففي شيخ زغبى كلها ودياح

فلما فرغ الأمير سعد الرباحي من كلامه والأمير حسن يسمع نظامه قال له يا ابن

عمي اطلب مني ملكي فلا أعزه هناك ولا تفتح لي سيرة اطلاق دياب وقال :

يقول الهلال نادى الوجه أبر علي ولي عزم في الهيجا لمن حار يمارك

دنا ضد خصيمي يارباح ومهندي وأنا مذهبي ينفى عن الشيخ مالك

دياب يعاندني في الغرب بملكه لما نصب رعه في عين المهالك

بحق الصفا والمصطفى سيد الوفا وأقسم لمن للانس والجن مالك

الزغبة لا يد بالحسام أيدهم و أخلى أمير القوم في الأرض بارك

وياسعد أو نالك مقام رهبة وأنت على الأقران نقر ماسك

رميتك بشورى في بحورى عيقة لكن أنا يا سعد للعمد ماسك

خلى دياب في السجن يرتاح خاطري ان قام هو جملي وان أضل بارك

فلما فرغ حسن ذهب عند الزحراح وأخبره بما قال السلطان وكذلك أخبره
بذلا بما كان من أمره مع حسن فرجع الزحراح إلى دياب وأخبره بما حصل وأما

بذلك فقد أخذت معاملة من لسان العرب أن وتوجهت نحو الصبيان وصارت تتشفع
دياب وتذكر الأهل والأحباب الذين شفقهم حسن على الأخشاب فقال لها أنا
ما كنت على نفسي حتى حوست دياب ولا أطلقه من السجن فهذا الحديث بطل
وقولك بالحال فأرجعي إلى الاطلال وعوالك من المقال وكوني من هذا القبيل براحة
بال حينئذ توجهت مع النساء إلى محلها وأما دياب فانه ما زال يقامى العذاب وهو
منتظر الفرج من الملك الوهاب حتى انه بلغه خبر قدوم أبو زيد من بلاد نجد فقال
واقه ما حديد قد رعى خلاصى إلا أبو زيد فاستدعى بقلم وقرطاس ودوايته من الذهب
الخاص وصار يكتب إلى أبو زيد ويقول :

يقول أبو موسى دياب بن غانم ويران قلب زائدات ضرايم
واقه يا أبو زيد بلغ سلامى إلى حسن سلطان قوم كرام
وقول له يا هر قيس وعامر تطلق لنا الزغبى أبو ختام
يا ما حمانا والقنا يقطر بالقنا والأجواد من تحت السجاج مرام
لو قد علمت بأن هذا يصيبنا من نجد ما أتينا بلاد الشام
ويوم الزمانى نحيث كل طعوفكم وقناته وأولاده وراه يتام
وكم لك منكم هذه البلاد بصارمى فى حد مرهف بالوضى صمصام
نجازينى بالحيس ياسيد الملا وقد صار بالحيس سبع أعوام
فيا ليت ما شفت المغارب وأرضها ولا نظرت منكم لوعة وسقام
وما زال شاش الجيد يلعب به الهو ي يشيل أسارى من سجون ظلام

فلما فرغ دياب من كتابته ختمه بختمه وأعطاه الزحراح وقال له سير إلى نجد واحط
أبو زيد هذا الكتاب فأخذه وسار وجد فى قطع القفار إلى أن وصل لصبيان
أبو زيد فدخل إليه وسلم عليه وناوله الكتاب فقرأ وعرف رموزه ومعناه
فبكدر أبو زيد من حسن والتفت إلى الزحراح وقال له بشر الأمير وقل له متى
انتهت الزيارات عنى اذهب إلى حسن واترجاه يدهو دياب فان أطلقه والا اخرجته
غضباً عن رغبته فقبل العبد أباديه وسار إلى أن وصل إلى دياب فأخبره بكلام
أبو زيد ففرح دياب وأيقن ببلوغ الأمر هذا ما كان من حسن وبني ملال الأسود

ففي يوم من الأيام كان عند العربان والأماة مجتمعة عند الأمير حسن في الديوان فأخذوا يذكرون الوقائع المشهورة والفوارس المذكورة وصاروا يدحون فروسية دياب وكيف بانه ملكهم بحد السيف الفرضاب وحمل البرش من الدشبان وقتل الزمان في ساحة الميدان ويستحق أن يذكر مع الفرسان وكان موجود في أولاد الأماة والشهبان الذين لم يسمعوها بذكر دياب إلا باللسان فتشوقوا إلى مهادنته وهاموا رؤيا طلعت له ولو ساءة فترجوا السلطان وساعدوه الأماة والنسوان فقبل السلطان حسن رجاءهم وأمر أن يأتي دياب مكبل بالقيود والحديد وفي الحال أحضره وبالحنازير وأمام السلطان أوقفه وإذا هو أصفر اللون بهيئة الموتى فصاروا أولاد الأماة يضحكوا عليه ويوصلوا الأذية إليه فقال السلطان حسن كيف ترى أمورك الآن بالذل والهوان فقال مادمت راض على وبعد مداولة طويلة أتراد أن يرجعوا الأماة إلى السجن فقال دياب أنا شمسية تهزني ولا قمع تسكنني بغربالك فان كان الذئب يسقى الغنم أنت تصفاني رانا اصفا لك فصاح حسن ويلكم دياب امسكوه إلى السجن وذروه فعند ذلك أخذ دياب يرتجف مظهر الخوف الشديد فوقع على الأرض مغشياً عليه كن قارب الموت فعند ذلك ترجوا الأماة الأمير وقالوا له إن دياب في حالة النزح فأمر أن يدخلوه دار الحرايم لعند أخته لوفة وما أتم كلامه إلا وحضرت الرجال ورفعوا دياب بكل إكرام إلى بيت أخته فلما نظرتة على هذا الحال وهو محمول على أيادي الرجال صرخت بالهكاه وأنت واشتكت ومزقت ثيابها وأخذت تقول :

حرام لقد جادوا بالعداء وبغوا	عليها ونحن بالسكروب لسه
لقد كنا في عزتنا بنعمة	وكنا برغد ما عليه عسير
فبيننا نقاسى الهم والويل والضنا	وتجري الدموع على الخدود غزير
وقد كنت بأمر الأماة وسيدم	كسبح الفلا بالماضيات تشبه
إذا هاج سوق الحرب كنت أميره	تكرى على الأعداء مثل الزير
ونعتك خضرا مثل فرخ نعامه	تدق الثرى في رجائها وتطير
فأكان ظي يا دياب بن غانم	أشوقك بهذا الحال والتأخير

تشال على أيدي الرجال كبيت وتبقى تقامى الذل والتأخير
وما زالت نافلة تردده الأشعار وتسكب المبرات حتى قلت الأكباد وأحنت
الاجسام فبكى معها كل من حضر والله يحق أن نعمل أكثر لأن الأمير دياب فارس
مهترو وبطل غضنفر وأخذوا يعلبون خاطره وبسلامة دياب يظلمونها فاذلت
دمعها ولا زالت تنكبتها وما خفت مصيبتها بل أسرعت وعدت إلى أخيها فرش
من ویش النعام وأخذت ترش عليه من ماء الجذام وهو يلتغص ويرتعش ويبقى
على هذا الحال ثلاثة أيام لا يذوق طعام ولا يقابل منام وهو يستغنى الفرصة حتى
تناصف ليل اليوم الثالث فدخل على حسن وهو غارق في منامه فعند ذاك السفرة
التي كانت معه في مدة حبسه وهو يحضرها لمثل هذا الوقت فأنطرح على حسن
وذبحه من الوريد وتركه يختبط بدمه وسار يحد السير تحت ظلام الليل إلى أن
وصل إلى قومه وعشيرته وعند الصباح فرحوا به كثيراً وأسرروا لرؤيته وأدخلوا
بسألوه عن قصته وعن كيفية إطلاقه من سجن حسن فأخذ يقص عليهم القصة
ويخبرهم كيف صار من البداية للنهاية يقول :

يقول دياب قهار العداوة	وكل مقدر لا بد آتى
ومن يعمل جيلاً يحسب	عليه بمثله في الآيات
أنا قاتى آل قيس وعامر	بحد السيف يوم المسكاتى
سبع سنين لى بحبس ابن شاة	سبع سنين هدة كاملاتى
تمت الفعل بما قد دهانى	والنحول عيش فى عياتى
فلا حسن أرمى إلى مصابى	ولا أبو زيد يسعى فى فلاتى
أنا بالحسن قاسيت البلايا	ولكن قلب صبراً يا حياتى
أولاد الإمارة قد أنونى	يسوقوا دياب غز المحصناتى
لما شفت أن السجن قصرى	أتيت المسكر من بعد الفراقى
جسمى قد صيغته بمائتين	وصرت أمشى وعكاز عصاتى
بى استهزؤا كل الإمارة	مع أولادهم حتى البناتى
والسلطان حسن لما رآنى	دهانى كيف حالك طياتى

ونادى يا دياب دليبع قل لى
كيف الحبس أخبرت حقيقاً
أجهته يا حسن واثقه انى
إن كان الديب يعنى الغنائم
أنا إن طانى رب البرايا
ولما قد سمع القول زجر
ونادى بصوت سياف أغانى
ولما شفته استعجابت مكرى
والسلطان حسن لما رآنى
أنى أبوزيد مثل الغول يرعى
وهجم بالسيف للسياف لما
والسلطان نادى يا ابن شبا
ونحن يا حسن لسنا نطاول
فالسلطان حسن بالحال نادى
شالونى على الأيدى وساروا
لما نوفة شافعه أخوما
ألدت على الثرى من الفرش سهج
ثلاث أيام أبقيت المسامة
بنصف الليل قت بكل هزمى
ذبحته ذبحه قد راح فيها
سرت الليل أمشى بكل سرعة
هذا ما جرى يا أولاد همدى

من الخنزير خال السابقاتى
وهل أنا ما ليل مظلماتى
بألفين حرباً أكثر عدائى
يصنى لك على طول حياتى
لأفنيكم بضرب المزهفات
كسيع الغاب فى أرض الغلاتى
بيده سيف سف الزعقاتى
وفوق أرض أنا ومهت ذاتى
نادى شيل رأسه عاجلاتى
ويصوت مثل النايحات
رآنى على الثرى المواتى
فعال الغدر ليست صالحات
بقتل دياب ابن المكرماتى
يشيلونى لأخى عاجلاتى
لقتبت أخى وروسى رايباتى
بدل تبكى بدمع الساكباتى
وفوق الحنف لحفت لى هباتى
والنار فى شاعلاتى
والسلطان قصدى بالمماتى
وسكنته بدار الزايلاتى
حتى وصلت أرض مفرجات
شدوا للرحيل الصافناتى

قال الراوى هذا ما كان من الأمير دياب وهو يقص ما جرى له على أولاد عمه
كلما سمعوا ما قاله دياب أنه قتل الأمير حسن انقلبت أفراحهم إلى أكدار وأظلم
في وجوههم النهار وعامتهم من أحد إلا أظهر الحزن والأسف وقالوا والله يا دياب

لقد فعلت فعلا منكرا أو ركبت طريقا ضيق المسالك والجناب وسديت في وجهنا
 الأبواب بقتلك الأمير حسن ابن عمنا فكيف تجامرت على هذا العمل وهو صورك
 وأمير بني هلال وكاشف شرك والآن قد أصبحنا عبدة عند العرب الذين يجهلون
 الزمان فسوف يصير بنا كما صار مع جساس بن مرة والأمير كليب ومن الآن
 أصبحت عداوة كبيرة بين هشام بن هلال وسوف يصلون إلينا واسم هذا وما زال
 يمثل هذا الكلام للأمير دياب كرهت نفسه للحياة وقال يا أبناء العم ورافعين
 همي وغمي لقد صار ما صار وسبق السيف العزل والتقدم لا ينفع من أشد
 الحشرات والأوفى لنا أن نرحل من هذا المكان ونوسع البر وللقمان قبل أن
 تدركنا جميع بني هلال وقامت بيننا وبينهم السيوف الصفال والرماح الطوال
 فلما سموا كلامه وفهموا مراده قالوا إن هذا هو الأمر الأحسن لنا لئلا ندركنا
 جيوش بني هلال ويطعنوا فينا فلبسوا السلاح وهدموا الأطناب وأودعهم ظهور
 الجمال وأركبوا النساء والأطفال وصاروا بما جل الحال وكانوا يحدون
 بقطع الروابي والبطاح ويوسعون بالبر يتلك النواح هذا ما كان من أمر
 الأمير دياب وأولاد عمه وأما ما كان من آل قيس وآل عامر عطور الحيد
 فقامت من رقادهار شاهدت الأمير حسن قتيلا وبدمه جديلا فصاحت بأصوات البكاء
 ومزقت ثيابها على البلاد وناحت وولولت بما يذيب الإكباد ويفتح حجر الجماد
 فتراكت جوع بني هلال على بكائها وأسرعوا لينظروا ما قد دهاها فوجدوا أن
 الأمير حسن مطروح على الأرض قتيلا وفي دمه جديلا فطقت منهم الأصوات وسكبوا
 العبرات وأكثروا من التهديدات فسمع أبو زيد الصراخ فوثب في الحال وخرج
 يستقصي الخبر فنظر جوع بني هلال مزدهة على صيوان الأمير حسن فصاح صياح
 البكاء ومزق ثيابه ورمى شاشه عن رأسه ووضع عليه التراب وأخذ ينفخ لحيته
 وتقدم إلى الأمير حسن ووقع مغشيا عليه من عظم ما اعتراه فتراكت الناس وأخذوا
 يرشونه بالماء الحارم ويطيئوا خاطره بالكلام وهو يئن من قلب جريح وينوح ويصيح
 وما زالوا على مثل هذا الحال حتى جرح القلب فوق جراحها فتقدم إليه أولاد الأماة
 وأخرجوه إلى خارج الصيوان وأخذوا بخاطره من هذا الشأن وقالوا يا أمير أبو زيد

إن بقيت على هذا الحال تفقد حياتك بدون محال فيتم على فقدك الرجال وبمثل هذا الكلام كانوا يخاطبوه حتى سكن روعه فالتفت إلى النافلة وقال لها يا نافلة أين كنت لما فعل أخوك هذا الفعلة وحين قتل سيد الأبطال وسلاطان العرب والعجم والترك والديلم فرادت النذيب والعويل وأقبلت أخته الجازية وهي تصبح من قلب وتبكي دمع منهمل كل قصاها وتذف شعرها وتمزق ثيابها تضرب برأسها الجص وهي تنث أنات الحسفاء وتندب أخاها الأمير حسن وتفاشى لأجله الحن تقدمت ووقعت عليه تقبل قدميه من عظم ما اعتراه اندرجت على الأرض كالأموات حتى ظهر أنها فارقت الحياة فتراكتها النساء ورشوها بالماء وقاموا لها على الثرى وهي تبول وتصيح حتى دعت منها كل قلب جريح قال الراوى عند ذلك طفف الأرض ماشيد عليها من الدموع واجتمعت الاصوات ساءير بان ملك الضواحي والربوع فكان يوم حزن ياله من يوم اظلمت الشمس فيه وكثر البكاء والنواح والحازية تزيد بكاءها وتندب أخاها وأشارت تقول:

تقول فتاة الحى أم محمد	دمعى جرى فوق الحدود وساح
فى طي قلبى السار زادت لهاها	كوى الحشى ولد طابها بجراح
بالوعنى من ترى قد ذاقها	يا أوح قلبى من كنوحى ناح
أبكى على أخ تركنى غدا	يا حمرقى ما عاد لجسمى جناح
يا حيف سلطان حسن فوق الثرى	تبقي مجندل بالدماء سباح
يا حيف سبع الغار عنا سار	لأجل بعد السبع عقل راح
يا دممى ما ظن من عبنى نزول	واقه تنقضى العمر بالأتراح
تامود ركبتى قد مضى يا نكبتى	طول المدى ما أنظر الأفراح
طير العرب يصيح فى صوت قببح	واليوم قرى قدانى فى صباح
من بعد عزى صرت أبكى دممى	زادت على وما لها أفراح
الله يجازى من سمى بفراقها	من السلطان حسن داح
شلت أبادى دياب الواغدين	ولى وبخل دمعنا طفاح
يدعى عليه ما طار طلع الغلا	يدهى عليه ما لغصن فيه الريح راح
أبكى معى يا آل قيس يا كرام	زيدوا معى يا آل عامر النواح

يا جميع هلال سافر سيدكم ما عاد يرجع فصفرا الارواح
 سيوف الهنا كسروها بالمجل ادعوا الخيول تروح الاسراع
 هاتوا العمايم اصبحوها اليوم سود بحر الاسف موج الحزن قد لاج
 حاكم الاقطار سلطان العرب ومدير الفرس ان يوم البعد راح
 يا بين ماهذا العمل فينا رميت سهر النوايا يا حيف اطلقت المباح
 يا سامعين صوتي ممى اندبوا ظهري انقطع ذهب فكبرى كداح
 قد قل حيلي انهد جسمي يا ترى مثل بكل الناس صابته جراح
 تسمعين في تسمعين والى منها قد كنت حاكم يا حسن قوم ملاح
 واليوم فارق المنازل والربوح خلقت كثر الهم بعدك والكفاح

(قال الراوى) فلما فرغت المجازية من رثائها رجموع بنى هلال ناظرين ما قد دهاها
 ومن الهم والغم قد اعترها صاحوا ع فرداسان النكبة التي بها سكبا وما هذه البلية
 التي كاس مرارتها شربنا (قال الراوى) وكنت قد شاهد رجموع بنى هلال الحزن القديد
 الذي ما عليه من مزيد الكحل شاخصون ناظرون الى جثة الامير حسن ودمهم تهلل
 حالارض كالامطار ولما هم فيه من الكرب والحزن وما كان الا وتقدمت مريم ابنة
 زهرة البان الافرنجية زوجة ابو العوف ووقفت فوق رأس الامير حسن
 وأشارت تقول :

دمى جرى فوق خدى وانسكب والنار في قلبي تزيد الهم
 يا بين شمت العدا فينا وما كان العهد سيف الغدر قد يتسبب
 شمس المعارف اظلمت انوارها الليل اصبح بالخوف والكرب
 يده العلى يا حيف من فوق الثرى يبقى طريقها والغراب فينا نعب
 يا كوكب الاقبال يا امير حسن يا هننا يا فخر يا منتسب
 يا حيف هذا الوجه ملء الكندر يا حيف هذا البدن يغنيه الترب
 فارقنا ما حل يوم فراقنا ماذا جرى بفراقنا ما هو السبب
 صبحنا رجموع هلال شخطك خاسرين صبوا بنا ما في الغنا اكثر الشجب
 الله يجازى دياب في حال العمى الله يجازى دياب في هم وتعيب

أومى قلوب هلال في نار الفضى - ادعى الدموع تسيل من حر الدوب
 والله تقضى الليل في أمر النحيب - وساهر العرور في قول العنب
 يا صور مانع كان ظنى لا ما يغيب - واليوم أضحى الصور فقرا انقلب
 يا مشبع الجوهران يا معزى الحرين - يا سيد المسكروب يا عولى العرب
 آواه نادى بالحشا ما تنطقى - يا منكبى يا حسرتى تركنى ذهب
 الله يلقى البين شقت شملنا - الله سلب عمر من عمرك سلب
 غاديا عما همك خلد القلوب - أرواحنا تفديك يا حارى الأدب

فلما فرغت مريم من قصيدها والكل يسمعون تعديدها هطلت من عيونهم
 الدموع كالطرر وكل منهم علاه الاصفرار وأصبحوا كالأموات لما سمعوا من مريم
 هذه العبارات ودماؤهم في البكاء والنحيب والولولة والصراخ يومين ييكون على جنة
 الأمير حسن ربروها باقصاء العربيه ويقصفون لفراقه الرماح الرنية ويكسرون
 السيوف لهوى اليوم الرابع اجتمع مشايخ زحلان ودرديدو تقدموا إلى الأمير أبو زيد
 وقالوا له اعلم أيها الأمير أن ما قد صار كفى بكاء إن بقيتم على هذا الحال لاشك
 يموتون كل جموع بنى هلال فالاحسن رفع جثة الأمير حسن ودفنوا الآن كرامة الميت
 مأواه وبذلك أمر رب الأرباب فأجابهم أبو زيد إلى ما طلبوا ووافقهم على
 ما رغبوا وتقدموا الامارة بكل احترام ورفعوا جثة الأمير وغسلوها وبروايح
 المسك والطيب وشوها وتحت التراب وضموها وذبحوا على قبره من الجوز والاعظام
 ما يكل من وصفه اللسان ثم أقاموا على قبة القبر وزينوها بكل زينة وكتبوا بماء
 الذهب اسم الله الأعظم ونحته اسم الأمير حسن ثم رجعوا وأكل العربان وعملوا
 ضاحية لم يجر مثلها في سالف الزمان .

(قال الراوى) وكانوا يندبون ليلا ونهارا ويقومون المراتى أشعارا وكنت ترى
 العربان تأتيهم من كل مكان ويعزوم على فقد الأمير حسن هذا ما كان هذا الشأن بعد
 ما انقضى أيام المناحه وسكن روعهم بتلك الساعة فاجتمعوا في صيوان الأمير أبو زيد
 وقالوا له يا أمير هلال ماذا تأمر أن نصير بأخذ ثأر الأمير حسن فانا والله لا نرتاح ولا نكف
 من البكاء والنحيب ولا نبرد قلوبنا الجراح لاجتماع لساننا في الاطئاب إلى أن تأخذ لهم

النار وتكشف عنهم الذلة والعار ونقل دياب بن غانم ومن معه ويحمل آل غانم مقتنين في كل الاقطار لا يقر لهم قرار وتذبح فيهم كبار وصغار حتى لا يبق منهم من ينقذ ناصه وتنتقم الحریم والاولاد فيجعلهم عبرة تسل الاولاد فاجابهم ابو زيد الى ما طلبوه ووافقههم على ما رغبوه وقال لهم وحق الركن والحجر والبيت المطهر انكم لم علمتم ما يقبل لريثتهم لكفى فاني اول من يتقدم لاختذ النار وكشف العار واني وافته انزل في آل غانم القنار ولا ابغى لهم بقاء وسوف اصلب دياب على رؤوس الجبال وابقيه باوشم حال واجعله هبرة لمن اعتبر بين سائر البشر ولا تحسبوا سكوني التأخير بل كنت صابر لتأخذوا راحتم من البكام والتحسر والآن صار الاولى بنا ان نستعد للرحيل اثر آل غانم ونوقع بهم المآثم ففي هذه الليلة اداو بين البيوت بهذا الشأن واخبر البنات والنسوان ان يستعدوا للرحيل ويبادروا للسفر بكل تعجيل فانا بعد ثلاثة ايام نقصد آل غانم الى ما ساروا ويتبع اثرهم ولو طاروا هذا ما كان من الامير ابو زيد فعند ذلك طاف الرجال بين الاطناب واخبروا القوم بهذا الامر بدون اوتياب وما مضت الثلاث ايام إلا وكنت ترى النساء على ظهور الجمال والاطفال واكبون فوق الجبال والرجال على الخيول والسوايق معتقلون بالرماح الطوال والسيف الرواسق وفي مقدمة الجيش الامير ابو زيد حامى جيوش بني هلال وهو امامهم كالاسد الريبال ونحته أشهب وعليه سرج مرصع بالذهب وهو فوقه موج بيحر السرج كانه قلة من القل أو قطعة فصلت من جبل بيده رمح ماضى السنان وعلى جنبه سيف يمان وقد أفرغ على صدره درعا من البولاد محبوك بالزرد هذا وقد انتشرت البيارق والرايات ودقت الطبول فسمع لها رجاءات وأخذت الخيل تتسابق والركاب مع النساء والاولاد تتلاحق وكانوا جمع كبهج وهدد غنيم فعند ذلك أخذ ابو زيد يقول :

يقول ابو زيد الحلالى سلامه والنار في قلبي تزيد شعال
والخيل تعرف اننى ماركتها الا جعلت القوم بأوشم حال
لى سيف ماضى الحد قطع الرقاب لوصاب الصخر الصم فيه قلت مال
والرح في يدي أنه يوم القنا يروى دم الفرسان والابطال

يا الله اسمعوا بالله افهموا يا قومنا
اليوم أخذ النار من زغي دياب
محدوا العرايم يا هلال تجردوا
وتذكر السلطان حسن كيف انقضا
عادا نكم بالحرب ترموا العدا
من جمال الطعن يلوى وينهزم
بالله يا قبر الذي فيه اتوضع
أهدى سلام القلب للسلطان حسن
واهدى له بسان محال من الزعل
وحيات عينك يا حسن لازم أكيد
لازم أقطع رأس هذا اللئيم
واهدى اقومه بالصيق طول المدى
ما قال أبو زيد الهلال المنتسب
وكونوا سباعاً لقا يا هلال
ذاك الذي أرمى حسن شكال
للحرب ما تكونوا به أنزال
وكيف قد غدا والدم منه سال
فوق الثرى وتقطعوا الاوصال
هنا هندی من بني الأرزال
أين المسكارم يا أسد ريبال
وكرر الأشواق للهضال
وخبره إن هلال اليوم شال
تأخذ لثارك بالقنا نصال
دياب ولد غائم من بنا احتال
واهى للنسا بالصيق والاهوال
في يوم سوق الحرب أنا والدلال

فلما فرغ أبو زيد من كلامه وجوع بني هلال يسمعون نظامه وصاحوا عن
نهر ديسان والله يا أبو زيد إننا نغديك بأرواحنا لأنك مضمد جراحنا وما قننا ولا أحد
إلا وقلبه نار وجميعها اشتاق لأخذ النار وكشف العار فمعد ذلك ساروا من ساهتهم
إلى طلب بغيتهم وما زالوا سائرين ليلا ونهاراً حتى دخلوا تونس الغرب وتلك الديار
فلاقتهم أهل تونس وقدموا لهم الخضوع والطاعة وما كان في تونس إلا القليل من
آل زغي فأتوا للعلاقة واضعين على أعناقهم المحارم وأظهروا للامير أبو زيد الحزن
والأسف هل فقد حسن وما كان منهم إلا وكان يلعن دياب بالشفة واللسان فسألم
أبو زيد عن دياب فأخبروه من مدة أيام رحل إلى بلاد الحبش هو وبعض قومه فلما
سمع أبو زيد هذا الكلام صار النور لديه ظلام وأسر الجيش أن يبقوا على ظهور
الحيل فاندفعوا في ذلك البر كالسيل وكانوا بأعداد ثلاثمائة ألف فارس وكل منهم بالحديد
خاطس لخدوا في السير لأثر دياب وما زالوا يكشفون عنه إلى أن ضاق بهم الحال
ولم يظلموا أين رحل فكادوا يهلكون من الجوع والعطش في ذلك البر المقفر فرجعوا

على الاعقاب وقلوبهم من دياب فيها نار الالتهاب ولما وصلوا إلى الاطلال نصبوا
أبو زيد سلطان عليهم وعلى جميع بلاد الغرب هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من
أمر دياب فما زال يقطع الروابي والقفار وأرغل على الحرائش والأوطار إلى أن
وصل إلى بلاد الحبش وتلك الأنظار فسمع به ملك تلك البلاد فخرج لملاقاته بكل
استعداد وكان راكب على جواد أشهب عليه سرج مرصع بالجواهر والذهب ومعه
الاحشام والاعوان والعبيد والغلمان والنساء بالدفوف والمزامير وفي أيادهم من
خاص الخناجر المملوءة بالمسك الزافر فلما التقت الرجال بالرجال نزل الملك عن
جواده وترجل وهو وكل من معه وجبوا دياب تحيات الأصحاب وقالوا لهم أنتم أحد
الاحباب فتقدمت الاحباب وأخذوا يرشوا عليهم الطيوب التي تشفى الكروب وعند
ذلك أرسل بهم الملك إلى المضارب والخيام وذبح لهم المذخور والاهتمام وأعطاهم
أحسن مجلس ومقام وقال لهم أنتم السادات ونحن العبيد وكلنا تأمرون به عندنا
نواخذ يقول :

يقول سلطان جوهر من خير	ألا يا مرحبا بابن غانم
لقد شرفتما وجعلت أرضنا	بها حلت ركاب بالغنائم
ركوب سعدنا أوفى إلينا	وصار الوقت منك اليوم باسم
تلاعب المفاخر منذ أتيتم	إلى أوطاننا يا ابن الأكارم
فنحن عبيدكم للدهر نيفاً	ألا يا معشرا لنخير قائم
سمعنا بذكركم في كل أرض	عربها وتركها ثم الاعاجم
نزلنا بكم عن طول بعد	محبتكم لنا اضحت تلازم
وهذا اليوم قد شاهدنا فيكم	ليوث والأسد القشاعم
فقد طاعتكم الدنيا جميعاً	لكم أصل أهل السعد خادم
لقد طمتموا عرب البوادي	ملوك الأرض تهديكم نهائم
تقتلون الزناني وقد شقبتهم	لمن عاداكم من المآثم
فعلمت فينا أمر مستحقاً	له تفديكم في كل أمر سالم
وقد كنا الجزية كل يوم	لنحو الوثاق بالوجه قائم

ولكن صرنا أحراراً بهذا وما أنا إلا بكم يا آل غانم
فرحنا في قدومكم جميعاً فرحنا زائدا والله عالم

هذا ما كان من جوهر صاحب التاج المجوهر وأما دياب فانه شكره على ما ابداه
وزاد في مدحه عن كلبا اذاه وقال له اهل باملك جوهر أننا قد أتينا ضيوف لنقيم
ههنا مدة الزمان وبعد ذلك رحل فقال أهلاً وسهلاً بكم ثم نزل دياب في أحد
قصوره وفرش لهم مكان واسع وأعد لهم علاير هون فيه المواشى وبقي دياب مع
جوهر في عز وإكرام وبسط وإلشراح مدة من الزمان يبق له كلام نرجع إلى
أبو زيد فانه ذات يوم جالس وحده في بيته تذكر أرض نجد وعمرها وما لاقى
فيها من الهنا والراحة أيام الصبا ثم تذكر الأهوال التي لاقوها في الطريق حتى وصلوا
إلى بلاد العرب وتذكر زيدان والخفافى عامر والقاضى بدر بن فايد ولصبر
وبدر بن غانم لجعل يبيكي عليهم وعلى أولاده وأولاد حسن الذين قتلهم العلام
فسار يبكى وينوح ثم تقرب إلى رؤية دياب وجنب جوارحه إلى القيادة وقال
هذا وفيق عمرى وحامل القدرات معى وإن كان معى قتل حسن قتل بيومه ثم
خطر بباله أن يرسل يستمظف بخاطر دياب ويطلب منه أن يرجع إلى بلاده
فكتب له جواب هذا المعنى وختمه بختمه أرسله إلى دياب مع الفخار وأخذ وسار
يطوى الفيافي والقفار حتى وصل إلى بلاد الحبش تلك الديار فسأل عن المسكن
الذى نزل فيه دياب فأهدوه عليه وسار إليه قبل الأرض بين يديه وأعطاه الكتاب
أخذ منه فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وبعد ذلك أخذ قلم وقرطاس
ودواة من الذهب الخالص وأشار يرد على أبو زيد ويقول :

يقول الفتى الزغبى ولد غانم	أنا ترانى في الايام عريف
أعرف فرسان الحرب جميعهم	خبيرات شدات الزمان عفيف
ترى كل مستغنى عيوبه قليلة	ولو كان أصله بالايام خفيف
عبث الفتى المنار للناس ظاهرا	ولو كان أصله بالانام خفيف
لو كان عترة عيس في حومة الوغا	ولو كان مقبر الوحش أمير خفيف
ومن كان خالى المال زمانه	عليه الانام مع الزمان خفيف

نزلنا على قوم كرام بلاخفا
 وإذا نامت الرعيان باتوا بنعمة
 ولكن بلاد الشناعة والبلا
 وأما الحبش كفانا الله شرم
 فقدى من البيض الملاح مليحة
 فلا يلقون الضعفان بوجه باسم
 عليها من اللبس الحرير كواهل
 بنات اليد وسود العميون قوامهم
 ولكن لسوان الحبش كعجينة
 ترى الواحدة كالفرق منه أشعة
 بأستان صفر والبيون مفتخرة
 ترخى كرادين لها فوق صدرها
 إذا شافت البياع تبقي مشمرة
 يا غدا يا متى ظهر مضامر
 جيت نحو ابن رزق سلامة
 سلم عليه لثم جبينه
 من كان في قومه ويرحل لغريم
 لولا حسن يا أمير ما كان ما نى
 فقامت شدات وهما ولوعة
 ويهينى بالقتل في كل ساعة
 أولادى قتلم مع عمامى وغريم
 حافت أني اقتله ولو كان ولدى
 مضى ما مضى ابن عمى وصاحبى
 فان كان ترضى أن نعيش سويا
 مقال الفتى الزغبى دباب المشتخب

وقنا وكان الدهر وهو ظريف
 ينادوا ولا يغشوا كلام غيف
 ذقنا بها الشدات والتعريف
 نرى مواضعهم بلا ترصيف
 كثور يلالى في ظلام كفيف
 ولا يسمع منهم كلام لطيف
 أسارا وحجول بالذهب ترصيف
 إذا ما مشوا حسبتهم رخ ثقيف
 والوجه منه كالخا ولشيف
 قبيحة وخيمة ما بها تنظيف
 لها معصم يابس كحبل الليف
 وبالاكل مثل الكلب عند الجيف
 تقول ذبالا خرج من كفيف
 نجد الثرى من نعلها وخفيف
 مربى اليتامى والزمان حنيف
 وقول له قولا بلا تعنيف
 فذاك يحنون وعقله خفيف
 حبسى بحبس مظلم وخفيف
 أبكى وانعى والدعوى رديف
 وأندب لحلى مثل ندب ضعيف
 نسانا حزاننا ما لى وليف
 وأمر إلهى ما به تكليف
 والبكاية ربي ما به تخريف
 فسامح يا أمير وكون عفيف
 فلست جبان ولا أنا خوف

(٢٣ - تغرية)

قلنا فرغ الأمير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه وأعطاه إلى رسول الأمير أبو زيد وقال ان كان مراده رجل ابلادى وتجمع سوى الجواب من طرفه بعض الامارة يكون قلبه محب وكلامه عن وداد فاخذ يرسل إلى الرسول وسار وجد يقطع الروابي والغفار حتى وصل إلى بلاد الغرب فدخل على الأمير أبو زيد أعطاه الكتاب وبلغه عن دياب فاخذ الكتاب وقراه وبعد ذلك استدعى بعشرة اُمارة من اولادهم واولادهم الامير حسن وارساهم ليصالحوا الأمير دياب وما زالوا يجذروا الغفار إلى أن وصلوا عند دياب ودخلوا عليه فلاقاهم وسلموا على بعض وسألهم عن أبو زيد فقالوا ارسلنا لترحيل الصالح بينكم وتعودوا كما كنتم في الحال القديم فعند ذلك سار الأمير دياب إلى الملك جوهر وودعه وركب بقومه ورجاله والعشرة الامارة معه إلى أن دخلوا بلاد الغرب فخرج الأمير أبو زيد ولاقاهم وتصالحوهم ورجعوا إلى الاوطان وعمل أبو زيد وليمة فاخرة ذبح الذبائح فاطعم القادى والرائح وصار الأمير أبو زيد والأمير دياب في محبة زائدة ولكن أبو زيد لما أرجع الأمير دياب ملكه وبقي هو الحاكم فما كان على الأمير دياب وسار يقول متى ان يرجع إلى البلاد التي اخذوها مني وأبو زيد لواطى قوما فاغناظ الأمير دياب وكن السر لا أبو زيد وقال في نفسه أنا صعدت دبوس وسكين السنين للأمير حسن والدبوس نخلصنا من واحد وبقي علينا الآخر وصار من ذلك الوقت يحمل الدبوس وكان يسبح فراشات من تحت العناية حتى لا يلاحظ عليه أبو زيد إلى ان كان ذات يوم خرجوا للصيد وانقض وكان مع الأمير أبو زيد جماعة من قومه ومع الأمير دياب جماعة من قومه فصاروا إلى البر وخرجت اليهود والصقور وتفرق الفرسان تطارد الغزلان وبقي الأمير دياب وأبو زيد في جهة وصار الأمير دياب يطارد الشهباء ويلعب كأنه في الميدان فصار يعمل مثله أبو زيد فدار نصف ساعة وبعد ذلك دياب خلى أبو زيد سائر أُماته فصاح فيه وقال خذها من يد دياب فالتفت أبو زيد مرعوب فوجد في يد الأمير دياب سبعة أقدم فهدك دياب وعمل هذا الامر ثلاث مرات ورابع مرة صاح دياب خذها من يد دياب فالتفت أبو زيد وظن انها ضحكة مثل العادة عند ذلك لكن الشهباء طلعت كالرجم حتى قربت من أبو زيد وصار جنيبه فسحب الدبوس

مرطبه على رأسه فطلع برز عنه فرأى الدبوس فوقه أبو زيد على الارض
حيان فوق الامير دياب وقد أخذته الشفقة فصار اليه يبكي ويلعن الحق مدة من
الزمان فتح أبو زيد بعينه وجد دياه رائف فقال له ما كان ظني فيك يا دياب ثم تنفض
الصعداء وأشار يقول :

قال ابو زيد الحزين الهائم	دمعي هل خدي سجايم
ايا دياب الخيل يا ولد غام	ابا صاحب الافعال بين العوالم
ما كان ظني يا دياب الخيل تخونني	وتدعي صحبتك فوق الردايم
آلمتني يا دياب بضربك	ايا حيفا كنا يا أمير لزايم
ضيعت معروف كسرت بخطري	كم مرة خلك يتضرب الصوالم
كم مرة شلتك من حبوس ضيقة	كم مرة شلتك من حبوس ظلايم
كم مرة أردوا قتلك وشنتك	واكون أنا لهم حقا غاصم
أوصيك وصايا يا دياب احفظها	كرامة إلى ربك لله العوالم
أول وصية في أولاد أبو علي	حسن سلطاننا من زمان قدايم
ثاني وصية في أولادى جميعهم	رزق وريا وكل المحارم
وثالث وصية يا دياب أم محمد	صبرا وشهلا واخيات البكايم
خامس حريمي يا دياب من العدا	إذا جاء طارق بليل الظلايم
والساجزية يا دياب أم محمد	دعها على قبري تقيم العلايم
ياما تقضى بيننا عز وهنا	عجلك في قتلى يا ولد غام
أذكر أيام الحرب الى مضى	لما أصبح يا دياب بن غام
تجئني على الخضر كالريح حربا	يدع دما لابطال ع الارض هايم
ولما تصبح يا هلال سلامة	القيك في حرم متنى القوايم
يا ما شربنا الكأس والسعداير	ولحسادنا في قلوبهم منا سجايم
مقال الحزين ابن رزق سلامة	لقد سلمت ووحى لرب العوالم

فلما فرغ أبو زيد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه دمعت عيناه ونزل اليه
وضمه إلى صدره وأشار يقول :

يقوله الفتى الزهبي دياب الماجد
 هليفا بغيتم يا هلال سلامة
 لما أهلكنا الغرب نحو خليفة
 فقمتم ضربتم الشور يا أبو عليم
 قايم دياب الخيل يرهى جمالنا
 أخذت أنا اللبوش سرت معجلا
 جاني خريبة راح من صارمي
 لما ظردتم عن حروب خليفة
 علمتم عليهم قرعة يا سلامة
 وراحوا جميعاً واحزتموني
 زبدان أخويا كان شيخ شبابكم
 نصر وعقل أولادهم لارحميتهم
 ولا عاد فيكم يا هلال مقاوم
 ألتكم سعدة مثل شمس منيرة
 قالت لكم أبوها يهوى جموعكم
 فلا يقتله إلا دياب بن غانم
 أتاني أبو غانم أنشيوخ العصا
 وقال قم خذ ثار أخوتك
 وقلت لأبوي رد وادجمع
 الزم حسن وأبو زيد يرسل مكاتبه
 قصيت شعور بناتكم سلامه
 تقولوا الوحايا لولد غانم فعالنا
 واهرى عيوبك ألا تريد ترائي
 مع كل هذا جيت من فوق خضرا
 فنتبت لسوق الحرب مع ولد جميل

ودمع على الحدود بحار
 فملكك عندي لها أسفار
 تركنا لنجد والفؤاد بنار
 أنت والجازية وأبو المسكارم
 في سهابا وحرشها وقفار
 وقبلك على نفسي رسوم العار
 ومكحول من ذاق كل بوار
 قمتم ضربتم على الزغابي شوار
 وأنا غايب عنهم بميد الدار
 وراحوا الامارة بالتراب همار
 وأولاد أخويا الاثنين كالقار
 أيا حيف أعمار الجياد قصار
 ولا عاد فيكم فارس جبار
 بنت الزناني تشبه الاقمار
 لأن أبويا فارس مغوار
 لأنه صمدع فارس جبار
 وخبرني عما بالامارة صار
 أجازك إلهي من عذاب النار
 أنا ما عدت اللعب مع أولاد صغار
 أجيبهم على الحضرا كشلة نار
 وخطاك بيدي يا سلامة جبار
 ترانا بضيقه والهجوم كتار
 وهذا كلامك واضحا وجهار
 أ جرى سبقي هوى التيام
 ثلاثين يوماً ليلها ونهار

وراحت الخضر اطرحة على الرطاب
 كفتها بعشرين شقة ثمينة
 من بعدها قد جيت نحو خليفة
 يجيني على أشقر مضمور نحو امره
 بجاني وجيته فوق شها أصيلة
 من فوقه قرم عنيد ملاطم
 درجته حربا كالصبر طعمه
 يقول دياب الخيل باقة خبرني
 غلما سمعت قوله ولاردت صالحة
 طعنت الزناتي طعنة في عينه
 اخذنا إلى آراس وكل بلادها
 قسموا بلاد الغرب مثله
 صنعتم على حيلة يا سلامه
 ومن بعدها معر يقتلني عاجلا
 تقاضى العرب حكم مجبى مخافة
 اتوه اماره لاجل يرجعوا فكاكي
 واثت مفض لعمولك راضى
 صبعة ستين كاملة في حبوسكم
 حتى سمح ربي باطلاق عبده
 جيت إلى نصره وجدته مكنسا
 غفويت لاني سوف افنى جموعكم
 واقتل حسن وكل من يطاوعه
 وقد عاننى ربي واثت لبغيتي
 غاوصيك يا ابو زيد متى وصية
 وسلم على اولاد الخلى وابوم

وعقلى وحق ربي طار
 ودفنتها دفن الكرام بوقار
 اصليت أنا للشر مثل النار
 في درع دارى بعشر أزرار
 بيضة حامى مثل ضوء نهار
 له طعن في صدر الرجال شرار
 فراح يكتب لى جواب مستعجار
 وخذ إلى رزق أبا مغوار
 زيدان فتح لى جروح كبار
 فراح أبو سعدة وراح دمار
 وطاعت لنا صغارها وكبار
 وكل واحد بقسمته قد صار
 وميت دياب الخيل بالاكدار
 صديقه في شرعنا الخشار
 في حبس مظالم يظلم يقصف الاعمار
 لكن حسن أمر بكشر زيار
 كل مالك بنى الامور خييار
 اقامى غلاب الدل والاكدار
 سبحان ربي كاشف الاسرار
 اخذتم إلى مال وكل الاحرار
 وافنى عبيدكم مع الاحرار
 واملك بلاد الغرب بالبتار
 وأجريت كل الذى قد صار
 سلم على زيدان عز الجار
 عقل ونصر وعيهم انصار

وسلم على خالي بدر بن فايد وسلم على الامارا والاخياد
فودعت باقية يا هلال سلامة غدا تلتقي في آخر الاعمار
فلما فرغ الامير دياب من كلامه ركب جواده وترك أبو زيد على الأرض
وسار بقومه فنظروهم مرتبك وغضبان وسألوه عن حاله فقال لهم اني قتلت أبو زيد
وغضبت عليه واسكن ما بقي لنا إلا أن نسرح ونملك بلاد الغرب وأصير أنا سلطان
هايم لأنه ما بقي أحد يخافني ثم أن الامير دياب صار إلى تونس ودخل إلى
سراية الاحكام ونادى باسمه وأخبر أنه قتل الامير أبو زيد وهو الحاكم والامير
على البلاد فصار من يعانده يقتله ومن يعطيه ويلوذ اليه ينعم عليه ما بقي كلام يرجع
الكلام إلى جماعة الامير أبو زيد لما وصلوا اليه وجدوه مطروح على الأرض
فصاحوا وناحوا وحلوه تارة يمشي عليه وتارة يرمي حتى وصلوا إلى القبر فعرفته
الحريم وخرجوا بلا برافع وهم يمزقون ثيابهم وبضغون الزاب على رأسهم وكان
يوما شليعا على بني هلال ما نظروا مثله مدى الاجيال واجتمعت العربان من كل
ناحية ومكان وأما المجازية فانها علمت أكثر من الجميع وأرخت شعورها وثقت
خودوها ومزقت ثيابها وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى أم محمد	ودمعي جرى فوق الحدود يسيل
أيا ليتني قدمت من عام أولا	ولاشفت الامير أبو زيد قتيل
ألا يا دياب السوء يا خاين الوحا	يا باقى الاصحاب وأنت هيل
ضربت سلامة يا دياب بضربة	وهدمت ركننا من هلال طويل
فلا سالما منها الامير سلامة	فتبكي عيون والدموع تسيل
دعوتى أملأ العين منه بنظرة	من قبل بعدى بالمجود جديل
أيا هل ترى الايام تخاف كلامه	إذا مضى جيل بعد جيل
أيا دياب كيف يا دياب سلامة	وقد كان لك هون الايام خليل
يا حسرتى يا كسرتى بعد حيانى	وظنى أنه بالانعام مثيل
محمد ومحمدان قد نسيت قرااتهم	جاني حسن زاد الفؤاد شميل
وقد زادني حزن الهلال سلامة	فيا ليت عمرى لا يسكون طويل

ما قالت فتاة الحى أم محمد ونيران قلبى زایدات شحیل
فلما فرغت الجازية من كلامها اغنى عليها برهة من الزمن ثم تقدمت بعدها
عليها وهى تنفث شعرها وتمزق ثيابها وقد زادت بكاءها وانحبابها ثم تقدمت اليه
وقبلت عينيه وقالت له سلامتك يا أبا الأبطال ويا زينة الرجال وجعلت ترفيه
بهذه الايات :

تقول فتاة الحى عليا التى بكى	نيران قلبى احرقنى شعيلها
وعبرات عيني كالبحور الزاخرة	ترى الى هشت الملا وتفيلها
ودارت نواعير الفراق يا عيني	كا أرض مصر عند فيضان ميلها
وكم جهد عيني ما تقيش من البكا	وأن للبكا بطفى ويشعل عليها
على فارس الهيجا الامير سلامه	سباج بنى هلال وحامى نزيلها
أيا حيف والله يا أمير سلامه	ليالى الهنا راحت وجانى بديلها
أيا ناس ما السكتان إلا فضيحة	إذا كانت الشكوى لمن لا يزيلها
من اشتكى شكواه اخير مصعب	كن صب الماء فى وسط غرايلها
وما اشتكى إلا لربى وغالى	واين تنفع الشكوى لمن لا يزيلها
ومن باح بالسر الذى فى ضميره	يشابه نار طالق فى تهييلها
ترى الجيد جيد ولو تمزق ثوبه	والندل ندل ولو ليس من جميلها
بالله يا ذا البنات نوحوا رادبوا	هل قامه المحط منها طويلها
ودار خلعت من كل قوم محرب	ومن جيره قد جانا يوم رحيلها
سكن دارم من لا يقوم مقامهم	فلا دامت الدنيا ولا دام ميلها
وخيل دياب تبقى اليوم جائله	وخيل الملالي زاد جفيلها
ورايات أبو وطفه تعود مرفعه	ورايات أبوزيد تنفض تمديلها
مقالات فتاة الحى عليا الحزينة	مضى زمان المر وجانى بديلها

قال الراوى فلما فرغت عليا من كلامها بكى النيران من قولها وصاروا فى
ضجة وأبوزيد عريان ولما أفاق من غشوته وتأسف على نفسه وكيف باقى فيه دياب
وراح يخبر قومه ويودع أمه وعشهرته وأشار يقول :

يقول أبو زيد الهلالي سلامه
ولا وقعت الاوسطى بوسطها
ولا ظالم بالحب ظلمته
ولا كل رجل يكشف مهمة
زومت جميلا ضاع مع ولد غانم
زومت جميلا طالبا استغله
خرجنا إلى الصيد نطلب الفلا
ولا شفت أنامعه سلاح وعدة
ضربني بدبوس عريض فرشة
ولو كان غيره ما وقعت بضربته
فعند غيبته من دياب بن غانم
جاد الغيبة ياهلال وعامر
ولكن أخذني برقه ياعمر
ول ثلاثة أيام أقامى نزاعة
لما بات الهجاج في جنح ليلتهم
ياحمرق شوق المنايا تهجين
تأسف على أميرين قتلى
فتنادوا إلى الأولاد حتى أشوفهم
ونادوا إلى غيمر والامير بريقع
ونادوا لعلياً كي أراها بناظري
ونادوا عزيزة لقرم افعل جمالها
ونادوا إلى الهازية أم محمد
نرى ظهر منكم دياب غانم
ويقطع جداركم ويهني جوادكم
قتل حسن بن سرحان أبو هل

ولى شيمة شاعت في كل البلاد
ولا معركة إلا ولى تنقاد
ولا طاغيا إلا وزاد المهاد
ولا كل من طلب المعاني ساد
كما ضاعت المودة مع الحداد
نخاني وبقي أقوام بالمهاد
ومعنا دياب فوق ظهر جواد
ولا عرفت ما فعل له الحداد
وعلى فوق رأسى وقعت المهاد
ضربات دياب كخيل طراد
والآسى من يتحصر بمداد
يا أمل دريد وجملة الأجواد
ضربني وخلفني طريق وساد
أتارى سكرات الموت شداد
أبات كافي فوق شوك قتاد
وأنا أوعدهم وداع آخر الميعاد
هزير ومرعى مع سبات حداد
نادوا على أهلنا كل الأولاد
وشبيان نادوا إلى أجواد
ونادوا إلى أم وأم مهاد
نرى حرمها ذاك المظى قد هاد
حتى أوصيها بسائر الأولاد
هني أصاغركم مع الأولاد
ويحكم كما التروود بن شداد
ونخل حريمه لابسات سواد

أنا أوصيك يا آل عزي ودواني
 فروحوا للاكراد أرض فارس
 وأبقوا بها حين ما يهون عمرها
 ترى أهلكم فرسان مع أجدادكم
 هنا يخيمر ينطح الخيل بالوفا
 أوصيكم بالحرب يا آل عامر
 وادعوا دياب عالوطا منفخا
 ومن طلب منكم زمام وجيره
 حادعونهم عوناً لكم في أموركم
 جميع كراسي الغرب ملككم
 وأفرح في قاي والنسر مهمتي
 أنا ودعتكم لله ربي وغالتي
 جيبوا الكفن فصلوه أمامي
 وجيبوا نعشا مليحاً من شر
 بهجت خالتي يا حسن أقبوني
 وقولوا رحمك الله يا أبا عخير
 وهاتوا مغانيق وهاتوا دفوفكم
 فلهي جمع الخير والعلم للناس كلها
 وتوصلوا إلى نهد العريضة أخبا
 توصل أخباري نحو عي وقومه
 سألتك يا رحمن يا سامع الدعاء
 سألتك يا رحمن يا خالتي الودي
 لكي ياخذوا تاري من أولاد
 وسألتك يا رب استر عيوبنا
 واغفر لنا ما سلف من ذنوبنا
 فغيبوا عن الزغي لأتقى بلاد
 فما دياب ما ينال مراد
 واغروا دياب بالثقال الحداد
 وأنتم سباع الحى والافتاد
 ما يدعوا الزغابه يا فلان أشراد
 ولو عليهم ميله الاسباد
 وذيقوه ماذاقه من الانكاد
 جبروه منكم جيرة الأجواد
 وأنتم عليهم يا كرام أسباد
 وأنتم ملوكا من أب وأجداد
 والله إله العرش بالمرصاد
 الله تعالى أجود الأجواد
 وهاتوا إلى الكفور وحق زياد
 ودقوا صامره بدق شداد
 وصلوا على قبري صلاة عباد
 أيا معطم الجيمان والقصاد
 وقيموا معادات لنا وقياد
 بقول دياب إلى سلامة كاد
 وأنا يقول أبو زيد الأمير انكاد
 يخبرونه العذال والحساد
 تنجى أولادى من الأوغاد
 تعين أولادى بيوم جلاد
 غائم ويشفوا قلوبهم من الأكباد
 هموبنا أم واخوات جداد
 علينا ذنوب ما لنا عداد

واوصيك يا آل عزي ودواني لا تسلكوا أبداً طريق فساد
 وإن عادت الأيام اليكم بعدنا ابنو لقبرى قبة وعما
 مقالات أبو زيد الحرين المفارق غداً ادخل القبر العميق واكاد
 فلما فرغ أبو زيد من كلامه شق شهقة واحدة فاضت ووجهه عند ذلك كثر البكاء
 والنواح وصار كل واحد يأى ويقبل أياديهم مرة ثانية وأشار الهازية بدفنه بجوار
 الأمير حسن هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من دياب فبلغه أن الأمير أبو زيد
 مات وشرب كأس الآفات ودفنوه لجمعوا ستين ألف من قومه وساروا إلى بلاد القهر وان
 ليجرى حكمه ويعمل كما يعمل ولما سمعوا بنى زحلان ودريد هذا الخبر
 اجتمعوا وتماوروا مع بعضهم فاتفقوا أن يطعموا دياب وينادوا باسمه لأن ما لهم
 على حربه طاقة ولما قرب منهم دياب وعرب الهازية رأته اليهم وصارت تنخبهم
 فاردرا عليهم فبكت وقالت ما فيكم أحد يخاف دياب وأنتم شبان وهو كبير
 وخرفان وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى أم محمد	أنا اليوم جاني الهم والنبات
على فارس الهيجا الأمير حسن	أمير هلال حاكم الزينات
أيا ذل قوم راح منهم سلامة	وياسلهم لما يقولوا مات
أبو زيد بالعربان ليس مثله	بالجود والمعروف وحسن ثبات
حوى حكمة لقمان وجود حاتم	وصبر أيوب وكل صفات
وحاز خصال الحرين جميعهم	أمير ابن أمير سيد السادات
أبو زيد انظر حالنا وما جرى لنا	وفينا دياب حاكم الاوقات
وأصبح على نخت ابن سرحان جالسا	وحاش بيده المال والصنوات
وعادت خيوله غابره نحو أرضنا	وله مقام يرفع الشدات
أحيف حظ الباب من الجوالوطا	وعادت عصافير الشجر عادات
عاد الضيع يالاس السبع طارده	وعادت عدانا بالهنا فارحات
ألا يادريد اليوم يا آل عامر	وما من لكم يوم الوغا عادات
تدلوا من دياب وسطوته	وأنتم ملوكا وأنتم السادات

فلا خير في أيديكم ولا في رعاكم ولا في سيفونا تفلح الهامات
 أناديكم للحرب ما تسمعون أيها فاقدن العزم والنخوات
 فابكي يا عيني لفقد سلامة ويا قلب توحح الأهم وهات
 خات سروج العامرات وقدها والنساء فعود والرجال أموات
 فلا بد بعد الزناتي مذلة ويأتي العنا من على الدرجات
 مقالات فتاة الحمى أم محمد وحزن أبو زيد دايماً الاوقات
 فلما انتهت أم محمد ما حدد عليها إلى أن بنى دريد وزحلان وعاسر وضعوا المتاديل
 في رقابهم علامة الأمان وخرجوا ينادون يا دياب أنت ملكنا والحاكم علينا
 ولاحد منا يعصى لك أمر ولما نظروه وتقدموا وقبلوا أياديهم ورجليه وقالوا
 له أنت السلطان ومثلك يليق أن يكون سلطان لأنك فارس جبار ثم دخل
 الأمير دياب وجلس على كرسي الأمير حسن وصارت تأتي إليه الأمانة
 واحد بعد واحد يهنوه ويدعون له بطول العمر وأما الحازبة والثالثة والحريم
 والأولاد فأنهم اختطفوا وعند الليل ركبوا وساروا وسبقتهم كثرة من قومهم وتسلطن
 دياب على كل بلاد الغرب وأمر أن ينادى باسمه وأنه هو الملك حاكم بلاد الغرب
 وسيد فرسان الطعن والضرب وصارت تأتية الهدايا والتحف ورتب الحكام وهزل
 ولما راق باله سأل من أولاد حسن وأبو زيد فأخبروه أن الحازبة هربت فيهم مع
 بقية النسوان وتبعهم ثلاثون ألف نفس من بني دريد وزحلان فتكدر خاطرهم
 وقالوا حيث ظنوا السوء وما آمنوا إلى قانا لا بد أن أذلهم وأقرم لأنه كان
 بفكرى أن أرتب لهم معاش وأقوم بوصية الأمير أبو زيد ثم ركب وتبعهم فأتوا
 لحقهم فرجع وهو متكدر يبيح له كلام يرجع الكلام إلى بلاد الكوع كان يحكمها
 سلطان يهودى اسمه شمعون وكان له وزير اسمه أبو الجواد فسلم فلما قتل الزناتي
 وملكوا بلاد الغرب اجتمع بوزيره وقال له كيف الشور عندك إن بني هلال وصلوا
 إلى نواحي بلادنا وهم فرسان لا يوجد مثلم في هذا الزمان سيما فيهم فارس اسمه
 أبو زيد من الأبطال العظام وفارس اسمه دياب ابن ظالم كل جبار يمد على يفر

هلال يقتله وأنا أخاف أن يصل سرهم اليها في نصف العمل فقال الوزير أنا الراى
عندى أن تأخذ هدايا من بلادك والبحراهر وتسير إلى الامير حسن وقدمه له وتهنيه
بالنصرو يصير بينك وبينه مودة وصحبة فاستحسن شعور هذا الراى ومن وقته وساعته
حمل الهدايا على الجمال وصار بألف فارس من اعيان قومه وأكاهم إلى القه وان ودخل
على الامير حسن وقدم له وسلم عليه فترحب به وحملت الولايم ووقعت المحبة والمودة ثم عاد
إلى بلاده وبقي في امان والمراسلة بينه وبين الامير حسن بسنين وأيام إلى أن قتل الامير
حسن فذكرو وبعد ذلك بلغه خبر بقتل أبو زيد فعظم الامر وقال لوزيره أنا امرادى
أن أجمع العساكر وأذهب إلى بنى هلال رأنهم لا بد أن يكونوا قد وقعوا في بعض فن
الموافق أن نكون حاضرين ونساعد الحرب القوي ونملك نحن البلاد وتكون قد
ساعدتنا المتأدرو قتلنا الامير دياب لأنه صار شيخ كبير لم يجمع العساكر وصار قاصدا
بنى هلال وبقي سائر حتى دخل حدود الغرب فنظر الغبار قد علا وطار حتى سد منافذ
الاقطار ثم انكشف عن ثلاثين ألف فارس ومعهم حريم ونسوان فسأل ما الخبر
فأخبروه هؤلاء حريم حسن وأبو زيد وأولادهم اليتامى هاربين من وجه دياب
خوفا على أنفسهم فاستدعاهم لحضرت الجازة فسألهما عن الحاصل فأشارت الجازية
تقول وعمو السامعين يعطول .

(تمت هذه القصة وتايها قصة قتل الامير دياب)

قصة قتل الأمير دياب

وتسلطان بريقع ابن الأمير حسن وقتله مع أولاد أبو زيد.
من نصر الدين الزغبى بن دياب وتسلطه على بلاد الغرب.
عموماً وما حصل من الحروب المائلة التي تشيب الأطفال.
وفي هذا الكتاب تغريبة بنى هلال بالنظام والكمال والحمد لله
على كل حال

تقول فتاة الحلى أم محمد
ألا ياملك شمعون اسمع قصتي
أنا بنت سرحان أخت أبو هلى
كنا في نجد في سرور وفي هنا
رحنا لأرض القهوان وقابس
فقتل منا تسعين قتيلًا مجربا
قتله أبو وطفا دياب بن غام
بقتله ملك سائر الغر ياملك
أراد دياب يملك القصر وحده
حبسه أخى سبع سنين كوامل
وأطلقه أبو زيد الهلالي غصيبة
مرض حسن والحواجه منه متد
رجانا دياب مع أكابر قومه
دياب ذبح حسن فوق جال فراشه
وراح هرب هو وكل مجموعه
جابه أبو زيد بطيب بخاطره
وبعده أتوا للصيد في عز وهنا
دياب ضرب سلامة إرماء على الثرا

بدمع جرى فوق الحدود غران
واصنى لقولى يا حاة الجار
وهؤلاء ياملك عبيد وجوار
نمرح فيها ليلا مع نهار
أتانى الزناتى مثل شعله نار
برأس رعه المرفع البتار
بعزم شديد يفتك الاحجار
ملكنا مدينا ودوار
ويقعد به سلطان ياهوار
سبع سنين في بلاد واكدار
وهذه حيلة معهم عليه دار
وعلى وجهه بعض البياض سوار
وقلبه أسود خائنا غدار
وخلاه يختبئ ميمنه ويسار
دخل بلاد الزنج والافتار
وأرسل له مكتوب بالاحضار
ولعبوا بالجريرد كم مشوار
ضربات دياب ما عليها فبار

حاقا أبو زيد روحوا بأهلكم إلى الملك شمعون عز الجوار
وجينا إلى عندك طالبين مكارمك يا برمكي يا مكرم الزوار
هذا ماجرى فينا وهذا ما أصابنا والدهر دولاب علينا دار

فلما فرغ من كلامها أشار الملك شمعون برد عليها ويقول :

يقول الملك شمعون والقول صادق نيران قلبي زائدات سعار
ألا قابشرى بالخير يا أم محمد لقد زال عنكم سائر الاكدار
وقلبي على حسن الهلال مرجفا وأبو زيد خلا الدموع غزار
ولكن لهم أولاد يخافونهم ويسقوا دياب علقها ومراد
أنا كنت سائر نحوكم لآعينكم وأنظر ما بين قد صار
ولكن أنتم سالمين بأهلكم فابقوا واصبروا فالملك دوار
واردهوا أراضينا واجتروا ثمارها فأنتم والله أكرم الخطار
لكم عندنا الأسرار والخير والهناء والعز والناموس والاولاد

فلما فرغ شمعون من كلامه والجازية تسمع نظامه قالت ارجع فإ الآن وقت
ذهاب لأن دياب له سطوة في بني هلال والقرى الرعب في قلوب الجميع وما أنسه من
وجاه ولا في الزمان له مقارن لأنه قتل في زمانه فرسان لا تعد وقاتل أعظم أبطال
عصره فالأوفى نصير إلى أن يأتي الفرج وهو قريب لأن دياب كبير السن وماله
سوى ولد صغير يرضع اسمه نصر الدين تأخذ التار إن شاء الله قريب .

(قال الراوى) وكان دياب تزوج امرأة من قومه اسمها لسرين لأنه ما بقى
له أولاد سوى وصفه فأنها ولد فسماه نصر الدين يبقى له كلام يرجع الكلام إلى
الجازية أنها رجعت باليتامى إلى عند الملك شمعون فعين لهم أرض وصاروا يرعون
المراعى وما عاد للجازية هم إلا تربية اليتامى وتعليمهم الحرب والقتال وبقوا عند
الملك شمعون إلى أن وصل خبرهم إلى الأمير دياب فأراد يجمع المساكرو يذهب
إلهم فقالوا بنى زغبة الأوفى أن لا يذهب وراهم لأن بلاد شمعون حارة إذا طال
يفنا الحرب ونهلك ونعطش وربما بنى دريدوز حلان انفقوا مع الأولاد في طول علينا
الهمال فقال دياب أنا خائف فنتظرون حتى أموت أو أعجز يا توأما كوا البلاد

ويذلو ابنى ويذلوكم فقالوا له الاوافق ان تكتب مكتوب الى الملك شمعون
وتوعده بالمال بقتلهم ولا تهدده لانه جبان ولا يخاف من باسك فاستصوب هذا
وتوسل الى شمعون يقول :

يقول الفتى الزغبى دياب الماحد ونيران قلب زایدات سعید
يا أيها الغادى على متن ضامر تسبق هبوب الريح عنده مسير
إذا جئت السكوع فأزل بربعها وعقل جوادك بالزمام وعهد
عواطفى السلطان شمعون ورقى وسلم عليه وشيد كثير
أريد يا شمعون تقتل اليتامى وتدهيم على وجه التراب دقير
وخذ أموال دريد وجمالهم وأبقى أنا لك بالحرب نصير
ما قال الزغبى دياب الماحد كلامى أكيد ما به تزوير

فلما فرغ دياب من الكتاب سله الى رسوله راشد بن نهبان ليوصله الى الملك
شمعون ويطلب منه الرد فصار حتى دخل بلاد السكوع فصادفه الوزير أبو الجود
وكان مسلم وأخذ الكتاب فضهره قرأه وعرف رموزه ومعناه فادخل الرسول الضيافة
وأوعده بالرد وأخذ الخطاب واستدعى الأولاد وقال لهم اقرأوا هذا الكتاب
فلما قرأوه خافوا ووقعت الرعدة قلوبهم وقولوا نحن واقعين عليك يا وزير فقال
لا تخافوا لأن الملك إذا نظر ذلك الكتاب اقتلسكم لانه طماع ويخاف من دياب
وما لكم إلا أن ترسلوا الجازية الى عنده وتدفع عليه وأنا أعرف أهواؤه واقع في هواها
وعند ذلك لا يفتلكم فقالوا نحن لا يليق أن نكلم الجازية هذا الكلام فقال لهم أنا
أحضرها الى عندى وفي الحال بعث رواها فجاءت اعنده وقرأ المكتوب أمامها
فتكدرت وقالت ما كفى دياب ما عمل حتى أنه لاحقنا الى هنا ولكن ما الزأى
هناك فقال رأى عندى أن تذهبن الى الملك شمعون وتدخلى عليه فانه لا يضركم
فقالته أنا امرأة مسلمة بنت مسلمة ومن لسل الملوك وزوجى شريف النسب
فكيف توقع على واحد مسلم مثلنا ونبينا صل الله عليه وسلم أو صانا بمساعدة بعضنا
البعض فلما سمع أبو الجود كلامها قال في باله هذه امرأة تكرم ديننا أكثر منى فالأوفق
أن أساعدها كثير ثم قال لها أنتم معكم ثلاثين ألف فارس وأنا عندى أكثر من

ألقى عشر فارس فاجلته العتفين وأربعين الفا غلوا الجميع مستعدين للحرب
وابتسوا أولاد أخيك إلى السلطان ويقولوا له مرادنا نزوجك عمتنا فيفرح بذلك
لأنه وقع بهواك فتى دخلت عليه يدخل شهبان ويذبحه وقد حمل على اليهود فقتل الأمير
وعملك البلاد ونقيم حكم من أولاد أخوك وأنا أنزوج بك وتسير البلاد في يدنا فاتفقوا على
ذلك وذهبوا بأولاد السلطان حسن إلى قصر الملك شمعون وعرضوا عليهم ففرح وقام
قبلهم وقال مهيا شكم فاطموا فافعلوا له لا تريدك إلا سلم ثم جاءوا إلها خام فكان العجاية
على الملك شمعون ودخلت في دين اليهود في ذلك اليوم بعد تمام الفرح دخلت على شمعون
فرجده متغيرها في قاعة النوم وعليه الملابس الخفيفة ودخل عليها شيبان بن أبوزيد
ويده الخنجر فضربه أرماء قتيلاً وقطع رأسه ووقف في القصر وقال قد قضي الغرض
وكانت الامارة والوزير منتظرين تحت القصر فغاووا على اليهود وأبloom بالذل والنكود
وقتلوا أعيانهم وفكروا الفلاح وأهلكوا رؤساء العسا كروما أصبح الصباح حتى
انتهوا من الأعمال ودخلوا سراية الحكومة وأجلسوا الأمير بريقع ابن السلطان
حسن ملكاً على بلاد السكوع وصارت المغاذية باسمه وفرق العسا كرو في جميع الجهات
وراق له الحال وما قام في البلاد مخاصم فهذا ما كان من رسول دياب بن نهبان فانه
لما شاهد ما صار خاف على نفسه فصار يجتهد حتى وصل إلى عند سيده فأخبره الخبر
فقال له أحد الاماره أنت قتلت الحية وتركك وأسباه هذه الأولاد لا بد ما يقوموا
ويأخذوا منك بنأرم فضحك دياب وأخذ يكتب اليثامى ويقول :

هبت بواقها وطاب هواها	ولاح ما بين النجوم سناها
وعرفت ملوك الشرق والغرب	ألقى مبيدو جال العرب عند رماها
قتلت أنا حسن الهلال أبو على	وأبو زيد الفتى كان أعلاها
ملكك أنا كل البلاد جهتي	وأنا ابن غانم الناس جماها
طاعت لحكمي ساير العرب	وضربات سيفي بالبلاد اقماها
وما عاد له بعد الايام مخاصماً	إلا اليثامى من خاف دهاها
فلا بد ما ألقى اليثامى جميعهم	والحقهم في أبوزيد ناهها
ألا يا يثامى ارحلوا نحو ربنا	وحبوا الرجل وبوسوا يداها

عليكم سلام الله كراما لأبركم حسن وأبو زيد بما أوصاها
وإن تقسموها أرسل إليكم أذلكم وأنتم تعرفوا عزمي بسوء غاما
مقال الفتى الوغى دياب بن غانم والثار في قاي تزيد لظاما
فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وبعثه إلى اليتامى فلما وصل إليهم وقرءوه
أعطوه الجازية فقالت لهم إن دياب قلبه دايله والذي له عدو لا يتام القيل ثم كتبها
إلى دياب وأشارت تقول :

برق يلعب من خلاف الباني وبيع بالقلب وجد بعد ماها
الريح هبت في ضميري وخاطري وتقول الله يعكس باطلا كل خوان
دياب يا أمير ترسل تهددنا كنا لكم يا أمير بالوغى إخوان
والله عوض أبا دياب بغيركم فصرنا ملوكا وعاد الدهر كما كان
فلما فرغ من الجازية من كلامها طوت الكتاب وأعطته الرسول أخذه وسار يقطع
الفيافي والغفار حتى وصل إلى عند دياب فنأوله الكتاب ففرضه وقرأه وعرف رموزه
وصنائه فقال في باله لا يدلي ما أركب وأدهمهم في بلادهم وفي ذات الأيام أتوا شعارا
إلى الغرب مدحوا السلطان دياب ووصفوا له بنت الأمير المدهاد فسأل دياب عنها
فأخبروه أنها لم يوجد مثلها في الدنيا فقال أحد الأماة للحاضرين هذه خاطبها السلطان
حسن لابته بريقع وكان مراده يزفه عليها فعند ذلك قال دياب والله نحن أحق بها
من الغير فم كتب مكتوب إلى الأمير ماجد يطلب بنته وبعث المكتوب مع الأمير
فأخذه وصار حتى دخل على ماجد أعطاه الكتاب ففرضه وقرأه وترحب في عرندس
ثم جمع الأماة وأغبا قومه وأعلمهم عليه فقالوا ابعت وقوله بلقي غطوبة إلى الأمير
بريقع ولا يبق في أن أفسخ الخطبة والأمير بريقع مراده أن يزف عليها وهو ابن
حمك ثم بعد ذلك كتب إلى دياب وأرسل المكتوب مع عرندس وبعده ذلك استدعى
بقومه وأعلمهم بما كتب إلى دياب وقال لهم علموا بنا إلى جمع الأمير اثلا يأتى دياب
فيقتلنا ويقتل أولادنا فهدموا قومه البيوت وحملوا حريمهم وصاروا يقطعوا الفيافي
والغفار قاصدين بلاد السكوح يبق لهم كلام يرجع الكلام إلى عرندس دخل على
دياب وأعطاه الكتاب ففرضه وقرأه وعرف معناه فغضب غضبا شديدا ومن ساعته

وكب الفرسان والابطال قاصداً ما جد وما زال سائر حتى وصل إلى بلاده وجد الأرض
قفرة في سبعة أيام فارتفع على خبر فتكدرو ورجع وأرسل الجواسيس ففتش عليه
إلى أين سار وأورجعه هو ومن معه إلى بلاده والأوطان وكان عند دياب بنت اخته بنت
الأمير حسن وكان اسمها أمينة وكان لما حرب الجازية واختها بقيت فأخذها دياب
إلى عنده وكانت بنت دياب تشتم لها خوتها وأولاد أبو زيد وتقول لها أئي لابد ما يقتلهم
فقلت يوم كانوا مجتمعين قالت لها بنت دياب أنا سمعت أن أبي أمر يجيب اخوتك
ويخدمهم عنده وإن ما قبلوا يسير اليهم فقالت إن اخوتي صاروا ملوك ولا بد
ما يجروا وبأخذوا النار من أيك فغضبت منها وقامت اليها وضربتها فعند ذلك
حركتها وراحت إلى قبر أبيها وصارت تبيكي عليه وهي قاعدة وإذا برجلين مقبلين
عليها واحد أبيض والثاني عبد فوصلها إلى قبر الأمير أبو زيد وصاروا يبكون
فالتفت اليهم وقالت لهم من تكونوا وعلى من تبكون فقال الأبيض تبيكي على
موالينا وأسيادنا أنا بدر بن قاشع وهذا عبد أخوك كنا عاشرين بنعمتكم
غدو بنا الزمان ورحلنا مع اخوتك وصرفنا نساfer مثل المسكارية من بلد إلى بلد
فقلت لهم والآن إلى أين ذاهبين قالوا إلى بلاد الكوخ فان كان لك غرض أو وصية فوصها
لك فقالت أحضروا إلى دواية وقرطاس فأحضرها فأشارت تكتب إلى اخواتها تقول:

تقول أمينة بنت من ساد ذكرها	بدمع جرى من مقالة العين عايم
ونيران قلبي كلما أقول تعطف	يهب لها جوا ضلوعي ضرايم
تعاذني الأيام والدمع هانئ	وصرت حزينه والعقل هائم
اداري على روعي واكنم غطاري	ولا أهرق الراسات والرب عالم
يا أيها الغادى على من ضامر	تشق فلاة الأرض مثل النسيم
فأهدى سلامي ثم أعطى رسالتي	رسالة عذونة تذوق العدايم
إلى إخوتي هو للملك إذا علوا	وسلم على أولاد عمي اللزائم
يجوني على النخيل كما الريح جريها	عليها شباب كالليوث الضراغم
بكل مهندي والرديني بكفه	لسان الحش مسقي بسم الأراقم
ويكثر بالجمعين وضرب البواتر	بطعن العوالي قد يزيل المظالم

عسى يأخذون النار من ولد غانم ويدعوه فوق الأرض مرمى ناييم
تبقى بلاد الغرب طوعا وبهدمك وتحكموها مثل أبوكم حاكم
هقالات فتاة الحى أمينة الحويطة وزيان فلي زابدات ضرايم
(قال الراوى) فلما فرغت أمينة من كلامها طوت الكتاب وأعطته إلى بدر
وأخذه وصار هو والعبد أيام وليالي حتى وصل إلى بلاد السكوع ودخل على الأمير
بريقع وقبل الأرض بين يديه فقال مامك من الأخبار قال معى كتاب من
أختك أمينة وهى تقامى العذاب والالام مع بنى زغبة وبنت خالك كل صباح
تخدمها وتمدها فقال له اين الكتاب قال له أوصتني أن لا اعطيك الكتاب
إلا بوجود عمتكم الجازية فلما حضرت اعطاه الكتاب وخصلة شعر من شعر
أمينة فلما نظروا الشعر قرأوا المكتوب هاجوا وما جوا وصاحوا ووقع
غهم البكاء والنحيب واجتمعت عليهم النساء والاولاد والرجال وكان لهم ساعة
يا لها من ساعة وجددوا حزنأ بو زيد والأمير حسن فمئذ ذلك نهض شيبان وقال
لهم ما لنا ولهذا البكاء قوموا حتى نركب ونسير إلى حرب دياب فاما ان نمرت
أو نأخذ تارنا ونخلص حرمنا ورجالنا من ذل دياب فقال بريقع هو الصواب ثم
أنهم أمروا بالركوب فاشتدت العساكر وامتدت ركبت معهم الجازية وساروا بستين
الف فارس ما بين مدرع ولا بس واليقامى أمام الجميع وعندنا أمسى المصاء نزلوا
يجريدوا بتلك النواحي ليرتاحوا ما استقر بهم النزل سمعوا صوت عرب نازلين بالقرب
منهم ثم شاهدوا نيرانهم فاجتمعوا اليقامى وقالوا من أثر النازلين فى هذا المكان فقال
بريقع اظن هذا دياب أنى لينة فلما فا الشور عندكم وإذا وقعنا وهو فى هذه الأرض
يفيقنا لأننا نحن ملثمين على اولاد عمنا الباقيين فى بنى هلال فانهم لا يساعدونا
ودياب لا يحببهم إلا اولاد عمه وكلهم أبطال وبقوا فى حساب وأمر صعب
فقال الأمير بريقع ما لنا لا نرسل من يكشف لنا الخبر فقالت الجازية أسير واكشف
لكم الخبر ثم قلع ثياب النساء ولمسه ملايس الرجال وتقلدت بالسلح وأخذت
معها شيبان وبريقع وأرست إلا أحد يشعل نار ويبدى حركه قبل ان يحضروا
ثم ساروا تحت الظلام حتى قربوا من العرب قسموا بكاء الاطفال وصراخ النساء

وتبع الكلاب فعلموا أنهم عرب واحلين بعيا لهم قاصدين النقة فقالت الجازية للامارة:
 ان صدقني حذري هؤلاء عربان هاربين من وجه دياب قاصدين بلادنا فقالوا يا زنا كشف
 خبرهم فقالت الجازية سهوا لنقص النار الاكثر اشتعالا لانه هناك يكون اميرهم
 ثم رسلوا بين العرب فنظروهم بعض الناس فذهب لعمد الامير ماجد واخبره اني
 نظرت ثلاث خيال غراباء دخلوا في قبالة واظنهم من بني هلال وشرح لهم صفاتهم وبينما
 هم في الكلام الا ودخلوا الامارة والجازية عليه فقام لهم واقفا على الاقدام وتوحيب
 بهم واجلسهم وقدم لهم الطعام فاكلوا ثم قدم لهم القهوة فشربوا وبعد ذلك قالت
 الجازية كثرة الله خيرك يا ابن عمي ماجد فقال اراك عرفني امي الشهاب الظريف
 وانا ما عرفتك فمن تكون فقالت له صدق المثل الذي يقول من غاب من العين سلاه
 القلب فقال بالله عليكم اخبروني من انتم فقالت له الجازية اخذت الساعان اتينا
 فآخذ بشارنا من دياب فوصلنا الى هذا البر في هذه الساعة فسمعناكم وقصدنا
 فكشف خبركم فلما سمع كلامها ماجد صفق على يديه من الفرح وقال أهلا وسهلا
 بصبري ثم قام واقفا على الاقدام وصار يقبل الامارة وهو لا يصدق من عظم فرحه
 ثم حكى قصته مع دياب وكيف بعث طلب بنته مع هرندس وكيف غاظه عليه الجواب
 وقال ان بنتي مخطوبة الى بريقع ثم شاع الخبر فصارت تحضر امارة ماجد وتسلم عليهم
 ويبقوا مدة ثم بعد ذلك قال ماجد الحمد لله صادفنا بعضنا في هذا المكان فاعاد لنا
 الا المسير فآخذ النار وانا بلقي أن دياب صار خرفان وما عاد عزمه كالاول وهو عمال
 يظلم في الرعية من قلة عقله وصار الكل يكرهونه فقالت الجازية في غد ان شاء الله
 نكتب مكنوب الى بني دريد ونحركهم ليقوموا معنا يساعدونا لآخذ النار فقالوا
 هذا هو الصواب ثم دعوا الامير ماجد وساروا واخبروا بقية الامارة فقرحوا
 الجميع وفي ثاني الصباح ركب ماجد وأتى الى الامارة وسلم عليهم جميعا فترحبوا به
 وقدموا له مزيد الاكرام ثم بعد ذلك أخذت الجازية تكتب الى الامير طوى
 وتلجى قومه لحرب دياب وتقول :

تقول فتاة الحى أم محمد وقلى قبل اليوم قد كان مغبون
 وقد كنت محرومة من الهم هل فقد ابن سرحان والقيدوم

أبو زيد أتى والنبي مانسته وكان أمير إلى الأسرار كنوم
 أميرين والله ليس يوجد مناهم وكان لهم سعد قوى مخدوم
 قتاهم أبو وطفا دياب عداوة يجازيه وفي الواحد القيوم
 يا أيها الغادى على من ضامر تسبق محبوب الريح وكل رسوم
 لوجئت لأرض القير وان قابس تلاقى بها الزغبى أمير حكوم
 فسلم على طوى خليفة عمنأ أمه كريم خليفة المرحوم
 وسلم على أهل دريد جميعهم أماره ايوثا مايم غيشوم
 وقولوا له أن الجازية أم محمد تنبئكم الأخبار ثم علوم
 إن كان أنتم تحضروا وتوافقوا فتحضروا حالا لقضى معلوم
 ولا تنسوا فضل أبو زيد وحسن ولا تتركوا تاراتهم يا يوم
 فردوا لنا منكم بالعجل يا خليفة المبرور والمرحوم
 فلما فرغت الجازية من كلامها أرسلت الكتاب إلى ابن مالك فأخذه الفجاب
 وسار فلما وصل إليه السكتاب أخذه وقرأه ففرح فرحا لا يوصف وسار وهرض
 على بقية أماره بنى دريد ففرحوا جميعا وقصوه الجواب فعند ذلك أشار يكتب ويقول:
 يقول طوى والدموع غزاري والنار في قلبي تزيد سعادى
 الله أكبر زال عنا همنا وقلوبنا فرحت بذى الاخبار
 من ١٥ عام في أسر العدا وفي القلب منهم دوم شعله نار
 لما سمعت أخباركم يا جازية أضاء علينا الحى والديار
 ففرحوا بكم أمل الديار جميعهم نسوا من فرحوا بأخذ الثار
 اقرأوا سلامى للامير بريقع أيضا شيدان وكل أمارى
 يا جازية هاتى للقروم اسرعى لعند أبو وطفا لأخذ الثار
 دياب غدا خرفان وخيله انقطع ما أعاد له عزم البارى
 ما قال طوى خليفة مالك لآخر في قوم يكون فشارى

فلما فرغ طوى بن مالك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وقال للرسول سلم
 حل الجازية والامارة وقولوا لهم نحن قائلين ومقتولين معهم فأخذ الرسول الكتاب

وسار يقطع الفيافي حتى وصل لعند الجازيه أعطاهما هذا الكتاب فقرأته بحضور الأمايرة ثم قالت والله العظيم أنا قلابي قال والله العظيم أنا قلابي يقول أن دباب لا بد ما يقدر بقومنا لأن هذا الخبر لا يخفى ثم كتبت مكتوب إلى طوى بن مالك تقول له خذوا حذركم نهار غد العبد إذا حضرتم لعند دباب فالبسوا دروعكم واسلحتم تحت أيابكم ونحن نعمل لعندكم يوم العيد فاقسموا فرقتين الصف يجلسوا على المائدة والصف يقرأون الكتب فصار الرسل حتى وصل إلى عند طوى بن مالك فقرأ الرسالة وقال هذا الصواب فاهدكم من السلام والفسكر الذي افترقته الجازيه لأن بني زغبة أخذوا الخبر ونظروا إلى بني دريد يخفق حالهم دائماً في اجتماعات وأسرار فأحبروا دباب وأطلعوه على حالهم فقالوا له كيف الرأي ونحن خائفين من غدرهم وغدر أولاد حسن وأبو زيد فقال لهم ان الرأي عندي ان نعمل ولية على العبد وعند ما تجتمعوا أو همومهم واقتلهم ولا تدعوا من أكابرهم أحد .

(قال الراوي) وكان ثاني يوم عيد الضحية فعمل دباب الولية ومد السباط وكان شيء يدهش العقول وعزم بني دريد وأكابرهم لحضروا ودخل نصفهم وجلسوا على العظام وبقي النصف الآخر على ظهور الخيل وفي تلك الساعة ارتفع الصياح وعلا من كل ناحية ورفع الصوت في بني هلال وارتجت الأرض من كل مكان ووقعت الضحية الصحيحة وإذا بالعبول دقوا الرايات ظهرت وانتشرت والرماح انعكفت والاصوات ارتفعت والنساء زهرت فعند ذلك سأل عن الخبر فأخبروه بما جرى من اليتامى وأنهم نهبوا البوش وقتلوا الرعيان وطافوا على البلد من كل مكان فعمته ذلك أرسل دباب إلى ابن اخته بريقع جوراً يأمره بالقتل وبعثه مع تجاب فأخذه وسار إلى بريقع فاعطاه الكتاب ففحصه وقرأه وعرف موزع ومعناه وقال الله يعلم إن خالي خرفان ومراده أن ارد له البوش ونحن لا نرضى بالبوش ولا بغيره إلا أخذ روحه العزيزة عليه ثم أشار الأمير بريقع يقول :

يقول ابن حسن الأمير بريقع وعلفت بقلبي والحشا نيران
على ما جرى فينا وما قد أصابنا من ابن غانم راجح الميزان
وبيع المعايب خالنا ولد غانم وهو خالنا بالسر والاعلان

وإن عابنا نرى ما نعيه ولا يحكى بحقه نقصان
علمنا بأنك يا ابن غام فارساً ويوم الوقائع راجح الميزان
واسكن ما لاخال إلا ابن أخته فانهض ولا تفر إلى الميدان
إما تقبلي وتملك لسمعتي إما بصدك أطلق العيوان
أنا ابن القرم سلطان عامر أمير الملا حسن ولد مروحان
لنا حين عندك وجينا بريد فأخذه أن قدر الرحمن
ونأخذ منك النار ونشفي غليلنا ويزيل عنا الهم والاحزان
ونبقى بعدك في سرور وفي هنا وتطيب لنا الاوقات والازمان
فلما فرغ بريقع من كلامه طوى الكتاب وأرسله إلى دياب فقرأه وعرف
رموزه ومعناه فتكدر وأشار يكتب إلى بريقع :

يقول الفتى الزغبى دياب بن غام وأجفان عيني تهمل العبرات
على زمان تقضى راح وانقضى وكنا بطيب العيش والذات
ذكرت أنا نحمد قبل رحيلنا وكما بها في أحسن الفعات
فقالوا الامارة من بريح مغربا وبكشف لنا أرضا بها الخيرات
قالوا جميعاً ما لنا إلا سلامة أمير ابن أمير صاحب الهمات
أبو زيد العربيان ليس مثله خبراً ويعرف سائر اللغات
فقمنا جميعاً كلما لحنا ولقلنا يا صاحب الهمات
أبو زيد يروح يسكشف الأرض وانظر لنا أرضا بها الخيرات
فقال سمعاً لكم يا أعمامنا أبو زيد ثلاث لآلف لازمات
بسرعة اتوا ثم ساروا جميعهم قطعوا جميع الأرض والفوات
مرعى ويحي وبونس أبعدم اختارهم دون الملا وفقات
وجانا أبو زيد من العرب وحده وأخبرنا ما صار بالعيات
ونادى ابن مروحان ظلوا ولا عافى نحمد سوى الحشرات
وامتد اضغان الهلال مغربا كالبحر في الامواج متلاطمات
قتل منا تسعين أمراً أكارمة قروما أماراة كلهم سادات

وجئت لميدان الزناتي خليفة
وجلب في الميدان ساعة وعاد
وقال لي ما اسمك قلت غانم
فقال دياب احقن الدم بيننا
فقلت ما جاءك الموت عاجلا
طمعته بخرقة من يمين ابن غانم
وملكتم للقيروان وقابس
أخذت أنا ثلث البلاد بهمتي
والثلث أخذه ابن سرحان حسن
تعاون حسن أبو زيد بعد اوى
قلت أنا حسن الهلالى قري وقال
يملك ملكك ابن وزق سلامة
وصالحنى والقلب منه أسود
ويجمر الامارة بعده من بلادهم
وجبة والينا نطلبوا النار عاجلا
أنا فارس الهيجا دياب بن غانم
حسن وسلامه وزناتي خليفة
فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه وأرسله إلى بريقع فنهض
وقراه وعرف رموزه ومعناه فأمر بالركوب فركبوا اليتامى ودقوا اطبول الحرب
وتقلدوا بسلاحهم ولشرت بيارقهم وزغرطت لهم النساء وانضم لهم قومهم بنى دريد
وبنى زحلان ونزات بنى زغبة إلى الميدان يتقدمهم دياب فرخ العقاب وأسد الغاب
وحذاف الرقاب وهو من السكبر صار شعره أبيض كالثلج وظهره محنى كالقوس
فانصب ميدان الحرب وقاد كل فارس قبال فارس فعد ذلك برز إلى الميدان فارس
من بنى زغبة اسمه الدمام وطالب بمبارزة الفرسان فقالت الجازية ما أحد ينزل إلى
هذا الفارس غدى فوالوا لها الامارة هذا علينا إذا نزات نخاف عليك لثلا تقفل

فصير علينا العار أكثر ولا تظني أن الحرب مثل لعب الجريدة فقالت لم وذمة العرب والرب إذا طالب غاب والنبي المنتسب ما ينزل إلى هذا الفارس غيري فعند ذلك قال الأمير شيبان يا أمارة اتركوها تبرز إلى هذا الفارس ونحن نقف بالقرب منها فإن رأيناها مغلوبة ساعدناها وإن رأيناها غالبة تركناها فعند ذلك رزت الجازية إلى الميدان وهي متقلدة بالسلاح هي والأمير دهم وصار بينهما كروفر وطعن يقصف العمر فاستلكت السيف وضربته على هامه أرميت رأسه فوق عتيل وفي دمه جدبل فاغتاز دياب وقال من يكون هذا الفارس الذي قتل فارسنا واليتامى ما فهم فارس إلا غيمر بن زيد وغيمر مات في بلاد الكوع وبيننا هو في الكلام برز من بني زغبة فارس اسمه حمزة بن الأفرع صدم الجازية وضربها بالرمح فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة فاعتدات وضربته بالرمح في صدره طلع من ظهره فوق عتيل فقالت بني زغبة ما لهذا الفارس يا أمير سواك فعند ذلك برز الأمير دياب إلى الميدان وقال إلى الجازية من تكون أيها الفارس المنتصر على أبناء جئسه فقالت له أنا ابن هذا الميدان فالك والمسؤول فقال لها لا أقاتل إلى من كان حسبه من حسي ونسبه من نسبي فقالت له : كاشر منك حسباً ونسباً أنا الجازية أخت الأمير حسن وصديقة الأمير أبو زيد ولد جئت لأخذ النار فضحك دياب حتى استلقى على قفاه وقال لها متى تعلمت الفروسية وأنا أن قتلتي لا أقاتلك لأنه عار أن أقتل امرأة مثلك لأنه لا يليق بي هذا الأمر وإذا قتلتك يقول الناس دياب حامر ملوك الأرض بالطول والعرض يبرز لحرب امرأة ووحى أوسلى الأمارة فقالت له ما أروح من هنا حتى أحاربك يا خائن يا غدار فقال الجازية بطلي كلامك الفشار وارجمي إلى أولاد الأمارة أنعم بآبائهم فقالت ما بالك ولهذا الكلام أنزل الميدان حتى أذيقك الموت لذلك دى خائن وما جراك إلا قطع رأسك فلما سمع دياب كلامها لدعت برأسه نخرة الرجا فرفع رجله وضربها على جبينها بقوة عزمه رفعها عن الحصان أدرع فوقه على الأرض ميتة فقال أولاد الأمارة موت عمتكم لأنما قد تطاولت فقتلت جناها رجع دياب من دون عليها وقال في باله الله يلين القبطان ما كان لازم هذا أمره وأما الأمارة أخذت اجارية كفتوها وعملوا عليها مناة عظيمة وبكى

عابها القريب والبعيد وفي ثمانى يوم برز برقع إلى الميدان فبرز إليه دياب والتفوا
البطالين كأنهم جبالين وحان عليهم الحين وغنى فوق رؤوسهم غراب البين مقدار
ساعتين من النهار وبعد ذلك قام دياب بعزم الركاب وضرب برقع بقفا يده أرماء
إلى الأرض وصاح أولاد الأمانة قدموا أخذوه قبل أن تصيبه مصيبة ثم صار
يضحك عليهم ويقول في نفسه لولا وصية أبو زيد لى كنت أفنيهم على آخرهم ولكن
سخطهم يعرفوا مقام أنفسهم وأما اليتامى فانهم وقعوا عند ماجد يتشاورون فقال لهم
ما جد هذا دياب ما على الأرض أفرس منه فان مرادكم أن تقاؤوه واحد بعد واحد
يفنيكم عن آخركم والرأى هندى أن تهجموا عليه هجمة واحدة حمله بالوسط ولا يذ
ما تصيبه ضربة ليقع على الأرض فلا تتركوه حتى يموت فقالوا هذا هو الرأى
الصواب والامر الذى لا يعاب وباتوا تلك الليلة وفي الصباح برزوا يطلبون الحرب
والكفاح ودقوا الطبول وتقدم أمام الجميع برقع فلما نظروهم دياب ضحك وقال والله
مرادى أقاتلهم بلا درع وعلى كدشة عرجا فتموه وقولوا له أنت رجل كبير
فما اسلم معك على ذلك فبرز دياب بلا درع وما معه إلا السيف والترس فالتقاء الأمير
برقع ووقع القتال واتحدفوا اليتامى مرة واحدة فانتقام وصاح فيهم صيحة ارتجت
منها الجبال وأراد أن يضرب برقع بالسيف يقطعه قطعتين فطرحه شيطان بالرمح
من بعيد وقع في جنبه دياب على الأرض من عظم الألم فعند ذلك تقدموا الأمانة
وقال له برقع كيف حالك الآن ثم تنفس دياب وقال أنا شبع من الدنيا وهذه
مقدار كل مودة ولها سبب وأشكر الله الذى مت قتيل أولاد حسن وأبو زيد ولا
قتلى أحد غريب فلما فرغ دياب من كلامه غاب عن الوجود مقدار ساعة ثم أفاق
وصار يودع الدنيا ويستغفر من ربه يقول :

يقول الزغبى دياب ولد غائم سبحانه ربى مالك الملكوت
سبحان رب العرش جل جلاله له الحمد والإحسان والمثبوت
سبحان من أنشأ من العاين آدم وجرت له الافلاك بعد سحوت
سبحان من خلق الخلاق جميعها وهلم بالخلق والمثبوت

خلفهم وتسكنل تقسيم وزقم
يا أولاد العم قولوا سلامي
هلال وعامر مع دريد وزغي
لهم جيش مثل البحر إذا كان را
لحكم من ملك جام وكم قبيلة
قدمت على فعل بهم ندامتي
قلعت أمارتهم وأخذت بلادهم
بلاد السودان والغرب كلها تخ
وعشرون تحت منهم ماسكتها
هجموا أهلها وخافوا من اللقا
أيا نارقاي على فراق أبو على
أنا مفارق الدنيا وذاهب لغد
مقال الزغي دياب المفارق
أيا موت قد زرتنا ثم دنوت

فلما فرغ دياب من كلامه أسلم روحه فرحمة الله على الأمانة أجمعين وبعد أن
مات قال بريقع أحضروا السكين التي ذبح بها أبي فأخضروها ففعل بها رأس دياب
وفصله عن جسده وتركه ورجع فانوا قوم دياب فأخذوه وكثروا عليه البسكاه
والعويل ومزقوا ثيابهم وناحوا وصاحوا وسرجوا الحبول سود ورفعوا البيارق
السود ودقت طبول الحزن واجتمعت الأمانة من كل ناحية وعند ذلك دفنوه بهد
أن بكوا عليه وعادوا إلى بن زغبة فوجدوهم طامعين سامعين وجلس بريقع ملك
على بلاد الغرب وراقت له الأحوال ورتب الملك بحسب الشهادة وأقام شيعان
ورزق وزرائه عنده وانتهى في وسع ملكه وما سأل عن أولاد خاله فهذا ما كان
من تسرين زوجه دياب فإنها لما قتل زوجها قالت لابنها لا بد من أن أولاد عمك
يعملون حيلة عليك ويقتلوك ويرتاحوا من دياب ويخافون منك اثلا تأخذ نارك
منهم فنهنا أركب الصهبا وسير عند أحد من أصحاب أبوك فبينما يذهب رات مناسيب
لأخذ النار فعند ذلك ركب نصر الدين على الصهبا وأخذ أمه وراءه وخرجوا من

البلاد تحت جناح الظلام ولما أصبح الصباح وطلع ضوء النهار كانوا بعيدين جدا
وما زالوا ساعرين نارة يجلسوا ليرتاحوا وتارة يسير واحد وحدها إلى غدير جبل
وعليه وعيان تسقى جمالها والبنات والنسوان تلعب حوله خول نصر الدين وبالذات
فأكلوا وشربوا وقاموا لعدة حين نأوا وكان بالنصر ورد إلى ذلك المنهل صبية كأنها
شمس منيرة طول الزواجب بعينين زرق وحاجبين مقوسين شفتاها كالعباب وفما
بحريم الأحباب تسلب من رآها بحسنها ودلالها وقدها واعتدالها فأقربت منه أخرجت
الثام وسبقت في طرح السلام وأما نصر الدين لما نظرها طار قلبه وأخذت قلبه وقال
أهلا وسهلا ومرحبا وتقدم وخاطبها وصار يسألها عن حسبها ونسبها تقول :

يقول نصر الدين بن غانم	يا مرحبا في نجمة المصباح
أهلا وسهلا هم الفين مرحبا	فالعقل يا مليحة راح
يا الله أخبريني يا مليحة بأصلك	وأين منازلكم مع الأبراح
وعن اسمك يا مليحة واسمك	وعن قومك إن كانوا قوما ملاح
لأن قلبي يا مليحة انكوى	وجسمي انضى والقلب منى راح
وان سألني يا مليحة نسبي	أسمى نصر الدين الفارس الوطاح
أبوى دياب الماجد المستعجب	جهرى صيته في برها وبطاح
حالوا علينا أهلنا يا مليحة	قتلوا أبوى كان عزه لاح
وأنا بقم الأب يا بفت افهمي	غالي مساعد في العنا وبواح
صراضيوف الخيرين بأرضكم	حق الهوى بحسن الأتراح
ردى جواي يا مليحة بالعجل	أخذت جسمي مع الأرواح

فلما فرغ نصر الدين من كلامه والصبية تسمع نظامه انسحب قلبها من كلامه
وبكت لهاله وطار عقلها معها لما عرفت أنه أكبر الفرسان وزادت محبته عندها
ثم أشارت تجاوبه وتقول :

قالت فتاة الهوى التي شكت	جهرى الهوى خلى الفؤاد شعال
حكك أيا نصر والله أضناني	وأدعى لقلبي فوق نار خيال
أنا بنت صالح يا أمير بلا خفا	أبوى أمير فارس قتال

أبوى أمير ابن أمير وأُميرة حاكم على المسكناس بالأحمال
أنا وحبيسه ناصر عند أبي ربهيت في قومي بعد دلال
إن كنت قاصبر يا أمير بوطننا أهلا وسهلا بيبك يا مفضل
هيا بنا يا أمير نحو نجوعنا وحبك بقلبي ليس منه زوال
وراحم فتاة الحى يا ولده غانم تعلمت بالحب وهى تعد كالأطفال
ونفنى بقماعنا العمر سوية ونعيش بخير وصفوة بال
مقالة فتاة الحى بانى التى شككت نار الهوى جلت عظامى حلال
فلما فرغت الست بانى من كلامها ونصر بسمع نظامها كاد عقله يطير من شدة
الفرح وأما أمه تقدمت إلى بانى وقبلتها بين عينها وقال لها اذهبي إلى أبيك واخبريه
بما لنا فان أراد يرسل يأخذنا لأن ذهابنا معك يشين بعرضك ولا يابق محققا فودعهم
وسارت وعند وصولها إلى عند أبوها وقعت عليه وصارت تقبل يديه وقالت له
يا أبى لقيت على الغدير امرأ غريبة ومعها ولد لها شاب قد نظرت منهمم يحزن الأقب
وهم قاصد ينك من بلاد بعيدة وأخذت تفهمه من حارم فلما سمع الأمر صالح كلام
ابنته أخذته العجب وانهر من الاتفاق العجيب لأن دياب كان خلص له امرأة من
بعض أمراء العرب وقتل له خصمه وبقي حاضرا لهذا المعروف ولما سمع من بنته
أن دياب قتل وابنته على الغدير ففرح جدا وروى واقف على الأقدام وأمر العبيد
أن ينصبوا صيوان الحرير أمام صيوانه وركب فى مائة فارس وسار إلى الغدير
وتقدم إليه الأمير نصر الدين وقبل أياديه وقبله صالح بين الأعيان وقال أهلا وسهلا
يا ابن الأمير دياب وصاحب المعروف وفارس الأرض الذى صوته يرفع الأبطال
فى اليهود ويرجف الأسود وكانت الشمس قاربت الزوال فرفعوا نصر الدين على
هودج وصاروا نصر الدين على شهباء وصار بين الإمارة والأمير صالح لا يرفع عينيه
منه لأنه رآه جميلا جدا ورأى قطعه كقطعة الفيل وعلامة الفروية تفهد له
لا تشهد عليه ولما وصل إلى الحمام لاقتهم البنات وأمرأه الشيرة خولوا بالصيوان
الذى نصبوه ولما دخلوا وجدوه مفروش بالحريروم وراكش وزخرف ولما استقروا
للراحة حضر لخدمهم الطعام وللدمام وباتوا تلك الليلة ماثرين مسرورين وفى ثافة

يوم اجتمعوا الامراء والاعيان عند الامير صالح فأقبحهم إلى صبيوان نصر الدين
فقام لهم على الافدام ولا قام بالترحيب والإكرام وبعد أن جلسوا وأخبرهم نصر
الدين بقصة والده فبكى صالح وجمع رجال قومه وتأسفوا عليه وصاروا
يعزوا نصر الدين وقال له الامير صالح لا تنكدرو يا ولدى فن خلف مثلك هامة
واصبر على حكم الله لانه قادر على أن ينولك مرادك والآن حيث كبرت وماعاد
لي اقتدار فرادى أن أنصبك مكانى حاكم على العقيدة وقد زوجتك ابنتى بلامهر صدق
فتعجب الامير نصر الدين من كرم الامير صالح ووثب وقبل يديه وشكره على معرفته
(قال الراوى) ثم انصرفوا وصار الامير صالح يهيئ لوازم العرس وأرسل إلى
جميع القبائل يدعوهم إلى عرس ابنته فتواردت العربان من كل جانب ومكان وقاموا
الافراح والليالي الملاح ودقت الطبول ونفخت الزمور وصارت الارض تروج
مثل أيام مأجوج ومأجوج وعين الامير صالح مدة العرس أربعين يوماً فخرجوا
التنوق والاغنام ودارت ليالى الافراح ونهار الاربعين بنوا صبيوان الامير نصر الدين
واللهو حلة من الحرير وأجلسوه على كرسى من العاج وصارت الفرسان تتوارد
اليه وتتصف حواليه وقام الميدان ولعب الجريد بين الابطال وعند المساء خرجوا
العروس من عند أبوها وهي كالشمس المنيرة وعليها من الجواهر ما يبهج الانظار
وركبوها على مروج هالى من الحرير المفضب وبعد أن طافوا بها أدخلوها إلى
صبيوان نصر الدين وأتى القاضي والشهود وعملوا الفروض الدينية ثم انصرف
الجميع وبات مع العروس في هناء وسرور وأصبح ثاني يوم منشراح الصدر وسرور
الخطاطر وبقوا مدة أيام في مثل هذا الحال وبعد ذلك جلس نصر الدين حاكماً على
القبيلة عوضاً عن الامير صالح وباركت له في ذلك الامراء والاعيان وصار يعطى
على الاحكام ويعمد في الرعية ويوجب ويعطى الشعراء والفقراء حتى أحبه القريب
والبعيد وصارت تنقل ذكره الشعراء من مكان إلى مكان ويوسفوا جوده وكرمه
وصاروا أيضاً يركب إلى الغابات ويصطاد الاسود والقهود وبسط كل على عاصي
ونمرود حتى طاعت لحكمه كل القبائل وصار له اسم وهيبة أعظم من أبوه .
(قال الراوى) هذا ما كان من نصر الدين وأما ما كان من أمر الامير برقع ملك

تومس فانه بعد قتل الامير دياب كثر ظله وطنى وبغى وتكبر ولا حاد يفرق بين
الامير والفقير واكثر جوده على بنى زغبة وانكف على معاشره النسوان والاهل
والعجب حتى كره الغرب والاكثربنى زغبة ولما اصابهم الامراجمعهوا عند الامير
خطيرا كبر امراء بنى زغبة وقالوا لانا نثنا للشهوك فى امورنا لان ما عاد لنا طاعة على
ظلم اعدائنا وهم دائما يفسطون على اموالنا وحرماننا فلما سمع كلامهم الامير خطير
اشرق رأسه الى الارض برمه ثم رفع رأسه وقال يا قوم انتم علمتم بحالكم هذا
العمل لانكم تهاوتتم وما احد منكم شهر سيف فروحه اليتامى وقتل الامير
دياب وانتهبتم لقتله ولكن انتم تعرفون ان لا يفرجكم من هذا الضيق الا
الامير نصر الدين لانه فارس مغوار فالأوفى مستخير عنه فى أى أرض ونرسل
نستدعيه يستلم قيادة الفرسان فقالوا افعل مرادك فنحن لانعرف تدبير هذا الامر
الا متك فمعد ذلك ارسل الامير خطارا استدعى الامير شاعر خبير بالبلاد والقبائل
ذلك وقال اعطونى رفيقين فاعطوه واحد اسمه حامد والثانى اسمه منصور فلبسوا
حياى الشعار وكذا الرباب على كتفاهم ومضوا فى ذلك اليوم وصاروا بطوفوا
البلدان ويمدحون العماد وبقوا على هذا الحال مدة شهرين حتى وصلوا الى غدير
حامد فى بلاد الفلاس المسكناس فلبسوا على الغدير ليرتاحوا فوجدوا جماعة من الرعيان
إذا كان قصدهم العطافا قصدوا البحر الغزير الفارس الخطير والسيد الشهير نصر الدين
فقال ناصر من هذا قال هو امير حجازى ابنى الى بلادنا لان قومه بنى هلال قتلوا
ابوه وتزوج بنده امهنا وصار الآن حاكم على بلاد الفلاس والمسكناس ولا اظن
يوجد افرس منه على وجه الارض وقد سمعنا انه ابوه كان فارس مشهور وبطل
صنديد قهر الملوك والابطال واسمه الامير دياب فلما سمع الشاعر ناصر هذا
الكلام كاد يطير من الفرح وقال بالله عليك يا ابن العم دلنا على هذا الامير فنحن
من عربيه ويصير لك عنده المقام الا كبر لانه ينسر منا ويجب أن ينظرنا ومعنا له
اخبار من اهل فساد كبير الرعيان امامهم حتى وصلوا فوجدوا المجلس محبوك
جلسوا فى الخارج فالتفت نصر الدين وجد شعاع خارج الباب فقال تفضلوا يا شعاع
وشرفونا فدخلوا فامر ان ياتوا بالزاد فاكلوا واحضروا لهم القهوة وبعد ذلك قال

لهم الأمير ناصر الدين هاتوا سمعونا يا شاعر ما عندكم من الأشعار فنه ندلك أخذ
ناصر ربابته وأشار بمدح ناصر الدين يقول :

يقول الفتى ناصر على ماجرى له ودمع عيني على الحدود ذروف
يا مالك اسمع كلامي وقصتي وافهم إلى قولي وكن اصوف
نحن قرأنا أشعار بالأرض كلها وتعد أبواب الخورين ناعوف
طفنا بلاد السور والكرج والين وزونا المداين كلاما وحروف
يدعى ويقع بولد الهلال أبوعل له صيت أشنع من حريق الصوف
دخلنا لعنده يا مالك في قصره مدحناء في قول مليح يتوف
من بعد قول يا مالك جاد بالعطا وهب لنا عذرة ومعهما خروف
قلت له بريقع ما تخشى بالعطا ما هي إلى أبوك أبو على الموصوف
وأمر بضربي مم ضرب رفاقي قضا هربنا والعقل صار حقوف
حيثما إلى اختار يا أمير مجريا ولد ناصر السيد الموصوف
أمر لنا في ألف دينار أحمرنا ومائة ناقة وألف رأس خروف
ودرنا على كل الرغابي جميعهم ترام كما زهر الربيع مصوف
ولكن ترى سلطانهم بريقع منكدا له وجه معتم أغبر مكسوف
لما دياب الخيل راح وارتحل ذهب عزمهم والعقل زاد خطوف
لما أردت وداعهم قد وقفوني يوصوني وصاية كاملة الموصوف
يقولون لي بالله يا شاعر استمع لنا فاقد بالعطا موصوف
يدعى ناصر الدين من نسل غائم وأبوه دياب الفارس الموصوف
أن كنت توجد لنا يا شاعر تعطيك كل ملاكنا وحروف
وقول له يركب الينا وينحدر فوق شبهة شبهه بحرف يطوف
صلى يعود السعد الينا بريقع وتعود لنا أنام الهنا وتشوف
فرحنا ندور في البلاد كلها لعل الملقى الفارس المسكوف
وناخذ البقشيش من آل زغي ويوزل عهدهم الهم والمتلوف
سمعتنا بصيتك قبل أن تدخل الحما بأهلك صيدع فارس معروف

قصدنا عتابك يا مملك جود بالعطا وأجبر فؤادى لانسكون غوف
فلما فرغ ناصر من كلامه فزر الشمار هل أقدامهم وكشفوا عن وجوههم
الثام وقالوا له والله نحن أولاد عمك وقد آتينا بصفة شعار اندور هليك في البلدان
حتى نجىء وتخلصنا من ظلم بنى هلال والحمد لله الذى رجدناك في هذا العز فلما عرفهم
ناصر الدين ولب الهمم وهدل يعقيلهم ويسلم هليم وسألمهم عن الامارة واحد بعد
واحد وقال لهم يلزم أن تبقوا عندنا ثلاثة أيام وبعد ذلك ترحلوا تبشروا قومي افي
بعد ثلاثين يوما اركب من هنا بقرمي وبعد ستون يوما كون عندهم وأفرج عنهم العار
ويعود لهم الزمان كما كان فأقاموا عنده ثلاثة أيام خلع كل منهم خلعة ملوكية وأن
تساق امامهم الابعام فأرادوا ان يستمعوا فقال لهم لا بد أن تأخذوا إلا افي سمحت لكم
فيها حيث كنتم شهادروا والما لا يمكن ارجع بما أعطيتهم بعدد ركبوا وحضر لهم كل ما
وهبهم وساروا بقطعة ونهر اري والقفار حتى وصلوا إلى بيوتهم وأخذوا لأنفسهم
الواحدة فمرفع بن غزيرة لادومهم فأثروا وسدوا عليهم ومهم الامير خطار وبعد أن
شربوا الفوة قال لهم الامير خطار ما اتوا بالذى رأيتهم فصار يخبرهم ناصر يقول :

يقول الفتى ناصر عما جرى له يا قوم اصغى الحديث الى جرى

دنا بلاد الغرب والديار كلها حتى بلاد الفرس وأرض كوجرا

رحنا إلى مكناس في عشرين رجب لوم ملك والله سجع غضفرا

أشقر طريف القد حلو الباسمة يشبه دياب الخيل يا أهل الوردى

ما شفت مثله بالكرم يا أهل السكرم يجرى عطاء مثل فيض الابهر

له صيوانا وصيفين أمرا حوله والفين هيدا واقفة متقدورا

وميتين بملوكه أمامه مقدمه مثل الكواكب حسنهم متقدرا

يقضى ويمضى والأيام تطيعه ومن خالف كلامه يقهرا

دخلنا عنده بالمسا وقت العشا وأنا بصفة شاعرا حوالى منكرا

بعد أن أكلنا وشربنا الشراب عدلت أنا يا بنى يا أهل الوردى

وأخبرته عن قصتي وعن سفرى وعن حاليا يا قوم الذى جرى

ولب إلينا وقال اهلا وسهلا انهم عمامى أولاد عمى الانصرا

وقال لي روحوا لأهلي وبشروا إلى أعمامنا وأخوالنا ولاصهرا
لازم أجيبهم فوق شهباء مهشمة تشبه إلى ربيع الشمال إذا جرى
واقبل عدوى واشتقى من قتله وانفى أكابرهم كذلك الأصغرا
أنا نصر الدين ما في خفيا ادعى الفوارس بالحرب مفعرا
أوهب لنا هذه الأموال جميعها أعجز ماوك الأرض وتقصرا
يا آل زغبى ابشروا في سعدكم قد غاب نجم النجوى عنك وانذرا
من بعد شهر كامل يأتي لكم شبه سبع لو قلت من موكرنا
شدوا حزام خيولكم يا قومنا جانا مفرج من عند رب مقدرنا
ما قال ابشر راح عقل والشرد عما نظرنا في ديون البصرنا

فلما فرغ نصر من كلامه والزعبي يسمع نظامه طاروا من شدة الفرح وما أحد
إلا وتقدم ناصر وأدوا له الشكر الجزيل ودارت الأفراح في الحى وأخذوا من
ذلك الوقت يهتفون صالهم إلى الملتقى وعند فروغ اليوم المميين خرجت الأمانة إلى
خارج البلد وطلعو إلى تل عالي ونظروا إلى البرصاعة فنظروا من غبار فصبروا
عليه فانهمل على فارس واكب شقرا كأنها البرق ووصل اليهم فقالوا له من أى موضع
قادم قال من عند سيدي حاكم فارس والمكناس الأهله نصر الدين وسبب قدومى هو
لأبشر بنى زغبية بنشر يفة في هذا التناور فعند ذلك أدهاوا خبر الجميع بنى زغبية خرجوا
تسعين ألف فارس في الحديد وخواطس ومعهم الراية البيضاء التى كان ينشرها دياب فخرجت
مهيبة الشهاب ستين ألف فارس وخرجوا قوم بنى فايد تسعين ألف فارس وما بنى
في نواصى الأبنى دريد وبنى زحلان وجماعتهم مائة وثمانون ألف فارس وأما جملة الذين
خرجوا الملتقى ما يتبين وأربعين ألف فارس من كل مدح ولا بس في الحديد غاطس
وأما من العبيد والأولاد والنساء لا يعلم عددهم غير رب العباد ولما تكامل خروج الفرسان
مشوا جميعهم بمقدار ساعتين فوصلوا إلى مكان واسع جميل المنظر وذلك المكان
يدهى برشان فخلوا هناك وما أخذوا لأنفسهم راحة إلا والغبار ثار والجو يهدد
الأصفا تسكد وثار ذلك الغبار حتى لحق غمان السماء وبعد ساعة انهمل ذلك الغبار فبان من
بيارق مغربية وخيول شامية فرسان عنكاكية وروماح عطابية وسيوف عجمية ودروع

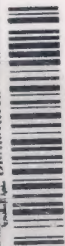
داودية وخو ذسليانية وطوارق هندية وفي أول تلك الحبل فارس طويل القامة هريض
الاكتاف أشقر اللون أزرق العينين عليه درع داوى مطبق في الزرد وعلى رأسه
خوذة من عمل الهند وعلى كتفيه ومح طويل مكعب وعلى يساره سيف مسطوب
وراءه كعب حجرية مرمية كأنها الخامة الشهباء بنت الخطر الأصلية وهو في ظهرها كأنه
نمر جارج وليث فاضح وهو الأسد المهاب والفرخ العقاب مشعل النيران في المضاب
السبع الاروع والبطل الصميدع الملك نصر الدين ابن الملك دياب الذي خضعت له
صناديد الرجال وعلى يمينه عمه الملك الصالح النور الجارج وعلى شماله الأمير صالح
الأمير المجازم واليثة الحارم ومن وراءه عشرين راية وتحت كل راية خمسة آلاف فارس
ديوث عواسب فلما وصلوا اليهم هم البعض حول نصر الدين على أعين برشان واحد
يسلم على كافة الفرسان كل واحد بمفرده وبعدها أمر بنصب الخيام في ساعة وكان كل
شيء مقيم ونصبوا الملك نشر الدين والى عمه صيوان على خمسة مائة فارس من النحاس
الأصفر وعشرون ألف طناب وذلك الصيوان من الحرير الأخضر في أعلاه نقاشة من
الذهب الأحمر ومن داخله منقوش من تواخي الأولين وعليه صور ملوك سالفين
لجاس نصر الدين على كرسي من الذهب وجلس معه عن يمينه وابن عمه عن شماله
وسحب السيوف وقعدوا أمامه والخدام بين يديه والشاويش ينادى المرتلة هذا
ما كان من هؤلاء أماما كان من برقع بن حسن اجتماع مع وزيره شيبان وقال له
أرى اليوم بنى زغبة خرجت خارج البلد ثم في ضجة عظيمة فأيكون في ذلك فقال
ليس لي علم بشيء وهم في الحديث دخل عليهم هيد وقال لهم يا ملك أن الفرسان قدوا
الأرض وأن من بلاد العرب فارس عظيم وخرجت بنى زغبة إلى لقاء واجتمعوا على
عين برشان وسلموا عليه سلام الأخوان فلما سمع برقع ذلك الكلام صار الضياء
في وجهه ظلام والنفت إلى شيبان وقال له من يكشف لنا خبرهم فأرسلوا جاسوس
فسار ودخل بنى زغبة وعرف الأمير وعاد فأخبر برقع فندد ذلك صرخ من فوق
رأسه وحق من خالق السماء ورفعها من غير عمد ويسط الأرض لأخليم هيرة لمن اعتبر
فوحق من كون الأكوان لادعى سنان ربحي في صدره وسيفي في عنقه وأمر بدق الطبول
ونادى على الفرسان تعلى فوق الحبل وتقى الفرسان وركب الشجعان وأما برقع

لبس درع أباه وقلعه السلاح وركب بفت الحيداء وشيخان عمل مثله وخرجوا من
تونس في سنة الف فارس أخود عوابس ولما قربوا إلى عين برشان نظرتهم الأعيان
فركبت الفرسان الخيول ووقعت العين على العين واصطفت الممسكين أما الملك
نصر الدين لم يتحرك من مكانه ولما دق طبل البراز برز شيخان بن أبوزيد إلى الميدان
وطالب مباوزة الفرسان وقال لا ينزل لي كسلان ولا يلبس إلا السهات الأماجيد فلما
نظره نصر الدين قال تمن هذا الفارس قال هو شيخان بن أبوزيد فعزم أن ينزل
إليه فسبقه الأمير المجازم ابن أخو الأمير صالح وصدمه صدمة جبار فلقاه شيخان
فتلاطم وتزاحما حتى طلع من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السبق في الضربة الأمير
مجازم فطمنه بين البرزين طالع الروح بين الروحين فوقع إلى الأرض يختبط بيده فلما
رأى برقع شيخان قتل نزل إلى الميدان وطالب مباوزة الأبطال وقال لا أريد ينزل
إلى حربي غداً أميركم فأتتم كلامه حتى صار نصر الدين أمامه وقال له أسكت ياردي
لو كان فيكم فارس ينزل إلى حربي فالنقوا كما تلتقي الأرض المطشاة أوائل المطر وصار
الأمير نصر الدين يقتل حول برقع في الذهبيا مثل حجر الطاحون وأما برقع وجد
حاله مع خصمه مغلوب وصار يستغتم فرصة ليفر من أمامه ولكن نصر لم يمكنه
من ذلك بل هجم عليه وصرخ وقال إلى أين يا كليب العرب وأنا وراك في العلاب وجذب
سيفه العفامي وقال الله أكبر وأول به على برقع فسمعه على الجواد أربع قطع وأشار
بيده إلى قومه فأنطبقوا على بني زحلان مثل القضاء المنزل فكانت ترمى إلا رؤوس
طائرة ودماء فائرة وفرسان حائرة والغبار غطى العنان فلا سلم في تلك الواقعة سوى
أربعة واحد من قوم زحلان فعندها دخل نصر الدين إلى تونس وطلع في قصر
أبوه وتسلطن على كل الغرب وصفت له الأحكام وطاعته كل الأنام وبقي في
بسط والشراف مرتاحين في غاية السرور حتى أتاها هازم القذات ومفرق الجماعات

تمت قصة تغريبة بني هلال

بالتمام والكمال والمحمد لله على كل حال

Bibliotheca Alexandrina



0695234